

على طائر الزهبي طاري

(الجزء الاول)

« طالع هـ - هذا الكتاب بكل تمن ولا تطلعه الا بعد أن تطلق »

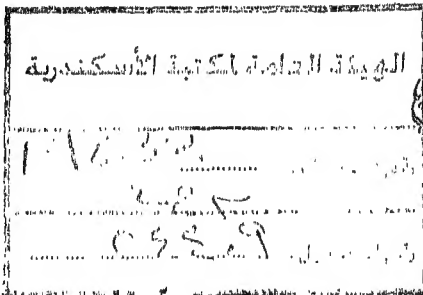
« نفسك من أمر الاغراض لئلا تقم عليك وانت واقف تعال »
« من شرفة عقلك تتامس الحقيقة من وراء ستارها »

(كتبها الدكتور شبلي شميل فوق)

(كتابه فلسفة النشوء والارتقاء)

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Dedicated to the Revolution

(تأليف)



محمد فريد بخاري

الطبعة الثانية

« حقوق الطبع والترجمة محفوظة »

(طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر)

سنة ١٩٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله على التوفيق والهداية ، ونستعينه على السداد والكفاية ، ونصلي ونسلم
على خاتم أنبيائه ، محمد وعلى آله وأوليائه . آمين

لقد كانت للمذهب المادى في القرن الثامن والتاسع عشر دولة ، امتد سلطانها
على عقول أكثر الخاصة ، وسرى منهم الى بعض العامة ، دولة جنودها العلوم الطبيعية
والمعارف الكونية ، ودعاتها المكتشفات الآلية ، والمخترعات الصناعية ، وقادتها
العلماء الاعلون ، والفلاسفة المقدمون ، فكان من لا يشايها بحق الجهود الشخصية ،
في بعض الفروع العلمية ، يسايرها طلبا للعلمية ، وتنزها عن العامة .

فكانت لا ترى الا عالما ينظر الى الوجود نظر الواقف على صميم أسراره ، فلم
بجميع أدواره ، أو متعلما داخله الكبير فردد ماسمعه من استاذة ، ترديدا لينا . لهبرات
ماقنه ، أو متعلما تشدق في المجالس بما قرأه في بعض المجلات ، أو ماسمعه من بعض
الثقات . فاذا ذكر ما فرق المادة أمامهم ذاكر ، نظروا اليه نظر المشفقين عليه ، فأما
قرعوه على جهوده أن آتسوا منه الفهم ، أو تركوه وماهو فيه من الوهم

ماهو مؤدى هذا المذهب الذى نال كل هذا السلطان على العقول في مدي
قرنين متوالين ؟

، واداه أن الوجود قديم ، وأن المادة هي مصدر كل كائن ومرجعه ، فلازمها
خصائص لا تفك عنها ، تصاح لان ترقى بها من الجاد الذي لا يعي ، الى أكبر فيلسوف
المعنى ، بتدرجها في أدوار متعاقبة ، مقودة بنواميس ثابتة ، عاملة على نظام آلى بحت ،
لا أثر للعقل والشعور فيه . فكل ما يفنتك من آثار التدبير والنمقل ، يذهب بالتحليل
العلمي الى المادة الارادية ، وخصائصها الذاتية ، وكل ما عدا هذا مما أنت به الاديان
والفلسفة ، من وجود عقل مدبر ، وروح مفكر ، وعالم وراء هذا العالم ، فخراف كلامية

ولدها الخيال، وتمسك بها الجمال، يقوم علي حفظها رجال لمصاحبة ذاتية، أو بتأثير وراثة تقليدية، قد لا يعضى عليهم قرن أو قرنان حتي يضطروا للتخلي عنها، فيصبح الناص كاهم اخوانا علي المحجة المادية البيضاء، لا يضربون في مناهات الاوهام، ولا يدينون عالم من الاحلام

هذا هو، وودي المذهب المادى، الذى افتن به الناس قرنين كاملين، وهم ما افتنوا به الا لانه أعد لكل معضلة حلا خلافا، وأرصد لكل سؤال جوابا
فان قلت له كيف يعقل أن تكون المادة قديمة ؟
اجابك . وكيف يعقل حدوث شيء من لا شيء ؟
فان قلت له كيف ينشأ النظام من غير قوة منظمة ؟
اجابك بأن الكون مقود بنواميس ثابتة، فلا يمكن أن تصدر منها الا كائنات منتظمة .

فان قلت أن ثبوت النواميس في وجهة معينة يفضى الى قيام الكائنات علي نظام ثابت ، لا يقل التغير مثاه، ولكننا نراه مترقيا متدرجا ، وقد يرتكن في بعض جهته متقهقرا .

اجابك بأن هذا التحول نتيجة عوامل تابعة لتلك النواميس، افردت لها في كتب مذاهب التحول فصول كثيرة .

فان قلت له ان تلك الفصول كلها افردت لتطور الكائنات الحية ، ولكنني أسأل عن كيفية تطور الحياة علي الجرد، ولا يخفى أن تطور الحياة خادش جال غير وجه الطبيعة كلها .

اجابك اننا ان كنا نجعل كيف نشأت الحياة، فلا يجوز لنا ان نجعل هذا الجبل منا ذريعة الي نا، الصروج والعلالي من الاوهام، فان ما يبنى علي الجبل لا يجوز ان يسمى علما فان كنا نجعل ذلك، فلا بد أن تكون له علة خفية سيكشفها العلم بالجري علي اسلوبنا لا بالحبط في الخيالات

فان قلت له كيف يصدر العقل من المادة التي لا عقل لها

اجابك . انك تغمط حق هذه المادة ، وتحقر من شأن خصائصها ، انك تحسبها غليظة ليس لها الا صفات سلبية ، وهي في الواقع ممتعة صفات ايجابية ، فهي من اللطف بحيث لا يمكن تصورها ، ومن النشاط والحركة والحياة والعقل والفكر بحيث لا يعلم اليه خيال . فهي تظهر غليظة جامدة في المواد الميتة ، ولكنها متى تركبت على شكل خاص ، وعلى نظام معين ، في مثل ما هي عليه في مخ الانسان واعصابه ، ظهرت فيها هذه الخصائص على اكمل ما يكون (انظر صفحة ١٣٠ من هذا الكتاب) .

فان قلت له : الا يدل ما لدى الحيوانات وخصوصه الدنيئة منها من الالهام على وجود عقل مدبر لهداها ما به حياته وقوامها ؟

اجابك : ان ما تسميه الهاما هو عادات موروثه . ومعني هذا ان اسلافها اضطرتها احوال البيئة للقيام على سنة خاصة لحفظ وجودها ، فأورثت هذه العادات ذرارها ، فصارت تأتيها بغير روية كأنها ملهمة بها ، وهي ليست كذلك .

فان قلت له . فلم لم يرث الانسان عاداته ، فيولد الطفل حاذقا للصناعة ؟

اجابك : لان الانسان لسعة عقله مدفوع للترقي فهو ممن لا يقف عند حد ، فجاءت وراثه الصناعات والعلوم في نوعه لاني آحاده .

..

هذا مثال من اجوبة الماديين وهي خلافة حداة ، وهم من يلم بها في جعلها انه فهم اسرار الكون ، وأحاط بقواه علما ، ويقفل عن ان هذه السفسطات كلها مبنية على عقيدة ايمانية ، لا تختلف عن أي عقيدة دينية .

للك العقيدة هي زعمهم أن المادة قديمة أزلية أبدية ، متممة بخصائص ، ومقدودة بنواميس ، تصل بالكون الى هذا الحد من الابداع والكمال .

فهذا القول اولا ليس من العلم الطبيعي ، ولا منزل من اسلوبه ، لان العلم لم يثبت ولا يستطيع أن يثبت ان المادة قديمة ، وليس في وسعه ان يقرر بأنها ممتعة بخصائص

ذاتية ترقى بها الى اقصى درجات الكمال، فربما كانت منزلة من قوة، أى أنها حركة محضة في تلك القوة (كما يقول بذلك جمهور الطبيعيين اليوم)، وربما كانت تلك الخصائص المشاهدة في الكون ليست خصائص تلك المادة ولكنها قوة روحية ماثلة لهذا الكون تنوع كل ما تؤثر فيه، وتذهب في ابتداعه وترقيته كل مذهب.

فالقول بأبدية المادة وإزالتها وتمتعها بخصائص لاحد لها، هو عقيدة إيمانية لا تفرق عن أية عقيدة باله قديم متصف بكل صفات الكمال، تصدر منه جميع الموجودات علي مقتضى حكمته المالية، وعلمه الشامل، فالماضي والديني يستويان في الإيمان بالغيب إيماناً واحداً.

وأما الفرق الوحيد بين العقيدتين هو أن الديني يطلق على الموجود الأول كلمة (اله) والماضي يطلق عليه كلمة (المادة)

وكما أن الديني كلما آنس في الموجودات أمراً جديداً نسبته الى خصائص الخالق غير المنتهية، وكذلك المادي يعزوه الى خصائص المادة غير المنتهية.

فإن "غير المتدين" بأنه قائم علي أصل ليس له عليه دلائل حسي، لحق هذا التعبير بالمادي، لأنه قائم علي أصل ليس له عليه دليل تجريبي، ولا عبرة بقوله أنه يرى المادة بعينية، ويلبسها ببدية، لأنه "يركد عليه بأن هذه المادة الملوثة ربما كانت حالا من أحوال القوة (كما يقول بذلك جمهور العلماء في هذا العصر)، ثم هو مضطرب للقول بوجود الاثير وأن لم يره، ولم يحس به، وهو فوق ذلك يعزوه للمادة صفات، ولم يزل ملازمة تلك الصفات لها، واستثناءه علي أنه لم يرق قوة من قوى الكون الا ملازمة للمادة، فهو وهم كبير لأنه لما كان لا يستطيع، وهو في حالته المادية والعادية، أن يدرك القوى المجردة بحاسة من حواسه فهو لا يحس بها الا، وأثره في مادة. ولكن هل قصوره هذا يمنع من أن تكون تلك القوى موجودة بذاتها على حالة مجردة محضة؟ وهل من الالعية أن يتخذ الانسان من قصوره علمياً ديني عليه مذهباً يدعي أنه هو المذهب الذي ليس وراءه مرمي لطلب الحقيقة؟

يدعي الماديون أنهم حريصون في مباحثهم علي أساليب الفلسفة الحسية التي



لأنسلم بغير المشاهدة والتجربة ، فهل هم منه في شيء ؟ ليحكم بيننا هذا الأسلوب نفسه .

قال العلامة (ليتريه) وهو خليفة (أوجست كونت) واضع أصول الفلاسفة الحسية في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية) .

« بما أننا نجعل أصول الكائنات ومصائرهم فلا يجوز لنا أن ننكر وجود شيء سابق عليها أو لاحق لها ، كما لا يجوز لنا أن نثبت ذلك . فالمنهج الحسي يتحفظ كل التحفظ في مسألة وجود السبب الأول لأقراره بجهله المطابق في هذا الشأن ، كما أن العلوم الفرعية التي هي منابع المذهب الحسي يجب عليها أن تحترس من الحكم على أصول الأشياء ونهاياتها ، بمعنى أننا إن لم ننكر وجود الحكمة الإلهية فلا نتعرض لاثباتها لأننا على الحياد التام بين النفي والاثبات » .

وقا المليسوف (روينيه) في كتابه (الفلسفة الحسية) :

« يريد الفلاسفة الحسيون أن يبعدوا كل خيال أو توهم ، وأن لا يعتمدوا إلا على المشاهدة المحسوسة ، وأن يحذفوا من أقوالهم كل الاقتراضات التي لا يمكن تحقيقها » ،
هذه هي أصول الفلسفة الحسية ، فهل الماديون منها في شيء ؟ هل منها الحكم بقدم المادة وأبديتها ، وعدم وجود عالم أرفع منها ؟ وهل منها الاعتماد على الاقتراضات العلمية وبناء مذهب الحادى عليها ؟

أصغ إلى لائلو عليك ما يقوله العلم الحسي عن الوجود وما فيه ، وعما ندر كدمنه بحواسنا القاصرة ، ثم احكم بعد ذلك إن كان يحسن بناء اعتمادا على هذه الحواس المصلحة أن نزهي بما نعلمه من هذه القشور المسحاة بالعلم الطبيعي ، وإن بنينا عليها مذهبا إلحاديا ندافع عنه بحجاجة أهل القرون الوسطى ، وأن نصد عن كل بحث جديد يؤتينا بحقيقة مجبولة ، مناقضة لهذه المقررات السطحية ، بحجة أنها قررت أن المادة قديمة وأنه ليس وراءها .
مرحي .

قال العلامة الكبير الرياضي الفلكي الفرنسي (كاميل فلاريون) في كتابه

(الموت وغامضته) المطبوع في اخريات السنة الماضية (١٩٢٠) صفحة ٦٥ الى ٦٩
قال :

« الانسانية تعيش في جهالة بعيدة الغور، وهي لا تدرى ان تركيبنا الجسماني الطبيعي
يعرفنا بحقيقة الواقع . فان حواسنا تخدعنا في كل شيء ، والتحليل العلمي وحده هو الذى
يؤتينا عقولنا ببصيص من النور .

« من أمثلة ذلك اننا لا نشعر بشيء من الحركات الهائلة للسكوكب الذى نحن عليه فانه
يظهر ساكنا ذا اتجاهات محدودة الى فوق وتحت ويمنة ويسرة الخ ومع هذا فهو يسبح في
الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلو متر في الساعة في تطوافه السنوى حول الشمس ، وهي نفسها
تتنقل في خلال الانهاية الدجاجة بحيث ان خط سير الارض ليس خطا مستقيما فكلما لو ان
حلزونيا مفتوحة دائما ، وان كرتنا الهائلة علي وجهها لم تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ
وجدت الى اليوم .

« وفي الوقت نفسه تدور هذه الكرة على نفسها دورة في كل اربع وعشرين ساعة ،
ان مانسويه (فوق) في ساعة من الساعات يكون (تحت) بعد اثني عشرة ساعة . وانما نجرى
في هذه الحركة الزهارية بمعدل ٣٠٥ امتار في الثانية في خط عرض ٦٥ متر في خط
الاستواء .

« هذا وكوننا الارضي تلهب به اربع عشرة حركة مخنفة ، فلا نشعر بها - احدى
منها حتى التي تمسنا من قرب كالك والجزر للقشرة الارضية ، وهي ظاهرة طبيعية ترتفع
مها القشرة الارضية دفعتين في اليوم تحت ارجلنا الى علو ٣٠ سنتيمترا ، ولا توجد أى
علامة ثابتة نلاحظها هذا الامر المباشر . ولولا وجود الشواطيء لما ادر كنا وجود
المد والجزر في الاوقيانوس كذلك .

« وهل نشعر بالهواء الذى نستنشقه أو ندرئ له ثقلا ؟ ان سطح جسم الانساني
يحمل منه ما وزنه ١٩٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلى . وما كان احد
يتخيل ان الهواء ثقيل قبل (غاليليه) و (باسكال) . و (تورسلي) هذا ما يشهدنا
آياه العلم ، ولكن الطبيعة لا تشعرنا به ،

« وهذا الهواء مخزن في بديارات مختلفة يجهلها كل الجهل . فالكهرباء تلعب فيه دورا لا يتعطل ، ولأننا لا نشعر بها الا وقت الأعاصير ، أي وقت اختلال التوازن بشدة .

« والشمس ترسل لنا على الدوام بأشعاعات منطاطية ، تؤثر عن بعد ١٥٠ مليون كيلو متر على الابرة المعطشة مما لا نشعر نابه مشاعرا . ولأننا توجد أجساد حساسة لطيفة تشعر بـ . وهذه التيارات الكهربائية والمناطيسية .

« وعيننا لا تدرك ما نسميه نورا الا بواسطة ذبذبات الاثير المخصوصة بين ٣٨٠ ترليون ذبذبة في الثانية (أحمر متطرف) و ٧٦٠ ترليون (بنفسجي متطرف) . ولأننا الذبذبات البطيئة للأشعة الحرارية الحمراء المنتمية فيما دون ٣٨٠ ترليون موجودة وعاملة في الطبيعة كما تعمل الذبذبات السريعة فيما فوق الـ ٧٦٠ ترليون للأشعة الحرارية البنفسجية المنتمية غير المرئية لشبكية عيننا

« واذا كنا لا ندرك ما نسميه (أصواتا) الا منذ الذبذبة الثانية والثلاثين من الاثير في الثانية الأصوات التي نسميها شديدة الى ٤٦٠٠٠ ذبذبة في الثانية للأنغام الحادة

« وأننا لا نشعر بما نسميه (روائح) الا عن قرب شديد ، وفي حالة عدد محصور من النعماعات فقط . ويختلف شمع الحيوانات عن شمع الانسان .

« وغير ذلك فالواقع أنه لا يوجد في الطبيعة خارج جواسمنا لانور ولا صوت ولا رائحة . فنحن الذين خلقنا هذه الكلمات لنمهر عما نحسه من تأثيراتنا ، فالنور شكل من أشكال الحركة كالحرارة ، والا في الفضاء من النور في وسط الليل على قدر ما يوجد منه في وقت الظهيرة ، اعني توجد فيها أعداد متساوية من الذبذبات الاثيرية تخترق هذه الانهائية السماوية . والصوت شكل آخر من أشكال الحركة ، وليس هو بندي جاسية الا بالنسبة لعصبنا السمعي . والروائح تحدث من جزيئات معلقة في الهواء تؤثر على عصبنا الشمي

« فهذه هي الثلاثة الحواس التي تصلنا ، ونحن في تركيبنا الارضي هذا ، بالعالم

(٢ — علي اطلال المذهب المادي)

الخارجي ، وأما الحاسنان الاخران الذوق واللمس فلا تؤثران الا باللامسة ، وهذا شيء قابل ، وهو في كل الاحوال لا يؤيدنا بشيء من العلم بحقيقة الواقع . فيوجد حيوانا من الذبذبات والحركات الاثرية أو الهوائية ، ومن القوى والاشياء غير المرئية ، ما لا نراه ولا نحس به . هذه حقيقة علمية مطلقة ، وبديهة عقلية لا يمكن النزاع فيها .

« فيمكن أن يوجد حيوانا أشياء ، بل كائنات حية لا تُرى ولا تُلمس ، ولا نستطيع حواسنا أن تصلنا بها ، انا لا أقول أن هذه الكائنات الحية موجودة ، واسكنني أقول يجوز أن تكون موجودة ، وهذا التأكيده هو النتيجة العلمية المطلقة المعقولة للمشاهدات السابقة .

« فإذا تقرر وثبت بالدلائل أن أعضاءنا الادراكية ، لا تكشف لنا كل ما هو موجود ، وأنها تعطينا شعورات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا (لا تنس حركات الارض ونقل الهواء ، والاشعاعات والكهرباء والمغناطيس الخ) ، فليستنا في شيء من الثبوت إن فكرنا أن انراه هو كل الحقيقة ، بل نحن مضطرون للانسليم بهذا ذلك .

« قلنا أن كائنات حية يجوز أن تكون موجودة حولنا ، فمن الذي كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ، فها هي تتكاثر حولنا بالمليارات والدور الذي تلعبه في حياة جميع الاجسام من الخطورة يمكن .

« فالظاهر لا تكشف لنا الواقع ، ولا يوجد الا حقيقة واحدة نستطيع تقديرها مباشرة هي فكرة الوجود الذي لا يمكن النزاع فيه في الانسان هو عقله . هذه هي النتيجة التي تأديت اليها في مؤلفاتي السابقة ، وقد اعددت هذا المؤلف للدلائل عليها بوضوح أوفى » . انتهى

كل هذه النظرات الصادقة ، المبنية علي العلوم المحققة ، أيقظت العقل من غفلاته وكبحت من رعوناته ، وكسرت من شره ادعائه ، وفلت من حدة خيالاته ، وأرته رأي العين ان ما علمه من أصرار هذا الوجود ، ذرة لا تُدرِك في بحر لحي ، أو هبة لا قدر لها في هذا الاطلاق العالمي وأن وراء ما أدركه منه من هذا الجانب المادي عوالم لا تنهي الي مدي تقف عنده ، وكائنات لا تصادف في ترقبها تخالفا لتنزم حده

أدب عقلي بعيد النور، لم يتحل به الإنسان في عهد من عهوده قبل هذا الدور الأخير، فقد كان في كل طور من أطواره شديد الاعتداد بمدر كانه، عظيم الثقة بمحسوساته، إلى حد أنكر معه ما وراء حسه، وهو غافل عن انخداعه لقصوره، واستهزأ بكل ما لا يتفق مع علمه، وهو جاهل بمبلغ غروره، حتى أن من صرح من الناس بمجهله فعل ذلك أما تواضعا أو تصنعا، أما اليوم فقد أدرك الإنسان جهله بعلم حسي، وفهم قصوره بإدراك مادي. وهذا الأدب كان من أنظم آثاره عليه أن يروجه نظره إلى الوجود. فقد كان ينظر إليه من وجهة أنه تخال مادي بحت، تكفي في سبر غوره حواسه الخمس، فكان الوجود في نظره محدودا على لانهايته، مفهوم ما في جملته، ولكنه اليوم ينظر إليه من وجهة أنه مجال غير محدود، تعمل فيه قوى لا يسيطر بها عقل، المادة وجه من وجوهها، وليست أصلا لوجودها، والتوازن التي تؤثر عليها، تظهر من مظاهر تلك القوى الكائنة، محل في الكائنات على نظام يناسبها، لأن تلك القوانين هي كل ما في لوجود من العوامل المؤثرة.

هذه الوجهة الجديدة من النظر، بإحالتها المادة إلى قبمتها الحقيقية، قرت في عينه هذا الوجه المحسوس للوجود، ونهته لما وراءه من العالم غير المشهود، فذهب إلى ذلك العلم، ولكن لا على الأسلوب القديم من تسلم الخيال قيادة العلم، ولكن على الأسلوب الجديد، من المشاهدة والتجربة، فبعد أن كان يقصر علمه الطبيعي على هذا المجال الضيق من عالم المادة الظاهرة، يعني بالطبيعة هذه الباحة الخرجة من مدرجات حواسه الفاصرة، أخذ يمد علمه إلى ما بعد هذا العالم المحسوس، ويوسع من مدى إدراكه للطبيعة فسيها، فلم يحصرها في هذه الدائرة الضيقة.

هذا تطور بعيد المدى، أحدث من النتائج في كل فرع من فروع العلم ما غير وجه الفلسفة، وقضى على قصر النظر قضا لا قيام له بعده، وقد عولنا في هذا الكتاب، على أن نفهم الباطنين بالضاد على حقيقة هذا التطور العظيم الذي يعتبر بحق أكبر تطور سجله التاريخ لارتقاء الإنسان من الوجهة الادبية، دفعه لإدراك ما وراء هذه الحجب المادية من العوالم العلوية، فلم ندخر وسعا في تصويره بكل دقائقه، مستأنسين في ذلك بأقوال

ماة العالم أنفسهم ، حتى اننا لانعلم اننا وضعنا بحثا حوى من آراء العلماء والفلاسفة مثل
ماحواء هذا المؤلف ، ولنا في ذلك واسم العذر ، فان هذا التطور العقلي من الحطورة
والجلالة بحيث يتطلب المطالع عليه علي كل وجه من وجوهه دليلا ، ونحن لم نبخل عليه
بهذه الطائفة ، فأكثرنا له من الأدلة بحيث لا يجد في نفسه حاجة الى المزيد .

واني باعلاني هذا العهد الجديد في حياة الانسان العقلية ، ارحم ان احدث في ارواح
الشرقيين وعقولهم نفس الاثر الذي أحدثه في ارواح الغربيين وعقولهم .

واست اقص من قولي العهد الجديد للعقل البشري ، أن هذا الترقى الواسع النطاق
وصل الى كل درجات المتول ، فإن في الناس بل وفي العلماء انفسهم ، من لا يبطلون
بغير ما الفره ولو سقطت السماء على الارض ، ولو لا اشياء ونظراء في كل بلاد من
بلاد العالم ، ولقد تحلمت نظرية الانتخاب الطبيعي الذي نبي دارون عليها مذهب ، ولا
يزال في الناس من يظنون انهم حلوا بها اسرار التاورات المحبوبة الي درجة لم يبق معها
خل من شك ، بل في الناس من يزالون يقولون بالجواهر الفرد الذي لا يقبل الانقسام ،
وهي النظرية التي وضعها ديموكريت ولو سيب منذ اكثر من الف سنة ، ويخجل اليهم انهم
ادر كراسر الوجود ادراكا لا يسمح لهم بالاطلاع على ما ينفيه من المباحث الجديدة .
هذه الطائفة تقصصت من روح الجود مالا ينفي مع روح كل باحث منشئت ،
وصفت العلم صيغة الجبار المنرد ، مع انه في الواقع معترف بنقصه ، ومتواضع في حكمه .
واتخذت من بضعة الافتراضات التي اضطر اليها العلم لتأجيل المؤقت ، ومن بضعة الوجوه
عن القوى العاملة في الكائنات ، ذريعة الى بنا فلسفة عرجاء ، خرقا عميا ، لحنها وسداها
قصر النظر ، والدعوى الماطلة ، والكلمات المقعرة .

ادعوا انهم تحرروا من رقة الايمان بالغيب ، وما ذروا انهم وضعوا في اعناقهم
اغلالا من الايمان بالطبيعة ينوون بحملها ، وفي ارجلهم قيودا يرسفون في سلاسلها ،
وزعموا انهم ترفعوا عن العامة في القول بالخلق العالم بقدرته واداته ، وما علموا انهم
تسفلوا الى القول بالمادة ولها بخيالهم من القوي والقدر ما لا يمكن تحقيقه بحجة
ناهضة ، ولا بانبي شهوده بتجربة حاسجة .

وخيل إليهم أنهم بالغوا من بعد النظر ، وسعة العقل ، إلى ما يسمح لهم بأن يهزأوا بأصحاب العقائد الجامدة ، وما فهموا أنهم يوقوفهم في دائرة ما حصلوه من هذا القدر من العلم قد وضعوا على أعينهم حجابا من النقشوات ، وعلى عقولهم كسفا من الغباوات ، لا تسمح لهم برؤية شيء غير ما تخيلوه وجهدوا عليه .

ينظر أحدهم إلى السماء ثم يرمي ببصره إلى الأرض ، فيخيل إليه انه يري عوالم وصل إلى ابعد غاية من ادراكها . فهو يتاموس الجاذبية العامة وبضعة القوانين الطبيعية السكناوية المعروفة ، بأربع نظريات دارون المشهورة بحل جميع معضلات الحياة ، ويدافع عنها دفاع الواضع لها ، فيصدق عليهم قول الفيلسوف (شوبنهاور) حيث قال :
« كلما انمخط الانسان في القوة العقلية ، قلت مساهمة الوجود في نظره ، فكل شيء عنده يحمل معه تفسيراً الكيفية وجوده وسبب حدوثه » انتهى .

ومن أعجب العجب ان هؤلاء الجامدين يتبعهمون بأنهم انما يستندون على العلم مدعين أنهم اقرب الاقربين إليه دون الخلق .

فأى علم يعني هؤلاء ؟ العلم يهرح بأنه لا يدري بدايات الاشياء ، ولا مصائرهما ، فمن أين جاءهم العلم بما كان وما سيكون ، ومن أي مورد استقوا عقائدهم التي بنوا عليها هذا الجود الغريب ؟

من شاء ان يعرف الجواب على هذين السؤالين ، ويذكرنا على هذه اللهجة الفارصة ، فليطالع ما كتبناه في هذه الصحف القليلة الآتية ، والله ولي الكفاية .



وقفه بين عهدين

لم يتضح أثر العلم والفلسفة على حالتنا النفسية والعقلية مثل اتضاحه عليهما في هذا العهد الأخير . وهو دور نقابله بالبشر والترويب لدلالته على انضج العقول لقبول أرقى المدرجات ، وتأهل النفوس لوصول إلى أبعاد الغايات . ولكنه دور خطير الشأن لقيامه على هدم بناء قديم من المدرجات والموثقات ، وإقامة صرح جديد على انقاضه ، وعلى الامتلاء من روابط تاريخية من الآداب والمعادن ، والخضوع لحواظ حديثة صاغها العقل الجديد على الطراز الذي رآه أصاح الجماعة الناهضة .

هذا الدور من الانتقال الذي يضم فيه الإنسان حداً بين الماضي والحاضر أو بين القديم والجديد ، يستدعي ضرباً من ضروب الفوضى الفكرية ، ونوعاً من أنواع التطرف والتناهي ، يجتذبه ذوا القلوب الصغيرة والأبصار الضعيفة ، فيفتنون بظواهر المجدد ، والانسام بوسم الزعماء والمصلحين . وما الذي يصدهم عن ذلك وهم في وسط جمهور متعطش للحجاء ، يظن كل نسيق يعارق سمعه من داع إلى هوى صحيحة ناصح حكيم يهيب به إلى مورد عد من موارد الإصلاح والتكامل ، ويشيل إليه أن كل هادم لأصل قديم عاملاً من جمال العهد الذهبي المنتظر ، يرفع المقاب عن سبيل السالكين ، ويهد الصعاب أمام المتسابقين ؟

نعم إن هذا الدور من أشد الأدوار خطراً على كل مجتمع لما يختلط به الحبال بالنابل ، ويشته به فيه الحق بالباطل ، ويفقد الناظرون وجوه الفرق بين الجادين والهازلين وبين البائين والهادمين . وهو الدور الوحيد الذي يجد فيه الباحث من أمانات الشهوات شهوة فرصة للابيس ، والملاحد الذي يلمس القصور نوره نبهة للانسليس ، ويصادف فيه المعدم من الفضائل ، والمملق من الحقائق ، والهابث بالمدارك ، خاسراً يذبحون فيها وظيفته قيادة المواطنين والميول . هنا الطامة الكبرى على الأخلاق الضرورية ، والرزية المظلمة على الأصول العمرانية .

لاجرم إن معالجة هذه الحالة السوأى من الصعوبة بمكان ، فإن الدهماء في فهمهم بالجديد الغض ، وتقرزم من القديم الرث يحسبون كل مناضل عن أصل عريق مهما كان محله من الصواب وضرورته للمجتمع من الجامدين على الموروثات العاملين في احياء ماقات وأصبح من الرفات. ويقرص هؤلاء القوم هذه الفرصة لاحظ من كرامته والتصغير مما يدعو اليه قبضيم صوت الحق في ضوضائهم وتعمى على الاكثرين وجوه النفرقة بين ماهو غث وما هو سمين وتجد النفوس المنحلة في وسط هذا النزاع مساغا الى الاندفاع في الفوضى الخلقية والفكرية. فتتعرض لسكل ما يستتبع ذلك من قوارع عمرانية ،

ليس الانسان بمحدود الادراك فيقتنع بالدون من المطالب المعنوية ، ولا هو بالجسد المحض فيكتفى بالمقومات المادية ، فهو من لدن نشوئه على هذه الارض يتهاك على ادراك سر حياته ويتفاني في كشف النقاب عن وجه الكون ليقف على العسل التي عمات على ايجاده وتعمل في استمراره ، فهو مدفوع في هذا السبيل بدوافع معنوية لا تقل في قوتها عن الدوافع المادية التي تدفعه للبحث عن غذائه والعمل على بقائه. وان كانا يضحى ذاته وافلاذ كبده وهو في أشد أدوار جهالاته واشتغاله بمقوماته في سبيل عقيدة روحية هو كائن عريق في الروحانية ودخيل في الكائنات المادية هل وقف اندفاع الانسان في هذا السبيل ، وهل قنع من الوجود بالحياة الصورية بعد كل ما حسله من المبدعات الصناعية والمقومات الجثمانية

تقول نامة الماديين عندنا نعم : لقد وضع العلم الطبيعي حدا بين عهد الخضوع للخيالات الفكرية بالامس وعهد الخروج عليها اليوم فلفظت العقائد بالعقل الكلي المدبر والروح المستقل عن الجسم والوحي الخارج عن نطاق الحس الى عالم التصورات الوهمية . ولا يعدم كل من هؤلاء المحبين أن يكون قد ادخر كتما في الفلسفة المادية كتب في عهد الغرور العلمي للقرن التاسع عشر فهو يستملى منه ما يفتقه بين معاشريه بقمه ويتناثر في كتاباته من أسلة قلعه

أما نحن فنقول ان الانسان العصري أكثر تدنيا اليوم منه في أي زمن حتى في عهد

جهاته الاولى. نعم انه يترفع عن التمسك بالصور الذهنية والاستخذاء للمدرجات الخيالية بل انه قد أمس من جميع القيود الدينية، واسكنه بما فتح له العلم من مجالات النظر وكشف له البحث عن طرف من المجهول الضخم الذي يحيط به، فقد حل فيه محل الخوف العاطلي من الافاعيل الطبيعية ولوع بادراك الحقيقة السكينة ليس من نوع الولوج بكشف المساير الوجودية بل من نوع الاندفاع للحصول على المقومات الروحية التي لا حياة له بدونها. فانه اذا كان بالامس قد عبد صوراً ذهنية لنيل ثوابها والهرب من عقابها فهو اليوم يطلب حقيقة مذللة يشعر بأنه جزء منها يحزن اليها حزناً البعض الي كله ويندفع للوصول اليها اندفاع الشيء الى مقومه. فان لم يكن هذا من عاطفة التدين المعروفة فهو أرفع منها لأمحالة.

هذان موقفان متضادان. وبما ان خصومنا يعتمدون على الفلسفة الحسية والعلم الطبيعي في الدعوة الى مذهبهم فسنبجسهما عمدتنا في هذه المباحث بل لامتصاص لنا من الاعتماد عليهما لانهما هما اللذان أوصلا الانسان الى هذه المنصة من العهد الروحاني الجدير بكاله وكل الفرق بيننا بينهم انهم يعتمدون عليهما وهما في دور القصور والغرور ونحن نعلم عليهما وهما في دور التكمل والنضوج

هل في الوجود حقيقة مطابقة يمكن ادراكها؟ ان كانت فكيف يبحث عنها؟ هل وصل اليها أحد ممن كانوا قبلنا أو من معاصرنا؟ ماهي الفلسفة، وما هو العلم وما هي حدودهما وغايتيهما؟ لم استهوي المذهب المادى العقول وماهي العوامل التي أسقطته من الالوج الى الحضيض؟ العمل الاولى والمذاهب التي تصدت لبينها، اللاماركية والدارونية وغيرهما وما آت اليه. موقف العقل حيال المسائل الكبرى؟ أمكن أن يخلص الانسان من الخيرة؟ أهناك معقول تسكن اليه نفسه وتزول به شكوكه؟

هذه مباحث يخفق لذكرها كل قاي ويهجم بها كل عقل وتهزلها كل عاطفة وهي من التسلسل على تطورات الامم والتحكم في حالاتها النفسية في كل زمان ومكان بحيث يعد اغفالنا لها ونحن في هذا الدور الانتقالي من الجرائم الادبية. لهذا اجمعنا على ان

نعرض عباها هنا في مقالات متتالية املنا تقوم ببعض مايجب علينا لامتنا المحبوة
من هذه الوجهة وبالله التوفيق

..

(هل من حقيقة مطلقة يجب البحث عنها ؟)

الانسان بما ركب فيه من قوى النظر والتفكير والاستقراء والاستدلال ، مضطر
بحكم تركيبه المعنوي هذا لان يقف على معقول يطعن اليه من كل مايجب فيه تلك
القوى ويثيرها . فأول شئ . هاجها فيه عند ما دفع به الي هذا العالم ، وسائل حفظ ذاته
من العطب في هذه البيئة المخوفة بالمبيدات ، فجره هذا البحث الي النظر في ووه علاقته
بالاشياء المحيطة به ، وبالوجود العام الشامل له وتلك الاشياء ، فأخذ يسائل نفسه :
كيف احفظ وجودي بين هذه الحيوانات الضارية وكيف افترس غير الضارية
منها لاجعائها من مقوماتي الغذائية ؟ وبأية وسيلة اتقي لفحات الحر المحرقة ، ونفحات
القر القارسة ؟ وبأية حيلة أمنع نفسي العوادي الطارئة من طغيان الامهار وثوران الهراكين
وهبوب العواصف ؟

فلما حصل الانسان علي بعض مايركن اليه من هذه الناحية ، هاجته الامراض
الجائحة ، والالوياء الماحقة ، فطفق يسائل نفسه ثانية : ماهذه الكوارث المتكررة ، ما
هذه النوازل المتتالية ؟ هل من عامل خفي وراء هذه الظواهر يساط علي المبيدات
لفرض يريد مني ؟ هل يمكن استعطافه واسترضاؤه ؟ وما هي مراضيه
ومساخطه ؟

فلما وجد الانسان حصاة صالحة من الوسائل الغذائية ، وذاق شيئا من لذة الاجتماع
وهناة الاسرة ، لغت نظره ذاك الموت الذي يهدده ويخطف ذويه ولا يستطيع دفعه
فشرع يسائل نفسه ثالثة : ما الحياة وما الموت ؟ كيف يكون الانسان بالامس فارسا
مغوارا تها به الضراغم في آجامها فيصبح اليوم جثة هامدة تنوشه الكلاب بأنيابها ؟

(٣ — علي اطلال المذهب المادي)

هل كان جسمه أهلاً بشئ، فخرج منه؟ ما هو ذلك الشئ، وإلى أين ذهب؟
 هنا ألت بالإنسان الحيرة أمام هذا المجهول الضخم، فرفع بصره إلى السماء، كأنه
 يريد أن يسبر هذه اللانهاية، ثم أداره فيما حوله واندفع يسائل نفسه أيضاً : ما هذا
 الوجود؟ أين إقامته ومن دفعني إليه؟ ماذا أنا وأي شئ، كنت قبل أن أوجد هنا؟
 إلى أين اذهب بعد أن أموت؟ أأبدي كما تبديد العجاوات والنباتات أم ينتقل شئ مني
 إلى وجود آخر؟ ما هو ذلك الوجود الآخر وأين هو؟

هذه النظرات من الإنسان كانت أصلاً لأديانهِ المتنوعة، ويزبوعاً لافلسفاته
 المختلفة. وهي التي دفعت للبحث عن الحقيقة المطلقة. وهذا التطلع منه كما نرى حال
 اضطرابية لاخيرة له فيها، اندفع إليها بحكم تركيبه المعنوي، فليس هو بالمكان الذي
 ينظر ولا يفكر، أو يفكر ولا يستدل، ولا بالذي يقف من هذه القوى فيه عند حد، ولكن
 أنه تلك حقيقة مطلقة يمكن أن يدركها المتعقب لهذه المباحث، أم هي حلم به، ورهله الالم
 ويسوغة له حب الخلاص، فيتأدي إلى خيالات يتعزى بها حتى ينتهي وجوده على أي
 حال كان؟

أظهر لنا النقد الفلسفي أن الإنسان أطمأن إلى خيالاته آلاف من السنين، وأنه لا يزال
 على هذه السنته يتعبد لأشياء مورتجهاها بداهة العقل، وبحكم عليها مجرد النظر بالاطلاق،
 مدعياً أنها حقائق مطلقة يجب عليه أن يأخذ بها وأن يحمل عليها غيره ولو بالقوة.
 ولكن هل تنفي هذه الحال وجود حقيقة مطلقة عن الوجود والحياة والموت بطمئن بها
 الإنسان ويجري على سنتها إلى غاياته البعيدة من التكامل؟

أما الحقيقة المطلقة فلا يشك في وجودها عاقل مادام هذا العالم، حتى في مذهب
 الذين يقولون بأن المحسوسات المرئية خيالات لا وجود لها إلا في وجدان الإنسان مثلاً
 كمثل الخيالات التي تترأى له في النوم، فإن هؤلاء مع ضنهم على الوجود بالوجود
 يسمعون به الإنسان، وليس في العالم من يقول بأن الإنسان نفسه خيال أيضاً وأن
 الكل عدم في عدم. ومادام هناك شئ معين فلا بد من حقيقة مطابقة تتعلق به.
 فهل يمكن الوصول إلى هذه الحقيقة المطلقة، والخلاص من الخيالات التي يظنها

الانسان - فائق وليست بها ؟ وهل لنا مصلحة صورية او معنوية في البحث عن الحقيقة ؟

أما السؤال عما اذا كان لنا مصلحة في البحث عن الحقيقة المطلقة فلا محل له ، فاننا مضطرون بحكم تركيبنا المعنوي للبحث عنها كما قدمنا ، فليس في العالم من يعيش ولا يسأل عن معني الحياة ، ولا من يموت ولا يسأل عن مصيره بعد الموت ، ولا من يرى الوجود بعينيه ولا يسأل عن علاقته به . فالبحث عن الحقيقة المطلقة حاجة معنوية للانسان لا مناص له من توفيتها

نعم في الناس من لا يعينهم أمرها وهم في بعض ادوار حياتهم ، ولكنهم يدفعون عن هذا الاهمال غالبا حينما يضطرون دور آخر الي التأمل في مصائرهم . ومع هذا فلا ننسى ههنا ان فريقا من الناس يولدون أنعماء ويموتون أنعماء

نعم اننا ان لم نكن مضطرين بحكم تركيبنا المعنوي للبحث عن الحقيقة المطلقة ، لوجب علينا أن نبحث عنها لمصلحتنا الذاتية لاننا في اندفاعنا وراءها نثير من قوي نفوسنا ما يرفعنا عن حضيض الحيوانية ، التي تهبط بنا اليها أجسادنا المادية . فابانت تلك القوى العالية كامنة فينا ولم تصادف ما يصدرنا عن الرثوع في حياة الحيوانية ، من حنين سام الي مجهول ، وطمع عال على مستور ، وتطلع كريم لغاية بعيدة ، ارتكسنا بما نتورط فيه من ضروب المطالب الجسدانية الى حال هي دون البهيمية مراحل .

انا لا انكر أن في كل أمة طائفة من الشباب والشباب ارتفعوا بذرو من المعارف عن طبقة العامة ، وانحطوا بنقص علومهم عن درجة رجال العلم ، يتخيّلون انهم قد وجدوا المعني الصحيح للحياة بالاباحة المطلقة ، والاملاس من كل قيد ، ولكنهم لا يعبرون على نشر مذهبهم خشية من أهل الاعتقاد ، وهم أصحاب الجلود في نظرهم ، فيمضون تعاليمهم بطواهر خداعة من الاصول التي تحترمها العامة ، منتظرين حلول ذلك العهد الذهبي الذي تسقط فيه جميع المعتقدات بغلبة الاصول المادية علي الناس . ويفوتهم أن الاصول العلمية اليوم بما كابدته من النحول الذريع في الحسنيين السنة الاخيرة ، أكثر مناقضة لمذهبهم من الاصول الاعتقادية . وهو التطور الجلي الذي سنحاول ان نعمم

العلم به في مباحثنا فيه هنا
فالإنسان العصري أكثر غراما بالحقيقة المادية، وأشد تنجسها اليوم مما كان عليه
في أي عهد كان فما هي تلك الحقيقة الماطقة وبأي الوسائل ندرسها لنبحث عنها؟ تكفيه
تلك الوسائل لو وجدناها، أم تبقى تلك الحقيقة الماطقة في نظر حماة الأديان لا يزال
عني نفسه بتحقيقه ولا يصل إليه؟

..

(الحقيقة المطلقة ووسائلنا لأدراكها)

ما هي الحقيقة المطلقة وما هي وسائلنا لأدراكها؟ أتكتفينا بتلك الوسائل أم هي حيلة
من الأحلام عني أنفسنا به حقيقة ولا يصل إليه؟
الحقيقة المطلقة التي يهيم بأدراكها الإنسان هي ماهية ذاته وماهية الوجود الذي
هو جزء منه، وهو لم يندفع في هذا البحث ارضاء لشهوة عقلية، ولا سكون محفوزا به وأمل
قهرية أساسها ما غرز فيه من عاطفة حفظ الذات، وهي الغريزة التي يشترك فيها مسم
الحيوان الأعجم، والكلمة لا انطلاق خصائصه العقلية من الفيرد لم يقف منها عند الحد
الذي وقف عنده الحيوان، أي في الدائرة الجثمانية، بل تدخل منها إلى الدائرة الروحية
وجعل همه حفظ ووده المذموم من الفناء، إذ كبر عليه أن يكون حظه من الحياة
مقصورا على سنين قليلة يقضيها في الكد والكسح، ثم ينتهي أمره إلى التلاشي والعدم،
وقد جرت هذه النزعة إلى الظن في مجموع الكون لتحقيقه بأنه جزء منه وإن لا سبيل
لحل مسألة الجزء مع بقاء مسألة الكل غير محاولة.

هذا لا يدفع من الإنسان لأدراك الحقيقة الخاصة بذاته وبالكون، لا ينفك عنه
مادام يتأثر عاطفة حفظ وجرده وهو يدل على أنه خالق إلهي عن مستوي الحيوانية،
وترفع عن حضيض الحياة المادية وقد بدأ منه ذلك في جميع أدواره فضحي وجوده
المدى في سبيل هذه النزعة المادية، واحتقر لأجلها كل مطالب جثمانه الاضطروري

منها، فصام نهاره وقام ليله وترهب وتبذل وكانت نفسه مالمس وجوده "صورى في حاجة اليه ، فلو لم يكن هذا الكائن يحمل في موهبته قلبه نفحة خاصة حُرمتها الطبيعة برمتها لما مال للانرقم عليها، والازرا بها، واعتبارها فتنة له تصده عن مقاماته المعنوية الرفيعة، ولما عمل على تقابل متاعه بطاياتها، وتحرير نفسه من سلطانها.

هنا يقول الماديون نعم حصل منه كل ذلك ولكنه من قبيل استنامة لا وهامة وخيالاته . ونحن نقول ليس هنا وطن مناقشتهم في هذا الامر فندعه لانجمل الخاص به . ولكننا نوجه نظرهم الى ان هذه النزعة السامية في الانسان ظلت في فجر حياته الاولى، أي في الحين الذي كان يهتدو لو تلهي بمشبهاته المادية، وانصرف عن كل عاطفة معنوية تقربه من الطبيعة . ونوجه نظرهم أيضا الى أن هذه النزعة لازمة حيث كان من سطح الكرة الارضية، وجماعاته في رحلة بعضها عن بعض، واستمرت في جميع ادوار الانسانية، وظهرت بأجلى مظاهرها في حياته العلمية، حتي أن الماديين أنفسهم لا يتعبدون منها . فليس فيهم واحد يود أن ينزل الى مستوى البهيمية، أو يكره أن يكون فيه معنى بهيمية به عن جميع الكائنات الارضية . وأن الفرق بينهم وبين خصومهم ينحصر في أنهم يرون أن هذه النزعة الانسانية قائمة علي وهم وخيال، وبراها سواهم مرتكزة علي خاصة نفسية وضمت فيه النزعة عن الاخلاص الى الحياة الطبيعية، وتدفعه للخروج من أسر الطبيعة الى حيث تخرج به روحه الى ارقى ما اعده من المراتب المعنوية .

بماذا تذرع الانسان لادراك الحقيقة المطلقة ؟ انه لم يجد بين يديه غير هذا البصيص من النور المسمي بالعقل . ومواجهة هذا البصيص الضئيل في وسط هذا البحر اللاجي من الظلمات المحيطة به ؟ لاجرم أنه تأدى به الى مدركات طفلية ساذجة لا تعدو قدره . فكان كلما ازداد هذا البصيص اشراقا، هذب من تلك المدركات واطب منها . ولكن الى متى ؟ فهل بلغ هذا البصيص غايته في عهد من عهود الانسان، وهل يكفي وهو في كمال اشراقه لبلوغ شأو هذه الحقيقة العليا ؟

بما راد لإلا الانسان في مساره هذا انه ما انتهى الى درجة عالية من هذه القوة

العاقلة حتى تبين بالدليل الحسي أن أحكامها نسبية، وأنها بمنزلة بالاضلال وعاجزة بطبيعتها عن ادراك كنه الاشياء، وأنها مجموع تجارب متنوعة من المحسوسات المحيطية، وأن هذه المحسوسات لا تمثل لها بمحاكاة، ولكن بما يناسب قواها الفاعلة للتأثير بها فيدرك حسه مادة جامدة وهي ليست غير متحركة حركة سريعة للغاية، ويتأثر بجمرة وكهرباء، ونور وهي ليست غير ذبذبات متكررة في بيئة مجبولة سماها الاثير، وترى عينه ايضا ناصعا وهو مركب في الواقع من ألوان متعددة عثر عليها اتفاقا، وسماها اصلية، وقد تكون مركبة هي ايضا من ألوان أخرى، وتوقف بالتحليل على عناصر اولية سماها بنائط، وقد تكون مركبة من عناصر ادق منها، أو هي كلها مظاهر مختلفة لعنصر واحد لا سبيل له الى ادراكه الخالف تبين الاعتماد على القوة العاقلة في الوصول الى الحقيقة المطلقة من باب الاعتماد على غير معتد.

هنا ألم به طائف من اليأس كاد يهزم معه بأن الحقيقة المطلقة فوق متناوله، وانحازت جماعة فقررت ان محاولة ادراك تلك الحقيقة ضرب من العبث، وان لا يسد بالانسان ان يعيش على اكمل ما يستطيعه من المدنية مكتفيا من العلم بما يخفف وبلايا الانسانية، ومن الفلاسفة بما يمكنه من الاعتدال في مطالبه الجسمية.

إذا لم تكن في الانسان تلك النفحة الخاصة التي تزعمه دائما عن الاخلاق للحياة المادية، لالقي بنفسه في حضن هذه الفلسفة بهذا تلك الطريقة الكبرى. ولكنه عاد فقلب المسألة على وجه آخر وأخذ يسائل نفسه. هل قواى الادراك قاصرة على ما تحصله لى هذه المشاعر الكليية؟ وهل انا والحيوان الاعجم سواء في كل المواهب المعنوية الا من جهة الكمية؟

هنا مزدحم الآراء المتضاربة، ومقتل الفلسفات المتناقضة، ومعرض المذاهب التي استنفدت جهود النفوس الجادة في طريق البحث عن الحقيقة. ويجمع ذلك بحمل لك منظرا رهيبا من تهالك الانسان على رفع الستار عما وراء هذه المظاهر الشهودية من القوى العالمية ويصور جهاد العنيف المتواصل لرفع الحجب عن حقيقة الذاتية، تارة بالاستنجاذ بقوى مشاعر الجسدية، وتارة بالاستمداد من بداهات خصائصه العقلية، فاذا لم تسعف به

هذه أو تلك حاول أن يناجي روح الوجود نفسه لتكاشفه بأسرارها الخفية.
هذا الهم الناصب من الانسان استثمار كل مواهبه النفسية، واستعجاش جميع
قواه المعنوية، واستخلاص من مادته زينة طبيعته العلوية، فلا مناص ونحن بصدد
هذا الامر الضخم من اعطاء القارىء صورة تفصيلية لما اجهلناه ليكون على بينة
من صحة النتيجة التي نريد أن نجهلها مرة لما نشهره في هذه الوريقات من الفصل
المتابعة.

..

(أدوار الانسانية في البحث عن الحقيقة)

اتت على الانسان في البحث عن الحقيقة ثلاثة أدوار لامناص لنا من تتبع مواقفهم
فيها، لانها تنحصر وجوه تطوراته العقلية حيال اكبر مسألة لها الأثر الاول في رقيه الادبي
وهي : دور الفطرة ودور الفلسفة، ودور العلم
فأما في دور الفطرة فقد اعتمد الانسان في حل مسألة ذاته ومسألة الوجود على
القاعدة التي هدته اليها فطرته العقلية، وهو أن كل مصنوع لا بد له من صانع، وبما انه
هو والوجود مصنوعان وقابلان للتأثر فلا بد من القول بوجود صانع لهما مؤثر فيهما .
ولكن الانسان ليس بالكائن الذي يقنع بالكماليات دون الجزئيات، ولا بمن يكتفى
بالقشر دون اللباب، فأخذ يبحث في ذلك الصانع وعن مكانه من الوجود، وعن مبلغ
قواه التي خلق بها الكون وكنه صفاته التي هو عليها. ولم يقف عند هذا الحد فأراد أن
يعرف كيف خلق الكائنات، وعلى أي وجه يؤثر فيها، وماذا كان يعمل قبل أن يخلقها،
والى أي حال تووول هي بعد أن تؤدي دورها من الوجود الخالخ، فتأدى من ذلك كله
الى ما يناسب مداركه في ذلك الدور، فتخيله على صورته رجلاً قوياً له عواطف واهواء،
وأسكنه في أوسع ماعلمه من الغابات أو أرفع ماتصوره من الجبال، ثم رأى ان ذلك يحط
من قدره فأسكنه السما، وسلك في تقدير طبيعته وخصائصه طريقته في تصور شكله.

فأني بكل ما يؤثر علي خياله وهو في جهالة الأولى، فخالفت الشعوب في هذه المدرجات على قدر ما بينها من التخالف في بيئاتها وحالاتها الاجتماعية، وفي قواها التخيلية .

تلا هذا الدور دور الفلاسفة وهو المهد الذي وضع فيه الإنسان حدود النظر، وأصولا له مقبولة، ورسم دوائر معينة للممكنات والمستحيلات، وحكم المراتك التي قوانين عملية عامة، وسمى مطابقة مدرجاته لتلك القوانين أدلة. وهو دور يختلط في بدايته بنهاية الدور الذي قبله، فلا يمكن تعيين حده بفاصل، فللمصريين القدماء والهنود والبابليين والصينيين منذ عدة أوفس من السنين مواقف في هذا المجال المقرر حصوله أو منته علي مدرجات عالية، لا يمكن الوصول اليها الا بالجرى على أصول معينة في التأمل، والوقوف عند حدود مقررة في النظر، والنفقة بين الممكنات والمستحيلات، وما يصح أن يحمل من المسلمات العقلية وما لا يصح. الا أن الفلاسفة لم تعرف بهذا الاسم الا في الامة اليونانية القديمة. وان كان اليونانيون يعترفون بأنهم مدينون بعارفهم الطبيعية والفلسفية لسكينة المصريين. في هذا الدرر تأسست الفلسفة لاعلى قضايا العقل فقط، ركن على المأبضاء فكان للفلاسفة اليونانيين الاقدمين قدم واسعة في كثير من فروع كالرياضيات والطبيعة والطب والفلك، أخذوها عن المصريين وأشاعوها في بلادهم وزادوها موادا ببحاثهم وتجاربهم .

فكان أول شيء شغل بال الفلاسفة الاولين البحث في الاصل الثابت للكانات أي الهوى أو المادة الاولية، وفي القوى التي تعمل في تحولاتها وتغييرها، ثم في اعادتها الي تلك الهوى، وفي مصدر الحركة والابداع الغائض على الكائنات. هذه كلها اجاث طبيعية مجتمة ولسكنهم لم يلبثوا أن تحولوا لدرس الانسان نفسه، فحاضوا من الكلام في روعه ومصدوها وارادته وعقله وأخلاقه في لحج بعيدة الغور، فأدوا منها الي هذه المسائل الضخمة وهي : هل من حقيقة مطلقة فوق هذه الحقائق النسبية . وهل من شيء غير محض قائم بنفسه وراء هذه الخيول الجبرئية والشروط الوهمية؟ وأعيان الاشياء أسقية هي أم وهمية النخ؟

هنا اتجهوا الى ثلث فرق ، فرقة رأت ان اصل الحقيقة قوة أزلية أبدية حية
ممكنة واجبة الوجود توجبت المادة ارادتها وشبأت الاشياء منها بقدرتها وخلفت
النفس الانسانية وامسكتها معها ابعد البني في ابداء محدود ذاتهم ترحل الى عالم الارواح
المجردة والنفوس الطيبة في عالم برزخ هذا العالم .

وفرقة ذهببت الى أن لا وجود أصليين قديمين متلازمين ، روحا محيطا بكل شيء ، عالما
ونافذاً على كل كائن ، سحرا وهبولى أى مادة تنفعل لارادته وتقبل الصور التي يطبعها
فيها . وقد نبغ في هذه الفرقة الفيلسوفان العظيمان افلاطون وتلميذه أرسطو ، فكان يرى
الاول وجود عالم روحاني مثالي وعالم مادي ، وقرر بأنه ما من كائن مادي الا وله مثال
يشبهه في العالم الروحاني ، وذهب أرسطو الى وجود أصليين أيضا ، لكنه سماهما الهبولى
والصورة . الهبولى ، هي الشيء القابل للصورة هي الروح السائح للثبوت والحركة .
وقرر انهما متلازمان لا ينفصلان ، فكل كائن مؤلف من هبولى وصورة أى من مادة
وروح .

والفرقة الثالثة زعمت أن أصل الوجود مادة أزلية فقط ، ورأت أنها لا حاجة لفرض
وجود روح قديمة بجانبها . فالمادة عندهم أصل كل كائن ، رايست القوة العقلية نفسها الا
مظاهر من مظهرها التي لا تخصي ، وقرروا بأن هذه المادة لا تقبل الفناء ، وأنها تنفذ
صورها الى المالا نهاية تبعا لنواميس مقررة وقوانين ثابتة . وذهبوا الى أن القول بوجود
أصل روحاني أو وجد المادة أو شاركا في تكوين الكائنات ، وهم باطل ليس له قيمة
فلسفية .

أما الدور الثالث من أدوار الانسانية في تطاب الحقيقة وهو دور العلم ، فقد بدأ
عند ما تقرر الاعتماد على المشاهدات والحوادث في تقرير الاصول الفلسفية ، لا على العقل
وحده ولا على الظنون والنظريات التي تتجسس من العلم وابست منه في شيء . وكان
الفضل في ايجاد هذا العهد للعلامة بكون الانجليزي المولود سنة (١٥٦١) والمات في سنة
(١٦٢٦) وقد كان لهذا المذهب اليد الطولي في اعداد الفلسفة المادية فوصلات
به الى درجة أمضت معها كل المذاهب المخالفة لها ، ووقر في النفوس

(ب — على اطلال المذهب المادى)

انت عهد القول بضرورة وجود القوة المدبرة، والعالم الروحاني، قد زال زوالاً لا رجعة بعده .

في هذا الدور الذي دام نحو ثلاثة قرون نشأت المعارف السكونية العليا، وتقررت الاصول العلمية الكبرى، وظهرت المذاهب في تعليل أصل الوجود وتفسير تنوعات الاحياء، وصار لالم سطوة على النفوس والقول لم تكن له في عهد من عهود الانسان، وانتقل السامعان من حفظ العقائد الى حلة المعارف، وصغرت قيمة المعابد الدينية بجانب الجامعات العلمية، وشعر الناس انهم قد دخلوا في دور نهائي من الحياة العقلية . ولكنهم ماعتموا ان رأوا أن هذا الدور قد كان توطئة لدور آخر انقلبت فيه اصول الماديين رأساً على عقب، ونشأ دور جديد جمع بين طيبت اليهود السابقة وتنزه عن سيئاتها فكان هو الدور النهائي المنتظر .

وبما اننا تصدينا في هذه المقالات لاعلان هذا الدور الجديد للعلم والفلسفة، فلا مناص لنا من الاقضية في بيان أطوار المذهب المادي، وتبع جميع مقرراته مع الدلالة على وجوه قوتها وضعفها وانصافه الانصاف الجدير بالعبورين على الحقيقة ليكون ذلك أكثر فحلية للدور الجديد، واشد ادلالاً على مكانته الرفيعة .

...

(تاريخ المذهب المادي)

يصعد الماديون بأصل مذهبهم الى نحو القرن السادس قبل المسيح، أي الى عهد الفيلسوف طاليس المولود سنة (٦٢٨ أو ٦٣٩)، ويبتغون من أنوا بعده من تلاميذه الى نحو ١٥٠ سنة اسلافهم بآواصر وثيقة من القرابة المذهبية، فيعدون من مشهورهم (اناكزيماندر) و (اناكزيمان) و (اكرينوفان) و (بارمينيد) و (هيراقليد) و (امبيدوكل) و (لوسيب) و (ديو كريت)

أما نحن فلا نعرف وجهها وجيبها لان نسبهم لهؤلاء الفلاسفة لامن الوجهة
الاعتقادية لانهم كانوا مؤمنين بالعالم الروحاني ولا من الوجهة المذهبية في تمثيل
الوجود فانها مما لا يباهي بالاعتناء اليها فقد كانت بأفانصص المعجزات أشبهه .
ناهيك بما تشمره التأملات في وقت كانت فيه علم الطبيعة في دور السذاجة
الاولي .

فأما (طاليس) فقد زعم بأن المادة الاولية هي الماء فيبتكافئه وجدت الارض
وتمدده تولد الهواء والدار . قال الاستاذ (بانجون) في كتابه تاريخ الفلسفة :
ان طاليس كان يعتقد ان كل شئ يحول مادي لا يكون الا تحت تأثير عوامل
ورحانية

وأما (أناكزيماندا) فكان يقول ان المادة الاولية ليست الماء بل هي
اللانهاية المطلقة أي الحالة غير المحدودة التي يخرج ويهود اليها كل كائن مقودا
بحركة أرلية . وكانت يرى ان الكواكب آلهة مجارية النخ .

وأما (أناكزيمان) فكان يذهب الى أن المادة الاولية الاشياء هي الهواء وان
ماده الآلة نفسه من ذلك الهواء النخ .

وأما (اكرينوفان) فكان يرى ان اصل المادة الماء والتراب والهواء والنار مجتمعة .
قال الاستاذ (بانجون) المتقدم ذكره . كان اكرينوفان متدينا جدا ولكنه كان خالصا
من الاوهام الدينية العامة .

وأما (بارمينيد) فكان ينكر العدم والفراغ ويقول باستحالة وجود شئ من
لا شئ ، ولكنه من الوجهة الاعتقادية كان من القائلين بوحدة الوجود ، أي أن الله هو
الكل وان الكل هو الله .

وأما (هيراقليد) فكان يقول اننا نرى الاشياء ثابتة ولكنها في الحقيقة في
حالة صيرورة مستمرة تتغير وتزول ولا تثبت في وقت ما . قال الاستاذ

(بأنجون) وكان هيراقليد يري أن فوق هذه الكائنات المتحركة عقلا الهيا ثابتا لا لا يتحول .

وأما (امبيدوكل) فذهب إلى أن العناصر كانت ساكنة ومتممة بالشوق الذي فيها، ثم تنافرت فحدث العالم من سجاها وتلافها، وكان مؤنثا ينشد بخلود الروح .
وأما (لوسيب) فلم يسل عنه أكثر من أنه واضح نظرية الجوهر الفردة وقد يكون الواضح لها نلذه (ديموكريت) ومؤنثاها أن المادة تألف من ذرات صغيرة جدا متممة بحركة ذاتية فيها غير مستعدة من محرك خارج عنها وهذا المذهب أداه إليه مجرد النظر في الكائنات فلم يتكلف الاوصاف ما تراء العين بدون النفوذ إلى ما وراء ذلك . ولا يفتي أن في ملي هذا الزعم دعوى مرضية و بالة مخالفة فالت الاكتفاء بالعين المجردة في تحليل الظواهر المنوعة التي لا تنف عند حده والاكتفاء بحكم هذا الفكر السابق، يعتبر من التعكم الذي ليس وراءه مرمي، ويكن مثل مرتكبه كمثل رجل من متوحشي الزوج بقعة أمام سماء صافية خالها تسليلا مستطيا على حسب ما يراه إليه مدارفه السابقة بخل عيني، سرحتكها الحقيقية ووظيفةها الآلية .

الأن ديموكريت لم يلك ناديا في متمدنه فقد نال بقول برهوه الروح ويزعم انها مركبة من جواهر فردة كرية غاية في اللطافة يرس أن الآلهة مركبة هي ايضاً من جواهر فردة الا ان جواهرها أكثر حياة واقتوى .

هؤلاء هم الفلاسفة الذين يعتبرهم الماديون ادلائاً لهم وقد رأيت أنهم كلهم من المؤمنين . فإن كان لابد من اعتناء الماديين المعسر بين لاصل قديم فأولى الناس بهم السوفسطائيون الذين نشأوا بعد عهد ديموكريت فانهم هم الذين عمدوا إلى تشكيك الناس في الآلهة وفي الاصول الاولية الاخرى لفلسفة ترسمية منهم (بروتاغوراس) المولود سنة ٤٤٠ قبل الميلاد فهو اول من قال بأن الآلهة لا يمكن اثبات وجودها بدليل .

ثم تبع بعده (كريتياس) فقرر بأن الآلهة ليسوا سوى مخترعات خيالية دعيا

البها الدهاة من محي التساطيقهروايها المشوب لاحكامهم.
وكان من تعاليم الموقوفطائيه انكار الجير المطلق والقول بأن العدل والظلم من
الأمور الاطلاقية التي كان اسمهم . قرونا لدى شعاعهم بالتحقير والازراء.
ومحاطا بكل ضربة الشهيد ، وانكسر النقد الفاسفي المصري اثبت ان الطعن
العام في اخلاقهم وسيرهم نازل انكفرهم بالآلة وعدم اعتدادهم بالخيالات
الاعتقادية.

اماهم في الواقع فكانوا اولي لم وعككة واصول خانية ولكنها مادة
بجته .

استمر الرأي المادي ماثلا في المدارس اليونانية يناهض الفلذفة الرومانية وتناهضه
حتى تغلبت عليه نهائيا قبل المسيح بنحو ثلاثة قرون . وهي ما تقابلت عليه في ذلك
العهد بحجة قاطعة ولا بغيرية هائلة . أما بتشييم العامة لواقعة صدمهم بالسوء خصوصها .
والبناء في كل ن ازت سلطان من من كل فذنه لا تشايح خيالاتهم الاعتقادية .
فخلال الجور المذهبي افلاطون ، بارسلو ، وكان الاجهر اوفر حظا من الاول فانتشر في
العالم الفسرافي محرقا رايدو وال الكيسة واتخذوه همادالدين وتمصبوا له اشد تمصب
حتى عرفوا بالار كل من تجاراً على تقضه .

دام الحال إلى هذا الماويل إلى القرن الخامس عشر حيث ظهرت باكورة الآراء
العلمية المؤثرة على مجري المدرجات الانسانية بالرأي القائل بأن الارض كرية وبأنها
ليست مركزا للعالم بل هي كوكب حقير من الكواكب الدائرة حول الشمس ، وغير
ذلك وتهايات البيضة الفكرية للرأي المادي فظهر في القرن السادس عشر باشد قوة واكثر
لانلا عرافا راية العلم وحطوا على الاديان والمعتقدات بحرب الفناء فليستبعه في هذا الدور
باكثر اسمان وامتمتعب الممارك التي نشبت بينه وبين الفلسفة الروحانية في الثلاثة قرون
الاخيرة فانها كانت كماوشات بين الطلائع انتهت بمعارك فاصله في النصف الاول من
القرن الماضي ، كانت نيميتها انتصاره ذلك الانتصار الباهر . فان الايام هذا كله ضروري
لاظهار العهد الفلذفي الجديد في اكمل ماهو عليه من الجلال والجمال .

(الفلسفة في القرن السادس)

هل القرن السادس عشر وظهرت بعض الآراء العلمية في الفلك والطبيعة فكان ذلك سبباً في إيقاظ الشكوك السكائمة في النفوس ، وتوليد الشهات على الفلسفة الروحانية ، وكان أول مجتري على احياء المذهب المادى الفيلسوف الايطالى (بطرس بومبايوس) فنشر في سنة (١٥١٦) كتاباً ثار فيه على نظرية أرسطو في خلود النفس قال فيه : ان القول بخلود النفس يقتضي إقامة الدليل على انها تحيا بدون جسد وهذا مستحيل .»

وتلاه في القرن السابع عشر (مارس بيل) المولود سنة (١٦٧٤) فقرر بأن الاتحاد أفضل من النساء الاضاليل . وقرر ان الامم تقوم وتحيا بدون الاعتقاد بالله وبخلود النفس.

وفي سنة (١٧٤٥) نشر الفيلسوف الفرنسي (دولانتري) كتاباً ابعاء (التاريخ الطبيعى للنفس) قال فيه . « ان القول بوجود روح تقوم بدون جسم ضرب من المذيان . فالروح والجسم مرتبان لا ينفك الاذ ، والمادة والقوة لا تنفك ادهما عن الاخرى الا في الوهم . أما ان الواقع فهما شئ واحد . وكل الافكار مصدرها الحواس فلو كان العقل جوهرأ مستقلاً لما بقوته الذاتية وان كان الانسان موزولاً عن الخلق . وهذا لم يحصل قط »

وفي سنة (١٧٧٠) نشر البسارون (هولباخ) الالماني كتابه (نظام الطبيعة) قرر فيه ان كل شئ محصور في الطبيعية ، وأن كل ما يتخيل وراهوا وهم في وهم ، وان ليس الانسان الاثرة القوى الطبيعية ، وأن ليست طبيعته المعنوية الا مظهرآ من مظاهر طبيعته المادية . وقال ان الانسان لم يذهب في رفع نفسه عن مستوى الطبيعة إلا مدفوعاً بحبه لذاته واشاره لمصاعبه الشخصية . وأثبت ان العالم كله مادة وحركة وسلسلة أساليب ومسيبات لا تنتهي عند حد . وأن المادة والحركة أزليتان . وقال ان ليس في

الطبيعة أمر عجيب الا الذين لم يدرسوها حق دراستها وان الحس والنبج اعتباران في الوجود مثل النظام والاتفاق فيه .

وقال ان الذي يزعم ان النفس نفس وتفكر بعد الموت يلزمه القول بأن الاساعة المحطمة لانزال تعين الوقت بعد تحطمها كما كانت تفعل ذلك قبله

وظهرت في سنة (١١٥١) أول دائرة معارف فرنسية وكان من أشهر ركتابها (ديدرو) فكتب في مؤلفه (النادة والحركة) ان ما نراه من خروج كائن من البيضة بواسطة الحرارة وحدها ينقض كل تعاليم اللاهوتيين ويهدم كل هيكل الارض .

تقول ان (ديدرو) قال ذلك قبل أن يكتشف باستور الجراثيم الميكروسكوبية الحية التي توجد في كل بيضة ملقحة فظن ان البيضة الحية مع خلوها من كل جرثومة حية يخرج منها فروج حي بالحرارة ليس الا .

وقال ان الروح ليس الا ثمره التركب الجثائي، وعلم النفس ليس الا فزيولوجية الاعصاب .

وقد تقدم هؤلاء الماديين وناخر عنهم جمهور في كل أمة لم نشأ سرمد أمثالهم لتشابه نظرياتهم ووحدة آرائهم .

فلما جاء القرن التاسع عشر كانت العلوم الفرعية قد باغت شأواً بعيداً من التقدم وأثمرت ثمراتها اليانبة في الصناعة والزراعة ووسائل تخفيف الويلات الانسانية، واستخدم القوى الطبيعية. وحدث من المخترعات ما أوقر في صدر الخاصة وبعض العامة ان الطريق الذي يسير فيه العلم هو الطريق الصحيح المنتج، وأن الفلسفة التي تنتج من أصوله هي الفلسفة الحقبة التي لا يجادل فيها لاجامد أو مفتون . وان كل ما كان للاقدمين من الاقوال في الروح والملا الاعلى ان هي الا خيالات لا تصدوم عليه الطوائف المنحطة في سلم الارتفاع . منها ، وأخذوا ينتظرون حلول ذلك العهد اللهي الذي تسقط فيه كل الاسلام المذهبية التي فرقت بين اجناس النوع الانساني ألوفان السنين فيصبح الناس اخوانا امام الطبيعة يرتمون في خيراتها الي امددهم ودمهم ينزحون من هذا الوجود

خالصين من ضوضاء الحياة وتكاليفها الى أبد الأبد من
وأما أنصار الفلسفة الرومانسية بين مسند وقول فلو دعنا بقايا تلك النظريات
العريضة عليهم ثيابا قلوبهم تساورها الشكوك والشبهات وتنفق من أطرافها الرب
والاستشكالات، حد أن استنصروا لها انقضايا البطانية فكنت، والفلسفة العقلية لها
أجرت، وأبن نأثير المفعولات والآلات البخارية والابتكارات الصناعية ورواها
معحر التلذذون والذمراقات والآلات البخارية والآلات الصناعية وفوائدها
المدنية ؟

بينما الناس على هذه الحال وإذا بمحدث مثل ظهر في عالم المباحث الطبيعية سنة
(١٨٥٩) ففى على البقية الباقية من قول الاعتقاديين، الأوهام (مذهب دارون)
في تعامل وجود الأنواع الحية ونشوها بناموس الانتخاب الطبيعي وفي قيام الأحيات
على نظام آلي بحث ليس فيه أثر لتدبير مهيمن وتنظيم منظم . فكان ظهوره نهاية
المركة القديمة بين الماديين والروحانيين، فتمردت المادية بالسلطان على الغرور العلمي
أقصى ما يمكن أن يصل اليه . ووفق في صدور العلماء أن مسألة الوجود التكبري قد
حلت حلانها ثاء وان لم يكن ذلك في الاتجاه الذي يابز الان انهم راميه الروحية
وبماشيه في أمانيه المعنوية . فقد ثبت لهم أن الانسان حيوان أراد ذلك أم لم يرد وأنه
فان أرضى عن حظه أم سخط، وأن الطبيعة في ماديتها وآلياتها هي الأول والآخر
والظاهر والباطن ، وأن الكائنات مقودة بنظام آلي محض لا أثر لتدبير العقلي فيه .
وأن الابداع الفاض عليها حال اقتضاه النظام العام وليس مقصودا من واضع وضعه
ورمي به الى غاية معينة . وان العالم العلوي الذي تعبده الانسان الوفا من السنين ،
وبذل في سبيله النفس والبنين، وعمره بالآلهة والقديسين، والملائكة المقربين، لم يوجد
الا في خياله . واما في الواقع فلا شيء غير هذه اللامهائية الالهة بالاجرام النازرة على
عركتها، الغافلة عن وجودها .

لماذا تأذي الناظرون في الكون الى هذه التيمعة ولم يتأدوا الى تقييدها ؟ فهل
من طبيعة المباحث الكونية أن تجعل للفلسفة المادية هذا السلطان العظيم ، وأن تخذل

الفلسفة الروحية ؟ كيف يحدث ذلك تحت تأثير المشاهدات العلمية ونكاد تجمع عليه أرقى العقول الانسانية في ارقى العصور الفلسفية .

..

(لماذا يتأدي الباحثون في الكون الى الالحاد)

هل من طبيعة المباحث الكونية أن تنصر الفلسفة المادية على الروحانية حتى يشيع الالحاد كتنزى في اكثر الطبقات المفكرة ؟ هذا بحث يحتاج للافاضة فنوجزه في كلمتين فنقول:

الانسان لا يطبق بحكم تركيبه المعنوي أن يقف جامداً أمام أى مجهول كان فهو مضطرب الي تعرف كل ما يؤثر على حسه وعقله، والى تعاليله، على قدر ما تسمح له به وسائله. فلما قذف به الى هذا العالم شرع في تعرفه، مقهوراً بفطرته، فنظر الى سمائه وأرضه وتأمل في حوادثهما معجلاً بجميع خصائصه العقلية، فآب من هذا الجهاد بدركات تناسب حالته من السذاجة، فذهب جميع الحوادث الى علل روحانية . الا أنه ليس بالكائن الذي يقف عند حد يصل اليه، فما زال دائماً وراء استكناه المجاهل حتى هدى الى كثير من العلل الطبيعية المباشرة، فكان كلما أدرك علة، ربط بهامعها وورفع العلة الروحانية عنها مع الاختفاظ بها كعلة أولية.

فاما نشأت الفلسفة كانت العلوم الكونية قد كشفت كثيراً من العلل الطبيعية، وأظهرت وجوه تسانسها، فلم يبق أمام العقل الانساني غير العلة الاولية أو علة العال، وهو كما قلنا لا يطبق بحكم تركيبه أن يقف جامداً حيال أى مجهول كان. فوقف لادراك تلك العلة الاولية جل وسائله الفكرية غير قائم بأن يعتقدها ذاتاً أزلية ابدية واجبة الوجود، عالمة بكل شيء، وقادرة على كل شيء، فأراد أن يعرف كيف هي أزلية ابدية، وماذا كانت تعمل قبل أن تخلق الكون، وعلى أي مال تحيط بكل شيء. علماً، وبأي أسلوب تطبع ارادتها في القوى الكونية الخ. فكان كلما اصطدم به هذه المسئلة استعصت على

(٥ - علي اطلال المذهب المادي)

تجانبه وامتنعت على الانطباق على دستوره . وأحس بوحشة لا تنطبق وسكينة المعنوية .
واقعد كان هذا العجز مما يصح أن يريده تقديسها واستسلامها لسلطانها لو كان تركيبه
المعنوي على غير ماهو أى لو كان ممن يكبر ما يحجب له ويعظم ما لا يعلمه . ولكن ذلك
فيه يضطره الى اعتبار كل ما لا ينطبق على دستوره باطلا فلا يرفع به أسا ويندفع للبحث عن
غيره مما ينطبق على ذلك الدستور ويسايره .

نعم لاقي الانسان من انخداعه بهذا الدستور العقلي أشد ما يلاقي كائن من طبيعته .
فكم مدرك اعتبره باطلا جريا على دستوره هذا ثم انكشف له بعد ترقى ذلك الدستور
أنه من الحقائق الساطعة . ولكنه محمول بدافع قهرى للخضوع له - على نقيضه - لعله بأنه
مضايحه الوحيد في ظلمات هذا الوجود ولا مناص له من الاستعداد بنوره في قطع مغاوزه
والا تردى في كل عماية تصادفه .

نعم نشأت اللا أدرية في الفلسفة اليونانية بدوغ الفيلسوف (بيرهون) في القرن
الرابع قبل المسيح ، أي بعد ان بلغ العلم شأوا بعيدا في كشف المجاهيل الطبيعية . ومؤدى
هذه الفلسفة الامتناع من الحكم على الاشياء لاستحالة ادراكها على حقيقة هذا العقل
الناقص . فلم يأبه بها العقل الانساني لانه يعتبر نفسه فاتح المساتير الكون فلا يرضيه أن يقف
هذا الموقف السالبي امام المحبولات التي تعترضه .

لما تكرر نكوص العقل عاجزا عن ادراك وجود ذات أزلية يمكن تناول العلم بها على
أسلوبه حول وجهه عنها لأول مرة الى النظر في علة العال من وجهة طبيعية بحتة ، وكان ذلك
في القرن الخامس قبل المسيح في عهد السوفسطائية ، الا ان الدهما لم تقبل شكوكهم في
هذه المسئلة فلم تنتشر فلسفتهم . وانفق ان جاءت الديانة المسيحية ثم اعقبها الاسلامية
فقويت العاطفة الدينية قوة لم تعدها من قبل ، فخضع العقل للدين مضطرا خمسة عشر قرنا .
وحدث أن اعترى اهل الدين في الغرب زهو بساطاتهم على النفوس فأمرقوا في تهيب
العقل وغلوا في مصادرة العلم فكان ذلك مدعاة لان يحمل العقل من السخائم على الاديان
والمتدينين ما يدفعه لانهاية التصوى من مزاعمه ومطامعه . فلما استرد دولته في القرن
الخامس عشر صرح على رؤوس الاشهاد بأنه لم يحمل جميع معاضل الكون من غير

ان يلجأ الى فرض يتعالى عن تحليله، ويترفع عن تمحيصه، وعرض للناس جميع ما كان يرتطم به من الشبهات في وجود العقل المدبر والعالم الروحاني وصرح بأنها لا تقبل الحل. فذاع الالحاد في رجال العلم واندفعوا يتلمسون الحلول التي تنطبق على دستور العقل، فطبع العلم من ذلك الحين بهذا الطابع، ودونت كتبه بهذه الروح. والذي زاد الامر شدة ان خصوصهم وهم رجال الدين كانوا في اثناء هذه الدولة العقلية يزدادون جهودا على جهودهم، وتشددوا في مصادرة البديهيات العلمية فوق سابق تشددهم، فكان يقا بلهم العلميون بتطرف يناسب تطرفهم، حتي وقعت الطائفتان في نوعين من الغلو يتفان شكلا ويختلفان موضوعا. فاذا كان الدينيون خيل اليهم في ايمان دولتهم انهم حملة المعارف السماوية، وخرقة الامم والعلوية، واولوا الحل والعقد في الحضرة القدسية، فقد خيل للعلميين في هذا الدور بأنهم قد حلوا طلاس الطبيعة، وفكوا معميات الخليفة، وكشفوا مساير القوى الكونية، وانهم بلغوا الى مكانة من العلم تمكنهم من مفاجأة النواميس التكوينية وهي تصورات الكائنات العالمية، وانتهوا الى اوج من الفهم يسمح لهم بالحكم علي بداآت الاشياء ونهاياتها، حكما لا يقبل جدالا، ولا يحتمل قبلا ولا قالا.

في هذا الدور بلغ غرور رجال العلم حدا زعموا معه ان الاحكام التي تصدرها دور التشريع ومعامل الطبيعة ومراصد الكواكب ومستنبطات الجراثيم الميكروسكوبية يجب ان تخفي لها الرؤس خاضعة، وان تعتبر حقائق مطلقة. وسرى هذا الغرور من رجال العلم الي صغار طلابه والى مقلديهم من المحتكين بهم، فخيّل اليهم باطلاعهم علي اثاره مما سطره زعماءهم اعرف بالكون وخوافيه، وبالعوامل التي تعمل فيه، من الدكانيّات بحتويات دكانه، ومن المستبضع بما تحت اurdانه.

ولكن هيئات ان يظل العقل محجوبا وراء هذه الكسف السكيفة من الغرور وهو القرة التي لا تتخذ بخيال الا ربما تستجيم قواها لتأمله، ولا تقنع بظاهر شيء. الا قدر ما تجد الوسيلة لتبطله. فهبت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر من تحت هذا الحشو الرث من الادعاءات الباطلة، والمزاعم العاطلة، كمن هب من نومه عقب

كابوس أخذ مخنقه ، معاناة علي رؤس الاشهاد أن ما خضعت له في مدى الثلاثة قرون الماضية من الآراء الفلسفية كان أدخل في عالم الوهم من كل ما خضعت له من الآراء الضالة في عهودها السابقة . وانها وهي في هذا الدور من الغرور كانت أبعد عن دستورها ، وأعمى لغاؤها ، منها في أى دور كان قبله . وانها لا تزال تنشد الحقيقة المطلقة على ما كانت عليه اول يوم وجدت فيه على هذا الارض .

فما هي العوامل التي ايقضت هذه القوة العقابية من سباتها ودلتها علي وجه غرورها ؟ وما هو هذا الوهم الضخم الذي تمثل لها في صورة الحقيقة المطلقة وأنجح في خدعها قرونا متوالية ؟ والى أى جهة ولت وجهها بعد هذه البقعة النهائية

..

(افاقة العقل من غروره العلمي)

قلنا أن القوة العقلية كانت قد انخدعت بظاهر من العلم مدة ثلاثة قرون ثم افافت من غرورها في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وتبينت انها كانت متمسكة بما تسميه بالعلوم الممحصنة بما هو أدخل في الوهم من كل ما خضعت له من الآراء الضالة في عهودها السابقة ، فاذا كان هذا الانتقال الجلل يعتبر فاتحة عهد بلوغ الرشيد للعقل الانساني ، حيث وضحت له معالم الطرق التي لا يضل بعدها في اندفاعه وراء الحقيقة المطلقة ، فقد وجب علينا ان نستشهد لكل ما قلناه في هذا الصدد بكلمة لعالم من اشهر المشتغلين بالعلوم الطبيعية وهو الاستاذ (جوستاف لوبون) فقد الم يذكر هذا الحادث الجلل في كتابه (تحول المادة) فقال :

« كان اذا اتفق ان فيلسوفا من المنصرفين الي درس الموضوعات ذات الحدود المهمة والنتائج غير المحققة ، كعلم النفس والسياسة والتاريخ قرأ منذ عدة سنين كتابا

خاصا بالعالم الطبيعي كان يدهش من وضوح التحديدات فيه وصحة البراهين وضبط
التجارب . اذ كان يرى كل ما في ذلك الكتاب متسلسلا بعضه يشرح بعضا بدقة .
وكان يرى أن بجانب كل ظاهرة طبيعية مهما بلغت من التركيب تفسيراً يبين
غامضها .

« فإذا حمل حسب الاطلاع هذا الفيلسوف نفسه علي أن يبحث عن الاصول العامة
لهذه العلوم المضبوطة الي هذا الحد ، لا يملك نفسه من بساطتها المدهشة ومن عظمتها
المهمة . فيجد في قاعدة علم الكيمياء نظرية (الجوهر الفرد) الذي لا يتبل الانقسام ،
ويجد في قاعدة علم الطبيعة (القوة) التي لا تتلاشي . ويرى معادلات علمية ولدتها
التجربة أو العقل المحض ، تشمل في نظريات صارمة ، العناصر الاساسية الاربعة للاشياء
وهي : الزمان والفضاء والمادة والقوة . ويعرف أن جميع الجواهر الوجودية من الكوكب
العظيم الدائر في الفضاء دوراته الاولوية الابدية الي ذرة الغبار الحقيرة التي يظهر ان الرياح
تذورها اتفقاء تخضع كلها لنواميس سائدة عليها .

« كان العالم يخال هذا العلم الذي هو ثمرة جهود بذلت في عدة قرون . وكانت
الوحدة والبساطة سائدة بفضلها في كل مكان حتي أن بعض العقول المغرمة بالنظريات
كانت تعتقد . امكان تبسيط العلم أكثر مما هو عليه بعدم اعتبار شئ ، غير العلاقات
الرياضية بين الظواهر الطبيعية . فان هذه الظواهر كانت تتراعى لهم كأنها مظاهر
لموجود واحد وهو القوة . وكان يخيل لهم أن تكوين بعض المعادلات الفرقية تكفي
لتفسير جميع الحوادث التي تقع تحت المشاهدة . وكانوا يظنون أن الغرض الاول
للعلم هو كشف نظريات جديدة تعتبر علي الفور كأنها نواميس عامة يجب أن تخضع
لها الطبيعة .

« فكان الفيلسوف المتقدم ذكره لا يسمعه الا الانحناء ، أمام هذه النتائج الفعومة ،
معترفاً بأنهم ان عدم اليقين في البيئة الفلسفية التي هرفها فن الممكن الحصول علي ذلك اليقين
في مجال العلم المحض .

« كيف يعقل أن يشك في ذلك ؟ أما كان يرى أن أكثر العلماء كانوا من الوثوق
ببراهينهم بحيث لا تنطرق أخف الشكوك اليهم ؟ وأنهم يتسلطهم على التيار المتحول
للأشياء ، وعلى فوضي الآراء المتغيرة والمتناقضة يسكنون هذا الجو الصافي من
الاطلاق الذي تتلاشي فيه جميع الشكوك ، وتشرق فيه أنوار الحقيقة النقية الآخذة
بالإبصار ؟

« كل نظرياتنا العلمية العظيمة ليست بقديمة العهد جداً ، لأن تاريخ العلم
التجريبي المحقق لا يصعد إلى أبعد من ثلاثة قرون وفي هذا العهد القريب قرباً
نسبياً حدث دوران مختلفان من أدوار التحول في أفكار العلماء .

« فالدور الأول كان دور الثقة والاعتقاد الذي تكلمت عنه أنفاء فكانت
فيه المقررات الفلسفية والدينية ، وهي قواعد مدر كانتا القديمة عن الوجود ، تضمنحل
وتزول يبط امام المكتشفات العلمية التي تتوالى يومياً ، ولا سيما في النصف الاول من
القرن الماضي . فما كنت تسمع من برفع عقيرته بشكوى . وكيف يشكى من احلال
الحقائق المطلقة محل أوهاام المعتقدات القديمة ؟ فكان يظن مؤسسو كل علم جديد
انهم يحدون له الدوائر النهائية التي لا يمزها غير سد ما فيها من الفراغ . وكان يخيل
اليهم انهم متى اتوا بناء الصرح العلمي استمر هذا الصرح قائماً على انقاض اوهاام
الزمان الماضي . فكانت العقيدة العلمية في هذا الدور على غاية تمامها . نعم انها كانت
تمثل الطبيعة غير مبالية بالانسان ، والسماوات خالية من السكان ، ولكنهم كانوا يؤمنون
أن يعمرها قريباً بأوثان جديدة ويقترحون على الناس عبادتها . وهي وان كانت
أوثاناً خشنه الا انها لاتخذعنا أبداً .

« دامت هذه العقيدة في المقررات الكبرى لأمم العصرى حافظة لقوتها الى ان
حدثت في الايام الاخيرة مكشحات غير منتظرة قضت على الفكر العلمي ان يكابد
من الشكوك ما كان يعتقد انه قد تخلص منه أبداً الآبدن . فان الصرح العلمي (تأمل)
الذي كان لا يرى صدوعه الا عدد قليل من العقول العالية تززع فجأة بشدة عظيمة

وصارت التناقضات والمخالات التي فيه ظاهرة للعيان بعد ان كانت من الخفاء بحيث تكاد لا تباعها الظنون .

« أدرك الناس علي عجل انهم كانوا مخدوعين ، وأمرعوا يتسألون عما اذا كانت الاصول المسكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن الافتراضات واهية تصعب تحت غشاها جهلا لا يسبر له غور . فحدث اذ ذلك في المقررات العلمية مثل ما حدث قبل ذلك للعقائد الدينية عند ما شرعوا في مناقشتها الحساب . فسبقت ساعة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان .

« لامشاحة في أن الاصول التي كان العلم يختال بها اختيالا لم تنزل كل الزوال ، بل هي ستبقى أمدا طويلا في نظر الدهماء كحقائق مقررة ، وستستمر الكتب الابتدائية علي نشرها ولكنها قد فقدت كل ما كان لها من الاجلال في نظر العلماء الحقيقين .

« تلك المكتشفات التي نوهت بها آنفا قد كشفت اللثام عن الظنيات التي بدأت تفضحها المكتبة الحديثة ، وبذلك دخل العلم نفسه في دور من الفوضى كانوا يظنون انه قد سلم منه الي الابد . وأصبحنا نرى أصولا كان يظن انها ذات قاعد رياضية محققة صارت موضوع النزاع بين العلماء الذين من وظائفهم تعليمها والدفاع عنها . وقد صدرت كتب علي مثل الكتاب القيم المسمى (العلم والافتراض) له نزي بوانسكاريه تؤيدنا بالبرهان علي ما نقول في كل صفحة من صفحاتها . فلهذا أنا هذا الرياضي المشهور اننا نعيش وسط الافتراضات والاتفاقات حتي في مجال العلوم الرياضية .

« وقد بين لنا زميل كبير له في مجمع العلماء وهو العالم الرياضي (أميل بيكار) في بعض مؤلفاته مقدار تنافر الاصول الحالية اعم الميكانيكا ، وهو العلم الاساسي الذي يتناول الي تصوير النواميس العامة لا يكون . واليك ما قال في هذا الموضوع (في آخر القرن الثامن عشر كانت أصول علم الميكانيكا تظهر فوق متناول كل نقد ، وكانت أعمال مؤسسي هذا العلم تؤلف كتلة ظن للناس انها تكفح الزمان . ولكن

منذ ذلك الحين أخذ التحليل العلمي الدقيق يبحث القواعد التي يقوم عليها هذا البناء بمساعدة الزجالات الكبيرة، وقد أفضى ذلك الى اننا نصادف الآن عقبات صعبة التذليل حيث كان لا يتخيل أمثال العالمين (لاجرانج) و(لابلاس) الا بسائط ومهدات. ولقد شعر كل من تكلفوا تعليم بداءات الميكانيكا بمد قلب من الثروي بمبلغ تنافر أصولها التقليدية اذا أريد عرضها على الناظرين

« وقد أباي الاستاذ (مانشي) في كتابه (تاريخ علم الميكانيكا) الذي نشره حديثا رأي من هذا القبيل فقال :

(أن الاصول الميكانيكية التي تظهر أبسط الاصول هي في الحقيقة من طبيعة تعتبر غاية في التعقيد . فانها أسست علي تجارب لم تتحقق ولا يمكن تحقيقها . وعليه فلا يمكن بأية وسيلة من الوسائل أن تعتبر كلها حقائق مثبتة) .

« اننا نملك الآن ثلاثة مذاهب لعلم الميكانيكا يصمم كل منها الآخر بالبطء لان، فاذا لم يكن واحد منها يستحق هذا الوصف فيمكن أن تعتبر جميعها نافصة للغاية، ولا يمكن أن تعطينا الا قليلا من التفسيرات المتقبولة لحوادث الكون.

« وقد كتب المسبو (لوسيان بوانكاريه) من جهته يقول (انه لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولاً تاماً ويجمع عليها المجرىون اجراءات عامكة، بل يسود اليوم علي عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى . وقد اتسع المجال للاجتراءات الممكنة، ولم يظهر أن ناموساً من النواميس يعتبر ضرورياً ضرورة مطلقة. فنحن نشهد في هذه الآونة أعمالاً هي بالهدم أشبه منها باقامة بناء نهائي، فالأمر الذي كانت تظهر لمن سبقنا كأنها تأسست تأسيساً ثابتاً، صارت اليوم لدينا موضوعاً للمناقشة، وقد رفض اليوم علي وجه عام الرأي القائل بأن كل الظواهر الطبيعية تقبل تفسيرات ميكانيكية. فان أصول علم الميكانيكا نفسها صارت مشكوكاً فيها . وقد شهدت حوادث جديدة زعزعت عقائدنا المتعلقة بالقيمة المطلقة للنواميس التي اعتبرت أساسية الى اليوم)

انتهى كلام الاستاذ لوسيان بوانكاريه . ثم ختم العلامة (جوستاف لوبون) مقالته بهذه الكلمات :

« من حسن الحظ لاشئ . أكثر ملاءمة لتتقدم العلمي من هذه الفوضى . فالوجود مغمى بمجهولات لانراهاءوالحجاب الذي يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي . فلا يمكن عمل خطوة للامام بعد تفكك عري الآراء السابقة . والاشد خطرا على تقدم العقل الانساني هو تقديم الظنات لقراء لايسة حل الحقائق المقررة علي نحو ما تفعله كتب التعليم ، والتطاول لوضع نجوم للعلم ورسم حدود لما يمكن معرفته كما كان يود ذلك اجوست كوات » انتهى

فما هي تلك المكتشفات غير المنتظر التي خاضت العقل من غروره وماذا كانت تلك الآراء الضالة التي كان يخبط في دياجيرها ثلاثة قرون ؟

..

(المسائل التي فتن العقل)

تأبى علي فتنة العقل في دور التورر العلمي بضع مسائل كان لها سلطان كبير عليه لا مناص لنا من النظر فيها لبيان وجوه اغتراره بها وما طرأ عليها فتسبب عنه خلاصه من ذلك الاغترار

أول تلك المسائل مسألة المادة . شغلت هذه المسألة عقول الباحثين في السكون من أقدم العصور فأرادوا أن يفتوا علي الاصل الذي نشأت منه وعلى سر استحالاتها ونظام تفاعلاتها وعلى حقيقة القوي العاملة في تلك الاستحالات والتفاعلات التي لا تقف عند حد . فتخيل الفلاسفة الاولون ان اصلها الماء او الهواء أو النار الخ حتي جاء لوسيب وديموكريت في القرن الخامس قبل الميلاد فوضعا نظرية الجوهر الفرد وقرروا بان المادة مؤلفة من جواهر غاية في الصغر متممة بحركة ذاتية فيها وانها أزلية أبدية

(٦ — علي اطلال المذهب المادى)

فكان حكم هذا المذهب أوفر من حظ غيره شايعه فلاسفة كثيرون ممن أتوا بعد
ديموكريت

فلما تغلب الدين على الفلسفة بظهور المسيحية والاسلامية لبث هذا المذهب حتى
عهد النهضة الاوربية، فكان هو المذهب الغالب على عقول المتكلمين، فمذبه على
ما يناسب مداركهم، فقالوا أن الجواهر الفردة متساوية في الحجم في جميع الاجسام
وأن بينها فراغاً تعمل فيه قوتها جذب ودفع وأن تلك الجواهر لا تعدم ولا تتجدد ولا يمكنها
تحول من جسم الى جسم حافظة لجميع خصائصها الذاتية، وأن تخالف الاجسام مع
وحدتها في الاصل ناشي. من اختلاف عددها وتباين أوضاعها في كل منها، فالموجود
المطلق هو هذه الظواهر الفردة لا يشار كها في الوجود غير القوة الملازمة لها التي لا يعقل أن
تتفصل عنها.

سكن العقل الى هذا المذهب لبساطته، والعقل لا يعنيه الآن يرتاح الى تعليل يجد
فيه حاجته الماسة من فهم الكون الذي يحيط به، لانه كما قلنا يستوحش بحكم تركيبه
من الجهل ولا يطيق الصبر عليه. وأي تعليل أسهل وأبسط من هذا التعليل الذي
أحال عالم الشهادة كله الى المادة المحسوسة، وعالم الغيب برمته الى القوة الملازمة لها ؟
فالمادة تؤلف ظواهر الاشياء والقوة تعمل فيها وتذهب في ابداءها كل مذهب .
فهل من حاجة بعد هذا الى خالق يضع أصول الطبيعة وعقل أولى بدبر نظام الكائنات
قال العلامة (بوخنز) الالماني في كتابه (القوة والمادة) « ان الذين يقولون
بوجود قوة خالقة خارجة عن المادة وخلق الطبيعة خلقت العالم من ذاتها
أو من العدم، يناقضون الاصول الالاسمية للعالم الطبيعي المؤسس على التجربة
والواقع . »

وقال في مكان آخر من ذلك الكتاب :

« ان القول بوجود قوة مجردة عن المادة لا معنى له كالقول بوجود مادة بلا قوة .
فان الناس ماسلموا بوجود قوي عاملة متميزة عن المادة إلا بتأثير الاوهام والجهالات

التي كانت سائدة في العصور المتقدمة، ولكن العلم لا يقبل اليوم مثل هذا
الزأى»

فإن قلت له ماهي تلك الملة التي تضعونها هذا الموضع الاعلى من الود المطاق؟
أجابه كما ورد في ذلك الكتاب :

«نحن لا نعلم ماهي المادة في ذاتها، كما لا نعلم ماهي القوة في ذاتها ايضا . ولا
ندري ما اذا كانت المادة واحدة في أصلها، أو مكونة من ستين أو سبعين عنصراً ككيميا
معروفا . ولكننا نعلم علماً يقينياً بأنه يوجد شئ . يجذب ويدفع ويقاوم ويتحرك وينتج
ظواهر النور والحرارة الخ، وأنه في الوقت الذي يزول فيه هـذا الشئ . نزول هـذه
الظواهر معه . فهذا الشئ . هو الذي نسميه مادة ونسمى الظواهر المذكورة بظواهرها
وندعو سبب الظواهر القوى المشمولة في المادة».

فإن قلت له فهل يعقل خروج الابداع مما لا يدري ما هو الابداع،
وبروز الحياة من الجماد الميت ؟ أجابه بما ورد في كتابه المذكور بصفتي ٤٥
و٤٦

« ان ادراك هذا السر يقتضي أن تعرف أن قوى طبيعية ل وعقلية ملازمة
لجوهر المادة . هذه القوى العقلية تظهر في جميع الاحوال التي تجتمع فيها شروط ضرورية
في المنح أو في المجموع العصبي حيث تكون عناصر المادة متحدة على شكل خاص،
ومتأثرة بحركة خاصة، فننتج منها ظواهر الشعور والفكر، كما ننتج منها في أحوال أخرى
ظواهر الجذب والدفع . ولقد قال شونهور : (اذا كانت المادة تستطيع أن تسقط
فهي تستطيع أن تفكر) . نعم هي في شكل حجر تسقط الى الارض، وفي شكل عضلات
تنقبض، وفي شكل مادة عصبية حية توجد فيها خاصتا الشعور والفكر وتصير مدركة
لذاتها»

اسنا هنا بصدد مناقشة الماديين في مذهبهم، ولكننا نقول أي فرق يصبح بعد
هذا من الوجهة الاعتقادية بين المادى المنزه عن الاوهام، وبين المؤمن المغموس فيها
في رأي بوختر؟ فاذا كان المؤمن يعتقد أن أصل الوجود قوة عاقلة أزلية أبدية قادرة

علي كل شي، فالمادى (يعتقد) بأن اصل الوجود مادة أزلية أبدية قادرة على كل شي..
 وإذا كان المؤمن قد ثبت في أمر لا يعلمه ولا يستطيع أن يخضعه للتجربة والمشاهدة، فقد
 فعل المادى مثل ذلك، وليس له بعد اعترافه بأنه يجهل المادة وقوتها من محيص. وإذا
 كان المادى قد عز عليه أن يعترف لاصل الوجود بالحياة والشعور، لعدم امكانه التوفيق
 بين هذه الخصائص وبين وجود الشر والنقص في هذا العالم وسيادة النظام الآلى فيه،
 فإن المؤمن قد أثبت لها هذه الخصائص لانه صعب عليه أن يعمل وجود هذه الخصائص
 نفسها في بعض ممكناتها مع مجردها هي منها قائلًا: كيف يهب الحياة والشعور والعقل مالا
 حياة له ولا شعور ولا عقل؟

وقد أدرك المؤمن مبالغ الشر والنقص في العالم وسيادة النظام الآلى فيه، ولكنه
 رأى أن بجانب هذا الشر خيرا، وبجانب النقص ابداعا، ومع تلك الصرامة الآلية
 -حكمة- فنعلم بأن لا تتران هذه الاضداد بعضها ببعض حكمة لا يعلمها.

نعم قد علل المادى وجود الحياة والقوى العقلية والخير الجزئى والابداع الجملى
 وآثار النقص والحكمة في الخليقة بعالم طبيعية محضة فتنت كثيرا من العقول،
 ولكنها لم تستطع ان تفتن العقول العليا، فلا يزال الاعلام من حمله أسرار العلوم
 وخزنة كنوز المعارف ينهرون الايمان على الاتحاد على رؤوس الاشهاد.

قلت لست هنا بصدد مناقشة الماديين فلا أكتف بما قلت حتى يجيى موضع
 تلك المداخلة، ولكنى بصدد بيان اغترار العقل البشرى بالحلول الوقتية لمسألة المادة
 وذهاها في الافتتان بها الى أقصى حد، ولان هيات أن يسكن العقل لامثال هذه
 الخيالات، فلم يابث ان شك فيها جملة ثم حمل عليها وجهها لوجه، وكشف جميع نقائصها
 وابتقي نظريات سواها تناسب ما وصل اليه من المعارف الجديدة.

فلننظر لم شك فيها، وكيف حمل عليها، وما الذي بذاله من نقائصها، وما هي النظريات
 الجديدة التي استبدلها بها.

(خلاف العلماء في أصل المادة)

لم يلبث العقل أكثر من ثلاثة قرون بعد النهضة العلمية في غروره، مذهب الجوهر الفرد حتى أفاق من غشيته فنظر في هذا المذهب نظرات انتقادية أحالته إلى قيمته الحقيقية، أي قذفت به إلى عالم التصورات الخيالية . وبما أن هذا الرأي هو الأساس الذي يقوم عليه المذهب المادى، وما ينتج منه من الدعاوى الطويلة العريضة، نرى من الحكمة أن لاندعه قبل أن تثبت للقارئ أنه أنهار على نفسه ولم يبق له من قيمة علمية . وأحسن أسلوب نتوخاه لذلك أن نترجم لهم ما كتب تحت كلمة « مادة » في دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية وهي آخر موسوعة علمية صدرت في أعرق البلاد مدنية وأبعدها عن التأثير بالعاطفة الدينية .

جاء في تلك الدائرة بعد سرد الأدوار التي تقلبت فيها الآراء الفلسفية القديمة عن المادة ما يأتي :

« المسائل الأساسية التي تشغل الفلسفة والعلم في العصر الحاضر فيما يختص بالمادة يمكن حصرها فيما نعتقد في مسألتين . الأولى تتعلق على وجه خاص بالفلسفة، والثانية تتعلق بالعلم

(المسألة الأولى) ماهي الأسباب الحقة التي نحمّلها على القول بأن للمادة وجوداً حقيقياً متجيزاً في الخارج ؟ وماهي قيمة المعرفة، والأولى أن يقال ماهي قيمة الفكرة، التي نستطيع أن نكونها لأنفسنا عنها ؟

(المسألة الثانية) ماذا نعلم عن طبيعة المادة، وعلى أي وجه نحاول أن نمثلها لأنفسنا ؟

« أما عن المسألة الأولى فالوفاق تام بين المذاهب المختلفة، وذلك بإجماعها على أن وجود المادة في الواقع ليس معروفاً لنا من طريق مباشر، ولسكننا أنما نفرض وجودها فرضاً بدائلياً مؤسس على العلاقة السببية، وذلك لأجل أن أنفسنا نحسب ذات الظواهر

التي تؤثر على حواسنا . وعليه فهما كانت الفكرة التي نكونها لانفسنا عن المادة فاننا لاندر كما أبدا علي ماهي عليه في الواقع، بل علي ماهي عليه بالنسبة لشعورنا وبالنسبة لصادات أو حاجات افكارنا .

ثم أخذت دائرة المعارف في مناقشة القائلين بالجواهر الفرد فقالت :

« ان هذا الرأي أخذ في الارتباك، اذ عليه من جهة تفسير ظواهر الضوء والحرارة والكهرباء . التي تضطر الباحثين للقول بأن الجواهر الفردة نفسها يجب أن تكون مشحولة في وسط مادي ليسد ما بينها من الفراغ . وعليه ايضا من جهة أخرى أن يفسر تفسيراً ميكانيكياً قوتي الجذب والدفع اللتين تدسبان اليها ولا يمكن ان يفرض لهما وجود الا في الحركات الباطنة لاجزائها . فذهب الجواهر الفرد ينحدر والحالة هذه علي سفح دور وتسلسل لا ينتهيان، اذ يمكن ان يقال ماذا عسي ان تكون هذه الاجزاء من الجواهر الفردة ان لم تكن جواهر فردة أصغر منها ؟ وهذا الاثير الذي يتخيلون وجوده بين الجواهر الفردة ألا يكون مكونا هو ايضا من جواهر فردة اذا كان مادياً ؟ فيكون الحد الذي زعموا انه لم بلغوه يتقهقر بدون انقطاع امام الفكر الانساني . اضغف الي ما تقدم التناقض الذي يحدث اذا نظر الى هذه المسألة من وجهة علم العال الاولى من فرض وجود شيء متحيز لا يقبل الانقسام وهو نفسه مع ذلك يقبل الانقسام الى مالا نهاية له . من هنا نفهم ان القول بالجواهر الفرد لا يظهر لاكثر من فيلسوف عصرى الا وسيلة أو حيلة أو خيال يسهل التعبير عن نتائج التجارب ويخضعها للنمذيل العلمي ولكنه لا علاقة له بحقيقة المادة .

« اذا تصورت المادة على هذا الوجه لازمها أمران لا يمكن ان يزايلا هما وهما الحجم المتحيز والقوة، فوجب ابدال هذا الرأي برأي أكثر بساطة . فقد قال « فاراديه » . ما يبلغ علمنا بالجواهر الفرد خارجا عن القوة ؟ انك تتخيل نواة تسميها « ب » تحيطها بقوة تدعوها « م » . اما انا فلا اعقل الا ان النواة « ب » تقوى ولا يبقى الا القوة « م » وحدها .

وفي الواقع أى فكرة نستطيع ان نكونها لانفسنا عن تلك النواة المستقلة
عن القوة ؟

« في هذا الرأى الجـيد، الذى لا ينفرد به (فاراديه) بإشارته فيه بوسكو قدش
و (كانت) و (كوشى) و (رنوفيه) وغيرهم، يكون العنصر النهائي للمادة ليس هو
الجوهر الفرد ولكن مركز القوى، فيكون كل عنصر مادى نقطة لا تقبل الانقسام تشم
حولها في جميع الاتجاهات خطوط من القوى تصلها بجميع النقط الأخرى لوجودها
مع ذلك قابلة لان تنقل من مكانها لتتقرب او تبعد من أوعن تلك النقط . وهذا
يفضى الى القول بأن تلك النقطة تنزك وتتجدد من مجموع الآثار التي تحدثها على
المراكز الأخرى ثم تعود فتتأثر بها . ولكن من الذي لا يرى ان في هذا المذهب
تكون الوحدة وعدم قبول الانقسام لكل مركز من القوى مما يستحيل تحديده
بل ولا ادراكه ؟ أى فكرة نكونها لانفسنا عن مجموع هذه القوى التي يشملها كل
مركز من تلك المراكز مع علمنا بأن أى قوى لا نتعرف اليها ميكانيكيا إلا بالحركات
التي تسببها او تمنعها او تغيرها ؟ الا يفضى هذا الى القول بأنه لا يوجد فى الكون
غير حر كات عاملة وغير عاملة متعلق بعضها ببعض تستمر وتطور على مقنفي قوانين
رياضية ؟

« من هنا نشأ رأى جديد لا يشتق من الحركة ولا من الميكانيكا يصبح ان
يسمى رأيا هندسيا، وهو يحاول ان يحيل المادة الى حركة محضة. اول من قال بهذا الرأى
(ديكارت) ثم جدد في عصرنا هذا (ولیم طومسون) الانجليزى و (لاسوينز)
الالمانى . فتكون المادة في رأيهم سيالا مصمما متجانسا تنحدد الحركة فيه في وحدات
ظاهرة . فالجواهر الفردة في هذا المذهب ليست الا زوايا او حلقات زوئية هولولتز
كالحلقات التي حددت خصائصها حسابات (هولتز) وحققها تجارب (تيت) .
ولكن الحركة في سيال متجانس كل التجانس وغير قابل للانضغاط أى مصمت
لا تكون حر كته محسوسة كما اعترض بذلك (ستالو) ، اذ يكون كل فرق فى مثل هذا
السيال تصورى محض . ورغمما عن انتقال كتلة منه بتأثير كتلة أخرى فان حيزا مفروضا

يكون على الدوام شاملاً مقداراً ثابتاً من المادة لا يمكن تمييزه مطابقاً عن المقدار الذي كان يشغله في اللحظة التي قبلها ، وغير ذلك كما لاحظناه (ماكسويل) فان الذرة الزوابعية لا تكون صالحة بقصورها الذاتي لقبول كل تأثير يقع عليها

«وعلى هذا فجميع الفروض، التي فرضت للآن عاجزة عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث؛ فإذا تستنتج من هذه الحال غير أن مدركتنا العلمية في المادة، وهي تختلف في صلاحيتها كوسائل للتريب والتحليل، لا نستطيع أن نزع أنها الحقيقة المطلقة. وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا لتسهيل وتمهيد صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة، لا يمكن أن تكون حتماً الارمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها، فهي تقدم على حال من الأحوال لضبط الظواهر الوجودية بلغة أكثر وضوحاً والثناء بما تفعله مشاعرنا، ولكنها لا تنفذ بنا إلى ما وراء هذه الظواهر. على أن هذه اللغة نفسها مشتقة من لغة المشاعر ومتأثرة بحالة نسبية لا يمكن معالجتها. فنحن محكوم علينا بالحالة هذه بحمل ماهية المادة على الدوام»

ثم ختمت الدائرة هذا الفصل بقوله:

«وعلى هذا فلو صرنا ننظر عن الرأي اللادري الذي هو عبارة عن رفض أي محاولة لتفسير الحوادث، فيظهر أن الرأي الذي يرمي إليه حل علماء العالم الارلية هو أن المادة باعتبار أصلها تنحل كما فكر في ذلك (لبنز) إلى وجود روحاني طبيعيته كطبيعة الوجود الذي يتجلى لوجداننا ، والنقطة التي تبقى بعد ذلك غير محققة هي أن نعرف ما إذا كان الوجود هو مجتمع ذرات روحية متميز بعضها عن بعض، أو أنه كائن واحد لا يقبل الانقسام ومستمر على الدوام وأنه العلة والمعلول العام» انتهى

هذا معرض آراء العلماء في المادة قبل يصبح أنه ينبغي على واحد منها وخاصة على القول القديم الرث بالجواهر الفرد مذهب يدعي أنه يوصل إلى إدراك سر الطبيعة والتحكم في معضلات الخلقة؟ فلننظر الآن فيما جرد من الآراء في المادة أي بعد ظهور دائرة المعارف في العشرين سنة الأخيرة

(المباحث على المادة في القرن العشرين)

ماذا جد من المباحث عن المادة في العشرين السنة الاخيرة ؟ أمر جال وهو القول بتحليلها وأحالتها الى قوة. المسئلة هذه المرة ليست مسئلة كلامية ككل ما سبق بل عملية تجريبية ضاق معها الخناق على المذهب المادي حتي أصبح لا يجد له متنفسا الا في رؤوس الذين يحمدون على النظريات التي توافق أهوائهم وان خلفت العقل والحس معاً.

قال الطيبي (جورج بوهن) في رسالة له أمماها (تطور المادة).

«ان عقيدة عدم تلاشي المادة احدى العقائد القليلة التي اخذها العلم المعصرى عن العلم القديم بدون أن يغير فيها شيئاً. فمن عهد الشاعر الكبير (لو كريس) الذي جعلها اساس فلسفته الي (لافوازييه) الخالد الذكر الذي أقعدها على قواعد تبهرت أهدية لم تكابد هذه العقيدة أي تززع ولم يفكر أحد في أن يجادل فيها. فاستحق الدكتور (جوستاف لويون) لقباً من المجد لانه أول من هاجم هذه النظرية التي يسميها (عقيدة) وتوصل الى اسقاطها في سنين معدودة » انتهى

ونحن نبدل أن نأخذ تاريخ هذا الاكتشاف الضخم عن العالم (جورج بوهن) نأخذه عن مكتشفه نفسه ، فترجم لمعاً من محاضراته التي ألقاها عن اكتشافه ذلك في سنة ١٩٠٧ ونشرها في كتاب أسماه (تولد المادة وفناؤها) قال :

« أقص عليكم حديثاً عجيباً غريباً لم يكن يحلم به العلم منذ عشر سنين ، حديثاً عن قطعة من أية مادة لنكن حجراً تصدمونه في طريقكم أو ورقة موضوعة أمامكم أو قطعة من المعادن التي تتداولونها كل يوم

« كان يعتقد العلم في الزمن الحالي، ولا يزال قوم يعتقدون أيضاً ، أن المادة تتألف من عناصر جامدة لا يعترها العدم، وجدت في اصل الاشياء وتبقى في خلال (٧ - علي اطلال المذهب المادي)

جميع تطوراتها بقاء سرمديا . فكانت الكيمياء تقول لا يقني شيء . وكانت علي عرق مما تقول لان المادة كانت رغما عن كل الالاستحالات التي تنكبدها تظهر انها حافظة لوزنها الاول .

« ولكن العلم يعلمنا شيئا آخر اليوم ، انه يرينا المادة مركبة من مجموعات صغيرة تشبه المجموعات الشمسية ، مؤلفة من عناصر يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة جدا وهي لانرى ثابتة في حسنا الا بسبب تلك السرعة المفرطة . ويقرر لنا أن الجوهر الفرد مستقر قوي ضخمة لانعد القوي التي تستخدمها صنائعا بجانبها شيئا يذكر ، وينظر أن ننتفع بها تلك الصنائع في يوم من الايام ، ويعرفنا ايضا ان المادة وهي مستودع حياة مكررة لها حس يجعلها تتغير بأخف المؤثرات وأطفاها . ويقول لنا أخيرا بأن المادة ليست ابدية بل هي خاضعة للناموس الختم الذي يقضي على جميع الكائنات بالفناء .

« انا لالاستطيع ان اصل الي غور بعيد من هذا الموضوع في ساعة واحدة فلا كتف في هذه المحاضرة بأن ابين لكم بعض نتائج المباحث التي أتتبعها منذ عشر سنين في موضوع تحليل المادة وقد فصلتها في كتابين نشرتهما حديثا

« هذه المباحث التي كانت نتيجة الاساسية غير المنتظرة منذ سنين قليلة اثبات ان المادة ليست غير قابلة للزوال ، قد انتشرت بسرعة في جميع المعامل العلمية (تأمل) وبعض قضايانا عنها مما اعتبرت متطرفة عند ما قررناها لأول مرة بدأت تكون اليوم من الامور المألوفة وان كانت لانزال بعيدة عن انتاج كل النتائج المرجوة منها . ومتي شاعت هذه النتائج فسندى الى بناء صرح علمي يخلد الي الابد .

فالكم الاصول الاساسية التي اجتهدت في تجليتها معتمدا على تجاربي الخاصة :

أولاً — المادة التي كان يظن أنها غير قابلة للزوا تلتشى ببطء بالتحلل المستمر للجواهر الفردة التي تكونها.

ثانياً — متحصلات تحليل المادة هي مادة وسطى بخصائصها بين الاجسام القابلة للوزن وبين الاثير غير القابل للوزن، اى بين عالمين كان العلم قد فصل بينهما فصلاً نهائياً الى اليوم.

ثالثاً — المادة التي كانت تعتبر قبل اليوم جامدة لانعطينا غير القوة التي لا تأخذة من سواها هي علي العكس من ذلك مستودع عظيم للقوة — القوة الباطنة للجواهر الفردة — التي يمكن أن تنفقا بدون ان تستعير شيئاً من الخارج

رابعاً — اكثر قوى الـكون كالـكهرباء، والحرارة الشمسية علي وجه خاص هي من القوة الباطنة للجواهر الفردة التي تخلص في اثناء تحليل المادة
خامساً — القوة والمادة شكلان مختلفان لشيء واحد فالمادة هي الشكل الثابت للقوة الباطنة للجواهر الفردة والحرارة والصوت والكهرباء الخ هي الاشكال غير الثابتة لتلك القوة

سادساً — اننا بتحليل الجواهر الفردة أى بصرف المادة عن حالتها المادية لا نعمل غير تحويل الشكل الثابت للقوة المسماة مادة الى أشكال غير ثابتة تسمى كهرباء، وضوءاً وحرارة الخ . فالمادة والحالة هذه تستحيل الي قوة بحالة مستمرة

سابعاً — ان قانون التطورات المتعاقبة الذي يطبق على الكائنات الحية يطبق كذلك علي الاجسام البسيطة فالانواع الكيميائية كالانواع الحية ليست ثابتة بل قابلة للتغير

ثامناً — القوة ليست أعصي على عوامل التلاشى من المادة التي تنتج منها
» فعمل الامس كان مؤسسا على أبدية المادة، ولكن علم القديسيات أسس علي قبولها للفناء وسيكون غرضه الاول إيجاد وسائل سهلة لزيادة انحلالها، ووضعها بذلك تحت تصرف

الانسان قوى يكاد لا يكون لها حد «
ثم بادر الاستاذ بحل هذه الشبهة وهى : اذا كانت المادة في ذاتها لا شئ ، غير القوة عما تظاهر انها
فكيف نحس بها جامدة ؟ فقال :

« قد علمت تجارب في المسامل الكهربية المائية فاثبتت أن عمود أسائل قطره سنتيمتران
إذا أسقط في انبوبة من علو ٥٠٠ متر لا يمكن خدشه بضربة شديدة من سيف قاطع. اذ ترى
السيف يقف على سطح السائل كما يقف اذا صادف حائلاً ، واذا كانت سرعة عمود
السائل أكثر فلا تستطيع فذبة المدفع أن تتخطفه ، فاذا قذف شريط من الماء ثخنه بضعة
سنتيمترات بسرعة كبيرة يصبح أمام فذبة المدفع في مناعة الطبقة الفولاذية السفينة
مدرعة فلا تستطيع أن تخرقه .

« فاذا أعطينا الماء المنصب شكل زوبعة كان لدينا صورة من جزيئات المادة ، ونفسياً
مربحاً لصلابتها . وبذلك نفهم كيف يصير الاثير الامادي مادياً جدياً اذا استحال الى
زواج متممة بسرعة كافية . ونفهم من هنا كذلك أن هذه الحركات الزويعية لوطات
الفيت المادة لوقتها وعادت الى أصلها في الاثير .

هذا ما قاله الاستاذ (جوستاف لوبون) في مقدمة محاضراته فلننظر في المقالة التالية
كيف سلك في تحايلها وماذا رأى من اطوار استحالتها

..

(كيفية تحليل المادة)

ذكر الاستاذ « جوستاف لوبون » كيفية تحليل المادة في الفصل الخامس من محاضراته
كما ورد في كتابه تولد المادة وفنائها فقال :
« علينا الآن أن ندرس كيفية تحليل المادة فنقول :

« حدثت تجارب عديدة جداً لا يمكن التشكك في قيمتها اثبتت ما كنت انا أول
مقرر له من أن الجواهر الفردة المادية التي كانت تعتبر في الازمان السابقة ثابتة على حالتها

يمكن أن توجد احوال اما من ذاتها أو تحت تأثير فواعل مختلفة وان منحصلات هذا التفاعل متشابهة في جميع الاجسام سواء أكانت متولدة من نقطة انصراف الكهرباء من فقاعة كروكس باشعاع معدن موضوع تحت تأثير انشور أم تحتحل جسم اشعاعي مثل الاورانيوم والنور يوم والراديوم.

وعليه ففى أريد بحث تحليل المادة فلننتخب الاجسام التى تكون أكثر قبولا لظاهرة التفاعل من غيرها سواء أكانت فقاعة كروكس أو أى معدن يكون فى حالته بحيث تنصرف منه الكهرباء وهو تحت تأثير تيار مسلط عليه من ملف كهربائي والاسهل ان يستعمل لذلك مركبات من اجسام اشعاعية كالملاح الثوريوم والراديوم. وهناك اجسام تتحلل بالنور او غيره وتعطى النتائج بعينها ولكن بما ان تحليلها بطأ جدا من الاجسام السابقة فتكون ملاحظة التفاعل فيها اشد صعوبة.

وقد شوهد ان المنحصلات المختلفة التى عرفت الى الآن من تحليل المادة يمكن ان ترتب فى هذه الرتب الست وهى: جزيئات المتطايرة ويونات سالبة ويونات موجبة والكترونات واشعة اكس واشعاعات مشابهة لماد اليون يطلق على كل من العنصرين المتحللين من جسم واحد بتأثير الكهرباء. والالكترون هو العنصر المتحلل من المادة حاملا لكهربائية سالبة او موجبة.

« كمية الجزيئات المتطايرة من الاجسام فى اثناء التفاعل تختلف تبعالا لاختلاف تلك الاجسام فهى بالنسبة لغرام الاورانيوم والثوريوم ٧٠٠٠٠ فى الثانية وبالنسبة لراديوم مئة مليار كما اثبتته حسابات بحريين مختلفين.

« اذا قرعت الاجسام القابلة للتأين بجزيئات المادة المتحللة اضافت. فعلى هذه الخاصة اسست «السينتارىسكوب» وهى آلة تجمع ل التفاعل المستمر المادة مرئيا لاعين أبعد الناس عن النصدىق وهى تتركب من صفيحة من كبريتورالزلك مركب عليها ابرة صغيرة غمس طرفها محلول من جسم قابل للتحلل من ذاته. فاذا نظر الى تلك الصفيحة بالعدسة المكبرة فيرى حدوث مطر من شرارات صغيرة ناتجة من تصادم الجزيئات المتحللة. عندى أنا واحدة من هذه الآلات وهى لا تزال منذ اربع سنين

نحدث امطاراً من الشرر ناتجة من تحلل عشر مليغرام من برومور الراديوم علي طرف الابرّة . القوة انها

» قد ذكرنا فيما قلناه هنا كلمة (ملايين الجزيئات التي يستطيع أن يبثها في مدى عدة أجيال مليغرام واحد من جسم اشعاعي) ومثل هذا العدد يثير دائماً نوعاً من قلة الثقة لدي السامع، لأننا لم نتوصل لأن نصور لأنفسنا الصغر المتناهي للعناصر المادية . ولكن هذا الاستبعاد يزول متى شاهدنا أن المواد العادية قابلة لأن تمكث عدة سنين بدون أن تكابد أي تحلل وهي مع ذلك عرضة لتصرف جزيئات كثيرة منها يسهل الحس بها بواسطة الشم ولكن لا يستطيع أن يقدر ذلك القدر فيها أشد الموازين حساً .

» وقد عمل المسيو (برتلو) في هذا الموضوع مباحث مفيدة فحربان يحدد القدر الذي تكابده اجسام ذات رائحة قوية جداً من التي تقل فيها قوة التطاير والشم أكثر احساساً بما لا يقدر من الميزان، اذ أنه يستطيع كما قرر ذلك المسيو برتلو أن يشعر بالنسبة ليمض الاجسام كاليود وفورم مثلاً بوجود جزء من مئة مليون جزء من المليغرام ،

» وقد توصل بتجاربه على هذا الجسم الى هذه النتيجة وهي ان الغرام من اليود وفورم يفقد جزءاً من مئة من المليغرام من وزنه في السنة أي انه يفقد مليغراماً واحداً في مئة عام رغماً عن انه يصعد منه علي الدوام تيار من الجزيئات ذات الرائحة في كل الاتجاهات . وأضاف المسيو برتلو الى هذه التجربة قوله انه اذا استعمل المسك بدل اليود وفورم كان النقل المفقود أقل كثيراً مما مر (قد يكون ألف ضعف) فيقتضي لتصرف المليغرام منه مرور مئة ألف سنة .

» السرعة التي تتطاير بها جزيئات المادة وهي تتحلل تبلغ من ثلاثين الفا الى ثلاث مئة الف كيلومتر في الثانية الواحدة ، وقد يظهر ان من الصعب جداً قياس سرعة أجسام تدفع بهذه الشدة ومع ذلك فقياسها امر سهل للغاية .

« ولبيان ذلك نقول اذا حصلنا على حزمة من الاشاعات بواسطة مامن جسم اشعاعي ووجهناها الي صفيحة قابلة للتألق ظهرت على تلك الصفيحة بقعة مضيئة ، وبما ان هذه الحزمة من الجزيئات متكررة فهي تحيد اذا واجهت سطحها ممسطا . فيمكن اذن تحويلها بواسطة مغناطيس ويكون تحول البقعة المضيئة على السطح المقابل للتألق مشيراً الي مقدار الانحراف الذي يكبده سطح مغناطيسي معروف الشدة للجزيئات المتصاعدة من المادة . وبما ان القوة الضرورية لتحويل كتلة مقدرة من تلك الجزيئات الي مسافة معينة تسمح بتحديد سرعة اندفاع تلك الجزيئات فيعلم انه من الممكن استنتاج درجة سرعتها من مقدار انحرافها ، فاذا احتوت حزمة من الاشاعات على جزيئات مختلفات في السرعة فانها ترسم خطا يختلف في الطول والقصر علي الصفيحة القابلة للتألق بدل ان يظهر علي شكل نقطة بسيطة . بهذه الوسيلة يمكن قياس سرعة كل منهما »

هذا ما ذكره الامتاذ جوستاف لوبون عن كيفية تحليل المادة في محاضراته مجملا وقد فصل تلك السكيفية في كتابين ضخمين . وبما انه يقول بأن المادة تتحللها تفتي في الاثير فلننظر في ماهية هذا الاثير الذي يعمل به الطبيعيون اكثر الظواهر المجردة .

..

(الاثير ماهو ؟)

تتردد كلمة الاثير في أفواه العلماء عند كلامهم على النور والحرارة والكهرباء وغيرها من القوى الطبيعية ، فيحاولون به ما أشكل عليهم حله من معميات الكون ويفكرون ما ستبهم من طلاسمه .

مالذي دعا الطبيعيين الي افتراض وجود شيء لا يدرك بالحواس ولا

ينخضم لتعجربة ويناقض بخصائصه وصفاته كل ما يعرف من اشياء الطبيعة ؟
كان الطبيعيون الاقدمون يرون أن النور والحرارة ينتقلان من بعض الاجسام الى بعض بتأثيرهما الذاتي من بعد فلما تأملوا في ذلك في المصور الحديثة وجدوه مما لا يعقل فافترضوا أنهما يسريان من الاجسام الميرة والحارة على صورة امواج فأجمعوا على قبول هذا الاعتراض لانه فسر لهم كثيراً من المجهولات، ولكن اعترضهم أمر جلل وهو على أي شيء تسري تلك الامواج من النور والحرارة اليك من الشمس والكواكب وابس بيننا وبينها هوا ؟ فاضطروا لغرض وجود حامل لتلك الامواج ولكنهم ان قالوا أن ذلك الحامل هو الهواء كذبهم الحس فان الهواء ثبت انهماؤه عند حدود محدود من سطح الارض، ثم ان وجوده يستلزم أن يكون ثقله لا يطاق وأن يكون عتية كأدا، في طريق الكواكب فيصدها بكتلته غير المنتهية كما تصدها حجب الغولاذ، وان قالوا أن ذلك الحامل ليس بالهواء، ولكن به شيء مادي ألعف منه لزم منه كل ما يلزم من الافتراض الاول، فانه مادام ماديا فان لانهايته تجعله أكثر من الله وان انا انما نرى ما وراء هذا الهواء من الكواكب لانه عبارة عن طبقة قليلة السمك ومع ذلك فانه يلون السماء باللون الازرق ويكسر أضواء الكواكب فيخدعنا عن أماكنها ويرينا بعضها قبل أن تظهر على الافق وغير ذلك، فذا ظنك لو كان مثلاً هذه الانهاية ؟

لما آس العلماء كل هذه الصعوبات من فرض ذلك الحامل مادي اضطروا أن يفرضوه غير مادي ليعني أنه روحاني بل بمعنى أنه شيء لم يصل لدرجة المادية فلا تسري عليه قوانينها، وهم لاجل أن يخلصوا من كل الابرادات التي يمكن أن توجه الى ذلك الشيء فتحول بينهم وبين التعليل به اخذوا لانفسهم كل حيلة فافترضوه شيئاً مثلاً للوجود كله لا يخلو منه قدر ذرة في الارض ولا في السماء، لا وزن له ولا مسام وغير قابل للانضغاط وغاية في القاطعة .

في عهد الشعور بالضرورة الماسة لافتراض الانير كان العقل يجردوا بناء نظرية

جديدة غير نظرية الجواهر الفردة فوجد من هذا الاتير سعة، فتصورها حركة زوابعية
حاصلة فيه كما قررنا ذلك في المقالة العاشرة. ولما رأى استحالة بعض قوى الطبيعة الى بعض
كاستحالة الحرارة الى كهرباء أو نور النخ قرر بأن هذه القوى كلها ليست بشئ سوى
ذبذبات حاصلة في ذلك الاتير ايضا .

أشعر وأنا اكتب هذا بان القارى، البعيد عن المسائل العلمية قد أخذ منه العجب
كل مأخذ من تألب رجال يعتبرون أبعد الناس عقولا عن الاوهام على القول بوجود
شئ، خلقوه بخيالهم ونحلوه كل الصفات التي يحتاجون هم اليها في تعليلاتهم، وليس لهم
على ذلك دليل ولا شبه دليل، ثم يتساءل ذلك القارى، بعد ذلك عما اذا كان يوجد
بينهم وبين غلاة الدينين فرق من الوجهة الاعتقادية، رءاءسي أن ينفضي اليه الاغران
في معييد هذا الاتير .

نقول نعم انه أفضى بهم الى القول بأنه الموجود المطلق الذي لا أول لوجوده ولا
آخر لبقائه، فهو مصدر كل كون، ومستقر كل قوة، ومستودع كل ابداع، منه تصدر
الكائنات واليه تعود، بعد أن يتم كل منها دورته التكوينية، وبؤدى وظيفته
العالمية .

ما الذي بقي من الفرق بين الصفات التي يوصف بها الخالق وبين الصفات التي
تنحل للاتير؟ انفرق لا يكاد يذكر، وقد أفضى القول بالاتير الى القول بالخالق فاعتبر
الاتير نفسه اله الكون . قال به هذا الرأى جمهور كبير من علماء الالمان على رأسهم
الاستاذ (ارنست هيكل) المشهور المدرس بجامعة (بيينا) من المانيا فكاتب في كتابه
(وحدة الوجود) قوله :

«ان هذا الترقى في ادراك الاتير يكسب فلسفة وحدة الوجود قوة عظيمة. وذلك
ان الآراء الضالة التي كانت تقول بوجود الفراغ وتأثير بعضها على بعض من بعد،
قد زالت الآن . وهذه الانهاية الوجودية وان كانت المادة لا تشغلها كلها فانها برمتها
مشغولة بالاتير . ثم قال :

«نعم ان نظرية الاتير اذا أخذت كقاعدة للايمان يمكنها أن تعطينا شكلا

محقولا للدين : وذلك اذ جعلنا بارزا السكتة الجامدة الثقيلة أى المادة ذلك الاتير الشامل المتحرك الذى هو الاله الخالق »

ثم أيد الأستاذ (هيكل) رأيه هذا برأى الاسناد (خيلسنجر) الالماني الذى أبداه في خطابة ناقها في التنبورغ من المانيا فذكر عنه انه قال :

« ان أحقر مظهر من مظاهر الطبيعة غير الآلية ، واكبر مجلي من مجالى الحياة الآلية ، يمكن ان يمل وجودهما على السواء . بفعل قوي طبيعية واحدة . وبما انهما من جهة أخرى يشتركان في المصدر من الاصل الاصيل المتوحد الذى يملأ الوجود اللانهاى وهو الاتير فيمكن اعتبار هذا الاتير (الها عاما) ويكون نتيجة ذلك هذا الحكم وهو أن الاعتقاد بالخالق يتفق والعلوم الطبيعية » انتهى .

الى هذا الحد وصل الاعتداد بأمر الاتير لدى العلماء المعاصرين لما . فهم وان كانوا لم يجمعوا على الهيته الا انهم اجمعوا على ضرورته ، لفهم كل صغيرة وكبيرة في الكون .

عندى ان العلماء الذين قالوا بالهيته أكثر تحوطا اسمعتهم من الذين لم يقولوا بها . ذلك لانهم لما عجزوا عن تعليل أصل فر صغيرة في الكون بدون فرض هذا الاتير ورأوا انهم بفرضهم وجوده يعتمدون على مجرد خيال انهم وأوهامهم ، ويجافون أسلوبهم الرسمي نفسه فحججوا ان تكون هذه سيرتهم في أوليات علومهم فينفرونها لانفسهم ويحملون على الذين عجزوا قبلهم عن تعليل وجود الكون فقالوا بوجود خالق له ، نعم اننا نعجب من عالم يؤمن بوجود مادة مصحته لا وزن لها ولا تقبل الانضغاط ، وهي مع ذلك غاية في اللطافة موجودة من ازل الازل وباقية آبد الابد ، وهو لم يرها وان يراها ، ومع هذا كله يصبح بمل فيه ناعيا على المعتقدين بالله انهم يقولون بوجود ذات لم يروها ، وباطلاق صفات عليها ليس لهم عنها من علم غير الظل وما تخيله الالهوا . الخ الخ مما شحنت به كتب الملاحدة في القرن التاسع عشر . نعم اننا نعجب من هذا التناقض ، وعندى أن الاجدر بالعالم أحد أمرين فاما أن يكون لادرياقها فيريح نفسه ويريح غيره ، واما ان يتشدد في سرية أسلوبه العلمي فلا يحكم بوجود شئ لم يره ولا

يستطيع ان يراه منتظرا حتي يفتح عليه مالا يلم . أما في الفروض والجهود عليها كما رى في مسألة الاتير فليست من العلم ولا مآرق العلم . وجودهم هذا على أمثال هذه الفروض ينسب لآلئهم واتباعهم انها فروض فيشبهونها ويتوهمون انهم قد آووا من العلم الي ركن ركن ، وما دروا انهم بطيرون على أجنحة خيال انهم على غير هدى فيضرون باسم العلم اكثر مما ينفعون .

اما نحن وقد انتهينا الي هذا الحد فسننظر أي المواقف اجدر بالعقل في مسألة المادة ، وأي الطرق يسلكها في تطالب الحقيقة المطلقة ، بحيث لا نصده نظرية ، ولا نخدعه خيال .

..

(نظرة انتقادية على الآراء في المادة)

رأي القارىء من عرضنا آراء العلماء في المادة قدما وحديثا انهم لم يهتدوا الي شئ من أمرها ، وانما لانزال تنه الي عن مداركهم . وان ما كان يدعوه المادون من انها جواهر فردة جامدة وجدت من أزل الآزال وتبقى أبد الآباء ، اصبحت ابعاد الآراء عن العقل حتى قال عنه الفيلسوف (جيو) في كتابه (اللاتدين في المستقبل) وهو لا ينهم بمشايعة الاديان قال في طبعته السادسة .

ان الرأي الذي مؤداه ان الجوهر الفردي لا يقبل الانقسام ولا التجزؤ ويعتبر من الوجهة الفلسفية من الآراء الطفلية . فقد أثبت طومسطن وهلمولتز ان الذرات في ذاتها زوابعات متشابهة ثم قال :

« اذا وسع المذهب المادى مدى نظره وجب عليه أولا نسبة الحياة الي العنصر العام بدلا من أن يفرضها مادة عمياء . قال الفيلسوف (سبنسر) كل جيميل من الطبيعيين يكشف في المادة المسماة عمياء ، قوى ما كان يحلم بوجودها أعلم علماء الطبيعة قبل ذلك بسنين معدودة) فاننا لما رأينا أجساما جامدة نحس رغبا من وجودها الظاهري

بتأثير قوي لا يحصى عددها، ولما أثبتت لنا آلة التحليل العاطفي بأن الذرات الارضية تتحرك موافقة حركة الذرات الموجودة في الكواكب، ولما اضطررنا الي ان نستنتج من ذلك أن ذبذبات لا يحصى لها عدد تحترق الفضاء في كل جهة وتحركة، لما رأينا ذلك كله وجب علينا أن ندرك ما قاله سبنسر من أن (الوجود ليس بمؤلف من مادة مينة بل هو وجود حي في كل جهة من جهاته حي يأعم معاني هذه الكلمة ان لم يكن بأخصى معانيها).

وقال الدكتور (فيلبون) في مجلة (العلم والحياة) الفرنسية صفحة ٥١ من مجلد سنة ١٩١٧ وهي مجلة طبيعية بحتة :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة المادة ، فما يدرينا ما اذا كانت كلمة (روح) ستحل محل كلمة (قوة) ؟ هذه المسائل المحيرة لانزال سر آمن استمرار المستقبل . »
انتهي

نعم ان مذهب الجوهر الفرد اصبح لا يستحق المناقشة، وليسكن اذا كان العقل قد أباه لما يرد عليه من الاستشكالات، وقد جاءت التجربة بنفسه أيضا، فهل يرتاح العقل الى المذهب الاخير وهو ان المادة لاشي، غير قوة متحركة حركة سرية جدا ؟

نحن لا ندرك القوة الا على صورة حركة في جسم مادي، أما القوة المجردة عن المادة فلا ندركها، وليس لدينا من دليل على وجودها مستقلة في الخارج . فكيف يسوغ لنا اسناد المادة الي مجهول، واعتبار هذا الاسناد علما أرقى مما كان لنا من قبل ؟

يقول معترض : لا تعرف بان المادة امكن احالتها الى اصاها وهو القوة ، وهذا الدكتور شبلي شميل الذي طالما دافع عن الجوهر الفرد وعن نظرية عدم تلاشي المادة اعترف به كما ورد ذلك في كتابه (فلسفة النشوء والارتقاء) صفحة ٣٤ وهو قوله :

« اتجه نظر العلماء الى هذه المسألة علي اسلوب اقرب الي العلم منه الي الفلسفة

في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن . وقد ذهب (غوستاف لوبون) في مؤلف له سماه نشوء المادة الى نفي ثبوت الجوهر الفرد ثبوتاً مطلقاً اذا اعتبره مخزناً لقوى هائلة أو هو متجمد قوى وانطلاقها تبديد ماديته . وذهب الى أن المادة بناء على ذلك تتلاشى خلافاً للمقرر في العلم من أن المادة لا تتلاشى ، والحقيقة أنها تتلاشى في (القوة) التي تتحول اليها . الى أن يقول :

«وسواء سمينا جهر الكون الاصيل أنيراً أو هبولى ، والقوة المتحولة عنه قوة أو حركة ، فالمعنى واحد وما هو الا اختلاف الفاظ فقط ، والمهم تحول هذا الجوهر وانحصاره في واحد هو (القوة أو الحركة) التي هما حقيقة ثابتة في العلم بخلاف الاثير أو الهبولى التي هي فرض لجلاء الكلام وتقريبه الى الفهم» انتهى

يقول المعارض فاذا كان القول باصالة القوة قد غلب حتي اخذ به غلاة الماديين فما روجه للشكك فيه ؟

نقول أن واجب الباحث عن الحقيقة المطلقة أن يشك في كل امر لا يقع تحت سلطان التجربة والمشاهدة ، فإن أخذ به فلا يجوز أن يعدو به قدره من الامور الظنية التي يتواضع عليها العلماء لتفسير الغوامض وتعليل الحوادث . فلو كانت القوة شيئاً يري ويمكن ضبطه مجرداً بدون حامل مادي ورأينا بالتجربة استحالة المادة الى قوة وهذه الى تلك كان قبول هذه النظرية امراً لا مناص منه . ولكن الواقع ان (القوة) كلمة تقال لاسلالة على آثار تتم في العالم المادى لا يمكن فهمها الا بها . فاذا اثار عاصفة قيل تحرك الهواء ، بقوة ، واذا سقط حجر على الارض قيل انجذب اليها بقوة ، ولكن ماهى القوة مجردة عن هوا ، وحجر ؟ لا ندري ولا أحد في العالم يدري .

فكلمة (القوة) التي جعلها العلماء المعاصرون لنا مبدأ ومعاداً لجميع الكائنات المحسوسة لا تساوى أكثر من كلمة «الجوهر الفرد» ، وستحول تلك ماخوات هذه من السلطان المطاق ، ثم يعتبرها السقوط الى الخضم فتخلفها كلمة أخرى أصح منها لمسيرة العلم في الدرجة التي يكون عليها اذ ذلك ، ثم لا نكون تلك هي الكلمة النهائية . لانه لا يندك الانسان ينتقل من مدرجات ومهبطجات حتي يبلغ الغاية بما اعد الجوه

من العلم . ولا ندري ان كان يتم له هذا العلم المطلق في عالمه هذا بجواسمه القاصرة هذه
ام في عالم آخر حيث تنطلق روحه من القيود المادية

فيجب على طالب الحقيقة المطلقة ان يحترس من الكلمات الفارغة وان سائرت
أهواءه الزاهنة، فرب انخداع بنظرة لا أساس لها يقف بصاحبه عشرات السنين في
دائرة محدودة من الخيال ويقف بأعم برمتها عشرات القرون في حالة محدودة من
الضلال . فأصولنا في الوصول الى الحقيقة المطلقة هو أسلوب العلم الطبيعي العصري ،
أى المشاهدة والتجربة، فما لا يقع تحت سلطانها من النظريات قليس من العلم في شئ ،
ولا يجوز ان يعتمد به مهما حل من مشكلات العلوم وموصات الامور . فقد كان الطبيعيون
الى ما قبل مئة وخسين عاما يفكون جميع المعميات الوجودية بالعناصر الاربعة الماء
والهواء والتراب والنار، وقد اتضح اليوم بالتجربة انها هـ كبة . وكانوا يحلون بالجوهر
الفرد الذى لا يقبل الانقسام ولا التلاشى كل المعضلات الطبيعية، وقد ثبت بالعلم انه
قابل للانحلال والفتنا . فلا يصح والحالة هذه ان يعول الباحث عن الحق الصراح
الاعلى ما يحس به . وتمكنه تجربته بوسائله الذاتية . وعلى هذا الاصل العلمى الصارم
اسسنا مذهبنا الايماني الذى سنفضى به الى القراء . فأحسن موقف نفقه أمام مسألة
المادة هي ان نعترف بأن اصلها مجهول، وان كل ما يقال فيه لا يخرج عن دائرة الظنون
والآراء . فلننقل بعد ان استوفينا الكلام فى المادة الى النظر فيما يسمى بالنواميس
الطبيعية انرى ماهية،

..

(النواميس الطبيعية)

لناس مذهبان في حدوث الحوادث احدهما . واداء ان في العالم ارادة حرة مطلقة
تعمل فيه علي مقتضى علمها وحكمتها، وتربيته تهذيبه الى غاية بعيدة قدرتها له . هـ اننا

مذهب جمع الدينيين . وثانيهما ينفي هذه الارادة الحرة المطلقة ويقرر ان السكون مقود بنواميس ثابتة لا تتحول . وهذا رأى العلم الطبيعي والفلسفة .

أفاض أصحاب الكلام في هذا الموضوع كثيراً فقال بعضهم ان النواميس لانفي الارادة الحرة للخالق، اذ يقال ان تلك الارادة شابت أن يكون الوجود قائماً على هذه الحال فبرأ وسطاً عليه هذه النواميس الثابتة . وقال غيرهم ان ارادة الله الحرة المطلقة العاملة في العالم لا تنافي أن يقوم الوجود على نظام ثابت بقوى ثابتة لان الله منزلة عن الهوى والتردد والعبث ولا تصدر عنه الا الامور الثابتة الكاملة فما ترونه من ثبوت القوى الطبيعية هو مظهر الارادة الالهية الثابتة .

ماهي النواميس الطبيعية ؟ هي القواعد الثابتة التي تخضع لها جميع الكائنات والتي من مقتضاها ان الحوادث المتشابهة تحصل دائماً في احوال متشابهة .

ادراكنا للنواميس أمر ذاتي وتجريدي وواقعي معا فهو ذاتي لانه عقل محض . وتجريدي لانه حاصل بمجموع حوادث عامة كثيرة . وواقعي لان حقيقة لا يمكن النزاع فيها كما لا يمكن النزاع في تلك الحوادث ذاتها .

في العالم ظواهر وخواص ينتج من تألفها جميع ما هو كائن من الحوادث الطبيعية . هذه الظواهر ليست بشيء سوى تلك الخواص في حالة تأثير على مخنا لتحديد فيه الصور المحسوسة . وقد عرف أن في تعاقب وتجمع تلك الخواص المختلفة التي تولد الحوادث نظاماً متتراً . هذا النظام نفسه هو الناموس الطبيعي . وقد اعتبرت النواميس عامة لانها هي في جميع الاحوال وجميع الامكنة . وأبدية لانها لا تتغير بتأثير أى مؤثر في أى زمن من الازمان .

هذا هو رأى العلم والفلسفة منذ دهر طويل، الا ان هذا المذهب أخذ في القرون الثلاثة الاخيرة من الازدهار مكاناً اوسع مما كان له، وشاع حتي وصل الى من لاحظ لهم من فهمه

أما طالب الحقيقة فلا يهمل إلا أن يدرك الواقع كما هو سواء تحقق هذا الرأي في النواميس أم لم يتحقق، فمما يجب أن يعرف في هذا المقام أن توالي انخداع العقل بالمقررات الرسمية، ولبثه فيها قروناً طويلة، ثم تبينه وهنّها وخروجه منها إلى سواها، قد أثر في رجال في أواخر القرن التاسع عشر وفي العشرين تأثيراً صالحاً حتى أصبح الواحد منهم أخوف ما يخاف منه أن يقف عند رأى لم تحققه التجربة، ولم تؤيده المشاهدة، علماً أن ذلك الوقوف يصده عن الوصول إلى الحقيقة التي هي غرضه من البحث، حتى أنه مما يدهش له القارئ، غاية الدهش، أن يهب رجال من أرفع طبقات المفكرين فيثبت النواميس ويقولون بإمكان تخلفها واتباعها في سيرها تدبير مدبر. لو كان القائلون بهذا الرأي من الطراز الوسط لما عبأنا بأرائهم ولا كتبهم من رتبة وضعة النواميس أنفسهم. منهم العلامة «اميل بوترو» العضو بالمجمع العلمي الفرنسي فقد نشر كتاباً في هذا الموضوع أعماه «امكان النواميس الطبيعية» (١) جاء في طبعته الثامنة المصادرة في سنة ١٩١٥ ما يأتي :

«من الخطأ اذن أن نقول أن النواميس هي التي تدبر الحوادث الطبيعية، فهي لم تكن قبل الأشياء، ولكن الأشياء هي التي اقتضتها، فهي لا تدل على غير العلاقات المشتقة من طبيعتها الموجودة قبل وجود تلك النواميس»

ثم قال : «فالعالم يربنا في كل مسكن بجانب الدوام والثبوت، وهي الحالة التي تنفي كل شك في ثبات النواميس، تعيراً وارتقاءً وانحطاطاً، وهو يقتضي القول بإمكانها وليس هذا في النواميس التفصيلية ولكن في النواميس الجلية التي تجمع تلك النواميس التفصيلية»

ثم قال : «ولكن أكان هذا النظام العالي (يريد نظام العالم) مما يمكن أن يوجد

(١) المراد بإمكان النواميس أنها من قبيل الأمور الممكنة لا الأمور الواجبة :

إذا كان الوجوب المطاق هو الناموس السائد في الكون وكان الاصل الذي مؤداه لا يتلاشى شيء ولا يتجدد شيء. ساريا بدقة على الكائنات؟ أكانت توجد في العالم قيم متفاوتة أي صفات ومزايا بعضها ارجح من بعض؟ أكان يوجد نزق وتكمل بين ثمرات قوة واجبة واحدة؟..

ثم قال «الانسان في علاقاته مع العالم لم يك بمنفرد ساذج ليس عليه الا أن يمنع بالاشياء كما تحدث بمقتضى القوة الواجبة، ولكنه يستطيع أن يعمل ويطلب مع المادة بطابعه الخاص، ويستخدم نوااميس ليحدث أعمالا ارقى من أعمالها. فسموه عـبـلي الكائنات ليس بالقول المجازي أو الوهمي المنولد عن الجبل، وليس هو بالشعور العظيم بقيمة عالية وهمية. فان سموه هذا يدل عليه سلطانه العقلي على غيره من الكائنات، وقدرته على إحالتها على درجات متفاوتة الى ما يوافق أفكاره.

وقال أيضاً «ان وجود الانسان وهو كائن شاعر بداته لا يمكن تفسيره بمحض فعل النوااميس الطبيعية والفزيولوجية. فان وجوده وأعماله تقتضى من الطبيعة أحداث تغييرات لا تستطيع أحداثها انتهي

هذه نظرات لم يصل الى العلم بها بعد الا للذين نصبوا أنفسهم لتتبع حركات العقل الانساني في عهده الاخير، مهد خروجه من دور الانخداع العلمي الذي جمده فيه نحواً من ثلاثة قرون متوالية، كما بينا ذلك. أما جمهور الناس ممن يكتفون من العلم الطبيعي بما قرأوا من بداآت ولم يتبعوا حركات العقل الانساني حيال المجاهيل الوجودية، يعدون مثل هذا الكلام من البدع التي لا تغتفر اكتاب كائنا من كان، لانهم ألفوا أن يسموها ان النوااميس الطبيعية موجودة من أزل الازل، وانها مدفوعة الى افعالها المنقنة ومرامها المحكمة بمحض طبيعتها، متعافلين عما يرد على هذه المدرجات من الاشكالات التي لا تقف عند حد. فاذا حاول اليوم وضعة تلك النوااميس نقض ما ابرموه بالامس ثار عليهم من لم يبلغوا أن يكونوا تلاميذ تلاميذهم فرمواهم بالعبادة والابتنوح الى الوسوس الدينية.

أما نحن حيال هذا الأمر الجليل فلا يسعنا الاتوفية هذا المقام حقه بنقل آراء عدة من أقطاب العلم في هذا الموضوع لثبت أن هذه النزعة ليست فردية اقتضاها عقل نزوع الى المخالفة، ولكنها ثمرة نظرات صادقة ونتيجة حركة من العقل للخلاص من ربكة الكلمات المارغة التي اقتضتها ثورة عقلية في عهد سابق،

ليس غرضي من هذا أن أمان بأن رأيي في النواميس الطبيعية هو رأي العلامة (اميل بوترو)، ورأي العلماء الذين سأذكرهم، فليس هذا موطنه، ولكن غرضي أن أصور للقارئ أن العقل المصري بعد ما كل من حمل أصار الالفاظ الفارغة، والعبارات الخلابه، تحت امم مقررات علمية قرونا متواليه، آب اليوم يناقش كل تلك المقررات الحساب ليميز حقها من باطلها، وهي نزعة يجب أن تقابل منه بالاجلال، لان الاستئناس الى النظريات مهمه كانت عريقة في القدم، وحاصله من الخلابه على مظهر وافر، فليست مما يليق بشرف العقل، ولا يتفق والغرام بأدراك الحقيقة المطلقة

..

(النواميس الطبيعية أيضا)

ليس الخروج على ما تقر من أمهات المدركات العلمية، الخاصة بالعمل الاولى، فردية، بل هي ثورة فكرية عامة يريد العقل الانساني بها أن يرفع عن عائقه نبراً ثقيلاً من الفاظ فارغة اعتبرت عقائد راسخة وانتظر منها حقا بطويلة أن تؤدي الى كشف مسابير الوجود، ثم تبين انها حجب كثيفة تحجب وراءها الحقيقة المطلقة في لآلها وجلالها.

فقد رأينا أن النواميس الطبيعية التي كان يذهب العقل العلمي الى وجوب وجودها من أزال الازال، وبقيائها أهدأ الأباد، أصبحت موضع الشك لاني وجوبها فقط بل في

وجودها ايضا . فقال الفيلسوف (ادوار لوروا) كما نقله عنه العلامة الرياضي الكبير هنري بوانكاريه في كتابه (قيمة العلم) صفحة ٢٣٤

« العلم لم يتألف الا من تواضع العلماء علي أصوله، وهو لـكونه علي هذه الحالة يظهر لنا بظهوره من الثبوت ، فالحوادث الطبيعية بل النواميس ليست الامن مخترعات العلماء أنفسهم، فالعلم لا يستطيع وحالته هذه، أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل »

كلام صريح في ان النواميس مخترعات عقلية، فرضت لفهم الحوادث الطبيعية، وليس الاستاذ ادوار لوروا هو صاحب مذهب فاسي خاص بأقل اطلاعا على الحوادث الوجودية من أي مبشر من مبشري المادية في الشرق .

وقال العلامة (ولیم کروکس) السكياوي العضو بالجمعية العلمية الانجليزية، وهو واحد من الافراد يعدون على الاصابع في خطبة له ، كما ورد في مجموعة خطبه صفحة ٣٦ :

« ان ما نسميه ناموسا طبيعيا هو في حقيقته وجه من وجوه الاتجاه الذي يعمل على موجبه شكل من أشكال القوة . ونحن نستطيع ان نعالل الحركات الذرية كما نعالل حركات الاجرام السماوية، ونستطيع ان نستكشف جميع القوانين الطبيعية للحركة، ولـسكننا مع هذا لانكون أقرب مما كنا عليه الى حل هذه المسألة وهي : أي ضرب من ضروب الارادة والفكر كائن خلف هذه الحركات الذرية، بمجر اياها الى اتباع طريق مرسوم لها من قبل ؟ وما هي العلة العاملة التي تؤثر من وراء حجاب ؟ (وفي الاصل من وراء ستار المسرح) . وأي ازدواج من الارادة والفكر يقود الحركة الآلية المصرفة للذرات، خارجة عن النواميس الطبيعية بحيث يمحها علي تكوين هذا العالم المادي الذي نعيش فيه ؟ »

هذا قول واضح بأن الناموس الطبيعي في حقيقته وجه من وجوه اتجاه قوة تعمل في التكوين، لا أنه عامل مستقل يمكن أن يسمى باسم، وينحل صفات الالهية ، وان خلفه ارادة وفكرهما العاملان الحقيقيان في الواقع .

وقال الاستاذ المذكور في خطبة أخرى وهو يدل على انه لا يرى في النواميس الطبيعية المروفة لنا الا قوى تابعة لقوى أرقى منها كما ورد في صفحة ٨ من مجموعة خطبه :

« منى امتحننا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية، نبدأ بأدراك الى أى حد تنحصر هذه النتائج، أو كما نسميها النواميس في دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها أقل علم، اما انا فان عدم اعماذى على رأس مالى العلمى قد باغ حدا بعيداً جداً، فقد تقبض هذا التوسيع العنكبوتى للعلم، كما عبر عنه بعض المؤلفين، حتى لم يبق منه الا كرية حقيرة تكاد لا ندرى » .

انظر الى اى حد يضل اعتراف العلماء في هذا العهد من النبل من الفرور العلمى بهمهم وقصر نظرم حيال مسألة النواميس التي يظنها خفاف الاحلام عن قشوا بعض القشور العلمية، وجدوا عليهم، من الاوليات العلمية، حالين بها كل مسألة تعترض عقولهم من مسائل الوجود، فان عزت عليهم معضلة اخترعوا لها ناموساً جديداً بنجيا لهم ثم دائروا له واعتبروه من الحقائق الاولى .

وقد عقد الاستاذ الاشهر (هنرى بوانكاريه) العضو بالجمعية العلمى الفرنسى فصلاً طويلاً عن النواميس في كتابه (قبعة العلم) تقتطف منه ما يسدل على رأيه فيها . قال في صفحة ٢٧١ :

« اذا نظرنا في ناموس خاص أيا كان قانا نستطيع أن نتأكد من انه لا يمكن أن يكون الا تقريبياً . ذلك لانه يستنتج منه نتيجة تجريبية، وهذه النتيجة لم تكن ولا يمكن أن تكون الا تقريبية » .

وقال في صفحة ٢٧٢

« كثيراً ما يقال من ذا الذى يدري ما اذا كانت النواميس لا تتطور، وما اذا لم تكن في العهد الفصحى على ماهي عليه اليوم ؟ »

ثم ذكر أن محاولة الاجابة على هذه المسئلة ليست في قدرة العلم وقال « ان هذا الامر يتعاضى على كل ضرب من ضروب المراقبة بحيث أنه اذا كانت نوااميس الطبيعة ليست اليوم على ما كانت عليه في العهد الفهمي فاننا لانستطيع التحقق من ذلك ، لاننا لانعلم شيئاً عن ذلك العهد الا ما نستنتجه استنتاجاً من (افتراضنا) دوام النوااميس الطبيعية » .

كلام يدل على أن النوااميس الطبيعية محل شك ولا يمكن البت في امرها بحسب فاصل ، فاقول بشيئها في مرتبة القول بتطورها وتحولها .
وقال الاستاذ الدكتور (ج جيليه) المدرس بجامعة السوربون بباريز في صفحة ٧١ من كتابه (من اللاشاعر بذاته الى الشاعرها) في الطبعة الثالثة المطبوعة سنة ١٩٢٠

« النوااميس التي تقود العالم المادى ليست حاصلة على ما كان يظنه الناس لها من الصرامة التامة المطلقة ، ولكن قيمتها نسبية ليس الا . وعليه فيمكن أن لا توجد لاجل محدود ، وأن تتغير بعارض من العوارض ، وأن يبطل صحتها أيضاً »

هذه طائفة من آراء بعض كبار اقطاب العلم في النوااميس وهي آراء غريبة في هذه البلاد ، ومنكرة في نظر الذين لم يدفخوا الى مضائق العلم وتعودوا ان يقولوا ثمة حتمية بكل ما لقنوه في طفولتهم ، وليس لهم من المقدرة العالمية على النظر لانفسهم ، ولا يخلوا الامر من رجوع بعضهم الى المؤامسات الموضوعة في (القرن التاسع عشر) حيث كان الغرور العلمي بالغا اقصى حالاته ، فيجدون كلاماً مناقضاً لهذا الكلام ، وينسون أو ينساقون اننا انما ننقل عن اراكين العلم في عهدهم الجديد ، عهد تخلص العقل الانساني من الغرور العالمي الذي ران عليه قرون متوالية .

أما نحن وقد آثمنا الكلام على المادة الجامدة وما يتعلق بها فننقل الى الكلام على عالم الحياة وهو المجال الذي لقيت فيه الفلسفة المادية حثتها في العهد الاخير .
اللاهـم الا في نظائر الذين يعيشون باجسادهم في القرن العشرين . ويعتولهم في القرون الخالصة

﴿ ماهي الحياة ؟ ﴾

في الكائنات الارضية اجسام تتحرك وتغذى وتتوالد، وأجسام لا يطرأ عليها شيء من هذه الاحوال ، فاصطاح علي تسمية الاولى حية والثانية جامدة . فاهي هذه الحياة ؟ اهي أصل قائم بذاته تحول بالمادة الجامدة فتحييها، ثم تنفصل عنها بالموت وتذهب الي حيث أنت ، أم هي حالة نطراً علي بعض المركبات تقتضيها النواميس الطبيعية عند ما تكون تلك الاجسام قائمة علي تركيب خاص ، فيكون لاشيء في السكون غير المادة وقواها الملازمة لها علي مايقوله الماديون ؟ اختلف الفلاسفة والعلماء في هذا منذ القدم الى اليوم، ونحن نورد للقارى موجزاً من مذاهبهم في ذلك.

وجوه الاختلاف كلها بين العلماء تنحصر في ثلاثة مذاهب : (أولا) المذهب الاكبي أي الطبيعي الكيماوي، و (ثانيها) المذهب الحيوي، و (ثالثها) المذهب الروحاني .

فأما الاول فؤداه ان الظواهر الحيوية يمكن تفسيرها بنفس القوى الآلية الكيماوية الطبيعية العاملة في المادة الجامدة .

وأما الثاني فؤداه ان الظواهر الحيوية لا يمكن تعميلها الا بالفراض وجود قوى متميزة عن القوى الآلية، ولاستحيل اليها تسمى بالحياة .
وأما الثالث ففحواه ان تلك الظواهر لا يمكن ان نحصل الا بوجود روح عامة حالة بالطبيعة كلها، تسوق كل كائن فيه الي غايته وتربيته علي مقتضى الدستور الذي سفته له .

فالفلاسفة اليونيون من الاغارقة الاقدمين كانوا من المذهب الروحاني أي انهم كانوا يرون ان السكون كله مقود بروح عامة تخلق وتربي كل كائناته على السواء . فلما جاء ارسطو عارض هذه النظرية، وزعم ان الحياة وان كانت أصلاً

قاماً بنفسه الا انها ليست متوحدة بل متكررة وعلى درجات شتى في الاحياء .
ولما نبغ ابيقور عزز مذهب ديمو كريت في الجواهر الفردة ، وأتبعه بجم غفير
من الاطباء اليونانيين والرومانيين . فكانوا يعللون جميع الظواهر الحيوية بقوي الجواهر
الفردة .

فلما ظهر الرواقيون وهم اتباع الفيلسوف ذينون جمعوا بين مذهب اليونانيين
الروحاني ومذهب ارسطو الحيوي فقالوا بوجود روح كلية مدبرة لكل وأرواح
جزئية مدبرة للاجزاء ، ولم يشذ فلاسفة الاسكندرية عن مذهب ذينون الا في
امور ثانوية .

بقيت هذه الآراء الفلسفية على ما ذكرنا حتى حدثت النهضة العلمية في أوروبا
في القرن الخامس عشر ، وترقي علم التشريح وزاد علم الناس بأنواع الحيوانات والنباتات
على اثر الاستكشافات الجغرافية ، فطراً تغير في الآراء القديمة ، فقام العالم (باراسلز)
يدافع عن المذهب الحيوي واخذ (فان هلمونت) يقرر بأن كل عضو من الجسم الحي
له حياة خاصة به .

فلما نبغ الفيلسوف (ديكارت) في القرن السابع عشر رفض جميع الآراء السابقة
وذهب الى ان جميع ظواهر الحياة تستحيل كلها بالتحليل الى حركات وتعلل بالنواميس
الآلية . ولكن هذا المذهب ظهر لباحثين بأنهم السذاجة بحيث لا يفسر جميع الحوادث ،
وانفق في هذا العهد ان ترقى المباحث الكيماوية ، فأخذ كثير من العلماء يعللون الحياة لا
بالقوى الآلية بل النواميس الكيماوية .

فلما جاء السلامة (نيون) نبي على ديكارت قصور مذهبه عن تعليل جميع
حوادث الحياة ، وقررانه بحسب القول بوجود قوي خاصة وسوائل بين الكواكب في
الاجزاء الخالية من الفضاء تؤثر من بعد ، ولا يمكن نسبتها الى القوى
الطبيعية .

فلما نشأ (ستاهل) في القرن الثامن عشر ذهب الى ان المذاهب الآلية المتقدمة

لاتعمال الصفات الخاصة للحياة، وأعاد المذهب الروحاني الى الفاسفة . ولكن مذهبه لم يمش الا سنين معدودة . فتلاه مذهب جامعة مونبلييه تحت زعامة العالم (بورديو) و (جريو) و (بارنز) وهو المذهب الحيوى بعينه . فأحدث العالمان (يشا) و (كوفيه) تهديبا فيه بقي سائد الى النصف الاول من القرن التاسع عشر

وفي سنة ١٨٣٣ نبغ (جان مولر) مؤسس الفزيولوجيا الالمانية، فأعطى للمذهب الحيوى شأنًا عظيمًا وعال به جميع الاختلافات البيولوجية

الا انه في آخر القرن الثامن عشر كانت استكشافات العالم (لافوازييه) في الكيمياء، ومباحثه في التنفس ذات تأثير كبير على هذه المسألة. وجاء ثبوت تألف الاجساد الحيوانية من الاوكسيجين والكربون والايديروجين والازوت، مضافا الى ما عرف من قانون حفظ القوة، كدليل حسي في نظر الماديين للنظرية الآلية، اذ زعموا استناداً على هذه المعلومات أن الحياة لا تؤتي الاجسام التي تحمل بها شيئاً جديداً، وأن هذه الاجسام هي عبارة عن آلات مولدة للحرارة فتتحول فيها الى حركة. وجاءت تجارب (برتلو) في المواد العضوية فبحث الفرق بين السكيميا المعدنية والكيمياء العضوية، فاستطاع الماديون اعتماداً على هذه التجارب أن يهاهروا بان الاجساد الحية مركبة من نفس العناصر التي تتركب منها الكائنات الجامدة، وأن هذه البسائط تتحول في الاولي بتأثير القوى الطبيعية وتخضع لذات النواميس الكيماوية التي تخضع لها الثانية .

هذه الاستكشافات عينا هي التي سمحت لطائفة من اعلام الفزيولوجيا أمثال كلود برنار في فرنسا وبروك وهاملتزلودويج في المانيا بان يعانراغلبة المذهب الآلي في أمر الحياة . فقال كلود برنار: ان عالم الفزيولوجيا تسود فيه نفس الدقة الآلية السائدة في الطبيعة والكيمياء . فشكل ظاهرة فيه شروط ثابتة محددة تقضيها، يمكن الوقوف عليها من طريق التجربة والمقارنة . فلا يجوز الكلام والحالة هذه عن وجود قوة تسمى بالحياة غير معدودة ومتغيرة بل نواميس ثابتة غير قابلة للتغير ليست بنواميس

غائية بل سببية .

الا أن كلود برنار قائل هذا الكلام كان يرى أن حدوث اشخاص الاحياء في اختلافاتها وتوابعها التي لا تقف عند حد لا يمكن أن يعال بغير فرض وجود عقل مدير اوجدها على هذه الصور بارادته . فأكمل بهذا الرأي الاخير ما ناقشه في الرأي الاول .

الركن الاقوي اليوم للرأي الآتي هو مذهب الاستاذ (لودانتك) الذي كان مدرسا لبيولوجيا (علم الحياة) بجامعة السوربون بباريز فان الماديين يزعمون أنه دعم المذهب الآتي على اصول علمية وعال حدوث الحياة بالنواميس الكيماوية الطبيعية على أم واكل الوجوه . ونحن لامناص لنا من اعطاء مذهب هذا غائية خاصة ، ولذلك فسنخذه بجهز يناسب شهرته في الفصل التالي قبل أن نخوض في عباب هذا البحث الجليل ونغفل في مناحيه ، حتى يكون لما نأتي عليه من أقوال العلماء المثبتين للحياة ولادلتهم ونماذجهم نفس القيمة التي لها في نظر كل باحث مستقل لا تهمه الا الحقيقة المطلقة .

..

(مذهب الاستاذ «لودانتك» في الحياة)

الاستاذ لودانتك توفي منذ بضع سنين وكان مدرسا لالبيولوجيا في جامعة السوربون رنسا وهو عمدة الماديين اليوم قال :

يذهب هذا البيولوجي أن كل خلية حياة اولية هي أصل الحياة العامة للجسد كله . فلاجل معرفة سر الحياة في ذاتها يجب أن تدرس حياة الخلية نفسها . فبالنأمل في الخلية نجد انها لا تفرق عن المادة الجامدة الا بخصوصية التشيل ، أى باحالة المواد الجامدة الي مادة مماثلة لمادتها . والمشاهد انه لو صار جسم جامد محلا لتفاعل كيمائي فانه

(١٠ - علي الملل المذهب المادي)

ينقص وينتهي أمره بالتلاشي . ولكن اذا صار جسم حى موضعاً لذلك التفاعل في بيئة صالحة له فانه يحفظ تركيبه ويزداد نمواً . هذا هو المعنى المراد من التمثيل . وتحديد ضروري لفهم أصل الحياة . واذا بلغ جسم حى مكرن من خلية واحدة حداً معيناً فانه ينقسم الي خليتين فتتولد كلاًهما حتي اذا وصلت الى حد معين انقسمتا أيضاً واهل جرا . وهذا هو التوالد وهو الميزة الثانية للاجسام الحية . وأما الموت فهو انهدام المادة الحية أى استحداثها الي مادة غير آلية فتصبح غير صالحة للتمثيل . قال « لودانتك » : « فيظهر من هنا ان الاستحداثات التي تحصل للخلية تأتيها من فواعل خارجة عنها طبيعية وكياوية تابعة للبيئة لاذاتية في الخلية » .

وقال : « أما حياة الاجسام المكونة من خلايا كثيرة من اول الكائنات الحقةرة الى الانسان نفسه فهي لاشئ غير مجموع حياة خلاياه الجسمية كلها » .

هذا مذهب « لودانتك » وهو معتمد الماديين اليوم، ولكن هذا العالم علي عراقة في البيولوجيا فليس يعيد هذا العلم ولا بصاحب الكلمة العليا فيه . فهو ليس في درجة توما هكلى ولا أرنت هيكلى ولا دارون ولا رسل واليس وغيرهم من الاقطاب الذين لا يحصون كثرة، فجميعهم أثبتوا وجود الحياة وقرروا بأنها ارفع مستوى من النواميس الطبيعية الكياوية، ولا بد لنا من ايراد طائفة من اقوالهم :

فأما « دارون » فقد قال ان الانواع مشتقة كلها من اصل واحد او اصول معدودة نفخ فيها الخالق روح الحياة، فهو يعتمد بأنها استمدت الحياة من خالق أو جدها ، ثم أخذت في التنوع علي مقتضى نظريته بالانتخاب الطبيعي .

وقال العلامة المشهور « رسل ولاس » نديد دارون في كتابه عالم الحياة المطبوع سنة

١٩١٤ صفحة ٤ :

« ان الظواهر القائمة بالكائنات الحية هي من العجب ، وخصائصها من التفوق علي جميع الصور المادية الخاضعة للناميس الآلية طبيعية وكياوية ، بحيث انه من العبث

المحض أن يحاول البيولوجيون الوقوف على سر مظاهرها المعجبة وتحديد ماهية (الحياة) بوضوح تام وبعبارة علمية .

وقال الأستاذ (كيرنر) الألماني في كتابه الخافل (الناربخ الطبيعي للنباتات) :
« الظواهر المشاهدة في البروتوبلازما الحية في أثناء نموها وأخذها شكلها النهائي لا يمكن أن تعال في مجموعها بوجود تركيب خاص للبروتوبلازما لكل نوع من أنواع النباتات ،

ثم قال : « لذلك لا أتردد أصلاً في تسمية هذا التأثير الطبيعي قوة حيوية لا يجوز الخلط بينها وبين أية قوة أخرى ، وأن آلة هذه القوة البروتوبلازما وأن نتائجها الخاصة تعتبر بيننا مؤلفه لما يسمى بالحياة » .

وقال الأستاذ الأشهر (ارنست هيكل) الألماني كاروا عنه العلامة روسل ولاس في كتابه عالم الحياة :

« ان كل خلية لها روح تدبرها ولكنها لا تنشر بوجودها »

وقال اكبر بيولوجي العصر الأستاذ (توماس هكسلي) في كتابه (المدخل على ترتيب الحيوانات) صفحة ١٠ عند كلامه على جماعات الحيوان المسمى (اميب) قال :

« في كل المملكة الحيوانية لا يوجد مجموع يفوق هذا المجموع في تأييد هذا المذهب القوي الذي أوما اليه جون هنتر اكثر من مرة وهو ان (الحياة) هي علة الاجسام لا انها نتيجة لها . لانه في هذه الصور الدنيئة للحياة الحيوانية (يريد جماعة الاميب) لا يصادفه الباحث مهما توسل بالآلات الدقيقة التي تملكها اليوم أى أثر لتركيب الجأني فيها . فان هذه الاحياء لا شكل لها وبجردة من الاعضاء . ومن الاجزاء المحدودة ، ومع ذلك فانها تملك الخصائص والمميزات الاصلية للحياة . حتى انها تستطيع ان تبني لنفسها قواقع ذات تركيب معقدة أحياناً وعلى غاية ما يمكن من الجمال » .

وقال الاستاذ الدكتور (ج. جولييه) في كتابه (من لاشاعر الى شاعر) في طبعته

الثالثة الصادرة في سنة ١٩٢٠:

« قال شوبنهاور : (كلما انحط الانسان في القرة العنانية قلت مسانير الوجود في نظره . فكل شيء عنده يحمل معه تفسيراً لكيفية وجوده وسبب حدوثه . فهذا جسمنا لاشيء أقرب إلينا من وظائفه ، وكذلك لاشيء أبسط منها في نظر الرجل العاوي . والواقع انه لا يوجد أصهى منها علي افهامنا . فالحياء لاتزال مرآاً مكنونا والحركة الحيوية ونشاط الوظائف العضوية الكبري ليست أقل منها تعاليا عن مدار كنا . هذا النشاط الذي لا يخضع للارادة الشاعرة لذواتنا ينشأ ويتم بدون شعور منا كما ينشأ ويتم في الفزيولوجيا السماء بفزيولوجية ما فوق الطبيعة .

« بل أن التركيب الجأني وكل ما يتعلق به من الميلاد والنما والتطور الجأني وما بعده ودوام الشخصية مدة الحياة والتجدد الذي يحدث لبعض الحيوانات في بعض اعضائها وفي بعض غدها ، كل هذه الامور اسرار لا تدرك اذا اخذنا بالقول المدرسي في مسألة الشخصية (يريد به القول بان شعور الانسان بشخصيته هو مجموع الشعورات الجزئية لكل خلية من خلاياه) .

ثم قال « فانه حاول أن يفهم تحت ضوء هذه النظرية قيام هذه الشخصية التشرحية الفزيولوجية ، واداءها لوظائفها . ولدع جانباً الى حين النظر اليها من الوجهة الفأفوية المحضة ، ومن الوجهة النفسية البسيطة . ولا نواجهن الا الوجود الطبيعي ، أى الشخصية الفزيولوجية باعتبار انها مجموع حياة الخلايا الجسدية . فمن أين حصل هذا المجموع من الخلايا المركبة لاي شخص من الاشخاص على صورته النوعية . وكيف نم له ذلك ؟ وكيف يحفظ شكله طول مدة حياته ؟ وكيف تتكون شخصيته الطبيعية وتحفظ وجودها ، وتعيد تكوين بعض ما دثر من اعضائها ؟

ثم قال « من أين كلي هذا ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ لنقل مرة أخرى هذه من هذه المسائير

الطبيعية . وقد وصفه (داستر) بقوله من لا يسبر له غور ما يحدث في أثناء نمو الخلية الجرثومية من جذبها الي نفسها المواد الخارجة عنها ووصولها بذلك الى اقامة هذا البناء المدهش وهو الجسم الحيواني أو الانساني أوجسد انسان ميمنه على سنة التدرج، ومع هذا كله حاول بعضهم ووجد لهذه المساتير تفسيراً، ولكنه من الضعف بحيث يوجب الحيرة .

هذه حيرة العلماء في امر الحياة فننظر في حيرتهم في مسألة تنوع الانواع وما اقتضته من المذاهب الغريبة

..

(حيرة العلماء في أصل الانواع)

النباتية والحيوانية

من ابن أنت هذه الصور الحية التي تعمر الارض والهواء والماء، ولا تدخل تحت حمير؟ كيف خلف بعضها بعضاً في مدى الزمان؟ وما هي العال الطبيعية التي اوجبت تكون هذه الصور المختلفة؟ وكيف نفسر وجود هذا التشابه الاسامي الذي يربط الكائنات الحية بعضها ببعض، وهذه الخلافات الكبيرة والصغيرة التي تفصلها الى عمالك وطوائف ورتب وفصائل واجناس؟ وما هو (النوع) في حقيقةه وهو الامر الذي لا بد من اعتباره في التاريخ الطبيعي؟ هل هو أصلي ام مشتق، اولى ام ناتج من تسلسل حوادث طبيعية؟ والانواع الشديدة النخالف فيما بينها انشأت مستقلة على جنسها ام بلجيمها ام أصل قديم مشترك نشأت عنه ثم اتخذت شيئاً فشيئاً بالاسباب الطبيعية؟ ان كان كذلك فلا بد من البحث عن هذا الاصل في بطن الارض الى اعماق بعيدة حتي نصل الى السطح الذي بدأت فيه حياة هذه الصور الحية.

هذه هي المسائل التي جاشت في صدر علماء التاريخ الطبيعي من زمان بعيد

فولدت المذاهب المختلفة في أصل الانواع الحية . ونحن لامناس لنا من تلخيص هذه المذاهب ليل القارى بتاريخ هذا البحث ولكن لاسيما اليه الامن لدن القرن الثامن عشر، اما ما هو فوق ذلك فكان أشبه باقاصيص العجائز وفيما نقلناه من تاريخ الفلسفة اليونانية نموذج منه.

ولا تجد مؤرخا لهذه المذاهب اكبر ولا اوثق من العلامة الفزيولوجي الكبير (دوكاتروفاج) الفرنسي فسنلخص ما اوردته في هذا الباب.

﴿ مذهب بيودومايه الفرنسي ﴾

بيودومايه من علماء القرن الثامن عشر وضع كتابا في سنة (١٧٤٨ و ١٨٥٦) أسماء (محادثة بين فيلسوف هندي ومرسل فرنسي على مسألة انحسار البحر) مردفيه آراءه في تركيب الكرة الارضية وفي أصل الكائنات الحية .

فكان يقول بوجود أعاصير تشبه أعاصير ديكارت. ويذهب الى ان الشمس وهي مراكز هذه الاعاصير تفتي تحت تأثير هذه التيارات الهوائية شيئا شيا. آخذة من كواكبها بطريق التبخير مقادير من المواد وخصوصا الماء. وهذه المواد تحتوى جراثيم الاحياء الموجودة على تلك الكواكب

فاذا بطل عمل شمس من الشموس وقفت اعاصيرها، وخذت نارها وصارت كنلة كثيفة فتلبث في الفراغ هي وما تحت سلطانها من الكواكب حتي تجذبها شمس أخرى في حالة حياة فتتجذب اليها . ولا بد قبل وصولها الى مكانها منها من أن تمر بتلك المناطق المتصاعدة بالتبخير من الكواكب فتعاق بكل منها طبقة من الماء فيها من عناصر الاحياء ما يكفي لمارتها . فتني أخذت هذه الكواكب محالها من الشمس الجديدة التقطت الجراثيم التي اجتذبتها في السماء . فانتشرت على سطحها بعد قليل أروع من النباتات والحيوانات يغيرها من حال الى حال.

هذه أصول الاحياء، لدي دوماييه وهو يقسمها الى قسمين أرضية ومائية، ويرى

ان الثانية أصل للاولى . فكل نوع بحري ولد النوع الارضي المقابل له توليدا مباشرا . ويرى ان كثيراً ما حدثت استحداث شخصية تشبه استعالة الدودة الي فراشة ؛ وعنده ان هذه الاستعالة تمكن بنقل بيض 'جمل ليقس في لجة مائية الي جهة هوائية . فاذا خرجت الصغار امكنها المعيشة في الهواء فتكون اصلا ارضيا جديدا .

وهذه الاستحداث في رأى دوماييه تمت تحت تأثير الضرورة التي أوجبتها البيئة والعادة معا .

وأول ما حدث منها كان بسبب انحسار الطبقة المائية التي كانت على الجبال من جراء مرور الارض من منطقة الابخرة المذكورة آنفا ، ثم مازالت المياه تنحدر من على سطح الارض وتلك الكائنات التي كانت فيها تستقر في العراء حتي وقفت المياه في الحد الذي نشاهده الآن .

ولكن كيف امكن الحيوانات المائية ان تعيش في الهواء بعد انحسار البحر عنها ؟

يقول دوماييه امكن ذلك بحكم الضرورة ، فان هذه الحيوانات التي لا يمحى لها عدد في بقعة ، اذا انحسر عنها الماء اضطرت وهاجت ومات معظمها ولكن لا يعقل ان تموت كلها بل لابد ان يكون بقي منها ولو زوجان اثنان وهما يكفيان لتوليد هذا النوع في العراء .

هذا هو اصل العالم الارضى وامثاله ، وتفسير تكون الصور الحية عليه وعليها .

ولكن فات العلامة دوماييه اصل تكون هذه الجراثيم على اول كرة ارضية . هذا هو الامر الذي حير العقول ، اما افتراض عجيها من كوكب آخر فلا يحل هذه المسائل ولكن يزيدا تعقيدا كما رأيت .

﴿ مذهب رونيـه روينيه الفرنسي ﴾

نشر العالم رونيـه روينيه مذهبـه في تكـون الخلقـة وقيامـها في كتابـه المسمي
(اعتبارات فلسفية للتدرج الطبيعي لصور الكائنات) او (مخارلات الطبيعة التي تتعلم
كيف تخلق الانسان) الصادر في سنة ١٨٦٨ .

يذهب العلامة روينيه الي ان الطبيعة مجموع واحد مستمر مؤلف من وجودات
منوعة غير تاركة محلا لثغرة ولا لفترة فيه . ولكن الطبيعة لا تعرف الطفرة فهي
متسلسلة في جميع مكوناتها علي سيرة التدرج حتي في اقصى ثمراتها . والوجود كله حتي
حتي أن المادة التي براها الناس جامدة هي في نظر روينيه حية ومؤلفة من جراثيم
تصلح لتوليد كل شيء . من جماد ونبات وحيوان . وتولد هذه الكائنات لايغوزا أكثر
من وضع المادة في احوال تصلح معها لتوليد . ومتي تمت جرثومة من هذه الجراثيم
ضمت الجراثيم المجاورة لها اليها ومتي انمحت خرجت منها تلك الجراثيم ودخلت في
الحالة التي كانت عليها قبل دخولها في تكوين ذلك الجسم الجديد . وهذه الجراثيم
صالحة لان تأخذ بناتها جميع الصور الممكنة . وعليه فلا توجد في الطبيعة غير مملكة
واحدة هما المملكة الحيوانية . فالارض والكواكب في رأيـه كائنات حية ولكننا
لا ندرك ذلك لضخمتها وتماثلها عن ابحاثنا . ففي هذا العالم الضخم الحي لا يمكن أن يتولد
الاآحاد . أما الانواع التي يصطدم فيها العلماء فهي وهم باطل لاحقيقة له نشأ من ضعف
أعضائنا . ذلك أننا نعجز عن ادراك الخلافات الصغيرة التي تفصل بين أشخاص
الكائنات الحية فتجسم الاشخاص التي نخالف غيرها في أمور مدركة لنا وتجهلها
نوعا . ونشأت كلمات الجنس والرتبة والمملكة التي تستعمل في التاريخ الطبيعي من
اليلة المذكورة آنفا . وماهي الا كلمات فارغة استوجبها قصورنا ليس الا . ودليلنا علي
ذلك خلاف العلماء الذين في تحديد عدد الانواع واستكشاف أشخاص حية كل يوم
نأتي فتسد فراغات بين الاحياء كانت تعتبر حيدودا فاصلة بين نوعين متجاورين

فكل هذه الصور وقتية والطبيعة في تجديد مستمر لا تكرر ما عملته أولاً. والترقي مستمر ايضا فيها. فالجداد يستحيل الي نبات والنبات الى حيوان والحيوان الى الانسان. ولا يصح في نظر روينيه أن يقف الترقي عند حد الانسان بل يجب أن تكون موجودة كما يقول: صور ألطف وقوى اعظم مما للانسان من ذلك. والقوى تستطيع أن تتخلص شيئاً فشيئاً من كل مظهر مادي لتكوين عالم آخر غير هذا العالم ، انتهى

فمعي الطبيعة في نظر روينيه هو تكوين هذا الانسان وليكنها لم تتوصل الى تكوينه الا بعد محاولات كثيرة، انتجت كائنات لا تدخل تحت حصر، فلا تعتبر الردم من نوع الاورانغ أوتانغ انه من تلك المحاولات الطبيعية لتحقيق غرضها النهائي وهو الانسان ، وليكن اعتبر منها أيضا الحصان، وشجرة البلوط والاحافير والجدات والدليل على ذلك انك قد تصادف أحجاراً منها ما يشبه القلب ومنها ما يشبه المنخ ومنها ما يشبه اليد والرجل. وكلها محاولات جزئية من الطبيعة جاءت بعد محاولات الجملية. وذكر روينيه ان الطبيعة بعد ان انجحت في توليد الانسان أخذت في ترقيته وضرب مثلاً بالفرق بين الانسان ذى الذنب ، وبين الايطالي واليوناني والعبر كسي ، ثم قال وليس هذا منتهي ترقيتها للانسان بل انها ساعية في امر اكبر من ذلك وهو محاولات الخفاف بين الذكر والانثى. وقد ظهرت محاولتها احداث هذا الامر بتكوينها الكائنات الخنثى أى التي لها أعضاء تناسل الجنسين معاً فلاشبهة في أنها ترمي بذلك الى محاولة توحيد الجنسين وسيتم ذلك على مدى الدهور .

هذا هو مذهب روينيه روينيه وهو من النقص بحيث لا يحتمل النقد. فاما ذهابه الى ان الوجود كله شيء واحد حي فهذا ما آلت اليه الفلسفة العلمية في هذا العصر، وليكن ذهابه في تحميل الطبيعة تبعه الابداع والابداع فيما لا يفهم . فهل هو يعتبر الطبيعة روحاً مدبرة للوجود تفكر وتعقل وتحاول الوصول الى غايات الخلق ام هو يعتبر بهذه الافاظ على اسلوب التوسم والتسامح ، أما هو في الواقع فلا يمتيزان في الوجود قوة اعلى منه تدبره أو تفكر له ، وإنما هو يصف أدوار الخليفة على ما تأدت اليه من

ذاتها لا يقصد قاصد ولا بتقدير مذهب .
يجوز أن يكون قصده هذا أو ذاك ولكنه على أي حاله لا يمتثل النقد ولا يستحق المناقشة .

مذهب لامارك الفرنسي

نشر هذا المذهب في سنتي (١٨٠٩ و ١٨١٥) كتابين أحدهما (الفلسفة الزولوجية) أي فلسفة علم الحيوانات والآخر (التاريخ الطبيعي للحيوانات اللاقوية) بسط فيها مذهبها في تكوين الأنواع فبدأ الكلام عنها بهذا السؤال . ماهي الأنواع ، تلك الطوائف الأولية في الممالك الثلاث (يعني النباتية والحيوانية) ؟ وهنا بسط حليلة المذهب وما يعانيه المؤرخ الطبيعي في تحديد الأنواع المتجاورة ، والحق في بيان كثرة الأنواع المشكوك فيها أي التي لا يمكن أن يبين حقيقة أنواعها وتغيراتها . ثم عاد من ذلك إلى لفت الإصباح للندرج الذي ترجم عنه الأنواع والأصول ، واستنتج من هذه المشاهدات أن الأنواع ليس لها ذلك الثبات الذي يعزى إليها عادة .

ثم عقد فصلا خاصا استشهد فيه على نظريته في عدم ثبات الأنواع بأشكاله لتغيرات كثيرة مذهبة تحدث بين حيواناتنا البيتية كاللجاجة والحمام . ثم شرع في تفسير ذلك على مقتضى مذهبه الذي تلخصه لقارئ في أسطر قليلة .

لامارك يفرق في مذهبه بين العالم والطبيعة ، فالعالم عنده هو المجهول ، والعاطل المجرد من القوة الذاتية وهو جملة الأجسام والمواد الموجودة . وأما الطبيعة فهي القوة العاملة المنزهة عن الفساد بطبيعتها التي لا تنقر عن التأثير في المواد طرفة عين ، ولكنها مجردة عن العقل ومحكومة بقوانين . وبعبارة أوضح مما مر نقول كان لامارك يسلم بوجود مادة جامدة وقوى مؤثرة عليها هي الأسباب الحقيقية لحدوث جميع الظواهر الطبيعية . من بين هذه القوى واحدة تسمى (الحياة) ولكنها عند لامارك ليست بقوة خاصة لكنها نتيجة خاصة ببعض المركبات ، وجودها وقتي فيها .

على أى أسلوب تسير الطبيعة في إيجاد الكائنات ؟

قال لامارك :

« لاجل ان توجد الطبيعة كائناتها المباشرة تعتمد الى تكوين مفسوج خلوى من الكتل الصغيرة للمادة الجيلاتينية (الهلامية) التى تجدها تحت يدها ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة في الاحوال الموافقة بالسوائل المناسبة وتجهيها بتجريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطف منها طبيعتها التهييج تأتيا على الاستمرار من البيئات المحيطة » .

فالطبيعة في رأى لامارك تولد بعض الكائنات توليدا مباشرا وهو ما يعبر عنه اليوم بالتولد الذاتي ، وهى تفعل ذلك فيما يختص بالحيوانات الدنيا كالتقاعيات . وقد تولد كائنات أرقى من ذلك على هذا الأسلوب أيضا . اليس مما يرجح هذا الرأى تولد الديدان فى الامعاء كما يقول ؟

هنا نقول ان عذر لامارك في هذه الجراءة ان الميكروبات لم تكن معروفة فى ذلك الحين ، ولو كانت لما استطاع إمام فى العلم مثل لامارك ان يقول مثل هذا الكلام الذى يضحك اصغر طلبة علم الطبيعة اليوم .

وهنا نلث نظر القراء لهذه الحقيقة وهى ان كل المذاهب الفلسفية التى تستهويه بأصولها وتعبيراتها كلها مبنية على الدرجة (المحدودة) التى انا من العلم بالكون . فكما اتسعت دائرة العلم توسعت الفلسفة بقدرها وحذفت أخطاءها السابقة . وبما انا لانزال من العلم فى الدرك الأسفل ، الهم الاعلاقات ضياعاها عن الكائنات موجودة بينهما ، ففلسفتنا مهما ظهرت لنا راقية مقنعة . فانها لا تمثل الحقيقة ولكنها تمثل درجتنا من العلم الناقص ليس الا . وستنتقل من ددر الى دور على مر القرون والله وحده يعلم الى اى مدى تنتهي فى هذه الآماد المتعاقبة . وكل ما نريد أن ننبه اليه القراء هو أن فلسفتنا التى نخفي أمامها رؤسنا اليوم سيضحك منها خافوا لنا كما يضحك

نحن من قول زعيم نظرية التولد الذاتي اكبر علما، وقتله لامارك بتولد الديدان في الامعاء، بفعل الطبيعة مباشرة

..

كيف تنوعت الانواع بفعل الطبيعة في رأي لامارك وهي غير عاقلة والحياة نفسها عرض من اعراض المادة ؟

الامر في نظره سهل ، قال :

من الجلي ان الطبيعة لم تستعلم أن توجد الحيوانات كلها دفعة واحدة، فان الطبيعة لا توجد شيأ الا تدريجيا ويبطء عظيم، حتى قد يدرك تقدمه الي الامام ، فالكائنات الدنيا من ساعه خروجها من يد الطبيعة مؤلفة من المواد المتنوعة تحت تأثير القوى المختلفة، وممتعة باول شرارة من الحياة أخذت في الترقى ولازال تترقى الى اليوم، وهي تلك الكائنات الدنيا التي ولدت كل ما نراه في المملكةين النباتية والحيوانية من الانواع التي لا تدخل تحت حصر كل طريق التسلسل ، فهي لم تنشأ طفرة كما يقول دوماييه ولكن بترق تدريجي في آمال لا يمكننا حسابها .

كيف حدث هذا الترقى في هذه الكائنات لاولية، وكيف ثم الندو في التراكيب والحياة علي ما نشاهده اليوم في النباتات والحيوانات العليا .

حدث كل ذلك ونم بنائير البيئة والاحوال وفعل المادة، فالطبيعة تتصرف في المادة وفي الزمان والمكان تصرف المالك ولكنها مقيدة بقوانين لاتعدها، أهمها أربعة :

(أولا) الحياة بقواها الذاتية تميل باستمرار الى زيادة حجم كل جسم تحمل فيه، ولما ابعاد اجزائه الي غاية محدودة . هذه الغاية هي الموت، وهو التابع الطبيعي للحياة :

(ثانيا) كل ما يحصله الجسم الحي من الصفات أو يتأثر به من التغيرات ينتقل

الى نسله ويظهر فيهم على ما كان عليه في آباءهم . وقد ابان لامارك في شرحه هذا القانون بأن جملة التغيرات في مدى القرون توجد بين الاحياء تنوعات لا تقف عند حد ،

(الثاني) الجسم الملى اذا احتاج الى عضو بتأثير أحوال البيئة تطلبه وانفعل للحصول عليه، وتحرك حركات خاصة تحت فعل الحاجة اليه، فيعود ذلك، والمادة في نظر لامارك هي الوسيلة العامة التي تستخدمها الطبيعة لتغيير أعضاء الحيوانات .
(رابعها) ان نمو الاعضاء وقدرتها على اداء وظائفها يكون دائماً بنسبة استعمال هذه الاعضاء .

ومؤدى هذا القانون ان استعمال عضو من الاعضاء يقويه وينميه وإهماله يضره وبلاشبهه ،

ومن هنا يتبين ان لامارك لم يزل فقط بالتربوي التدريجي ولكن بالنقهر التدريجي أيضا على حسب الاحوال .

وبتطبيق هذا القانون يسهل عليك في نظر لامارك ان تفهم كيف نشأت ذوات الثدي من الزواحف أمثال النمسيح وكيف انقسمت الى ثلاث طوائف أصلية .

ظهرت ذوات الثدي أولا حاصلة على أربعة أرجل غير نامية . بعضها ككلب البحر اعتاد التغذى بالحيوانات الحية . وهي لنشاطها في الصيد تجرأت على التوغل في الارض فنشأت ذوات الثدي الممتعة بالتحالب، وهي اصول الحيوانات الضواري او القراصة،

ومنهما طائفة تعودت التغذى بأوراق الاشجار فصارت أصولا للحيوانات المجترة .

وعند هذه وما تقدمها ضرورة الجولان في الارض لطالب الغذاء قوت عضلاتها وشدت رابطة أرجلها بمجذوعها ووسعت حوضها الخ

واليك أمثلة أخرى تبين لك ما يراه لامارك من الفواعل في تغيير اشكال الحيوانات

الظاهرية والباطنية منها : الحيوان المسمى (توب) يعيش في الجبال المظلمة وعدم حاجته الى البصر صار فاقدا للعينين او ذا عيين اثنتين . ولحاجته الى التقذي بصيد الفل اخذ لسانه الشكل المعروف المناسب لصيد ذلك الحيوان والحاجة الى القفز ببسط الاعضاء بشدة قوى عضلاته الانسية، واوجد اجنحة للخفافيش وما يشاكلها .

ولم يحمل الثعابين ذوات اجسام ملساء مستطيلة مجردة عن الاعضاء الا وجودها في اماكن قضت عليها بالزحف والمرو من مسارب ضيقة . والبط مثلا لم يوجده ذلك الغشاء بين اصابع رجليه الا لاضطراره الى السباحة .

والهرون الذي يكون بجوار البحار ما اكسبه هذه الارجل القوية الثابتة الا شعوره بضرورة الثبات واقفا مع شدة الفواعل القاضية عليه بالسقوط . اما عنقه الطويل ومنقاره المدد فقضت بهما عليه حاجته الى تناول الطعام خلعاً . والضرورة قضت ان تطول عنق الطرافة الى هذا الحد لانها اضطرت لتناول اغذيتها من اوراق الاشجار العالية .

لماذا حدثت لضواري غخاب ؟ يقول لامارك لانها اضطرت لتغذي بالحجم الحيوانات الحية . واعتادت دس اصابعها في اجساد فرائسها لتضعها . . . الافلات .

وقد كان تعليل لامارك للزائدة التي في رأس الجمل سببا اضحك كثير من جانب خصومه وسلاحا استخدموه ضد مذهبه .

قال في تعليل تلك الزائدة ان ذلك الحيوان الضعيف متى خرج من قوقعته واراد الانتقال احتاج لان يرود الارض التي امامه قبل ان ينقل اليها فسكان بشعر بضرورة مسها برأسه على نحو كثير من الحيوانات الدنيا فكان تنتشر قوة عصبية في الجهة التي يريد الدس بها من رأسه، ويصعد اليها دم غزير . ويتكرر ذلك على طول الزمان نمت هذه الجهة وما زالت تنمو حتي تكونت تلك الزائدة التي اصبح تمام

الصلاحيات لجس الارض امام ذلك الحيوان الضعيف .
فالجسم الحيواني ليس بمحض كتلة قابلة للتحويل في يد البيئة واسكنه يؤثر في
نفسه بقوة ارادته ايضاً .
هذا مذهب لامارك في جهلته ونحن نلخص أصوله الاولى فيما يلي ليسهل مقارنتها
بأصول خليفته دارون .

(١) التماثل المعتبرة في العلم الآن كالتوائف، والصقوف والانواع الخ ليست
طبيعية واسكن وضعية ، أى وضعها الباحثون فيها .
(٢) الانواع الحية لم تتكون الاشياء فشيأ . وجودها نسبي وقاؤها
محدود .

(٣) اختلاف الاحوال يؤثر في تكوين الحيوان باطنا وظاهراً .
(٤) الطبيعة في تكوينها الحيوانات بدأت من الأدنى فما فوقه حتي انتهت
الى الاعلى ،

(٥) لافرق بين النباتات والحيوانات الا في الجس .
(٦) الحياة عرض طبيعي وليست بأصل مستعمل .
(٧) العقل منشأ الاعصاب .
(٨) الارادة الانسانية غير حرة بل مقيدة بمقتضيات الجسم .

﴿ مذهب دارون ﴾

ظهر هذا المذهب في سنة (١٨٥٩) وضعه شارل دارون العالم الانجليزي وأطلع
عليه بعض اخوانه قبل هذا التاريخ . فاتفق ان العلامة الكبير الانجليزي (الفريدروسيل
ولاش) كان اذ ذاك يتقرب عن حياة بعض الحيوانات والنباتات وغيرها بأستراليا
فهدى الى ذات مذهب التحويل بتأثير ناموس الانتخاب الطبيعي ، وهو مذهب دارون
بعينه ، فأرسل بمخلاصته لتنتشر في مجلة الجمعية الملكية العلمية ، فرأي أعضاء تلك الجمعية

ان العدل يقضى بنشر المذهبين في وقت واحد فنقرر ان يعزى المذهب الى دارون دون رسل ولاس لاعتباره سابقا.

هذا المذهب مؤداه ان اصل الانواع انبثاقية والحيوانية التي تنص بها هذه الارض جرثومة واحدة أو جراثيم قليلة تطورت من حال الى حال تحت تأثير فواعل مختلفة طبيعية محضة حتي وصلت الي مآزاه من التنوعات التي علي رأسها الانسان . فهو لا يقول ان اصل الانسان القرد الموجود الآن ولكن حيوان بين القرد والانسان لم يعثر علي هيكله في الاحافير الآن . أما القرد فان دارون يعتبره نهاية ترقى لفرع من أفرع الشجرة الحيوانية.

وقد بني دارون مذهبه علي اصول طبيعية مشاهدة وهي :

(١) قبول الاحياء للتغير ، وازالة الحياة .

(٢) انتقال هذه التغيرات الي النسل من طريق الوراثة .

(٣) تنازع الاحياء البقاء .

(٤) بقاء الاقوى والاكمل من المتنازعين وضمور الاضعف وتلاشيهِ .

هذه العوامل هي التي تولدت اول جرثومة حية ، وما زالت بها حتي اوجدت منها هذا التنوع الخظير الذي علي رأسه الانسان .

لم يرد دارون أن يبحث في اصل الحياة ولا في كيفية وجود الجرثومة الاولى لهذه الاحياء واكتفى بأن يعزو ايجادها لخالق لصعوبة بحثها من طريق العقل والمشاهدة . فكان من هذه الوجهة أحكم من جميع من تقدموه وعقبوه ، فانهم خفوا تحت تأثير الافاضل الخلابه حتى خيل اليهم انهم أدركوا سر الخليقة ، وعابوا علي دارون تحفظه ونجرجه . ولكن لم يلبث سلطان هذا الانحراج أكثر من نصف قرن حتي تبين للباحثين وبين هذه الاصول فسادوا الي مذهب لامارك لا لانه يعتبر انه الخليقة ، ولكن لانه اقل مناقضة للمشاهدات . وقد استقر في روع العلماء ان هذين المذهبين وما مثلهما لا يجلان رمز الخليقة ، ولا يمالان قيام اصغر تركيب آلى في الطبيعة .

ونحن قبل ايراد آراء هؤلاء العلماء نبسط مذهب دارون علي ما يقرره هو .

بمثال محسوس

فاذا افترضنا وجود سرب من الابقار الوحشية في غابة تسير متحدة كمسارها في البحث عن غذائها فان لاح لها معنى نزاحت عليه وتنازعت وفازت بأطاييه أقواها واصبرها. فالذي يحدث من ادمانها على هذا العمل ان أقواها تزداد قوة على قوتها، وراضعتها يزداد ضعفا على ضعفه. وهذا معنى ناموس تنازع البقاء، وفوز الافوي.

فان ازعج هذا السرب من موطنه واضطر للانتقال الى مدى بعيد مارا بوعور ونوعوث ومجاهل لا يقوى على اختراقها الا المتنازون بالقوة والجلدة لم يبق من هذا السرب بعد أن يصل الى مأمنه الا افراد ممن امتازوا بهذه الصفات وهذا مودي ناموس الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح.

وهذه الطائفة الباقية لا يتولد منها الا افراد حاصلون على ارقى صفات مربيهم الممتاز. فان اتفق وجودها في بيئة جديدة فيها احوال معيشية لم تعتمد، وفواعل طبيعية لم تألفها حدث انتخاب طبيعي جديد ولم يبق على قيد الحياة الا الممتازة بصفات عليا من الجلد والصلابة، فاذا أدمنت الفئة الباقية المعيشة في هذه البيئة الجديدة اضطرت بحكم تغير الاحوال والفواعل الى اكتساب صفات جديدة جسدية ونفسية تناسب هذه الاحوال، والفواعل. وهذا فخرى ناموس قبول الاحياء لتغير على حسب البيئات التي توجد فيها ولا شك بأن النسل الذي يأتي منها يولد ااصلا على تلك الصفات الجديدة المكتسبة، ويورثها هو أيضا نسله، وهم جراء، فتصبح ثابتة في النوع، وهذا مغزى ناموس الوراثة.

فالخلية الاولى التي تكونت منها هذه الاحياء كلها تكاثرت أولا بحسب طبيعتها فصارت نباتات دنيثة، وحيوانات دنيثة، فتولدت النواميس الاربعة التي ذكرناها قرونا تغد بعشرات الالوف فليث تنازع البقاء، فلم يبق منها الا الاصلح، ثم تغير عليها البيئة فتكتسب صفات جديدة تورثها ذرياتها فيحدث فيها تنوع تباين به غيرها مما هي في بيئات اخرى، وهم جراء حتى تكون من هذه الجرثومة الاولى كل ما نراه ماثلا امامك من سكان هذه الارض.

﴿ الاعتراضات علي مذهب دارون ﴾

لم يعترض علي مذهب من المذاهب قدر ما اعترض علي مذهب دارون ، ولم ينشب مذهب في القول وبؤثر علي الاخلاق والميول مثل ما نشب واثرمذهب دارون. وهو مبني علي اصول تعتبر من المحربات اليومية لـكل انسان، وكل ما في اعمال الناس ومحاولاتهم ادلة حسية علي صحة تلك الاصول. لذلك انتشر هذا المذهب بين العاوانف حتي العامية، وراج في عقول اكثر العلماء. في أول الامر، ولكنهم لا يسلون برجحان نظرية حتي يعودوا اليها ليستنفدوا كل ما يسهه البحث والتنقيب ، فلما جروا علي عادتهم مع مذهب دارون تبين لاكثرهم وهن اصوله، وضعف ما بني عليها، ولكن كيف يفهم العامة ذلك وقد انتشرت بينهم كلمات تنازع البقاء، وبقاء الاصالح وقانون الوراثة الخ الخ حتي صارت سمجة مبتذلة .

ونحن لا نريد من قولنا ان اهل العلم تبينوا وهن اصول مذهب دارون انهم أصبحوا يقولون بالخلق المستقل، فهذا مالا يقول به الا الشاذ من أهل العلم اليوم ، ولكنهم أصبحوا يرون لتسلسل الاحياء بعضها من بعض نوايس أخرى غير نوايس دارون، بل اكثرهم مال اليوم الي مذهب لامارك. اما الاعتراضات علي مذهب دارون فمنها قديم تبين لنا قديين بالبداهة ، ومنها حديث نتج من الابحاث الجديدة ونحن نعرض القديمة أولا ثم نتبعها بالجديدة فقول .

تجهر الاعتراضات القديمة علي مذهب دارون في ثلاثة امور كلية وهي:

(أولا) نكران الارتقاء في الاحياء، ومؤداء ان الحيوانات الدنيا هي اليوم علي ما كانت عليه لم يشاهد فيها ارتقاء ما ، وان الاحياء الطيا والا فلي توجد معا في جميع الطبقات الارضية، ولو كان مذهب الارتقاء صحيحا لاقتضى ان يوجد الادني منها قبل الاعلى ، والذي شوها العكس، فقد وجد بين أقدم الصور المستخرجة من باطن الارض ما هو بالغ من التركيب درجة عالية .

فرد عليهم انصار مذهب دارون بقولهم : ان وجود صور ذات تكون عال في الطبقات القديمة جدا للارض لا ينقض مذهب دارون بل يبعد أصل الحياة وتفرعاتها الى أزمنة أبعد وأدوار جيولوجية أقدم. واننا لم نكتشف الآن أقصى الطبقات الارضية. ثم ان الاحياء الدنيا التي نشأت منها الاحياء العليا يستحيل ان تحفظ اجسادها في باطن الارض ملايين من السنين لصغرهما من جهة، وقلّة مقاومتها لحوادث الارض الطبقات الارضية من جهة أخرى .

ولكن قد ثبت بما لا يدع شكاً ان عالم النباتات سبق عالم الحيوانات، والحيوانات المجردة من الفقر سبقت الحيوانات الفقيرة التي هي اعلى منها رتبة . وما كان من الاصل الفقري ثم واكمل جاء بعد ما كان منه دونه . فجاءت الحشرات بعد الاممك، وذوات الثدي والطيور بعد الحشرات، والانسان بعد الطيور ولا يعلم انه حصل عكس ذلك البتة .

(ثانياً) نذكر ان الصور المتوسطة بين الانواع . قال خصم دارون لو كانت الانواع النباتية والحيوانية مشتقة بعضها من بعض لكان بين كل نوعين منها صور متوسطة .

فرد الداروينيون على هذا الاعتراض بقولهم ان الصور المتوسطة بين الانواع الحية كثيرة، وبما يدل عليه حيرة العلماء في عدد الانواع فقد عد بعضهم من نوع الهراسيون في المانيا ٣٠٠ نوع وخسبها الاستاذ فرسنل ١٠٦ وجهاً، والوك ٥٠ وهكذا الشأن في جميع الانواع وما ذلك الا لعدم وجود حد فاصل بينها .

ثم قالوا ان الصور المتوسطة ان عدت بين كثير من الانواع الحية فبسبب انقراضها بسرعة، لان تنازع الحياة يشتد كلما تقاربت الصور، ويكون نتيجة ذلك ملائمة الصور المتوسطة، فلا تبقى الا الصور المتباعدة التي لا تظهر لرائي انها من نوع واحد .

أما الصور المتوسطة في الكائنات الاحفورية التي وجدت في باطن الارض فكثيرة جداً وكل يوم يكتشف منها عدد كبير .

(ثالثها) طول الزمان اللازم للانتقال ، قالوا اذا كان قد مضى على العالم نحو سبعة آلاف عام منذ دون التاريخ ولم يشاهد أدنى تحول في الانواع ، فكذلك عدد السنين التي مرت على الخلية الحية الاولى حتي نشأت منها كل هذه الكائنات المختلفة التي في قوتها الانسان ؟

وقد شعر دارون نفسه بخطورة هذا الاعتراض فقال : ان السر وليم طامسون يزعم ان الارض لم تبتس قشرتها قبل اكثر من مائتي مليون سنة ، وهذا الزمان غير كاف لبلوغ الحياة الي حالاتها الحالية بالنشوء والارتقاء . فان صح مذهبي فلا بد ان يكون الزمان الذي مضى قبل تكون الطبقات الكهربية الارضية السفلي طويلا جدا وربما كان اطول منه بينها وبين اليوم .

وبرد زعماء مذهب دارون هذا الاعتراض بقولهم ان تحديد السير وليم طامسون وغيره ظني محض وليس في وسائلنا ما يمكننا من تحديد عمر الارض بالضبط .

(الاعتراضات الجديدة علي)

مذاهب التحول

مع عدم وجود عالم يعتد به يقول بالخلق المستقل الآن ، فان جمهور الباحثين اليوم أدركوا أن كل النظريات التي افترضت في تفسير تسلسل الكائنات الحية بعضها من بعض لا تغل الحقيقة ، ولا تروج الا في اذهان الذين يقنعون بالالفاظ الضخمة . وهذا التوقف من اهل العلم اليوم اثر من آثار مخلص العقل من سلطان الخداع العلمي السابق ، وهو الخداع الذي أوهمه بأنه ادرك سر الوجود ووقف علي جميع مسائره بفضل الفلسفة المادية والعلم الطبيعي .

وقد حصر العلامة الدكتور (جوستاف بوليه) من كبار علماء فرنسا الامور التي لم تحلها مذاهب التحول الرسمية سواء كانت داروينية أو لاماركية أو غيرها في

خسة امور هامة وهي منقولة عن كتابه (من لاشاعر الى شاعر):

- (١) العوامل التي فرضها العلم الرسمي تعجز عن تعليل وجود الانواع
- (٢) تلك العوامل تعجز عن تعليل وجود الالهام عند الحيوان.
- (٣) تلك العوامل تعجز عن تفسير تلك الاستحالات الفجائية الموجودة لانواع جديدة.

(٤) تلك العوامل تعجز عن تعليل ذلك الرسوخ المباشر النهائي للصفات الاصلية للانواع التي تتكون حديثا، وتعجز أيضا عن تعليل نشوء الالهامات الجديدة فيها (وقد ثبت أن أنواع جديدة لا تزال تتخلق الآن كما ستراه).

(٥) تلك العوامل تعجز عن حل هذه المعضلة الفلسفية الخاصة بمذاهب التحول وهي: كيف يخرج المركب من البسيط وينشأ الاكثر من الأقل؟

ثم أخذ الدكتور (جوستاف جوليه) يفيض في بيان وجوه هذا المعجز في نظريات التحول عن تعليل الامور المذكورة، عمالا نستطيع اثباته هنا لان غرضنا ليس اثبات فساد مذهب دارون، ولكن التذليل على ان العقل الانساني خرج من سلطة الدعوى العلمية الباطلة فأصبح لا يستغويه شيء من الالفاظ الضخمة والتعابير الملتصقة. وهذا الغرض يكفي فيه نقل آراء العلماء في ذلك ليس الا.

والذي نريد بيانه هنا على عجل أن مذهب دارون الذي كان انتشر هذا الانتشار المدهش عقب ظهوره، قد قدس اطانه اليوم واصبح الناس يميلون الي مذهب لامارك، لا باعتبار انه الحقيقة المطابقة، ولكن باعتبار انه أفضل من مذهب دارون.

قال الدكتور (جوستاف جوليه) المذكور في كتابه المتقدم صفحة ١٢:

«قد أصبحت الغالبية العظمى من العلماء الطبيعيين بشايعون النظرية اللاماركية التي تحاول ان تحيل مذهب التحول كله الي تأثير البيئة. وما مذاهب (كوب) و(باكارد) و(بامبيسكا) و(جيسارد) و(لودانتسك) في فرنسا الا لاماركية الصيغة»

وقال الدكتور المذكور في صفحة ١٧ من كتابه المذكور :
 « يرى مما تقدم ان اللاماركية والدارونية تستويان في المعجز عن اعطاء تفسير
 عام صالح ينطبق على كل الاءوال عن ظهور الانواع الحية »
 ثم أخذ العلامة (جوستاف جوليه) يفصل في توسع نقص (اللاماركية)
 فقال :

« تستطيع اللاماركية ان تفسر لنا ظهور طائفة من الجزئيات العضوية الثانوية،
 والتغيرات المتخلفة في القيم، كضمور عيني الحيوان المسمى (التوب)، وتضخم الوسطي
 من اصابع الحيوان المعروف المسمى (ايكيدى) أو التركيب الخاص لمفاصل
 رجليه .

« ولكن هذا المذهب باطل من جهة كونه نظرية عامة ، لانه يعجز عن بيان
 الحوادث الاكبر قيمة . فهو لا يفسر التحولات الكبيرة التي تكلمنا عنها في نقد
 المذهب الداروني، فكلاهما يستوى في القصور، لان هذه التحولات تستدعي تغيرات
 أصابية ، وهي تغيرات مباشرة لا مجموع تغيرات نافذة بطيئة .

« فالتحول عن الحياة المائية الى الحياة الارضية ، ومن هذه الحياة الارضية
 الى الحياة الهوائية الجوية ، لا يجوز على الاطلاق ان يعتبر نتيجة لازمة لانماوس
 المطابقة .

فالانواع السائفة التي تناسب البيئات الخاصة لم يكن بها من حاجة الى تغيير ماهي
 عليه وان كانت أحست بحاجة الى ذلك لما استطاعت ذلك .

« فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصفور، ان يتناسب والبيئة
 التي لبست له ، ولا يمكن ان تكون له الا بعد أن يتحول من صورته حيوان زاحف
 الى صورة عصفور. فكيف لا يستطيع قبل ان تكون له أجنحة ، أجنحة نافذة لاثربة ،
 ان تكون له حياة هوائية وان يتناسب معها .

« ونظرة تشبه النظرة المتقدمة تنطبق على تحول السمكة الى بترسيان (البترسيان)
 طائفة من الحيوانات القريبة على رأسها الضفدعة .

« ولكن المجال الذي يظهر فيه بوضوح استحالة التحولات بواسطة التناسب هو تطور الحشرة . اذ لا توجد جد اية علاقة من جهة علم الحياة بين الدودة التي تمثل على حالة ما الصورة الاولى للحشرة الاولى وبين الحشرة الكاملة . ولم يتصل احد الى ادراك تلك السلسلة الغامضة من التناسبات التي بها أمكن حشرة تعودت الحياة الدودية تحت الارض أو في المياه ان تصل شيئاً فشيئاً الى ايجاد أجنحة لجسمها لتصلح لحياة هوائية بعيدة عنها بل محبولة منها .

« ومتى فكر الانسان في ان هذه السلسلة الغامضة من التناسبات حصلت لامرأة واحدة على سبيل الاستثناء بنوع من الخوارق للطبيعة واكتنفا حصلت بقدر عدد أنواع الحشرات ذات الاجنحة ، يدع الانسان كل أمل في تعميل ظهورها اجناسها بالفواعل اللاماركية كما يرفض فسكرة تعميلها بالفواعل الدارونية .

ثم قال :

« من هنا نرى ان اللاماركية والدارونية تستويان في العجز عن اعطاء تفسير عام يمكن تطبيقه على جميع الاحوال من ظهور الانواع ،

« واذا كان اكثر القائلين بنظرية التحول لم يدركوا ذلك الاثن فان قوما منهم يعترفون به ويجهدون في ان يحدوا في غير هذا المجال العامل العالي في التحويل ، الصالح لتذليل كل هذه الصعوبات الملزمة لعلم الطبيعي الرسمي .

« فبعض اللاماركيين الجدد من امثال (بولي) ينسبون الى عناصر الجسم والى الجسم نفسه سواء أكان نباتياً أم معدنياً نوعاً من الشعور القوى . وهذا الشعور القوي كان العامل الاصل في احداث كل التغيرات والتناسبات . وذهبوا الى انه يوجد في جميع درجات السلم التحولي جهد مستمر ومقصود بالذات لاحداث التناسب مع البيئة .

« أما (نايجلي) فهو اكثر تعصباً فعنده ان الاجساد تحوي نوعين من

البلاسم (أي المادة الحية) ، البلاسم الغذائية العامة لجميع الانواع لانخافه ولا نوعية ،
وبلاسم النوعية وسماها ايديو بلاسم

وهذه الابدو بلاسم تحتوي لاعلى الميسليانيه التي عيرها فقط، ولكن علي ميل
باغني أيضا لترقي، وعلى كل الصلاحيات والقابليات لتحول والتكل وهذه القابليات
قد وجدت منذ وجود الحياة في الصور الحية الاولية . والعوامل الخارجية والخلقة هذه
لا يكون سماها غير تسهيل تناسبها مع البيئة . ولكن هذه العوامل تعجز هي في ذاتها ان
توجد الترقي ، انتهى

من هنا يزي القاري . أن النظريتين الدارونية واللاماركية اللتين اغتربهما العقل
البشري عشرات من السنين ، ولا يزال يتخذع بهما كثير من الذين تله وهما أو تلقفوها
بالشهرة ، فقدتا كل ما كان لهما من سلطان علي العقول وسترى فيما يلي الى أي مدى
وصل العقل البشري من خلع نيريهما . كل هذا حصل في العالم الغربي ولا يزال الشرقيون
الذين يدعون انهم في طليعة النهضة العلمية يعملون الدارونية عدتهم في كل تعليقاتهم
حتى في شؤونهم الادبية .

﴿ ثبوت فساد اصول اللاماركية والدارونية ﴾

بالتجارب العملية

قال العلامة الدكتور (جوستاف جوليه) في كتابه (من لاشاعر الى شاعر) المطبوع
سنة ١٩٢٠:

« اللاماركية والدارونية توجب ان القول بأن تغيرات بطيئة وصغيرة لا يمكن حصرها
حدثت فتولدت منها الانواع علي سنة التدرج

« هذا القول الذي اعتبر من العقائد الراسخة يظهر للقائين بهاتين النظريتين
انه فوق كل جدال

« وأسكن ما علم الناس حتي جاء أخيرا (دوفري) فأعلن مشاهدات فيما سماه

الانتقالات، والظهور الفجائي لأنواع نباتية جديدة طفرة، بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من صور أسلافها الأولية، فكان لهذا الاستكشاف عند المشتغلين بالفلسفة الطبيعية أثر كبير من التشويش والارتباك.

ثم نقل الدكتور (جوستاف جوايه) قول الأستاذ البيولوجي الكبير (لودوانك) وهو مدرس علم الحياة بجامعة السوربون الباريزية وهو مأخوذ من كتابه المسمى (أزمة مذهب التحول).

«قد ظرت منذ عدة سنين نظرية جديدة مؤسسة على تجارب محصنة شايها عدد عديد من عالم العلوم الطبيعية، والحال أن هذه النظرية المسماة بنظرية الانتقالات أو التحولات بالطفرة تعتبر إنكاراً للإمارة بل تكاد تكون إنكاراً لأصل التحول نفسه

ثم عاد الدكتور (جوستاف جوايه) إلى تفصيل مذهب (دوفري) فقال:

«المسألة الوحيدة التي يجب حلها هي: أهذه الانتقالات الفجائية هي التحول قاعدة أم استثناء؟

يقول (دوفري) بهراحة أن التحولات الفجائية هي القاعدة في عالمي الحيوانات والنباتات، وهو محق فيما يقول. فإذا امتحن الإنسان جميع التاريخ الطبيعي بدقة في سلم الارتقاء، أدرك أن نظرية التحول بالطفرة تصادف في كل مكان ما يؤيدها.

«فهناك حقائق ظاهرة للعيان ولكنهم كانوا لا يريدون أن يروها، أو كانوا يخفونها عن الانظار بغير شعور منهم، قد ظهرت الآن ظهوراً بيننا وامتحننا امتحاناً مدققاً.

«وقد كان أعان هذه الحقائق الطبيعيون السكبار من أمثال جوفروا سان هيلير ولكنهم لم تسد على العقول، وعليه فذهب التحولات البطيئة لم تجد مناقضاً لها حتي ظهرت أعمال (دوفري)

« وجاء (كوب) فاعتمد على نظرية التحول بالمعفرة واعادة دراسة الصور الحفرية وبخاصة الصور الحفرية (للباتراسيان) وذوات الثدي بأمریکا ولم يجد صعوبة في ترجيح حدوث تغيراتها نحو الارتقاء من طريق الطفرات .

« ومن السهل اذا اعتمدنا على المستندات الحفرية التي تؤلف سجلات الخليفة ان نشاهد دائماً الظهور الفجائي للأنواع الكبيرة الرئيسية . فالباتراسيان والزواحف والطيور وذوات الثدي تظهر فجأة في الاراضي الجيولوجية . ويظهر أنها مجرد ظهورها تحصل بسرعة على صفاتها وتحتفظها بعد ذلك كاملة ولا تسكبد بعدها تغيرات اصلية مادامت أنواعها حية .

ثم قال :

« بينما علم الحفريات يرينا كثيراً من الاعضاء الأثرية في اجساد الحيوانات الحية ، وهي أعضاء بطل استعمالها وعلقت فائدتها ، فلا يعطينا قط مثالا واحدا لاعضاء آخذة في التكون ولا تزال لاتصالح للاستعمال . وعليه فيظهر ان التحولات الفجائية هي القاعدة في ترقى الاحياء . ولقد اتضح الآن ان ناموس الانتخاب الطبيعي وتأثير الوسط لا يستطيعان تفسير الظهور الفجائي للأنواع الجديدة » انتهى ما قاله الدكتور جوستاف جوليه .

•••

ان استكشاف (دوفري) قد احدث انقلابا في نظريات علم الحياة ومذاهب التحول لم يكن يخطر على بال احد . وهو ليس بنظرية جديدة بل هو مقررات تجريبية محسوسة وضع فيها كتابا ضخما لاسبيل الى بسطه هنا . ونقلنا اعتراف الاستاذ (لودانتك) بذلك وقد كان من اشد انصار نظرية دارون ثم انقلب الى مذهب لامارك كما كثر العلماء المعاصرين لنا . فابن الجامدون هنا على مذهب دارون من هذه الانقلابات

الذريعة ؟

ان استكشاف (دوفري) هذا لا يؤدي الى القول بالنولد الذاتي أى بالخلق المستقل، ولكن مؤداه ان التحول في الاحياء لم يحدث بطريق نظرية دارون من الانتخاب الطبيعي الآلى ولا بطريق نظرية لامارك من تأثير البيئة وحدوث التناسب التدريجي بين الكائنات والبيئات، ولكن بطريق الطفرة، أى ان القوة المدبرة لا تكون أوجدت الانواع المختلفة بعضها من بعض على سنة الطفرة . فلأجل إيجادها للانسان مثل محاولات جرثومة القرد في رحم القردة الى جرثومة انسانية، فجاء ولدها انسانا لافرداء وصار نوعا قائما بذاته . لا ان الانسان نشأ بلا قصد من تأثير ناموس الانتخاب الطبيعي على القردة، او على حيوانات أخرى، باقيا. الاصلاح وباكتساب صفات ومميزات جديدة على سنة التدرج البطي. في الوف القرون كما يقول دارون، أو بتأثير البيئة كما يقول لامارك.

حياة الحشرات تنقض نظريات

التحول الطبيعي بالحس

قال الدكتور (جوستاف جوايه) في كتابه (من لاشاعر الى شاعر) المذكور آنفاً :

« يكفى ان يتأمل الانسان في حياة الحشرة بعناية ليسدرك بطلان النظريات القديمة والحديثة في وجود الانواع وترقيها .
« فان الحشرة بظهورها من اقدم عهود الحياة الارضية وثبات انواعها في جميع الاحوال بعد بروزها ، تناقض ما يذهب اليه من التحولات المستمرة البطيئة غير المتناهية .

« وتقوم نظرية الترقى بالعوامل العلمية الرسمية من الانتخاب الطبيعي والتناسب مع البيئة شهادة الحشرة بوجود الهوة التي تفصل بينها وبين ما كانت عليه من الحالة

الدودية الحشرة، وهي هوة تضيق فيها ولا كرامة جمع النظريات الدارونية واللاماركية، وتقيم الحشرة كذلك ضد هذه النظريات أمر أعجزت عن تفسيره وهو غرائزها الاوالية المحيية المحيرة للعقل.

« وتقوم ايضا ضد ما يذهب اليه من التطور بفعل الفواعل الخارجية شهادة الحشرة بتطوراتها الهائلة، تلك التطورات الذاتية داخل شرنقة مقفلة مضمجة الى حد بعيد من تأثير هذه العوامل الخارجية

» وتقيم الحشرة أيضا ضد نظرية التطور المستمر غير المنقطع بالتمثيل الوظيفي شهادتها بتطوراتها واستحالاتها وتغيراتها في الترقى او التبدل مدة حياتها الدودية وانما لتنفذ خصوصا تلك النظريات وهي داخل شرنقتها بظهورها بهذا الحدث الذي لا يعقل وهو احالة أكثر أعضائها الى سيال لا شكل له قبيل دخولها في شكلها الاخير.

« هذه الشهادة المحيرة للعقل بتعليمنا بأنه لا تغيراتها الديدانية الهائلة، ولا ثلاثي انسجتها تؤثر على شكلها المستقبل كحشرة كاملة. هذه الشهادة تنقض جميع مدرر كاننا على بناء الاجسام وعلى تحولات الانواع.

« فالحشرة تمننا والحالة هذه في مجموع أدوارها الحيوية رمزا عن ماهية التطور في الحقيقة كما ستري ذلك. فانها تثبت لنا بأن سبب التطور لا يجوز ان يبحث عنه لا في تأثير البيئة ولا في التأثيرات المضادة له من المادة الآلية، ولكنه مستقر في حركة علوية مدبرة مستقلة عن هذه المادة العضوية.

« والحشرة ترىنا التطور حاصلًا بخاصة بتأثير داخلي متميز عن تأثير البيئة المحيطة بها، وبدافع اولي محقق ولكنه مجهول عندنا، وهو عند الطبيعي الرسمي لا يمكن تفسيره على الاطلاق.

« ديس هذا كل ما يقال فان هذه الشهادة التي لا مثيل لها من الحشرة في الحين الذي تنقض فيه النظريات الطبيعية المعاصرة تماضي كذلك المذهب القديم القائل بحدوث الخلقية تحت اشرف العناية الالهية

« ذلك لان الوصف المميز للحشرة من الوجهة النفسية هو ان لها غريزة تكاد تكون مجردة من كل أثر للادراك، والملاحظة أن هذه الغريزة المحضة، والتي بقيت محضة في مدي مئات القرون، تمتاز بوحشية عموهة، ووحشية هائلة لانظير لها في بقية العالم الحيواني، ومع ذلك فالحشرة بريئة منها كل البراءة.

« فاذا قيل بوجود خالق شاعر بديعة تصرفاته، فنكون هذه الوحشية من محله، وتكون حالة الحليقة كلها مرآة لاعماله، انتهى كلام الدكتور جوليه.

نقول ان هذا العالم لا ينكر وجود قوة مدبرة خلقت الكائنات واسكنه يفرضها قوة لاشاعرة، وانما توصلت الى الشعور بذاتها في كائناتها كالانسان وغيره.

أما كلامه عن شهادة الحشرة فيشير الى تلك الظاهرة المدهشة التي تنجلي في حياة الحشرة، ولنضرب مثلاً لذلك بدودة الفطن، فهي تولد دودة نحميا اياما حياتها المعروفة ثم تنسج لنفسها شرنقة فتدخل فيها، وهناك لا أعوت فقط بل يسيل جسمها ويستحيل الى مادة أولية لاشكل لها، ثم تتركب هذه المادة بنفسها فتكون جسماً لانسبة بين شكله وشكل الدودة، تكون فراشة ذات أجنحة وغرائز أخرى غير غرائز الدودة.

هذا المثال وحده ينقص كل نظريات الداروينيين واللاماركيين المؤسسة على أن اختلاف الاعضاء وتطورها وارتقاء الانواع واشتقاق بعضها من بعض لا يكون الاعلى مقتضى نواميس سموها بأسماء متنوعة. والحقيقة ان كل نوع نشأ كما نشأت الحشرة بفعل قوى ليست من القوى الطبيعية المعروفة. وأى شاهد اصديق من هذا الشاهد المحسوس ؟

والعقل المصري معذور في استخفافه بالنظريات العلمية المقررة، فقد طال عليه زمن الانخداع بالألفاظ الاصطلاحية الضخمة، واصبح اليوم وهو مقتنم جيد الاقتناع بان كل هذه النظريات التعليلية اوهام باطلة تصد عن سبيل الحقيقة التي ينشدها، وقد دخل بهذا الادراك في دور جديد سيكون فاتحة عهد هو اكرم عهوده العقلية، واسرعها ايصالاً له الى الحقائق الأولية.

﴿ مذهب دارون في نظر دارون ﴾

من الناس من يؤمن بحقيقة مذهب دارون إيماناً لا حد له ، يخيل إليه أنه حل معضلات الخليفة خلا لا مطامح بعده لاطامح ، وعذره في ذلك أنه يجهل الطبيعة ، ولا يدرك قيمة النظريات من جهة تعاليمها للحوادث ، لأنه يجهل سلسلة تلك الحوادث ولا يعرف إلا ما يقع تحت نظره منها . علي أن دارون نفسه كان يدرك أن نظريته لا تفسر وجود الأنواع تفسيراً يثلج عليه الصدر ، وتطأ أن له النفس ، وبري أن لا بد من وجود عوامل أخرى خفية اشتركت مع ناموس الانتخاب الطبيعي في تنويع الاحياء فقد قال في صفحة ٥٦٥ من كتابه (اصل الأنواع) :

« أنا مقتنع بأن ناموس الانتخاب الطبيعي كان العامل الرئيسي لحدوث التنوعات في الأنواع ولكنه لم يكن العامل الوحيد في أحداث ذلك التغير »
وكتب دارون الي المستر (هيات) وقد جهم هذا الكتاب مع بقية كتبه في مجموعة تدعى (كتب دارون) أي رسائله قال :
« اسمح لي أن اضيف الي هذا بأنني لست من قلة العقل بحيث اتصور بأن نجاحي يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع »

﴿ ما سبب انتشار الدارونية ﴾

على فسادها

من العجيب أن مذهباً كهذا لا مارك أو دارون يكون فيه من وجوه النقص ما يجمل صاحبه نفسه بزمى به ، ينتشر هذا الانتشار الكبير ويجعله انصاراً متحمسين من درجة متحمسى الأديان في العصور البعيدة .

علل ذلك الفيلسوف الكبير (ادوار هارتمان) الألماني خليفة شوبنهاور في كتابه (المذهب الدروني) فقال في صفحة ١ منه .

« ما أثر في سرعة نشر المذهب الدارويني أكثر من الحماية التي كلفه بها علماء اللاهوت من كل مذهب متحدين مع الفلسفة الرسمية ، فاقنضى الحال إذ ذاك أن يظهر إذاً هؤلاء الخصوم الذين لا يستندون إلا على براهين وهمية وغير علمية خصوم آخرون شديداً والنصب لنظرية دارون ، حملتهم غيرتهم الشديدة بأن يستنتجوا منها نتائج لم ينو بها صاحبها إلا من طرف خفي أو اخفاها عمداً ، فكانت هذه الجراءة من هؤلاء دافعة لخصومهم على الاستبسال ، وجاءت الفلسفة المادية من جهة أخرى فتقصص روح الدارونية لفائدة مذهبها . . .

« أما في العالم العلمي فقد تقرر من الوجهة التي اخير السير عليها في ذلك الحين أنه من المستحيل مكاتحة هذه النظريات الجديدة ، وأنه يجب على أي حال من الأحوال إحناء الرؤس أجلاها لها ، ولم يبق إلا علماء طاعنون في السن ، فقدوا المرونة العقلية الكافية لاعادة بناء معارفهم ، ظهرُوا في غاية الاستعصاء عن التأثير بالدارونية ، أما العقول الراجعة التي كانت تحاول التمييز بين الحق والباطل من هذا المذهب الجديد فكانت نادرة جداً . وكانت أصواتهم تضيق بين الضوضاء المنبعثة من المعركة التي شبت نازها بين انصار الدارونية المتحمسين ، وبين خصومهم المتعصبين »

﴿ رأى فون باير في الدارونية ﴾

فون باير هو العلامة الألماني الكبير مؤسس علم الامبرولوجيا (علم الاجنة) ، وهو من أقطاب الفزيولوجيين والحفرين والبيولوجيين ، قال في كتابه المسمى (دخض المذهب الدارويني) في طبعته الثانية الصادرة في سنة ١٨٨٦ .

« ان الرأي القائل بأن النوع الانساني متولد من القرود السيميانية هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان ، وجدير بأن ينقل الي اخلاقنا جميع الحقايق الإنسانية مطبوعة بطابع جديد . يستحيل ان يقوم دليل على هذا الرأي

المضحك من جهة المكتشفات الحفرية».

وقال في ختام كتابه المسمى (خطابات ومباحث علمية) .

«انا لأعالمك نفسي من التصريح لرجال العلم بأن فرضا من الفروض لا تكون له قيمة ولا سبيل في البقاء. الا اذا عاملناه معاملتنا لساير الفروض، أى نجعله كنقطة يتوجه منها الى مباحث خاصة . ولكن من الشؤم والانحطاط ان نعتبر فرضا من الفروض آخر كلمة لعلم وهو مجرد كل التجرد عن الوسائل التي يثبت بها نفسه . ان علمنا مؤلف من قطع واجزاء فنكسر هذه القطع بواسطة الافتراضات يمكن أن يؤدي الى ارتياح شخصي ولكن لا يكون هذا من العلم شئ» .

(رأى الاستاذ بربر في مذهب)

دارون

قال العلامة بربر في كتابه (طوائف الحيوان) المطبوع سنة ١٨٨١

«ان الاسباب الاولى التي احدثت الاختلافات الشخصية والتي لا بد من أنها كانت كثيرة جدا لا تزال مجهولة ويجب تعيينها وتعيين سبب العقر الناتج من تصالب الانواع، وكذلك المسافات التي يسلم قطعها من النقائص حتى الانسان شامسة جدا»

ان بربر كما ذكر العلماء مع اعتراضهم على مذهب دارون لا يقولون بالخلق المستقل ولكنهم يرون ان مذهب دارون يقهر عن تعليل هذا التسلسل بدليل قول بربر بعد ذلك :

«ان هذه مسائل يجب اكتشافها ولا يصح أن تكون اعتراضات على مذهب التسلسل، فأى مذهب كجأوى او طبيعي لا اعتراض عليه ؟

(رأى العلامة فير كوفي مذهب دارون)

الاستاذ (فير كوفي) الالماني من اعلام علم الاتروبولوجيا (التاريخ الطبيعي للانسان)

نقض مذهب دارون وواقفه العلامة الانثروبولوجي الفرنسي الكبير
(دوكاترفاج) في كتابه (النوع الانساني) الصادر في سنة ١٨٧٧
قال :

« يجب على أن اعلان بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم
الانثروبولوجيا السابقة على التاريخ تجعل القرابة المروعة بين الانسان والفرد تبعد
عن الاحتمال شيئا فشيئا ، فاذا درسنا الانسان الحفري في العهد الرابع ، وهو الذي يجب
ان يكون الانسان فيه اقرب الى اسلافه ، نجد انسانا مشابها لنا كل الشبه . فان جماجم
جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بانهم كانوا يؤلفون مجتمعا محترما
للغاية . وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبر الكثير من معاصرينا انفسهم سعداء
اذا كان لهم رأس مثله . واذا قابلنا مجموع الرجال الحفريين الذين نعرفهم الآن بما
نراه في ايامنا هذه استطعنا أن نؤكد بكل جرأة بأن الاشخاص ناقصي الخلقة هم
بين الرجال المعاصرين اكثر منهم بين الرجال الحفريين . ولا انجاسر أن افترض
بأننا في اكتشافاتنا الحفرية لم نصادف غير اصحاب القرائح السامية من اهل العهد
الرابع . والعادة اننا نستنتج من تركيب هيكل عظمي حفري تركيب معاصره الذين
عاشوا معه في وقت واحد . ومهما كان الامر فيجب على ان اقول بانه لم توجد قط
جمجمة فرد تقرب حقيقة من جمجمة الانسان . . . على انه يوجد بين الانسان والفرد
خط انفصال نهائي آخر . فانا لا نستطيع فقط ان نعلم الناس بان الانسان يتولد
من الفرد او من اى حيوان آخر ، ولكن لا نستطيع أن نعتبر ذلك من الامور العلمية » ،

(رأى ايلي دوسبون)

في مذهب دارون

ايلي دوسبون من كبار علماء الفزيولوجيا ذكر عن مذهب دارون في كتابه
(الله والفيل) صفحة ٢٩٥ من طبعته الثانية الصادرة في سنة ١٩١٢
(١٤ - على الملل المذهب المادي)

ما يأتي :

« بعد أن قاوم المذهب الدارويني عشرين سنة تلك المكافحات الحقة التي قصده بها خصومه قضى عليه قضا غريبا بأن يهلك تحت ضربات أشد اشيائه غيرة عليه . القرضان الرئيسيان اللذان يقوم عليهما هذا المذهب هما الانتخاب الطبيعي وانتقال الصفات المكتسبة بالوراثة في مدى تنازع البقاء . فقد جاء هربرت سبنسر الميترفزيكي الكبير (الميترفزيكا علم العمل الاولية) وهو أمثل المبشرين بالمدرجات المالية لدارون فنكفل بهدم الفرض الاول من أساسه واثبت استحالة تحول الاجسام العليا بتأثير ناموس الانتخاب الطبيعي استحالة نامة (انظر ما كتبه تحت عنوان عدم كفاية ناموس الانتخاب الطبيعي في مجلة (كونتايمورارى ريفيو لسنة ١٨٩٠) ثم تبعه نصير آخر للمذهب الدارويني لا يقل عنه حماسة وهو الامبريولوجي ويسمان (الامبريولوجيا علم الاجنة) فحال المشاهدات الاصلية التي يقوم عليها هذا المذهب للدلالة على امكان انتقال الصفات والخصائص المكتسبة في مدى حياة الاجسام بطريق الوراثة تحديلا انتقاديا مفصلا وبرهن على ان هذه المشاهدات المزعومة لا تقوم الا على حكايات مخترعة في جميع اجزائها ولا تعلق قيمتها العلمية عن قيمة حكايات المرضعات » .

﴿ سقوط ناموس الانتخاب الطبيعي ﴾

في نظر العلماء

ذكرنا ان مذهب دارون يقوم على ناموس الانتخاب الطبيعي ووراثة الصفات المكتسبة ، وقد قتلها العلماء بحثا فوجدوها لا يغنيان قليلا فيما نسب اليهما ونحن ننقل هنا بعض ماقالة فيهما العارفون الاختصاصيون .

نشر الاستاذ (جورج بوهرن) مدير معمل البيولوجيا والبسيكولوجيا بالمقابلة في جامعة باريس كتابا خصصه لعلم البسيكولوجيا الحيوانية الجديد ، اجازته المجمع العلمي للعلوم الادبية والسياسية ، ثار فيه على نظرية الانتخاب الطبيعي ، قال فيه

صفحة (١٢٥) :

« ان التركيب الجسمي ليس بتركيب وجد لغاية محدودة، ولكنه مجتمعة صفات وراثية يختلف بعضها عن بعض في درجات الاستقلال ، بعضها نافع وبعضها غير نافع بل ضار ، والتركيب الجسمي كثيرا ما يوجد لهذا السبب قليل التناسب مع البيئة التي هو فيها .

« فان كان الانتخاب الطبيعي للصفات النافعة يلعب دورا هاما في الواقع لم يكن أثر التركيب الجسمي على هذه الحال . وعليه فان البيولوجيين الذين لا يزالون يمتدحون باقدرة المطلقة لناموس الانتخاب الطبيعي ليسوا بمتدقين في هذه النقطة . فان رأى كثيرين من البيولوجيين المعاصرين انه لا يوجد انتخاب طبيعي بين الصفات المختلفة واسكنه يوجد بين الانواع التي تم تكوينها من قبل .»

ثم قال الامتاذ المذكور في صفحة ١٩٦ من كتابه ذلك :

« الى هنا نرى ان نتائج كثير من المباحث البيولوجية والبيسيكولوجية الحيوانية قد ظهر بطلانها بسبب القيمة العظيمة التي كان اصحاب هذه المباحث يعطونها لنظرية الانتخاب الطبيعي . ويكفي في ذلك ان يقرأ الانسان السكتابات الاخيرة التي نشرها (ج لويب) وكتابات (دولاج) و (جولدسميث) يدرك مبلغ نقص الثقة في هذه النظرية (أى نظرية الانتخاب الطبيعي) .

﴿ رأى العلامة ادمون برييه ﴾

في ناموس الانتخاب

كتب العلامة (ادمون برييه) مدير دار الآثار الحيوانية في باريس في مجلة (العالم الحي) الصادرة في ٢٠ يونيو سنة ١٩١٢ عن كتاب نشره الامتاذ (جينو) المدرس بجامعة نانسي اسمه (الاصول التكوينية للانواع) ونال عليه احدى الجوائز التي يشهد قطاع العلماء اليها، وهي الحائزة الخاصة بعلماء التاريخ الطبيعي، أو جائزة كوفيه قال :

«ان ثقة الاسفاذ (جينو) بتأثير البيئة (الوسط الخارجى) ضعيفة جدا . فان هذه البيئات على مايقول لا تصاح لايجاد أى تغيير وراثى ثابت . وعلى ذلك فان البط وسائر الطيور المائية ترى متممة بأرجل ذات أصابع متصلة بشيء فيظن أن هذه الاغشية قد أوجدها نوع معيشتها ، ولكن الامر على العكس من ذلك في مذهب المسيو (جينو) فانه يقول بانها قد وجدت لها مقدما بدون تأثير من الخارج . واخذ البط يعوم لانه وجد نفسه أرجلا مشاة تصلح للوم . فهذه الحيوانات قد اعتدت من قبل للوم اى انها خلقت للوم قبل ان تستفيد من تركيب أرجلها في العوم » .

﴿ عدم ثقة العلماء بناموس الوراثة فى نقل الصفات ﴾

﴿ وهو الركن الثانى لمذهب دارون ﴾

قال العلامة الالماني الكبير ويسمان وهو من اعلام (علم الامبرولوجيا) كما نقله عنه الفزيولوجى (ايلي دوسيون) فى كتابه (الله والى) صفحة ٥٠٠ ق ١ :

«لا يوجد مشاهدة واحدة تثبت وراثة الصفات المكتسبة » .

وقال (بلوجر) العلامة الفزيولوجى الالماني الشهير فى كتابه (الاغراض الآلية فى الطبيعة الحية)

قد بحثت من قرب جميع المشاهدات التى قيل انها تثبت انتقال الصفات المكتسبة بالوراثة أى الصفات التى لا نشق من التركيب الاولى للبيئة وللجروثة المنوية ، بل الصفات التى اكتسبها الجسم بعد تكونه بتأثير الاسباب الخارجية ، فلم اجد واحدة من هذه المشاهدات تثبت انتقال هذه الصفات بالوراثة »

وقال الفزيولوجى الكبير (دوبرا ريموند) الفرنسى كما نقله عنه العلامة (ايلي دوسيون) فى كتابه المتقدم ذكره :

« إذا أردنا أن نكون مخلصين وجب علينا أن نعترف بأن وراثية الصفات المكتسبة قد اختلقت لغير تعليل الحوادث المراد تعليلها، وإنها هي نفسها من الافتراضات الغامضة »

﴿ رأى دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ﴾

في مذهب دارون

دائرة المعارف الفرنسية الكبرى المسماة بدائرة معارف القرن العشرين هي أحدث دوائر المعارف ظهوراً، وأدقها تصويراً للرأى العلمي الحديث، قالت عن مذهب دارون في الصفحة ٢٩٩ من مجلد الحادى والثلاثين: « تدفعها أصول مذهب دارون: »

« لقد رأيت مبلغ استغواء هذه النظرية الدارونية للعقول، ومبلغ اجابتها بظرف على الاعتراضات التى توجه اليها، واسكنها سوء الحظ مختلفة من اساسها لانها تفرض ان جميع الصفات النافعة، أعني كل صفات الانواع الحية، قد حدثت في بدايتها اتفاقاً (أي بالصدفة) فلا بد من وجود قوة تسليم عظيمة لاجل قبول مثل هذا الاصل . ويجرى هذا المجزى عينه تسليمنا بأن جميع الحيوانات قد حدثت على ما هي عليه اتفاقاً (أي بالصدفة) وهو افتراض يلاشى المسئلة نفسها »

﴿ ما هو رأى العلم الرسمى اليوم ﴾

في أصل الانواع

قد رأيت مما مر رأى العلماء في وهن اصول مذاهب التحول الرسمية سواء اكانت لاماركية أودارونية، فما هو موقف العلم اليوم حيال مسئلة وجود الاحياء وتنوعها؟ أحسن ما نعمله للإجابة على هذا السؤال هو ان نقبل قول العلم نفسه في شخص اكبر ممثليه، ومن احدث ما وصلنا منهم .

قال الاستاذان (ايف دورج) العضو بالمجمع العلمي الفرنسي والدكتور م. جولد
سميث (في كتابيهما المسمى (نظريات التحول) المطبوع سنة ١٩١٦ صفحة
٣٤٥ .

« ماذا نستطيع ان نستنتج من كل ماهر ؟ نستنتج منه ما يأتي وهو : انه وان
لم يكن مذهب من المذاهب التي امتحنناها هنا يعطينا حلا عاما مطلقا يثلج عليه
المصدر عن مسألة التحول ، فان العوامل التي يعتمدون عليها تعمل في الحقيقة عملا ما
في احداث ذلك التحول . ولكن اعمال هذه العوامل من التركيب الشديد ، والتدخل
المعقد ، بحيث يصعب ان يعرف لكل منها قسطه في العمل ، والي هذا يرجع بلا شك
السبب في محاولة الواضعين لهذه المذاهب المختلفة نسبة التأثير الرئيسى لبعض هذه العوامل
دون البعض الاخر مع اغفال اشترك العوامل الاخرى . وهذا الموقف الاعلاقي للغاية هو
سبب النقص في مدر كاتهم .

« ويمكن الانسان الآن ان يتساءل علي أي صورة سيكون الحل النهائي لهذه
المسئلة ؟ اينبع مذهب التحول رجل مثل (نيوتن) فيأتينا طافرة برأى عبقرى فيعمل
لنا المسئلة باكتشاف عامل جديد غير منتظر يكون من الوضاحة النامة بحيث يغلب
علي جميع المعتقدات ، ويترك الناس يتساءلون كيف بقوا كل هذه المدة الطويلة دون ان
يحلوا بهذا الحل الحامى ؟

« لما اتى دارون بناموس الانتخاب الطبيعى (تأمل) خيّل للناس انه هو نيوتن
المنتظر ، ولسكننا نأسف من ان نظريته لم تقاوم النقد الذي وجه اليها ، فنأمل ان يأتي
من هو اسعد حظا منه » انتهى .

هذا هو موقف العلم اليوم ، ومنه يتضح ان العقل الانسانى خلع نير الانخداع
الكلمات الفارغة ، ونجرد من رين تلك الدعوى الطويلة العريضة ، بادراك جميع
مساثير الكون ، مما اوقعه في القرور الذى حوّلته وحده عن بحث كل ما يناقض المقررات
الموضوعة ، ورمي بالجمل والغباوة كل من يقول بوجود عالم وراء هذه المادة قاعل فيها

ومؤثر عليها فوق النواميس المعروفة. فأين من هذا الادب العالمي أولئك الذين رشفوا رشفات لا تبلغ بهم حد الري من الفلسفة والعلم فهو في الشرقي ينشرون من سموم الغرور العلمي ما لفظته بنية العالم الغربي، وأصبح الظهور به دليلا على الخفاقة وعلى الجهل في وقت معا .

﴿ الشبهات الخطيرة من مذهب ﴾

دارون

اتي دارون بمذهبه فاستغوى السواد الاعظم من الباحثين عند الصدمة الاولى، وذلك بلطف مداخله، وحسن تعاملاته، ووضوح تفسيراته، حتى يمكن ان يقال ان تاريخ العلم لم يسجل مذهباً كان له مثل هذا التأثير على النفوس في عصر من العصور. وانفذ نهجاً اركان هذا المذهب، وتقوضت اصوله تحت معاول النقد العلمي الصارم ولا تزال تعاملاته آخذة بهوى كثير من الناس، وبخاصة أولئك الذين ليس لهم من العلم الا ما يحفظونه من مسائله العامة وما يتأثرون به من شبهاته وشكوكه .

فن الاصول التي قام عليها مذهب دارون اصلا لا يزالان عالقيين بكثير من الازهان احدهما ان التكوين الطبيعي جاء عن غير قصد، وحدث لغير غاية معينة، فصدر على نظام آلي محض، مقودا بنواميس ميكانيكية تعمل فيه بغير شعور، وتنوعه بغير اختيار . فاعيننا لم توجب لنا هبة من قوة مدبرة للنظر بها، بل حدثت فينا اتفاقا في ادوار التكوين، فاستخدمناها في النظر، وانتقمنا بها لهذه الغاية غير المقصودة، فس على ذلك سائر الاعضاء .

والاصل الثاني هو ان الغرائز العجيبة التي فطرت عليها الحيوانات من التحايل على استغلال اغذيتها والعمل على بقاء ذواتها وتنمية أنواعها ليست بالهامات من قوة مدبرة، وليكنها عادات موروثه ألهمت اياها الضرورات الطبيعية، وطبعها فيها الحاجات الحيوية .

ونحن لانجد مناصا من ان نعقد هذين الاصلين فصلين :

﴿ شبهة النظام الآلي في الطبيعة ﴾

وانفى القصد والغاية منها

يقول عمدة الملاحدين ، وشيخ شيوخ الماديين بوخترى في كتابه (الم

مانصه :

« كل الا برام السماوية كبيرة أو صغيرة تخضع صاغرة بغير استثناء ولا انحراف إلى الماموس الملازم لكل مادة ولكل جزء من مادة كما تدلنا عليه التجربة من أن لا آخر ، وان جميع حر كائنات بدوا لها وتحدد أماننا وتنبئنا عن حدودها بضبط رياضي لا يتعرق اليه الخلل » انتهى كلامه .

فيمايت شعري اذا كانت الاجرام السماوية وهي على ما نعلم من العظم والجـلالة تتحرك في مدارتها خاضعة صاغرة لناموس مقرر ملازم لاصغر ذرات المادة ، فهل بعد هذا دليل على وجود القصد ؟ ألا يقال هنا لماذا كان الناموس المدبر المنظم ملازما للمادة لا يفارقها ؟ هل قرره الاتفاق المحض والعدم العرف ، أم قضى على الكون بالنظام منذ الابد ؟ من قضى بذلك ولماذا لم يكن مكانه الخبط والفوضى والانحلال ؟ لماذا نقولون ان هذا الناموس المدبر الملازم للمادة ، وجود بلا قصد ولا نقولون انه اثر قدرة عالية وتدير حكيم ؟ اذا كانت بدهاة العقل تشعر بأن النظام لا يصدر من العدم ، والضبط لا ينشأ من ضابط ، فلماذا تنسبون الناموس المنظم الملازم للمادة إلى العدم العرف ولا تنسبونه إلى عقل مدبر ؟

قال الدكتور شبلي شميل وهو من زعماء المذهب المادي في الشرق في كتابه مذهب النشوء والارتقاء صحيفة ٢٤٤ :

« اما الماء (يريد مجادلا له) إلى الغاية والقصد فنقوضه بالحيوانات والنباتات من الاعضاء الزائدة التي يسمونها أممية والتي لا قائمة لها وفيما يسمونه حكم الضرورة

فمثل الاعضاء التي لا فائدة لها الاسنان القواطع في أجنة كثير من الحيوانات المجسرة فمذه تكون في سمك عظم ما بين الفكين ولا تبرز أبداً ولذلك لا فائدة لها فالغاية من وجودها؟ والانسان في غنى عن تحريك أذنيه فما الفائدة من العضلات المرتبطة بهما، وربما اكتسب الانسان بالمزاولة والتمرين القدرة على تحريكهما؟ وأما فائدتهما فظاهرة في بعض الحيوان . ومن هذا القبيل أيضا العيون الاثرية التي لا تبصر في بعض الحيوانات التي تقطن الكهوف وقيم تحت الارض، وفي أكثر ذوات الفئار يوجد زوجان من الاطراف زوج أمامي وزوج خافي ويكون أحد هذين الزوجين ضامراً أغالياً كافي النادر يكون الاثنان ضامرين كما في الحيات علي ان بعض الافاعي (كالبايبتون) له زائدتان عظيمتان في القسم الخافي لا فائدة لها وإنما أثران لطرفين كأنما موجودين في اجداده . وأمثلة ذلك كثيرة جداً في الحيوان والنبات كما لا يخفى على علماء هذين الفنين وفي هذا القدر كفاية لغرضنا . فلو كانت الغاية موجودة لما وجب أن يكون في هذه الكائنات شيء لا فائدة له وربما كان ضراً أيضاً . ولكم دار علماء طبائع الحيوان والنبات بهذه الاعضاء الاثرية قبل دارون وذهبوا فيها لمذاهب شتى حتي ظهر مذهب دارون ففصلت جهنزة قول كل خطيب لان كل عضو لازم بما بالاستعمال فعرف ان الاعضاء الاثرية كانت اعضاء نامية في اجداد كانت لازمة فيها وضمرت حيث لم يبق لها لزوم وفي البعض زالت بالكلية فلا دخل للغاية وإنما الدخل للضرورة . وماتراه من النظام فهو كذلك ضروري لا مقصود لان التغير الحاصل في جزء من اجزاء هذا العالم يتبعه تغير في سائر الاجزاء علي حكم الضرورة كنتيجة لسبب فاذا كانت العوالم موجودة علي النظام الذي نراها فيه فلانها هي من الارتباط بعضها مع بعض بحيث لا يمكن أن تكون علي خلاف ذلك . فلو تغير نظام أحدها لوجب أن يكون التغير شاملاً لعموم النظام ولذلك لم يكن الكون بعضه بالنسبة الى بعض ولا هو كائن ولن يكن الا منتظماً وان اختلف في الارتمنة الثلاثة لارتباطه ببعضه ببعض وجريه علي سنن شاملة لجميعه . وكذلك يقال في الارتقاء فان العالم لا يسير الا متقدماً لضرورة تغلب الانسب في منازعة هذا الوجود كما هو

(١٥ - علي الحلال المذهب المادي)

مقرر في مذهب دارون « انتهى كلام الدكتور شبلي شميل .

..

نقول اننا لاجل دحض هذه الشبهة نعود أولاً الى النظر في مجموع الكون ثم ننزل منه الى كائناته لان الحكم علي المجموع بالنظر الى بعض جزئياته يفضي الى ضلال بعيد وخطأ عظيم .

فهل مجرد النظر الي الكون جملة يشعرنا بأنه وجد بالضرورة بلا قصد ؟
الاهم لا .

ان هذه الكواكب السابحة في الفضاء علي مسارات منتظمة تشعر بتجاذبها المتبادل وجريها الي غاياتها ، وانتهائها الي نهاياتها ، بأنها مقودة بنظام دقيق ، ينبيء عن قصد حكيم ، وتدبير شديد أريد به قيامها علي هذا الترتيب الديدع ، لانتاج اغراض بعيدة من صمارة الكون وتخليقه بكل الابداعات الممكنة .

ان قال الماديون ان هذا النظام لا يدل علي قصد وانما هي الضرورة التي تقبضه علي هذا النمط وتعاليمه ذلك بأن التغير الذي يحصل في جزء من اجزاء هذا العالم يتبعه تغير في سائر الاجزاء علي حكم الضرورة كنتيجة لسبب الخ ، ان قال الماديون هذا أجبناهم بأن كلامنا في مبدأ هذا النظام لافي أطواره ، فلماذا كان الكون في مبدأه منتظماً حتي افترضنا الحال ان يجر كل تغير في جزء من أجزائه الي تغير في مجموعه علي حكم الضرورة ، ولم لم يكن في مبدأه خطأ وخطأ وفوضى مستحكمة حتي يؤدي كل كل تغير في جزء من أجزائه الي اضطرابات لاتنتهي وارتباكات لاتقف عند حد ؟

يقولون الكون منتظم بحكم الضرورة وهي كلمة فارغة فما هي هذه الضرورة الفاضية بالنظام ، المنزهة عن الخطب والفوضى ؟

الضرورة ان لم تكن كلمة فارغة فهي حالة عارضة ، كما ، فلماذا تتجه دائماً الي الوجهة المنتجة للابداع ، الممثلة للعمران ، ولا تتجه الي خلة خسف ، ووجهة عسف ، فنتج

الدمار والفناء، وتثمر الانحلال والتلاشي ؟

خل السكون جانبا وهلم ننظر الى عضع والموهي الكرة لارضية فهل لارى الراى
اذا اتى عليها نظرة تأملية بأن آثار القصد بادية على كلياتها وجزئياتها ؟
الارى أولا انها بما تمتع به من عوامل الحياة ووسائل العيش قد أعدت بقصد
لان تكون مأهولة بالنباتات والحيوانات والانسان ؟
ثم الارى انها بما أودعت من المرافق والقوى المختلفة قد أعدت لان تكون محالا
للمبدعات التكوينية وللترقيات الانسانية ؟

دع السكون في جملته وتأمل عالم النباتات وقل لي ألا ترى معي ان آثار القصد
ظاهرة فيها ظهور الشمس في رائحة النهار ؟ ننظر الى أعضاء شجرة وسرح فكرك في اجزائها
المتنوعة من اول جذورها الضاربة في بطن الارض الى قمم أعضائها المشرابة الى عنان السماء
وأجل الزوية فيما أودعته أوراقها من الاعصاب الدقيقة والخراشات التنفسية والمادة
الخضراء، وما تمتع به تلك الاوراق من الخواص لامتصاص الغازات المختلفة من
الجو ثم إعادة بعضها اليه بعد تحويله الى مركبات جديدة وما حليت به أزهارها من
الالوان البديعة والروائح الشذية والهيئات الجميلة، وما وضعت في باطنها من أعضاء الذكورة
والانوثة، وما هدبت اليه تلك الاعضاء من التقارب في حين التلقيح لاداء تلك الوظيفة.
وانقل من ذلك الى الثمرة وتأمل في هيئة غلافها ولونها وطعمها ورائحتها وبزورها وما
أودعته من الاجنة لانتاج شجرة مماثلة للتي خرجت منها وما أحيط ذلك الجنين به
من المواد الحافظة لحيويته النخ الخ تأمل في ذلك كله ثم قل لي ألا ترى فيه آثار القصد
ودلائل للإرادة ؟

دع عالم النباتات في تنوعه واختلافه الذي لا ينهى الى حده، ثم تأمل في عالم
الحيوانات وما تمتع به من أسلحة الكفاح ووسائل التكاثُر، وما ألهمته من
الحيل والاساليب للزيادة عن حياتها وحياة صغارها، وما أحيطت به من الوبر لاقاء
أفاعيل الجو عليها، ثم قل لي ألا ترى في ذلك كله آثارا للقصد ودلائل للإرادة
والإختيار ؟

يقول الماديون كل ذلك أوجده الفواعل الوجودية والعوامل الطبيعية، وكل ما تراه فيها من آثار الالهام كالحيل الحافظة لوجودها، والأعضاء الواقية لها، فأنما هو من آثار الضرورة الطبيعية والحاجة الفطرية . فالحبوانات في البلاد الحارة توجد بلا وبر أو ببر خفيف، ولكن التي توجد في البلاد الباردة تحتل ببر وتلبم بأموه كثيرة لحفظ وجودها، وليس ذلك لأن خالفنا قصد ذلك بها، واسكن لأن الضرورة تقضي أن تكون علي تلك الحال والا تلاشت .

نقول ليت شعري ما هي تلك الضرورة التي تهب لكل محتاج حاجته، وتلبم كل حي ما به حياته وبقاؤه ؟ أهى عاقلة مدركة أم عمياء بكاء صماء . أهى كلمة فارغة أم الهة مدركة تقصد عارية الكون وبقاؤه ؟

ان كان كل هذا لا يدل علي القصد ولا يشعر بارادة عاملة في الكون ، وانما هي مجرد الضرورة والحاجة، فهل الضرورة هي التي أرادت بقاء الانواع فخلقت الذكر والانثى وجعلت في كل جنس مبالا فطريا الي الآخر ، وخلفت احدهما حاملا للآخرين المنتجة والآخر وعاء لها يحملها في احشائه ويغذوها بدمه حتى تستوفي حياتها الطبيعية ؟ ثم اعدت لها أنداء تمدها بالقضاء الخاص حتي تشب وتتعرع ، وأودعت صدرى الابوين من الحنان والرحمة ما يضطرهما الي تربية صغارهما واعدادها للحياة ؟

هل الضرورة هي التي أدركت أن دوام النوع لا يكون الا باليجاد انثى بجانب الذكر تشابهه في التركيب الظاهري وتماثله في التركيب الباطني فأعدت لكل منهما الاعضاء اللازمة للولادة، ثم أدركت أن تقاربهما لا يمكن أن يكون بمجرد عاطفة فقط النوع وان لا بد لذلك من وسيلة تجعل اتصالهما أمرا محتملا عليهما ، فخلقت لكل منهما لذة في ذلك الاتصال ليكون واقعا لا محالة مهما اعترضهما من العوائير، فأخذت أحدهما ينجذب الي الآخر طلبا للذة وتوفية لذلك الحاجة ليتم التلقيح وان لم يريداه ولم يسعها اليه .

الاهم ان آثار القصد في هذا الامر من أظهر ما يكون، فان كانت الضرورة هي التي

فعلت ذلك فهي ضرورة عاقلة مدبرة حكيمة مزودة لبقاء الانواع، تستحق أن تعبد وأن يُتأمل في آثار رحمتها وسعة سلطانها ويُعجب من شمول علمها واحاطة قدرتها.

الضرورة. . . ما احقر هذه الكلمة بجانب هذا الابداع العظيم وحيال هذه المشاهد الطبيعية التي لا تعد.

الضرورة. . . ما أضيق مدلول هذه الكلمة عن تفسير عجائب هذا الخلق، وتعليل قيام هذا الوجود المحير لا قومي المدارك.

واذا كانت الضرورة أعجز من أن تعال ظاهرة واحدة من هذه الظواهر التي لا تحصى، فإن القائلين بها يستحقون الرحمة لا الرد، وشبهتهم تستحق السخرية لا الحل.

﴿ رأى الدكتور الدكتور ادوارد هارتمان ﴾

في الفصد والعناية

الدكتور ادوارد هارتمان خليفة الفيلسوف الكبير شوبنهاور وهو يدر ركن الفلاسفة الألمانية . قال في كتابه (المذهب الدارويني صفحة ١٥١ من الطبعة الفرنسية ما مؤداه .

« كان المذهب المادي قد انكر قبل دارون وجود النظام في الطبيعة رغمًا عن المشاهدات ، ولكن المذهب الدارويني اعاد الاعتراف بوجود ذلك النظام ، الا انه تخيل تمليله بأنه نتيجة الادوار الميكانيكية المحض .

« وعلي هذا فاذا اُعد النظام الطبيعي كشيء مقرر ، واذا زُعم انه نتيجة الحوادث الميكانيكية ، لزم القائل به - هذا ان يختار واحداً من اثنين . فلما ان يقول بأن نظام الحوادث الطبيعية الناتجة من ميكانيكية الطبيعة غير مرتبط بالخواص الميكانيكية ولم تولد تلك الحوادث الا اتفاقاً (اي بالصدفة) ، واما ان يكون هذا النظام نتيجة

ضرورية ثابتة لهذه النواميس وخادث من طبيعتها .
 « في الحالة الأولى يستلزم تعميل الحوادث بالانواميس الميكانيكية . لان
 الاتفاق (أي الصدف) يكون في هذه الحالة العامل الوحيد في إيجاد النظام
 الطبيعي . وهذا ، بعبارة أخرى ، يلاشي امكان التعميل بأصول طبيعية عاملة في الوجود
 على نظام مقدر . . .
 « وفي الحالة الثانية يكون الحال على العكس اذ يفرض الاعتراف بوجود القصد
 لان من مقتضيات الميكانيكية حدوث حوادث مطابقة لنظام مقدر ، أي تكون
 الميكانيكية ذات غاية رقصد .
 « هذا حق لا مرية فيه ، ولا تنس ان كلمة الميكانيكية تعني آلة لانكوبين او مجموعا
 من الوسائل ، وهذا يقتضي ان تكون موضوعة لغرض ،
 « واذا لم تكن ميكانيكية الطبيعة موضوعة لغاية وقصد ، لرأيت ان السائد في الكون
 فوضى عمية ، اقوى مسنقة هائلة على وجهها هيان الثيران المهللة .
 « ونقول بعبارة أخرى ان القصد يقتضي الميكانيكية ، فانه يستحيل بدونها ،
 كما يستحيل وجود الميكانيكية بدون وجود القصد . فاذا تقررت نظرية الميكانيكية على
 اطلاقها تحققت معها نظرية القصد على اطلاقها كذلك ، واذا تحققت نظرية القصد على
 اطلاقها تحققت نظرية الميكانيكية كذلك .
 « وان وجود هذا الرأي عند الداروينيين (رأى عدم وجود القصد) هو من المسلمات
 التي لا يقوم عليها دليل ، ومن الاوهام التي لا اساس لها . »

﴿ رأى لويز بورردو ﴾

في الغاية والقصد

العلامة لويز بورردو من كبار مؤلفي فرنسا قال في كتابه (مساله الحياة) الصادر
 في سنة ١٩٠١ ما يأتي :

« القول بوجود القصد هو المصباح الذي ينير مسائل علم البيولوجيا (علم الحياة) فاذا حرمت من هذا النور أصبحت علوم التشريح والفيزيولوجيا غير مفهومة وخالية من المعنى . وقس على ذلك كل شيء . . . وحينما يتأسس نظام ويستنب وبترقى، وتتشاهد افتراضات ونطائقات واتجاهات وظيفية الى غاية واحدة ، او استحقاقات منتظمة لذرة واحدة، او عالم برمته ، هنالك يجب ان يعترف بأن هنالك قصدا مقصودا وروحا مدبرة ، لانه بدون ذلك تفقد وحدة المجموع رابطتها . فالقصد يظهر في تلازم الحوادث ويثبت به .

ثم قال :

« اذا اعتبرت النواميس على وجه عام فغالباتها البيئة مجموع آثارها ، فغاية ناموس الجاذبة العامة ازالة النهويش الذي حل به من وجود المادة في حالة اضطراب وارتباك، وتكوين اجرام عالمية ودفعها للدوران ، وغاية الحوادث الطبيعية ونواميسها لتحديد الظواهر المتغيرة التي تنزل منها جميع تشكيلات السكائنات ، وغاية ناموس الالفة والكياوية هو انتاج هذه المجموعة العظيمة الاجسام المركبة المنتمية بمخصائص مختلفة، والصالحة لجميع الاستعمالات ، وغاية الحياة هو تكوين مجموعة لا يحصى عدد افرادها من السكائنات الآلية الحية المتروية الى طوائف متعاقبة وقابلة للتكامل من اول المونير الى الانسان (المونير الخلية الاولية الحية) ،

هو رأي الاستاذ فون باير في

الغاية والقصد

العلامة فون باير الالماني هو من وصفنا فيما تقدم قال في صفحة ٢٤٠ من كتابه (دحض مذهب دارون) .

« اذا كانوا يمانون الآن بصوت جمهوري بأنه لا يوجد قصد في الطبيعة، وان السكون لا يقوده الا ضرورات عمياء، فانا اعتقد ان من واجباتي ان اعلن عقيدتي في

ذلك، وهي أني على العكس أرى جميع هذه الضرورات تؤدي إلى أغراض سامية .
وان الزوابع الفكرية التي ثارت في أيامنا هذه تعلن أن هذه التعاليم لا تثبت كثيراً،
والذي اعتبره أنا قصداً في الحياة العضوية لا يمكن أن يضحى في سبيل سلسلة من الاتفاقات
(الصدف) .

﴿ رأى العلامة كامبل فلامريون ﴾

في الغاية والقصد

كامبل فلامريون أشهر فلكي العالم ومعدود من العقول النادرة في العصر الحاضر
قال في كتابه (المجهول) صفحة ٩ :

« أن درس الوجود يجمعنا ندرك أن له نظاماً مقررًا، وغاية دفع به إليها، وإن
المقصود بهما ساكن هذا الكوكب وحده، وأنهما يتعاليان عن أن نلم بهما في
مقارنتنا.

« أن ناموس الترقى الذي يقود الحياء، والنظام الطبيعي لهذه الحياة نفسها،
وتجاذب الأجناس، والتبصر الذي يظهر في النباتات والعشرات والطيور والرخ
وهي غافلة عنه مما يقصد به حفظ ذرياتها، وامتحان المشاهدات الرئيسية
للتاريخ الطبيعي يقرر منها كما قال أورستيد بأنه يوجد في الطبيعة عقل
مدبر

﴿ رأى العلامة لوجيل الفرنسي ﴾

في الغاية والقصد

لوجيل من أقطاب العلم المصري كتب في كتابه (العلم والفلسفة):

« أن العلم يستسلم أحياناً لشكوك وانكارات تزعجنا، ولكن للعالم مساهير لا يسير لها
غور، فهو يكتفي بالالفظ كما لم يجد سبيلاً للمؤذ إلى مرائر الظواهر المحسوسة. تكثر
الكيمياء من ذكر الالفه؟ أبست هذه الالفه قوة فرضية، وأنية غير مدركة بالحواس

كالحياء والروح ؟ الكيمياء ترجع الى الفيزيولوجيا ففكرة الحياة، وتأتي عليها ان تشغل بها، ولكن هل في الفكرة التي نحوم حولها الكيمياء، ظل من الحقيقة ؟ هذه الفكرة لا تُدرك غالباً، ليس في أصلها فقط ولكن في آثارها أيضاً. أيستطيع الانسان أن يتأمل لحظة واحدة في القوانين المسماة بقوانين (برنولي) دون أن يفرض بأنه حيال سر لا يسهر له غور ؟ وإذا اعتبرنا ظاهرة ساذجة من ظواهر الاتحاد الكيماوي، ورأينا هذا الميل الذي يدفع بعض الذرات الى بعض، نتباحث ثم نتضام بعد تخلصها من المركبات التي كانت تحويها، أليس في هذا ما يحير العقل ؟ كلما أمعن الانسان في درس العلوم من وجهتها المنوية ازداد اعتقاده بان ليس في العلم ما يمنع من اتفائه مع بعد الفلاسفات مرعي .

الي أن يقول:

«نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور، أما الحقيقة والعلّة فتأبى ان تنكشف لنا، وانه ليحق لفلسفة عالية ان تعتبر كل القوى الخاصة التي افعالها قد تحللت بالعلوم المختلفة، صادرة من قوة اولية أبدية واجبة الوجود مصدر كل حركة ومركز كل عمل. اذا وجهنا انفسنا هذه الوجهة تظهر لنا الحوادث الطبيعية والكائنات ذاتها صوراً متغيرة لفكرة الهيئة».

﴿ رأي دائرة معارف القرن العشرين ﴾

الفرنسية

«كنا نستطيع ان تأتي على مئات من شهادات العلماء في هذا العدد ولكننا الاكتفاء بما تقدم، وختمها بشهادة دائرة المعارف الفرنسية الكبرى، فهي وحدها مثل رأي العلم الزمعي كله.

جاء في صفحة (١٥٦) من المجلد السابع والعشرين:

« ان الوجود الذي خلقه الله ليس بالة ساذجة (بسيطة) كما تحاول ان تقدم

(١٦ - على اطلال المذهب المادي)

به الناس تلك المقارنات الطائشة . وليس مذهب وحدة الوجود هو المذهب الوحيد الذي من خواصه الادلال على أن اكل من الكائنات المتنوعة للطبيعة الحية غاية وضم لاجلها ومركزا يدور عليه .

﴿ الدارونيون يشكرون الالهام في الحيوانات ﴾

فالماديين انكارات للمحسوسات تعتبر من المدهشات ، وتظهر بمظهر المعتمدين للنواقضة . من ذلك انكارهم للالهام الحيواني وعزو جميع الخيل التي تستخدمها الحيوانات لحفظ وجودها والبحث عن غذائها الى الضرورة العمياء ، هروبا من القول بالقصد . فترى في هذا الفصل أن تأتي على أمثلة من علم الحيوانات في الالهام الحيواني يرى القاري آثار القصد بادية فيه تشهد بالقصد الالهي والعناية الربانية .

دع ما يبتغيه النحل من الخلايا المسدسة الاشكال ، وما يقيمه كلب البحر من السدود على الانهار ، مما تقدر قيمته بألوف الفرنكات ، وما يأتيه النمل من المدهشات في اقامة مساكنه ، وما تفعله الطيور من العجائب في حضارة البيض والزغاليل والقيام بمحاجاتها من مأكل ودفع ، ثم تدرّبها على الطيران النخ النخ مما لاتسه المجلدات ، دع كل هذا وانل ما أقصه عليك من المشاهدات التي اطلم عليها العلماء بمراقبة الحشرات . وليكني قبل ذلك أريد أن اذكرك مذهب الماديين في الالهام الحيواني :

يقول الماديون ان الالهام الحيواني عادة موروثه ، فان النحل مثلا اهتدى بعد محاولات كثيرة الى أن حفظ حياته يرتبط ببناء خلاياه على نسق معينة فادمن عليه فصار عادة له فأورثها صغاره . . ولكن اثبت غير الماديين من علماء الحيوانات ان هذا الزعم باطل ، فأخذوا حيوانات كالنحل ولب البحر وهي صغيرة جدا وربوها حتى كبرت وهي لم تر ما يفعله آبؤها ، ثم تركوها فعملت نفس أعمالهم من بناء مساكن واقامة جسور

بحيث لم يوجد أدنى فارق بين العاملين. فكيف تعمل هذه المشاهدة بغير الإلهام الذي أودعه فيها الخالق؟

ان كان ذلك عادة موروثة فلم لم يرث الانسان عادة آبائه في البناء والنحت وهم قد اعتادوها منذ أولف مؤلفة من السنين، وأنت ترى انك لو ريت أحداً فراه بعمل عن الناس لنشأ جاهلاً لا يكاد يميز بين الخير والشر؟ فاما أن يقول الماديون بأن الحيوان أرقى عقلاً من الانسان، واما أن يقولوا بأن صنائع الحيوانات من الإلهام الالهي .

نرجع الى ذكر مشاهدات العلماء في عجائب حياة الحيوانات المثبتة الإلهام الالهي .

منها ان الفراش متى وصل الى الطور الثالث من حياته، يضع بيضه على هيئة دوائر على الاوراق الخضراء، هذا البيض لا يفسد الا في الفصل التالي فيخرج على هيئة ديدان صغيرة في الوقت الذي تكون فيه أماته (أمهاته) في عداد الاموات، اي انها لانراء، فمن الذي علم الفراش أن صغاره متى خرجت احتاجت الى التغذية بجني النباتات الخضراء؟ ومن الذي هداه الى وضع بيضه على تلك النباتات؟ هل هداه آفة؟ لا، انه لم يرها في حياته، فلم يبق الى الإلهام الالهي .

ومن تلك المشاهدات أن النحشرات المسماة (نيكروفور) تموت بعد أن تبيض مباشرة أي انها لا ترى لها ذرية أبداً (نأمل)، وليس فرد من أفرادها رأى له اماء، أو ولداً، ولكن من العجيب أن هذه الحيوانات قبل أن تبيض تعني غاية العناية بجمع جثث حيوانية تضعها بجانب البيض، لتصلح غذاء لصغارها متى خرجت. ففي أي كتاب قرأت هذه الحيوانات ان يبيضها يحتوى على صغار، وان تلك الصغار ستخرج وهي في حاجة الى الغذاء وان ما تحتاجه تلك الصغار هو تلك الجثث الحيوانية؟ لا يدل هذا على الإلهام الالهي من كان له قلب أو التي السمع وهو شهيد؟

ومن لعجب المشاهدات من هذا القبيل ان الحيوانات المسماة (يوميل) من أسماك الحشائش ولكن صغارها تولد من اكله الحيوانات فتري الامهات تعتمد الى

وضع بيضها على اجساد الحيوانات حتي اذا خرجت صفارها وجدت ما تغتذى به فمن الذي أدراها أن اولادها من اكلة الحيوانات ؟

ومن المدهشات في هذا الباب الحيوانات المسماة (اوديتير) و (سفكس) فان صفارها متي ولدت احتاجت بأن تغتذى بأجساد حيوانات حبة فترى أماتها متي باضت تعتمد الى اصطلياد حيوانات لا تقتلها ولا تكن تضربها بحيث تمنعها الحركة وتركها بعضها علي بعض علي تلك الحالة من العجز فاذا خرج صفارها وجدت امامها اغذائها حيوانات حبة وان كانت لا تستطيع الحركة .

ومن المجهيزات للفكر من أمر الهام الحيوانات ما تكلم الاستاذ ميلان ادوارد عنه في جامعة (السربون) من فرنسا وهو الحيوان المسمى (اكسيلو كوب) فقد قال أن هذه الحيوانات التي تراها طائفة في الربيع تعيش منفردة وتموت بعد أن تبيض مباشرة فلم ير صفارها أماتها ولا تعيش هي حتي ترى اولادها التي تكون على حالة ديدان لا اربل لها ، ولا تستطيع حماية نفسها من أية عادية ولا الحصول علي غذائها ومع ذلك فحياتها تقتضي أن تعيش مدة سنة من الزمان في مسكن مغفل وهدوء تام والا هلكت فترى الام متي حان وقت بيضها تعتمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها مبردا با طويلا فاذا اتمته علي ما ينبغي أخذت في جلب ذخيرة تكفي صغيرها سنة ، وتلك الذخيرة هي طالع الازهار وبعض الاوراق السكرية فتحشوها في قاع السرداب ثم تضع بيضة وتأتي بأشارة الخشب تكون منها عجيبة تجعلها سقفا على تلك البيضة ثم تأتي بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة أخرى وهكذا فتبني بيتها مكونا من جملة أدوار ثم تترك الكل وتموت .

قال العلامة ميلان ادوارد عقب هذه المشاهدات

« يجب أن يدرك الانسان لما يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك ان كل هذه العجائب الكونية ليست الانتايج الانفاق (الصدفة) أو بعبارة أخرى نتايج الخواص العامة للمادة وأثر لتلك الطبيعة التي تكون مادة الخشب ومادة الاحجار ، وان الهامات النمل مثل اسبي مدركات القوة المدركة الانسانية

ليست الا نتيجة عمل القوى الطبيعية والكيمائية التي بها يتم تجمد الماء واختراق الفحم وسقوط الاجسام. ان هذه الفروض الباطلة بل هذه الاضاليل العقلية التي يسترونها باسم العلم الحسي قد دحضها العلم الصحيح دحضاً فان الطبيعي لا يستطيع أن يعتقد بها ابداً. واذا أطل الانسان علي وكر من او كار بعض الحشرات الصيفية يسمع بنهاية الجلاء والوضوح صرت العناية الالهية ترشد مخلوقاتنا الى اصول اعمالها اليومية « انتهى كلام العلامة ميان أدوارد »

بقي علينا أن نبدي رأينا في أصل هذه الشبهة وهي الاعضاء الزائدة في الحيوانات ودحض استدلال الداروينيين من ذلك علي نفى التقصد .

شبهة الاعضاء الزائدة

ظهر يبحث العلماء في الكائنات الحية والبائدة أن لكثير منها أعضاء زائدة أي اثرية مثلها العيون الاثرية التي لا تبصر في بعض الحيوانات التي تقطن الكهوف أو تقيم تحت الارض. ومن أمثلة ذلك أيضاً وجود زوج من الاطراف ضامراً في بعض الحيوانات الفقرية وقد وجد كلا الزوجين من الاطراف ضامراً في بعض الحيوانات كالحيتات فكل هذا يدل بدهاء العقل على أن الخالق الحكيم جرى في إيجاد الكائنات وتنويعها وابداع أشخاصها على سنة تدريجية ، وادع في كل كائن قابلية لان يلائم البيئة التي يعيش فيها

فان اتفق وجود حيوان منتم بعينين في بيئة خالية من الضوء ضمرت عيناه وصارتا فيه أثريتين علي تعاقب الاجيال . وان حدث وجود حيوان ذي أربعة أطراف في بيئة لا يحتاج فيها الا الي طرفين اثنين ضمر فيه الطرفان الاذان لا يحتاج اليهما وأورث هذا الضمور أولاده فصار فيها ذاتك الطرفان اثريين .

وبالعكس إن قضى علي حيوان لاناب له ولا منسر ان يعيش في بيئة يحتاج فيها الي ذئبك المضروبين تكوّن له بالتدريج حتي يصبح من ذوي الانياب والمناسير (أن

صحت مذاهب التحول وقد اريناك شكوك العلماء فيها .

ولكن الاول بنا ان نعد هذا التحول التدريجي اثر من آثار العناية الالهية بدل ان نعد من آثار الضرورة التي لا تعقل ولا تسمى شيئاً ؟

يميل الماديون أن يعتبروا هذا التحول دالاً على أن الخلق جار على سنن العادة المطلقة والضرورة المحضة . كأنهم يريدون أن يهلك كل حيوان أو نبات يقضي عليه بأن يوجد في بيئة غير بيئته الاولى ليسوع لهم ان يقولوا أن في الكون قوة عاقلة مدبرة وهذا من غرائب شؤون الماديين ، والا فكيف لا يعد امداد الحيوان بحاجته من الاعضاء التي لم تكن له من الرحمة الالهية . وبعد عكسه من دلائل الحكمة والعناية والقصد ؟

ان الذي حدا بالماديين الى هذا الزعم توهمهم أن هذا التحول الجبرئي يدل على أن العالم كله خلق على هذه الوثيرة فوجدت الخليقة الاولى اولا ثم تحوات الى ارقى منها بتغير البيئة وهكذا ثم الخلق على ما هو عليه من الابداع والكمال .

سب أن الخليقة تكونت على هذا الضرب من التدرج فماذا فيه من نفي القصد الالهي ؟

هل مما ينفي القصد الالهي أن توجد خلية ساذجة متممة بخاصية مقاومة المؤثرات وقابلية التدرج نحو الكمال حتى تصل الى أنواع النبات والحيوان .
أليس هذا اجدر ان يدل على قوة خالقة اوجدت هذه الخلية متممة بكل قوة ووسيلة لحفظ حياتها حتى تصل الى كمالها ؟

أيهما يدل على دقة الصنع وغاية الابداع في عمل عامل ؟ عمله الشئ دفعة واحدة وتركه وشأنه يبيد ان لم تناسبه الظروف ، ام تكوينه على حال تمكنه من التدرج شيئاً فشيئاً وامناعه بالوسائل التي تمكنه من مكافحة التغيرات الطارئة في كل حين ؟

خلق الله الأرض على سنة تدريجية كما تدل عليه المباحث الجيولوجية ، وجعل
بيئاتها وقواها دائمة التحول والتغير، حتى أن سطح الأرض الذي نعيش عليه كان قاعا
للبحر في عصر من العصور ، وما فيه الآن من مدن عامرة كان قبل عدة أجيال غابات
كثيفة، وما كان غابات كثيفة يظل وبقيت ملايين من الحيوانات أصبح الآن مناجم
للنفط الحجري . وقس على ذلك ما لا يحصى من الانقلابات، فإذا كان الله خلق الأرض
على هذه السنة أفليس من الحكمة أن يخلق الكائنات عنمة بمخاضة مقاومة المؤثرات
مقاومة المؤثرات حتى لا تبديد وتلاشى أمام التغيرات الذريعة؟

فإذا لم يخلق الحيوان البصير على حالة تمكنه من أن يعيش في الظلام فتصبح عيناه
اثريتين ، وما لا ناب ولا منسر له أن يكون له ذاك العضوان إذا اقتضت الأحوال
المعيشية وهم جرا ، هل كان بقي ، لولم يتمتع الخالق الحيوانات والنباتات بهذه الخاصية من
التحول ، على الأرض حي يعمرها الآن ؟

(نظرة على ماسبق)

مر دنا لقاري، ما حاوله الانسان من تعليل وجود الاحياء وتنوعها على الأرض،
واتيناه بمذاهبه المختلفة حتى مذهب دارون وهو أحدثها ظهورا، وأكثرها ذوعا، وقد
رأى القاري، انه أصبح كغيرة مثقلا بأعباء النقد، نائيا تحت آصار التجريح حتى فضل
عليه مذهب لامارك وان كان هو أيضا لا يستطيع الوقوف على ساقيه من كثرة ما جعل
من أوزار الاستشكالات.

وقد زاد الانسان اطلاعا على الدقائق البيولوجية والامبيرولوجية، ووقفا على
كنه الاختلافات الجنسية والنوعية، وعلى حقيقة المؤثرات الطبيعية، والعوامل الخارجية
فازداد علما بأن هذه المذاهب كلها لا تفسر وجود الحياة ولا ظهور الاحياء وتنوعها.
وجاء العلامة (دوفري) فأثبت بالعمل حدوث الطفرة في عالمي النباتات والحيوانات
فأصبحت نظرية التسلسل نفسها في أزمة اعترف بها اكبر اشياءها من أمثال (لوداتيك)
(ايف) و (دولاج) و (جولد سميث). فتغير موقف العلم حيال هذه المسئلة كلي.

التغير ، وادرك العقل في هذه الدفعة ايضا انه كان محدودا بآراء باطلة فهل معنى ذلك ان العلم عاد الي القول بالمذهب القديم وهو ان كل نوع حاق علي حدته ؟ لا . فان القول به يرد عليه من الاستشكالات أكثر مما يرد علي غيره من المذاهب ، وتأثير الفواعل اللاماركية والدارونية في الاحياء لا يمكن نكرانها بوجه من الوجوه ولا يمكنها غير كافية في تعليل وجود الحياة وتنويع الاحياء واصبح الباحثون يرون انفسا المشكلة الى أحدا مربين : فاما ان يوفق نابعة من نبغاء العلم الي وجدان نظرية تحل جميع معاضدها ، وتفسر كل غوامضها ، بما لا يدع محلا لنقد ناقد ، ولا استشكال مستشكل ، واما أن يقتنع العقل نهائيا بأنها من المسائل التي لا تحل كمسئلة الوجود نفسه .

وعلي كلنا العاليتين فقد خلاص العقل الانساني ، بادراك وهن هذه المذاهب ، ومن إصرار كاتب انقل الآصار عليه ، ناهيك بنظريات كانت توهمه بأنه فهم سر الغلبة فهم لا تردد بعده ، في الحين الذي كان فيه ابعد عن هذا الفهم منه في اى زمن كان .

ولا أستطيع أن أصور هنا مبلغ ارتفاع القوة المعنوية للانسان بادراكه أنه كان محدودا بالخراف من الكلام أحلاما محل الحقائق المفررة عشرات من السنين ، فان ذلك يزعه عن الوقوع في مثله ويحثه على مد مدى بصره ، وعدم قبوعه في زوايا من المباحث خرجة ، لا تصور له غامضة الوجود على ماهي عليه ، ولا تشعره بروعة هذا المجهول الضخم الذي يحيط به من كل مكان ، فيصدر الاحكام الطائشة علي بداءات الاشياء ونهاياتها ، ويبعد عن مصدر الحق الذي يتهالك لادراكه ، ويتفاني للوصول اليه بجهود المتوالية في مدى الوف من السنين .

فاذا كانت مهمة العلم أن يبحث عن الحقيقة وان يجد هافليس اضر عليه من ان يتخيلها في رأى من الآراء ، ويجمد عليه . ولا احيل القارى لفهم خطر هذا الانخداع العلمى الا الى ما كتب في كتب الداروينيين في مدى خمسين سنة بعد ظهور هذا المذهب ليحقق من مبلغ الغرور الذي كان آخذاً بمتنفسهم ، والزهو الذي كان قابضاً على

تُحَسِّنُهُمْ . ولست في حاجة لاعطاء القارى أمثلة عما كانوا ينشرونه من ذلك فهو مشهور متداول ، ولكنني أعطيه امثالا عما نشره الباحثون بعد هذا الدور، أى فى مدى العشرين السنة الاخيرة بعد زوال هذا الكابوس عنهم مما يشف عن الادب العالمى الذى افاضه عليهم تحقّقهم من انهم كانوا واهمين ، وبالقشور قانعين . وهو ادب دفعهم الى تلمس الحقيقة لا من ناحية المذاهب الخادعة، والتعبيرات الفارغة ، ولكن من ناحية النظر الصحيح فى كل ما يعرض لهم، غير محقّقين موضوعا بحجة أنه بقية من بقايا الاقدمين، ولا مجاوزين مجالا بدعوى أنه من المقررات المتفق عليها او أنه غير جدير بالبحث استنادا الى أصول وضعها الواضعون أيام الغرور العلمى المشوّ، فظاهر لهم من أسرار الوجود ما حير عقولهم ، وصغر في نظرهم أصولهم ، وانفتح أمامهم مجال لا يحده القصور بحد ، ولا تحصر عجائبه ولا تعد ، ونحن هنا نسرّد عليك بعض ما اعترفوا به من ذلك وما فرضه عليهم هذا الموقف العادل من الزرابة على المذهب الانادى، والتحقير لاصوله الضيقة الحرجة، وما هدّوا اليه من الطريق المؤدى الى ابواب الحقيقة التى ترد فيها ، ولا حيرة معها .

وانى الفت نظر القارى، الى أمر جدير بالنظر، وهو أن هذه الاقرارات بقصور العلم ، وبحقارة القدر الذى وصلنا اليه منه ، وبكونه قاصراً على العلاقات الموجودة بين الكائنات لا يتعداها الى كنهها ، هي الوصف المميز لعلم القرن العشرين، على تقيض ما كان عليه الحال في القرن التاسع عشر، حيث كان الغرور بهذا القدر الناقص من العلم بالغما اشد درجاته، وهو انتقال بعيد المدى ، تحرر به العقل من امر الاوهام ذات الصبغ العلمية ، وتعرض معه للحقيقة وجها لوجه، فشعر من جلالها وروعها بما لم يشعر به في عهد من عهوده السابقة . فاذا كان عالم القرن التاسع عشر قد بلغت منه الكبرياء، مبالغها حتى صرفته عن الحقيقة التي ما تولد السلام الا لنشدانها ، زاعماً أنه بلغ الى درجة من فهم المساتير يمكنه من تحليلها وتفسيرها بنظرياته واصوله المصطلح عليها ، معتددا بحواسه ومشاعره واحكامها ، فان عالم القرن العشرين متواضع معترف بقصور علمه عن تحليل أصغر الظواهر واحقرها ، مقر بأنه كان ولا يزال مخدوعاً بمجواحه

ومشاعره ، وانها لاثريه من الموجودات الاقشورها ، اما لبابها وحقيقتها التي هي مرعى العلم ومطامح نظره ، فمستورة عنه بمحجبات تلك الحواس نفسها ، والفرق بين الحالين بعيد الغور ، واسم المدى ، بحيث ان القيام على احدهما يؤدى الى عكس ما يؤدى اليه الآخر . فالاول يؤدى الى نكران كل شىء فوق المادة ، والثاني الى نكران المادة واثبات ما فوقها واعتبارها وجها من وجوه القوة ، وكيف يؤمن بالمادة عالم القرن العشرين بعد ما توصل الى افنائها في القوة ، وبعد ما رأى إشعاعها وتلاشيها بذاتها الى تلك القوة ؟

والاول يغضى الى قصر البحث على المادة باعتبار انها اصلا لا وجود كاه ، والثاني الى مد البحث لما وراءها من عالم القوة الذى ثبت انه الاصل الذى تنزلات منه .

فالخلاف بين المعلمين لا يقدر بقدر ، ولا يقاس بمقياس .

فانبدأ الآن في ان نعرض على القارى آراء اركان النهضة العلمية الراهنة في العالم والوجود ، ليقابلوها بتلك الكتابات الطائشة التي يزيد اصحابها ان يوهمو الناس ان العلم الطبيعي قد حل معضلة الوجود ، وادرك سر قيام الموجودات على الاسلوب المادى والبحث ، ولا يعمدرونا ان اكثرنا من النقل في هذا الباب فان هذه الفتنة العمياء تجب ازلتها مهما كلفت الباحثين من جهد وثبات ، لانها مثار كل الضلالات الالحادية ومنبعث جميع الرعونات العقلية .

﴿ رأى الاستاذ شارل ريشيه ﴾

من مقدمة كتبها شارل ريشيه المدرس بجامعة الطب الفرنسية والعضو بالمجمع العلمي . الكتاب الدكتور ماكسويل النائب العام في حكومة الجمهورية الفرنسية وهو كتابه المسمى (الظواهر النفسية) قال الاستاذ ريشيه . في صفحة ٧ من طبعته الخامسة سنة ١٩١٤ « يجب على الانسان مع احترامه العظيم للعلم المعصرى ان يعتقد بقوة ان هذا العلم المعصرى مهما بلغ من الصحة فهو لا يزال ناقصا نقصا هائلا :

ثم قال في صفحة ٩ معالما جوهنا العظيم بالسكون :

« ان حواسنا من القصور والنقص علي حال يكاد معها يفات من شعورها الوجود كل الافلات ، فالقوة المغناطيسية العظيمة لم تعرف الا عرضا ، واذا لم يوضع الحديد الحلو بجانب حجر المغناطيس اتفاقا كنا جوهنا دائما ان المغناطيس يجذب الحديد وما كان احد منذ عشر سنين يحلم بوجود اشعة رنتجن . وقبل اكتشاف الفوتوغرافيا كان لا يدري احد ان النور يؤثر علي املاح الفضة ، ولم تكتشف الامواج الهرتز به (نسبة الي هرتز الطبيعي) الا منذ ثلاثين سنة ، ومنذ ثماني عام كان لا يعرف عن هذه القوة الكهربائية العظيمة الا الخاصة جذب الكهرمان اذا ذلك بالصوف .

« اذا سألنا رجلا بربريا بل لو سألنا فلاحا مصرية أو قرويا روسيا عما يعلمه عن قوى الطبيعة وجدناه لا يدري منها عشر ما تسرده منها الكتب الابتدائية لهذا العلم في سنة ١٩٠٣ ، ويظهر لي ان علماء هذا العصر سيكونون حيال علماء القرون المقبلة في مثل موقف قروي اليوم اذا اساتذة كلية فرنسا .

ثم قال بعد ضربه الامثال :

« ثم لماذا لانصرح بصوت بهوري بأن كل هذا العلم الذي نفخر به الى هذا الحد ليس في حقيقته الا ادراكا لظواهر الاشياء ، واما حقائقها فتفات منا ولا تقم تحت مدار كنا ، والطبيعة الصحيحة للنواميس التي تقود المادة الحية أو الجامدة تتعالى عن ان تلم بها عقولنا ؟ مثال ذلك اننا اذا اتقينا حجرا في الهواء نراه يسقط الي الارض ، فلماذا سقط ؟ يجيبنا نيوتن بقوله سقط بجذب الارض له جذبا مناسبا لكتلته وللمسافة التي سقط منها ، ولكن ما هو هذا الناموس ان لم يكن مجرد تمثيل حاصل ، والا فهل منهم احد ادرك تلك الذبذبة الجاذبة التي تجعل الحجر يسقط علي الارض . ان ظاهرة سقوط حجر علي الارض من الشبوع بحيث لا تدهشنا . ولكن الحقيقة انه لا يوجد عقل انساني فهم ذلك . ان هذا الظاهرة عادية وعامة ومقبولة ولكنها غير مفهومة ككل ظواهر الطبيعة بغير استثناء . (تأمل) ،

« نرى البيضة تلقح فتصبح جنينا ، وانا نهدف أدوار هذه الظاهرة ونحن بين

مخطئين ومصيبين في الحقيقة ، ولكن هل فهمنا رغماً عن وصفنا الدقيق لها سر ذلك التحول الذي يحدث في البروتوبلازما الخلوية فيقلبها الى كائن حي عظيم ؟ وبأي معجزة تحدث تلك التجزؤات ؟ ولماذا تتجمع تلك التجميعات هنالك ؟ ولماذا تتهادم هنالك لتعيد تكوينها في مكان آخر .

«انما نعيش في وسط ظواهر تتوالى دوننا ولم نفهم سر واحدة منها فهمنا يليق بدرجتها . حتى أن أكثرها سذاجة لانزال سرا من الاسرار المحجوبة كل الاحتجاب . فما معنى اتحاد الايدروجين بالاكسجين ؟ ومن الذي استطاع أن يفهم ولومرة واحدة معنى هذا الاتحاد وهو يفضى الى ابطال خواص الجسيمين المتحدين وايجاد جسم ثالث مخالف الاولين كل المخالفة ؟ ان العلماء لم يتفقهوا للآن حتى علي طبيعة الذرة المادية التي توصف بانها غير قابلة للوزن وهي مع ذلك تصير قابلة له متى اجتمع عدد كبير منها .

« فالاولي بالعالم الصحيح ان يكون متواضعا وجريئاً في آن واحد متواضعا لان علومنا ضئيلة ، وجريئاً لان مجال العوالم المحبولة مفتوح امامه .

ثم ختم مقدمته بقوله :

« فالويل للعلماء الذين يظنون أن كتاب الطبيعة قد اُقفل ، وأنه لا يوجد شيء جديد يحسن تفهيمه للانسان الضعيف .

رأى الفيلسوف الفرنسي جيو :

وقال الفيلسوف جيو في كتابه (عدم التدين في المستقبل) في طبعته السادسة سنة ١٨٨٦ وهو من الدأءاء الاشكال الموجودة من الاديان :

« ان الفرض اللئ بأن الذرة المادية لا تقبل الانقسام ولا التجزؤ يعتبر من الوجهة الفلسفية من الآراء الطفلية . فقد اثبت طومسون وهلمولتز ان الذرات في ذاتها زوجات متشابهة مكونة من الابخرة (كبخار كلوريدات الامونيأك مثلاً) فقال ان كل حلقة ذروية تتألف علي الدوام من جزئيات واحدة . ولا يمكن فصل

احداها عن سائرهما . فكل منها والحالة هذه شخصية ثابتة .
 « اذا وُسم المذهب المادي وجب عليه أولا نسبة الحياة الى العنصر العام بدلا
 من ان يفترضه مادة عمياء . قال الفيلسوف سبنسر (كل جيل من العلميين يكشف
 في المادة المسماة عمياء قوي ما كان يحلم بوجودها أعلم علماء الطبيعة قبل ذلك بسنين
 معدودة) فاننا لما رأينا أجساما جامدة تمس رغما عن جهودها الظاهر بتأثير قوى
 لا يمحى عددها ولما اثبتت لنا آلة التحليل الطيفي (الاسبكتروسكوب) بان الذرات
 الارضية تتحرك بالاتفاق مع الذرات الموجودة في الكواكب ، ولما اضطررنا الى أن
 نستنتج من ذلك أن ذبذبات لا يمحى لها عدد تحترق الفضاء في كل وجهة وتحركة ،
 لما رأينا ذلك كله وجب علينا ان ندرك كما يقول سبنسر (ان الوجود ليس مؤلف من
 مادة ميتة ، بل هو وجود حي في كل جهة من جهاته ، حي بأعم معاني هذه الكلمة ان لم
 يكن بأخص معانيها)

« الاصلاح الثاني الذي يحتاج اليه المذهب المادي لكي يفي بحاجة البحث
 عن العلة الاولية هو أن يفترض ان للمادة مع الحياة جرثومة روحانية . وبما ان
 هذه المادة الاولية هي عبارة عن قوة صالحة للحياة ولا فكر معا فليس هذا ما يفهم عمليا
 بل ولا علميا من معني المادة فضلا عما يفهم من معني الايدروجين (الذي يظن البعض
 أنه المادة الاولية) . فالماضي البحث الذي يلمس يديه كرة الدنيا معتمدا على الحاسة
 الغليظة وهي حاسة اللمس يصبح قائلا : الشكل مادة . ولكن المادة نفسها تستحيل
 في نظره الى انقوة ، والقوة ليست الصورة اولية من صور الحياة . وعلى هذا يستحيل
 المذهب المادي الى مذهب روحاني ، وتجدد مضطرا أمام الكرة الارضية الدائرة
 لان يقول انها حية . واذ ذاك يتدخل شخص ثالث يضرب هذه الكرة برجله كما
 فعل غاليليه ويقول نعم هي قوة ، هي حركة ، هي حياة . نقول ومع ذلك فهي أيضاً شيء
 آخر لانها تفكر في ، وتدرك ذاتها بي .

ثم قال « اذا كان المذهب المادي الذي يدعى انه علمي محض لا يقبل ان الطبيعة
 تعطي بقدر ما يدرك العقل ، واذا انكر وجود الفكر والطبيعة معا كان بذلك منسكراً

انطباق الطبيعة على أحكام العقل وهو الاصل الذي تعتمد عليه كل فلسفة تدعى انها علمية محضة .

ثم قال :

« اننا عوضا عن أن نحاول ادماج المادة في العقل والعقل في المادة نعتبر الاثنين معاً في هذه التركيب وهو الحياة ، وهذا التركيب اضطر العلم نفسه في تنزهه عن الغرض سواء اكان أدبيا أو دينيا للاعتراف به . فالعلم يوسع كل يوم دائرة الحياة حتى صار لا يوجد خط انفصال ثابت بين العالم العضوى والعالم غير العضوى » انتهى .

﴿ رأى الاستاذ جوستاف لوبون ﴾

قلنا رأى هذا العلامة الكبير في العلم والمزاعم الفلسفية في صفحة (٢٣-٢٨ من هذا) الكتاب فراجعها فيها وهي آية في هذا الباب .

﴿ رأى الاستاذ هنرى بوانكاريه ﴾

قال الاستاذ الرياضي الكبير هنرى بوانكاريه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي في مقدمة كتابه (العلم والافتراض) صفحة ١ .
« الحقيقة العلمية في نظر المشاهد السطحي تعتبر خارجة عن متناول الشكوك .
وعنده ان المنطق العلمى غير قابل للنقض وان العلماء ان اخطأوا احيانا فلا يكون ذلك الا لانهم لم يراعوا قواعدهم . . .

« والحقائق الرياضية في نظره تشتق من عدد قليل من القضايا الجلية الواضحة بسلسلة من الادلة المنزهة عن الخطأ . وهي واجبة ليس علينا فقط بل وعلى الطبيعة أيضا ، مقيدة الخالق نفسه ولا تسمح له الا باختيار حل من بين الحلول القليلة العددية نسبية . فيكفيها والحالة هذه عدة تمارب لتعرف منها أى شيء قد اختار الخالق منها . ومن كل تجربة من هذه التعارب تنتج طائفة من نتائج رياضية وعلى هذه الصورة تعرفنا كل واحدة منها زوايا مجهولة من زوايا الكون .

«وهذا هو أصل الفقة العلمية لناس كثيرين من أهل الدنيا والتلاميذ الذين يتلقون مبادي علم الطبيعة، وها هو جهد فهمهم للدور الذي تؤديه التجربة والرياضيات، وها هو ايضا غاية فهم كثير من العلماء الذين كانوا يحملون منذ مئة سنة ان يبنيوا العالم باستخدام أقل ما يمكن من المواد المستمدة من التجربة؛

«ولكن لما تروى العلماء قليلا لاحظوا مكان الافتراضات من هذه المعلوم، ورأوا ان الرياضي نفسه لا يستطيع الاستغناء عنها، وان التجربة لا تستغني عنها كذلك. حينذاك سأل بعضهم بعضا هل كانت هذه المباني العلمية على شيء من المنانة، وتحمقوا ان نفخة واحدة تكفي لجعل عاليها سافلها. فمن ألد على هذا الوجه صار سطحيًا ايضا. فان الشك في كل شيء، او الاعتقاد بكل شيء، يعتبران حلين قذرين المؤنة، فان كلا منهما يعطينا من اعمال الروية».

﴿ رأى الاستاذ وليم جيمس ﴾

الاستاذ وليم جيمس استاذ بجامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة وصاحب المؤلفات الممتعة في علم النفس، قال في كتابه ارادة الاعتقاد:

صفحة ٧٣:

«قد بدأ عصر العلم بغاليه من لدن ثلاث مئة سنة، ومن ذلك اليوم الى هذا الحين كان يكفي أن يقبض أربعة رجال يفضي كل منهم الى خليفته بما فتش على الناس في ههنا من مكتشفات العالم، فكان يصل اليها عنهم ذلك النور العلمي كله، فهل يعقل ان علما ليس له من العمر الا يوم واحد يستطيع ان يمثل لنا شيئا آخر غير صورة ضعيفة لما سيكون عليه السكون في نظر الذين سيفهمونه على حقيقة في يوم من الايام؟ كلا. ان علمنا ليس الا نقطة، ولكن جهلنا ببحر زاحز. والامر الوحيد الذي يمكن ان يقال بشيء من التأكيد هو ان عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بعالم اوسع منه من نوح آخر، لم ندرك خواصه المكونة له الى اليوم»؛

﴿ رأى الاستاذ كروكس ﴾

الاستاذ ولهم كروكس من اكبر علماء الانجليز ومن أعضاء المجمع العلمي المسمى
حصل على جميع ألقاب الشرف العلمية التي تمنح في بلاده لنا بعين، وهو مكتشف إشعاع
المادة وآلات كباوية كثيرة. قال في خطبة له في مجمع العلوم كما ورد ذلك في مجموع خطبه
صفحة ٨

« من بين جميع الصفات التي عاونتني في مباحثي النفسية وذلك لي طرق اكتشافاتي
الطبيعية ، وكانت تلك الاكتشافات احيانا غير منتظرة ، قلت من بين تلك الصفات
عندي اعتقادي الصحيح الراسخ ببطل ، واكثر الذين بدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم
عاجلا او آجلا الى اهمالهم السكلي لجانب عظيم من رأس مالمهم العلمي المرعوم لانهم يرون
ان رأس مالمهم هذا وهمي محض .
وقال في معرض آخر من تلك الخطبة :

« فمتي امتحننا من قرب بعض النتائج العادية لظواهر الطبيعة ، نبدأ بالادراك الى اي
حد هذه النتائج او النواميس كما نسميها ، محصورة في دائرة نواميس اخري ليس لنا
بها اقل علم . اما انا فان تركي لرأس مالى العلمي الوهمي قد بلغ حداً بعيداً ، فقد تقبض
عندي هذا للنسيج العنكبوتي للعالم كما عبر بذلك بعض المؤلفين الى حد أنه لم يبق منه
الا كرة صغيرة تكاد لا ندرك .

« ولست بأسف من الحدود التي تضعها امامنا الجبال الانسانية ، بل اني اعتبرها
منشطا منقذا . اني اعتقد بأنني لست أنا وليس احد سواي اهلا لان نعيم من مقدما ما ليس
بوجود في الكون . ولا استطيع انا ولا احد غيري استطيع ان نقول بان شيأ بعينه
لا يحصل حوانا في كل يوم من ايام حياتنا ، هذه العقيدة تدع لي املا مقوبا بأن
اكتشافا رئيسيا جديدا يمكن ان يحدث في مجال من المجالات ، في أقل الاوقات تفكراً
فيه . » انتهى .

وقال في خطبة أخرى صفحة ٣٦

«الكون كله، علي ما ندركه، نتيجة الحركة الذرية . وهذه الحركات الذرية تنطبق تماما علي قانون حفظ القوة، ولكن ما نسمة ناموسا طبيعيا هو في الحقيقة مظاهر من مظاهر الاتجاه الذي يعمل علي موجه شكل من اشكال القوة، ونحن نستطيع ان نعمل الحركات الذرية كما نعمل حركات الاجرام الجسمية، ونستطيع ان نكتشف جميع النواميس الطبيعية للحركة، ولكننا مع ذلك لا نكون اقرب مما كنا عليه الي حل اهم مشكلة وهي . اي نوع من انواع الارادة والفكر يمكن ان يوجد خلف هذه الحركات الذرية، مجبرين لهذه الحركات علي اتباع طريق مرسوم لها من قبل ؟ وماهي العلة العاملة التي تؤثر من خلف هذه الظواهر (وفي الاصل من وراء ستار المسرح) ؟ وأي ازدواج من الارادة والفكر يقود الحركة الآلية العسرة للذرات خارجا عن نواميسنا الطبيعية بحيث يحملها علي تكوين هذا العالم المادي الذي نعيش فيه ؟»
ثم قال.

«اسمحوا لي ان استنتج من هذا الفهم انه يستحيل علينا ان نتخيل مقدما الامرار التي يحتويها الكون والعوامل الدائبة علي العمل فيما حولنا» انتهى .

(رأي الاستاذ اوليفر لودج)

اوليفر لودج من اكبر علماء الطبيعة الانجليز، عضو بالمجمع العلمي الملكي ورئيس جامعة برمنجهام ومكتشف نظرية التفراف اللامساكي . قال في خطبة خطيبا في جمعية تقدم العلوم الانجليزية وهو رئيس القسم الرياضي والطبيعي منه (نقل هذه القطعة عنه العلامة (البيردوروشاس)) مدير مدرسة الهندسة الفرنسية في كتابه الحالات العميقة لانوم المغناطيسي . قال:

«ان الذي نعلمه ليس بشئ، في جانب ما يجب علينا ان نتعلمه وقد يقال ذلك احيانا بلا اعتقاد . اما بالنسبة لي انا فهي الحقيقة الخرفية . واردة قصر مباحثنا علي المجالات التي افترضناها نصف افتتاح باعتبار خيانة لعهود الرجال الذين كافحوا للحصول علي حرية البحث

(١٨ - علي اطلال المذهب المادي)

وتخيبيا لاقدس آمال العلم .

(رأى الاستاذ كاميل فلامريون)

كاميل فلامريون اكبر فلاسكى الفرنسين ومن اشهر فلاسفة الغرب قال فى كتابه
(المجهول) صفحة ٥٧٨ :

فلا نضيق دائرة مدركاظنا ، ولا نؤمسن مذاهب ولا نظريات ، ولا نزعن
ان كل شىء يجب ان يمال حتى يمكن التسليم به ، فان العلم لا يزال بعيدا عن أن يلاحظ كلته
الاخيرة فى أى موضوع كان .

وقال فى كتابه (القري الطبيعية المجهولة) يخاطب الماديين :
« ايه أيها السادة مهما بلغ من ضيق احكامكم فان قصر نظركم لا يصح ان يسرى
على الوجود . فقد اعانتم بأنه رغما منكم ومن كل العقبات التى تضمونها فان مركة المعارف
الانسانية ستقدم الى ابعدهما هي عليه الآن وستستمر متقدمه وهي فائزة لا محالة بادراك
قوى جديدة » .

الى ان قال :

« ترانا نفكر ولكن ما هو الفكر ؟ لا يستطيع احد ان يجيب على هذا السؤال .
وترانا نمشي ولكن ما هو العمل المضى ؟ لا يعرف أحد ذلك . ارى ان ارادتي قوة
غير مادية وان جميع خصائص روحي غير مادية أيضا ومع ذلك فتي اردت ان ارفع
ذراعي ارى ان ارادتي تحرك مادتي ، فكيف يحدث ذلك ، وما هو الوسيط الذى
يتوسط للقوى العقلية فى انتاج نتيجة مادية ؟ لا يوجد من يستطيع ان يجيبني عن هذا
أيضا . بل قل لى كيف ينقل العصب البصري الى الفكر صور الاشياء الخارجية ؟ وقل
لى كيف يدرك هذا الفكر وابن مستقره وماهي طبيعة العمل الخفي ؟ قولوا لي ايها
السادة . . . ولكن كفى فاني استطيع ان اسألكم عشر سنين ولا يستطيع اكبر
رأس فيكم ان يجيب علي احقر استلتي » انتهى

﴿ رأى الفيلسوف الكبير هربرت سبنسر ﴾

هربرت سبنسر أشهر الفلاسفة المعاصرين وتعاليمه تعتبر أكثر التعاليم سلطاناً على القول قال في كتابه (الاصول الاولية) صفحة ٢٤٧ :

قال بعد ان سرد الاصول التي يحاول بها تفسير الوجود:

« اي وظيفة تؤديها هذه الاصول في تكوين هذا الفهم ؟ هل تستطيع واحدة منها ان تعطينا وحدها فكرة عن هذا الوجود اعني عن مجموع ظواهر الموجود الذي لا يمكن ادراكه ؟ واذا اعتبرناها مجتمعة فهل تستطيع ان تعطينا فكرة تساوي جلالة هذا الوجود ؟ واذا رتبنا وجهات مذهبها فهل تستطيع ان تكون لنا هذه الفكرة المرجوة ؟ ليس لنا علي كل هذه المسائل الاجواب واحد وهو : لا »

﴿ رأي الفيلسوف اندريه كريسون ﴾

قال الاستاذ (اندريه كريسون) مدرس الفلسفة في جامعة ليون في كتابه (قواعد الفلسفة الطبيعية) وهو في صفحة ١٧٠

« العلم لا يعطينا على الوجود في مجموعه الا معارف مبهمة للغاية . فانت لا تعلم العدد الحقيقي للنجوم ولا للكواكب التي تحيط بالشموس البعيدة . فابداء فرض والحالة هذه علي تركيب مجموع الكون لا يمكن ان يكون الا تحكما . فالفلاسفة الطبيعيون المتحفظون يرفضون ان يبنوا من النظريات ما يمكن ان يسمى بالرواية الخيالية لاسماء . فهم لذلك يفضلون القيام على ارض ثابتة اقرب الى روح العلم .

الي ان قال :

« ماهي الفلسفة الطبيعية اليوم في الواقع ان لم تكن عقيدة فوق متناول العلم . هل يقتصر الطبيعي على قول ما يعرفه ؟ هل يتمتع عن الحكم على الاشياء التي يحلمها ؟ لا ، قالت مذهبه يكبر ويمتد لانه في كل خطوة من خطواته يحمل العلم ما ليس عنده ، فتراه تلميحا او تهرميا يؤكد لك بانه سيحل مسائل لم يحلها العلم وانه سيثبت فهمنا وجهة معينة »

أحقق السكجايون التركيب الحيوي واثبتوا امكان التولد الذاتي ؟ أفسر أحد اصل التمثيل الوجداني . اصارت اصول فلسفه النشو ، والارتقاء تامة وتنزهت عن كل صهوبة ؟ أقامت نظرية المادة والقررة على حالة نهائية ؟ أتفق العلماء على جميع النقط التي يبحثونها ؟ اصار مما لاجدال فيه ان جميع مافي الوجود خاضع لنظام مقرر لا يتغير ؟ ألا يوجد عالم اطلاقا تختلف فيه الزواميس في جهة أخرى ؟ يستطيع العالم المدقق ان يجيب على هذه الاسئلة بأنه ربما كانت له على هذه المسائل عقائد مؤسسة على المرحجات ولكنه لا يستطيع ان يثبت فيها بالقول الفصل الذي يتطلبه العلم . ومع ذلك فالفيلسوف الطبيعي يتنكب هذا التحفظ ويبني مذاهب وهو هادى البال فقل من يعتقد ان الاستكشافات المقبلة لن تكذبه .

الي ان قال :

« ان قيمة ما يظهر لنا انه اشد المعارف ثبوتاً واوضحها صحة لانزال مشكوكا فيها من وجهة علم العال الاولية . ولا يستطيع احد ان يثبت انها حقيقية كما لا يمكن احد ان يثبت انها باطلة .

الي ان قال :

« فالذى يعتبر بنتائج الفلسفة الطبيعية لايجوز له ان ينفي ان هذه النتائج لم تثبت ثبوتاً مطلقاً ولا يمكن ان تصل الى هذه الدرجة ابداً ، فهي تفوق جهد العلم العصرى بما لا يقدر . ولا يمكن ان تعلن صحتها بدون التسليم بهذا الافتراض الكبير وهو : « ان الشيء الذى لا يستطيع عقلنا ان يشك فيه هو مظهر الحقيقة الواقعية » فقلل باليجاز ان الفلسفة الطبيعية ملائى بمقائد غير مثبتة ولا تقبل الاثبات » .

﴿ أثر هذا الانتقال العقلى على الانسان ﴾

(وخاتمة الكتاب)

اننا نستطيع أن نأثي بمئات من هذه الاعترافات ولكننا رأينا ان نختزى بها

تقدم خشية الاملال . وليست هذه الاقوال في حاجة الى الشرح ، ولكنني ارجو ان لا يقرأها القارىء كما يقرأ اخبار الصحف ، ولكن أن يفهم ما هي جدرة به فانه في الحقيقة تبين موقف العقل الانساني في القرن العشرين ، ونتم عن خلاصه من أمر الانخداع للعبارات الفارغة التي كانت تلقب بالعلمية أو الفلسفية وهي مبنية على الوهم البحث أو الدعوى الباطلة التي تجر اليها الكبرياء الجاهلية .

لقد مضى والله الخلد ذلك الزمان ، وأصبح العقل معترفاً بقصوره ، مقراً بانخداعه لاحكام الحواس ، وهذا عهد جديد كان أثره على تربيته في ادراك المجاهيل اكبر الآثار المعهودة في تاريخه العقلي وأجلها ، بل كان من أثره انه أصبح في موقف يصلح فيه لان الحقيقة التي كان يتمالك عاينها ، ولا يصل اليها .

رب قائل يقول . ما هذا التناقض ؟ كيف يدرك العقل انه قاصر ، وانه مخدوع بحواس الجسم ، وانه في وسط بحر لا ساحل له من مجاهيل لم يدرك من مجموعها الا علاقات سطحية لبعض ظواهرها ، ويكون في الوقت نفسه اجدر مما كان عليه بادراك الحقيقة التي يتفاني في طلبها ؟

جوابنا على هذا الاعتراض :

ان هذا الشعور بالنقص وبالانخداع للحواس هو في نفسه علم عال خرج به الانسان من منطقة التبعية للطبيعة الى منطقة الاستقلال المطلق عنها ، فاستطاع ان يحكم عليها غير متأثر بعواملها ولا مفتونا بظواهرها ، فنقله هذا الشعور الصحيح فجأة من التعويل على هذه المظاهر المحدودة من القوى العاملة حوله التي مماها بالنواميس الى تلمس ما وراءها من القوة الخفية المسيطرة عليها .

نعم ان الانسان اسير حواسه الجسمية ، ليس له مصدر غيرها يستنزل منه العلم بما يحيط به من الموجودات غير قوة التخيل ، وهذه القوة قد تخطى المرء وقد تصيبه بل هي الى الخطأ اقرب منها الى الصواب وصوابها لا يمكن تحقيقه لبعده عن مجال الحس ، وتاريخ العلم مشحون بالشواهد على ان التعويل على هذه القوة يرمى به الى مطارح بعيدة من الضلال والشطط ، وعلى ان الوقوف مع حكم الحواس ادعى الي

الوصول الى الحقائق التي لا يمكن النزاع فيها وان كان ما يصل اليه منها شي . قليل لا يبالغ ما يطمح اليه الانسان من فهم الوجود وعوامله الاولى .

هذا كله صحيح وليس في العالم رجل يقول علي رأيه ينصح بتسييط قوة التخيل علي العلم بعد خلاصه منها منذ نحو ثلاثة قرون ولكن هذه النقطة الجديدة للعقل الانساني من شعوره بقصوره ، وبانحداره لحواسه ، وبان ما يراه وما يحس به ليس هو الامظاهر وقشورا للباب تعمل فيه قوى ارقى من القوى التي يدركها ، وهذه النقطة الجديدة نبهته لخطأ جلال كان يقع فيه ويعتبره ألمعية ، ويصم من لا يشايعه فيه بالعمية . هذا الخطأ الجلال هو عزوه كل ظواهر الوجود الي العدد المحدود من مظاهر القوى العالمية التي سماها بالنواميس ، وتشده في ذلك الى حد الافراط الذي ليس بعده مرمي .

فكان اذا رأى ظاهرة جديدة علها تلك النواميس فان عذت عن النواميس جعل منها لتقبل التمايل صاغرة ، ويمز عليه ان يعترف بقصور تلك النواميس وبوجود ظواهر في السكون يجب ان يكون لها نواميس ارقى منها . وقد تأدى بالجرى - علي هذا الاسلوب الي حال من الجلود العلمي استحاله معه العلم ، وهو متواضع منصف ، معترف بهجزءه الي طاغية متعجرف ليس لاستبداده حديثه عنده .

وانما نضرب لك مثالا من ذلك . يشهد الحس نفسه ان الفارق بين الجماد والانسان من العظم بحيث لا يدع محلا لاي نزاع ، ذلك ميت لاحس به ولا شعور ، وهذا حي له حس وشعور ، وله فوق ذلك ادراك يصلح لاختضاع قوى الطبيعة نفسها ، فالتنظر المجرد اليهما يقضي بالحكم بأن في الانسان قوة ليست من نوع القوى التي في الجماد ، قوة يجب درسها والوقوف على مصدرها ، وعدم التسليم بما يتخيله العقل بشأنها حتي يؤيده شاهد من المحسوسات

هذا ما يجب علي كل باحث في الطبيعة متبصر منصف ، ولكن النزعة التي كانت استولت علي اهل العلم قبل هذا الدور كانت لاتسمح لهم بهذا التبصر والانصاف ، ولكن كانت تدفعهم املوهم في الاعتداد بالنواميس التي اكتشفوها الي الزعم بأن القوى العاملة في الانسان هي نفس القوى العاملة في الجماد ، حرصا علي الساطان الوهمي الذي

نحلوه بخيالهم لتلك الزوااميس . فان قلت لاحدكم كيف يمكن تحليل صدور القوة العاقلة من قوة عمياء لاشعور لها ولا ادراك؟ اجابك أمثلهم وهو (بوختر) العلامة الالماني بقوله كما جاء في صفحة (٤٥) من كتابه القوة والمادة :

«ان ادراك هذا السر يقتضي ان يعلم هذا الامر وهو ان قوى طبيعية بل وعقلية تلازم جواهر المادة . وهذه القوى العقلية تظهر في جميع الاحوال التي نجتمع فيها شرط ضرورية في المنع، أو في المجموع العصبي، حيث تكون عناصر المادة متعددة علي شكل خاص ومتأثرة بمرحلة خاصة، فتنتج منها ظواهر الشعور والفكر كما تنتج فيها في احوال اخرى ظواهر الجذب والدفع».

فليتأمل القارىء في مبلغ هذا الجود العلمي ، فان بوختر لاجل ان يعيش المذهب المادي القاضي بان لا موجود غير المادة وقوتها الملازمة لها ، أثر ، وهو حيال مسألة تحليل وجود العقل الانساني ، ان ينحل المادة صفة العقل وان يبذل قصارى جهده في اذاعة هذا الحكم ، علي ان يقف موقف المثبت المتبهر ، فيبحث لعله يجد لهذا العقل اصلا عقليا عاما مستقلا عن المادة ، بل لعله يجد هو أو غيره بعد خمسين او مئة سنة ان المادة ليست بشيء ، غير حركة اثيرية كما مال اليه جمهور العلماء اليوم .

ان هذه الجراءة المفرطة في الحكم علي مساطر الوجود ببضعة القشور العلمية المعروفة ، ليست من العلم في شيء ، بل هي من تسليط قوة التخيل علي العلم والفلسفة معا ونحكيهما فيهما ، ومن الغريب ان الماديين مع هذا الافتئات كله يدعون انهم قائمون علي الاسلوب العلمي الدقيق ، وانهم لا يحسبون علي الوجود بقوتهم المتخيلة

فان اظهرت تعجبك من عقلية الماديين في اكبارهم للمادة الي هذا الحد حتى نسبوا اليها العقل (مع انهم في جهة اخرى يقولون لا عقل بغير منخ) دهشوا من تعجبك هذا ، وقالوا لك كما قال بوختر في كتابه المتقدم وهو يدعي الكتاب المقدس للمذهب المادي :

«ان المادة ليست بشيء ، حاصل علي طائفة كاملة من خواص سلبية ، كما اعتاد

الناس أن يمثّلوها خطأ على تلك الحال ، ولكنها في الواقع على الضد من ذلك كله . فالمادة ليست ميتة ولا جامدة وليكنها متحركة في كل مكان وملائي من الحياة على أقصى درجات النشاط . وهي ليست مجردة عن الصورة ، بل أن الصورة والحركة كما يرى بعدد من خصائصها الضرورية الملزمة لها . وليست المادة بغليظة كما يقول بذلك خطأ رجال ليسوا على شيء ، من العلم ، ولكنها من اللطف بحيث لا نستطيع أن نتصور ذلك تصورا . وليست مجردة عن القيمة بل هي على العكس الام العامة التي يتولد منها كل كائن . ولها معنى هو اسمى المعاني المعروفة ، وهي ليست مجردة لامن الشعور ولا من العقل ولا من الفكر (تأمل) فهي قابلة لارقي درجات الشعور ولا أكمل اعمال الفكر في الكائنات الحية المتولدة منها عن طريق التدرج ، انتهى .

الى هذا الحد وصل تحكم الماديين في ابعاد خصائص المادة ليتمكن ان يحافظوا على مذهبهم في عدم وجود شيء سواها في هذه اللانهاية الوجودية كلها ، حتى اذا ثبت لهم أن من الناس من يعرف الامور المستقبلية ، افترضوا حرصا على كيان مذهبهم ان يزيدوا في صفات المادة صفة أخرى ولا يضافوا الى قولهم انها عاقلة مفكرة قولهم (وتعلم الغيب أيضا) وقس على هذا ، ولكن هذا الضرب من التحكم ليس من العلم في شيء ، ولكنه من تسليط قوة التخيل على العلم والفلسفة والاستبداد بالرأى الى حد ياباه العقل نفسه لانه يشعر بأن القائلين به قد عرفوا سر تركيب المادة ، وقابأوها في عالمها الانبرى الاعلى متحلية بكل هذه الصفات التي ينحلونها اياها . فهل تصل الدعوى بالماديين الى هذا الحد ؟

اذا سألنا عن ذلك زعيم الماديين (بوختر) اجابنا بما قاله في صفحة (٤٥) من كتابه

المادة والقوة :

« نحن لانعلم ماهي المادة في ذاتها كما لانعلم ماهي القوة في ذاتها أيضا ولا ندري هل المادة واحدة في أصلها أو مكونة من ستين أو سبعين عنصرا كالكيمياء معروفا ، وليكننا نعلم بطريقة مؤكدة بأنه يوجد شيء يجذب ويرفع ويقاوم ويتحرك وينتج ظواهر النور والحرارة الخ . وأنه في الوقت الذي يزول فيه هذا الشيء ، نزول

هذه الظواهر معه . هذا الشيء هو الذي نسميه مادة ونسجي الظواهر المذكورة مظاهر لها ، ونسجي سبب هذه الظواهر القوة المشمولة في المادة » .

نقول هذا كلام صريح في ان الماديين يجهلون ماهية المادة وماهية القوة ، فمن أين جاءهم اذن انها هي الموجود الاول ، ألا يجوز ان يكون الموجود الاول هي القوة ، وان المادة تنزلت منها كما يقول به جمهور الطبيعيين اليوم ؟

وهل ملازمة الجذب والدفع والحركة والنور والحرارة للمادة يضطرنا لقول ، ملازمة القوة العقلية لها أيضا ، مع وجود الخلاف الجوهرى بين الظواهر الاكسية ، والظواهر الادراكية ؟ أليس الجزم في هذه الامور الخطيرة التي هي فوق متناول العقل والتجربة معا بنم عن طيش ونزق لا يصح ان يتهم بهما باحث طبيعى بجد وراء الحقيقة ؟

يقول قائل منهم : ومن أين جاء للدينين ان أصل الوجود روح مسدب مريد مختار أوجد الاشياء من العدم المحض ، وقام على تديره بحكمة ليس لها حد ؟

نقول . نحن الآن في مجال العلم الطبيعي لافي مجال الدين ، فان أراد المساديون ان يقتنصوا بالدينين كلفانا منهم هذا الاعتراف وحده ، وعدنا مذهبهم دينا لاعلماء واضفناه الي جدول الاديان البشرية ، ولاكنهم لايقبلون ذلك بل يأتفون منه مدعين انهم علي الصراط العلمي الذي لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فان صدقوا فكيف يتفق هذا الضرب في الخيالات ، وهذا التحكم في المجهولات ، والقطع في النهايات والبداءات ، مع اسلوب الفلسفة الحسية التي تفخر بعدم تعرضها لما يعول عن متناول التجربة والمشاهدة ؟

قال العلامة (لينيه) وهو خليفة (اوجست كونت) واضع تلك الفلسفة في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية) :

« بما اننا نجعل اصول الكائنات ومصائرهما فلا يجوز لنا ان ننكر وجود شيء سابق عليهما اولا حق لها ، كما لايجوز لنا ان نثبت ذلك ، فالمذهب الحسي يتحفظ (١٩ - علي اطلال المذهب المادي)

كل التحفظ في مسألة وجود العقل الاول لاقارره يجهله المطلق في هذا الشأن ، كما ان العلوم الفرعية التي هي منابع المذهب الحسى يجب عليها ان تحترس من الحكم على اصول الاشياء ونهاياتها ، بمعنى اننا ان لم ننكر وجود الحكمة الالهية فلا تعرض لاثباتها ، لانتاعلي الحيايات نام بين النفي والاثبات .

وقال الفيلسوف (روينييه) في كتابه (الفلسفة الحسية).

«يريد الفلاسفة الحسيون ان يبعدوا كل خيال او توهم ، وان لا يعتمدوا الا على المشاهدة المحسوسة ، وان يحذفوا من اقوالهم كل الافتراضات التي لا يمكن تحقيقتها» انتهى .

اذا كان الامر كذلك ألا يكون من الحكم على اصول الاشياء ومصادرها زعم الماديين بأن اصل الوجود المادة ، ومصيره المادة ؟ وهل القول بان المادة عاقلة ومفكرة تعتبر بعدا عن كل خيال وتوهم ، واعتماد على التجربة والمشاهدة ؟

الاهم ان المذهب المادى ليس من العلم الطبيعي لانه مبني على احكام لا يمكن مشاهدتها ولا الحكم عليها بالتجربة ، وليس من الفلسفة الحسية ، لانه قائم على الخيال والوهم والافتراضات التي لا يمكن تحقيقتها ، فما هو اذن ؟ هو عرض لمرض الزهو الذي كان اصاب العقل الانساني بتأثير توالي الفتوحات العلمية ، فخيّل اليه ردحا من الزمن انه ادرك كنه الوجود ، فقام محاطا بالآلاء المخترعات والمستكشفات يقطع ويفصل في امور الكون كأنه خلقه بيده ، وكان الناس تأخذ تلك المخترعات والمستكشفات المتوالية بألبابهم فيخيّل اليهم ان العقل المصري الذي هي آثاره لا يتور ما يقرره من الامور الفلسفية عن طيش اوزق فاندفعوا في تياره بغير روية ، واحتقروا كل ما يخالفه من المذاهب الفلسفية .

اما اليوم وقد صبحا العقل من نشوته ، وتنبه من غفوته فقد تبين له ان كل ما حصله من المستكشفات العلمية لا يتمدى العلاقات بين الكائنات ، ولا ينفذ الى ما بعد قشورها الغليظة ، وان كل ما رأيناه من المزاغم على هذه القشور ليس له اصل يقوم عليه ، بل هو مجموع من دعاو باطلة ، ادى اليها زهو لا موجب له بأمور لا تبلغه

بعض ما يتوق اليه من لباب الحقيقة ، وادرك انه مخدوع بحواسه في كل شعور من شعوراته ، فذهب يهبيء نفسه اصلا آخر يقوم عليه ليسير بقدم ثابتة الى عالم الحقيقة فأعان على رؤس الاشهاد ان كل هذه العلوم التي حصلها في مدى القرون السابقة لاتتبعدي العلاقات بين الكائنات ، وانه لا يتصل بها الا بهذه الحواس الخمس ، وهي مضلة خداعة لاتصله منها الا بظواهرها المناسبة لتلك الحواس ، وانه ان اعتمد على مقرراتها في الحكم على الحقيقة كان ضاربا في مناهات من الخيال المحض تنزل به الى حضيض من الجهل يكون تأثيره على افساد كيانه اشد من تأثير اي مذهب من المذاهب التي هدمها واقام فلسفته على انقاضها .

هذه اليقظة من العقل نقلته كما قلنا من منطقة النبية للطبيعة الى منطقة الاستدلال عنها ، ومكنته من الحكم عليها غير متأثر بعوامها ، ولا مقتون بظواهرها ، ودفعته بقوة قاهرة الي تماس ما وراءها من الذوي الخفية المسيطرة عليها . فاصبح العقل اليوم يتهم مدر كانه السابقة ويمحاسب كلا منها حسابا دقيقا حتى لا يتخدع لالفاظ وضعها بخيالها ، وحمل نفسه نيرها قرونا عديدة .

فاذ كان العالم في عهد غروره العاصي يحل بكلمة (الطبيعة) ما لا يحل من معاضل الكون ، ويعقل بها ما لا يعقل من اسرارها ، فهو اليوم لا يأت به بهذه الكلمة لانه يراها فارغة ان تجردت عن علم صحيح بكنهه المادة ، وكنهه الزوااميس العاملة فيها . وابن هومن ذلك ؟

وكان اذا سأل سائل عن عالم ارقى من عالم المادة جزم بعدم وجوده ، فان ناقشه السائل في جزئه ، رماه بأنه من الجهل بحيث لا يفهم ما يقال له ، وراكبته اليوم اندفع يبحث عنه بكلمته ، وعلى نفس الاسلوب العلمي وطريقته .

وكان اذا ذكر له عالم الروح ضرب يده مكتبه وصاح قائلا هذا ضلال قديم ، لقد شرحنا الجسم فلم نجد للروح اثر فيه

ولكنه اليوم ، وقد ظهر له انه كان مخدوعا بحواسه ومغرورا بعشور علومه ، فقد عاد اليه التبصر الذي يجدد بشكل باحث عن مسانير الوجود ، واصبح لا يحزم

وجود شيء، ولا بعدم وجوده حتى يتحقق من ذلك بالاسلوب العلمي من المشاهدة والتجربة .

لذلك لم تظهر أول حادثة من الحوادث المعزوة للأرواح في أمريكا سنة ١٨٤٦ حتى يادر لتعقيتها بنحة المتعاش الحقيقة ، لا بكبرياء المدعى الامام بالطبيعية . ولما ثبتت له صحتها اخذ في تحقيق كل ما يشاهدها في كل بلد . ولما آانس ان هذه المباحث تؤدي الى اكتشاف قوى مجهولة من عالم ارفع من هذا العالم ، أخذ في تكوين الجمعيات العلمية لبحثها ، وما زال دأبها ورا . هذا السبيل في مسدي أكثر من ثمانين سنة ، حتى تمحق ان حل مساتير هذا الوجود المادى لاسبيل اليه الا بالوقوف على حدود ذلك العالم المعنوى ، وتأكد ان العلم لم ينقطع عند التذخوم التي وصل اليها من مباحثه المادية ، ولكنه يتصل بذلك العالم الروحاني ويمتد فيه الى ما لا نهاية له ، وتبين اننا لم نر من الطبيعة الا جهتها المادية ، ولكن جهتها الروحية الجامعة لكل القوى التي كنا نعتبرها مجهولة هي في ذلك الذي كنا نجهز بعدم وجوده . فافتحت امام العقل الانساني والعلم التجريبي باحة ليس لها حد تنف عنده ، والفرق بين العالم الباهت وبين الاعتقاديين امام تلك الباحة ، انهم كانوا يحكون قوة التخيل في الحكم على كائناتها ، ولكنه الآن يحكم فيه المشاهدة والتجربة ، أى الاسلوب العلمى بكل ما يقتضيه من تحليل وتمحيص ،

فلم يعد العقل يعتبر العلم الطبيعي واقفا عند حدود هذه المسادة المحسوسة ، ولا الاسلوب التجريبي مقصورا عليها . فبعد أن كانت عالم ماوراء المادة لا ينال الا بالمكتشفات الروحانية ، من طريق الرياضات النفسانية ، فيؤمن به واحد عن عيان ، ويسلم به الكافة من طريق الايمان ، أصبح اليوم جزءاً من علم الطبيعة ، يسرى عليه ما يسرى على سائر أجزائها من الأساليب التجريبية والنظم العملية ، فبطأت المنافسة القديمة بين الدين والعلم ، اذ اختلطاً معاً وصاروا شيئاً واحداً ، فبعد أن كان الانسان يقرأ العلم فيمتلئ شكوكاً وشبهات ، ويرجع للدين فيجده لاعتماده على المسلمات ، وقيامه على الايمان بالغيب ، لا يشفي للمتأثرين بشكوك العلم علة ، ولا ينقع لهم غلة ، أصبح

اليوم بفضل دخول المباحث النفسية الى حظيرة التجربة لا يجد امامه الا علما جامعا
للعلمية ، موقفا بين حاجات جوهريه ، وهي حالة كانت من المستحيلات في نظار جمهور
المفكرين ، فصارت هي الامر الواقع في القرن العشرين .
كيف حدث هذا الانقلاب العظيم ؟ وما الذي اوجبه واقتضاه في عصر كان يعتبر
أعرق العصور في الشكوك ؟ ماهي أدوار هذا الانقلاب ؟ والى أى مدى بلغ تأثيره في
أوروبا وامريكا ؟

أحسن وأجمع ما كتبناه في هذا الموضوع هو ما نشرناه في مجلة المقاطع
الزاهرة في خمس عشرة مقالة متتابعة من يناير سنة (١٩١٨) الى
(ابريل) من سنة (١٩٢٠) فرأينا ان نجعلها مادة الجزء الثاني
لهذا الكتاب بعد أن نضع لها مقدمة هي ترجمة مقدمة
وضعها الاستاذ الكبير كاميل فلامريون لكتابه
العظيم المسمى بالمجهول والمسائل النفسية
والحمد لله أولا وآخرا
سيظهر الجزء الثاني من هذا الكتاب لطبعته الثانية في
شهر يناير سنة ١٩٣٢

فهرست الكتاب

صفحة	
٣	مقدمة الكتاب
١٤	وقفة بين عهدين
١٧	هل من حقيقة مطابقة ؟
٢٠	الحقيقة المطابقة ووسائلنا لأدراكها
٢٣	ادوار الانسانية في البحث عن الحقيقة
٢٦	تاريخ المذهب المادي
٣٠	الفلسفة في القرن السادس عشر
٣٣	لماذا يتأدي الباحثون في السكون الي الالحاد
٣٦	أفافة العقل من غروره العلمي
٤١	المسائل التي فنتت العقل
٤٥	خلاف العلماء في أصل المادة
٤٩	المباحث على المادة في القرن العشرين
٥٢	كيفية تحليل المادة
٥٥	الاثير ماهو ؟
٥٩	نظرة انتقادية على الآراء في المادة
٦٢	النواميس الطبيعية
٦٦	النواميس الطبيعية ايضا
٧٠	ماهي الحياة ؟
٧٣	مذهب الاستاذ لودانتك في الحياة
٧٧	حيرة العلماء في أصل الانواع
٧٨	مذهب يو دوماييه في أصل الانواع
٨٠	مذهب رونيه روينيه في أصل الانواع

صحيحة	
٨٢	مذهب لامارك في اصل الانواع
٨٧	مذهب دارون في اصل الانواع
٩٠	الاعتراضات علي مذهب دارون
٩٢	الاعتراضات الجديدة علي مذهب التحول
٩٦	ثبوت فساد الاصول اللاماركية والدارونية بالتجارب العملية
٩٩	حياة الحشرات تنقض نظريات التحول الطبيعي بالحيث
١٠٢	مذهب دارون في نظر دارون
١٠٢	ما سبب انتشار الدارونية علي فسادها؟
١٠٣	رأى الاستاذ فون باير في الدارونية
١٠٤	رأى الاستاذ برير في مذهب دارون
١٠٤	رأى العلامة فيركو في مذهب دارون
١٠٥	رأى العلامة ايلي دوسيون في مذهب دارون
١٠٦	سقوط ناموس الانتخاب الطبيعي في نظر العلماء
١٠٧	رأى العلامة ادمون برييه في ناموس الانتخاب
١٠٨	عدم ثقة العلماء بناموس الوراثة في نقل الصفات
١٠٩	رأى دائرة المعارف الفرنسية الكبرى في مذهب دارون
١٠٩	ما هو رأي العلم الرسمي اليوم في اصل الانواع
١١١	الشبهات الخطيرة من مذهب دارون
١١٢	شبهة النظام الآلي ونفي الغاية والقصد في الطبيعة
١١٧	رأى الفيلسوف ادوارد هارتمان في الغاية والقصد
١١٨	رأى لويز بوردواني في الغاية والقصد
١١٩	رأى الاستاذ فون باير في الغاية والقصد
١٢٠	رأى العلامة كاميل فلامريون في الغاية والقصد

مصحفة	
١٢٠	رأى العلامة لوجيل فى الغاية والقصد
١٢١	رأى دائرة المعارف الفرنسية الكبرى فى الغاية والقصد
١٢٢	الداروينيون ينكرون الاطعام فى الحيوانات
١٢٥	شبهة الاعضاء الزائدة
١٢٧	نظرة على ماسبق
١٣٠	رأى الاستاذ شارل ريشيه فى قصور العلم
١٣٢	رأى الفيلسوف جيو فى قصور العلم
١٣٤	رأى الاستاذ جوستاف لوبون فى قصور العلم
١٣٤	رأى الاستاذ هنرى بوانكاريه فى قصور العلم
١٣٥	رأى الاستاذ وليم جيمس فى قصور العلم
١٣٦	رأى الاستاذ كروكس فى قصور العلم
١٣٧	رأى الاستاذ اوايفر لودج فى قصور العلم
١٣٨	رأى الاستاذ كاميل فلاماريون فى قصور العلم
١٣٩	رأى هربرت سبنسر فى قصور العلم
١٣٩	رأى الفيلسوف اندريه كريسون فى قصور العلم
١٤٠	أن هذا الانتقال العقلى على الانسان، وخاتمه الكتاب
١٥٠	فهرست

اصلاح خطأ

صحيفة ٥	من ٩ - صفحة ١٣٠	صوابه ١٣٤
» ١٢ من ١	- ما	» قادة
» ٣٠ من ١	- السادس	» السادس عشر
» ١٠٤ من ٩	- بربر	» بربر

على طائر الزهبي لاري

(الجزء الثاني)

« طالع هذا الكتاب بكل تمن ولا تملأه الا بعد أن تطلق »
« نفسك من أمر الاغراض لثلاث نعم عليك وانت واقف تطل »
« علي العالم من شرفة عقلك تتلمس الحقيقة من وراء ستارها »
(كتبها الدكتور شيلي شميل فوق)
(كتابه فلسفة النشوء والارتقاء)

(تأليف)

محمد فريد الدين خوري

الطبعة الثانية

« حقوق الطبع والترجمة محفوظة »

(طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر)

سنة ١٩٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله ونستعينه ، ونستكفيه فيما نستعينه ، واسلم على رسوله محمد خاتم مرسله ،
وعلى آله وصحبه وتابعيه ، آمين .

(وبعد) فهذا هو الجزء الثاني من كتاب (علي اطلال المذهب المادي) بادونا
الى نشره بعد الاول لانه منه كالنتيجة من المقدمة ، أو كالثمرة من الشجرة ، وهو
مجموع المقالات التي كنا نشرناها بمجلة المقتطف الزاهرة في اجزاء متوالية منها من
يناير سنة ١٩١٨ الي ابريل سنة ١٩٢٠ وكان الداعي اليها ان المقتطف نشر في جزئه الذي
صدر في شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ مقالة تحت عنوان (الفلسفة الحديثة) آتست فيها
هضما ظاهيا لحق الباحثين المصريين في الروح من طريق الاسلوب العامي المقرر ، ف رأيت
ان اكشف النقاب عن حقيقة هذه المسألة التي شغلت جمهور العلماء اليوم وأثرت في
المدركات البشرية تأثيرا قضت به على الفلسفة المادية قضا لا قيام لها بعده ، وأوجدت
لبحث عن الحقيقة التي بادت الاجيال في تلمسها من طريق العلم الطبيعي عهدا جديدا
لم يكن يحلم به الباحثون منذ أقدم أزمنة الفلسفة ، وقد أقر بهذه الحقيقة من اعلام العلماء
الطبيين وكبار الفلاسفة المصريين مئات لا يحصى نواظروهم علي الكذب ولا لانخداع ،
بجانبهم ألوف من المجرمين المتطوعين من اطباء وأصوليين ومهندسين وصحفيين ومالين
من لا ينطلي عليهم حيل الخناطين ، ولا تروج لديهم احابيل المشعوذين ، وقد مضى
على هذه المباحث اكثر من سبعين سنة وهي تقاوم تمحيص المحققين ، وتقاوى نقد
الدافدين وتثبت على تجارب المجرمين ، حتي تقاب عليها من أنواع العقول مالم يتقلب
على سواها من المسائل العلمية ، فخرجت من كل هذه الانتجانات فائزة منتصرة ،
فإذا طلب من الغمان علي صحة امر بعد استجماعه مثل هذه الشهادات التي لا تعد ،
والتحقيقات التي لا ترد ، وليست هي من الامور العقلية فيقال انها خيال من الخيالات ،

الفلسفية تروج في الاذهان اليوم وتسقط غدا ، ولكنها امر حسي يخضع لحكم الحواس ويمكن تجريبه بالآلات والادوات ، وليس خاصا ببلد ولا بجنس ولا بدرجعة معينة من درجات العقول ، ولكنه عام شائع ووجد من يوم وجود الانسان ولازمه في كل ادواره ، ثم جاء العلم المادي فتشككت فيه ردحا من الزمن ثم عاد فيبحثه علي اسلوبه واعترف به ، فهل يميل بالعاقلين أن يحترموا التحقيقات العلمية في الامور المادية ، ويوزروا بها في الامور الروحانية ، واقطابه يقولون لهم اننا لانأتيكم بها مستمدة من دين ، ولا مستفادة من فلسفة كلامية ، ولكننا نأتيكم بها علي الاسلوب العملي التجريبي كالأموار الطبيعية سواء بسواء .

لاجرم ليس بين الشرقيين واحترام المباحث الروحية العصرية الا ان تنكشف في صورتها الحقيقية ، وهو الذي انذبنا له فأفصح لنا المقتطف الزاهر مكانا من صحفه القيمة ، فنشرنا فيه هذه المقالات التي نعتبرها كافية في اطلاع الناطقين بالعصا علي تاريخ هذه المباحث من لدن ظهورها الي اليوم .

وبما ان هذه المسئلة من المسائل التي كان العلم قد تشدد في رفضها وابعادها عن مجاله ، ورمي القائمين بها من الاقدمين بكل مثلية ، فقد اتى العلماء الذين بحثوها اخبرنا من ضروب المقامات مالا يحظر بهال ، حتي اضطر اكثروهم لبدء تحقيقاتهم فيها بمقدمات تأييدية ثاروا فيها علي الجود العلمي ثورات كان لها اكبر الآثار في كشف الاغشية المادية التي رانت علي قلوب الماديين . من احسنها مقدمة وضعها العلامة الكبير الاستاذ (كاميل فلامبرون) الفدكي الفرنسي في صدر كتابه المسمى (الجهور والمساائل النفسية) ألم فيها بأدوار الجود العلمي ، وتاريخ استعصائه عن قبول كل جديد ، فرأينا ان نصدر بها كتابنا هذا ، فان فيها من الحقائق التاريخية ما يندر وجوده في كتاب واحد . قال حضرته تحت عنوان (المنكرون) :

« عدد كبير من الناس مصابون بقصر نظر حقيقي في العقل ، وقد صورهم (لومبير) اصدق تصوير بوله أنهم يتخيلون ان الافق المحيط بهم هو نهاية العالم ، فترى الحوادث الجديدة والآراء الحديثة تكسبهم وتزعجهم . فهم لا يريدون ان يتغير السير اليادي

للأشياء . أما تاريخ تقدم المعارف الانسانية فلهيهم من الامور المهمة .
 « وتظهر لهم جراءة الباحثين والمخترعين ومحدثي الانقلابات من الجرائم ، وبخيل
 اليهم بان النوع الانساني كان دائماً على ما هو عليه الآن . فلا يتذكرون عصر الحجر ،
 ولا عهد اكتشاف النار ، ولا زمن اختراع عمل البيوت والمركبات والسكك الحديدية ،
 ولا توالى الفتوحات العنيفة ، ولا استكشافات العالم ، فتري فيهم الآن اثرأ من وراثة
 اسلافهم الامماك بل والحيوانات الرخوة ، ونجد هؤلاء السادة المحترمين يتمكنون من
 الجلوس على كراسيهم ويطلون على تلك الحالة في راحة لا يعتريها . اقل اضطراب ؛
 وهم ليسوا اهلاً لقبول مالا يفهمون ولا يطوف بخيالهم حالهم الحقيقي من انهم لا يعلمون
 اقل شئ . لا يعرفون بأن في ثني كل تعامل لاية ظاهرة من الظواهر الطبيعية معهم ولا ،
 فيكتفون بتفسير الالفاظ ليس الا . لماذا يسقط الحجر ؟ لان الارض تجذبه . مثل
 هذا الجواب الواضح يشبع مطامعهم العلمية ، فينوهون انهم قد فهموا هذه المسئلة .
 والتلاعب بالنفسيرات المدرسية المقررة يفتنهم على نحو ما كان عليه الحال في عهد
 مولير . . . »

« في كل عصر ، وفي جميع ادوار المدنية يعادف امثال هؤلاء الرجال البسطاء
 وهم في حالة هدوء وسكون ، ولكن ليس بغير زهوء فينكرون بسلامة قلب جميع
 الاشياء . التي لم يبحثوا فيها ويرغمون انهم يحكمون على النظام الكوني الذي لا يسبر له غور . مثاهم
 كمثل ثمانين في حديقة تنكلمان في تاريخ فرنسا او في بعد الشمس عن الارض .
 « فلنعرض للقارىء حوادث من التاريخ ، ولنأت ببعض الشواهد على ما
 نقول :

« تحررت مدرسة فيشاغوس من الآراء العامية على الطبيعة ، وارتقت الى
 ادراك الحركة اليومية لكوننا الارضي ، فنعت بذلك السماء التي لانهاية لها من ان
 تتكلف الدوران حول نقطة نافية في كل اربع وعشرين ساعة . فلسنا في حاجة لان
 نقول بأن الرأي العام اثر على هذا الرأي الجليل ، فلا يمكن ان يطلب الى الفيلسوف ان
 يطهر الي وكر النسر . ولكن كانت قوة المعتقدات الراسخة بحيث منعت العقول الراقية

من قبول هذا الرأي، حتى افلاطون وارخيدس، وهما العقلان الاذان بتألقان نورا. وكان من عداد المكذبين ايضا الفلاسفة هيبارك وطليموس . حتى ان هذا الاخير لم يمالك نفسه من الاغراق في القهقهة من مثل هذه الخزعبلات الفارغة . وقد وصف نظرية دوران الارض بأنها مضحكة للغاية . هذا التعبير قارص جدا. وكأننا نرى من هنا طين كاهن صالح من كمان ذلك العصر يضطرب ويتلوى من دعاية يمثل هذه القوة وهو يقول : ما اكبر هذا السخف الارض تدور ؟ اقدام اب الفيلسوف سيبين الخبل ، تلك ادمغتهم التي تدور »

ثم اخذ الاستاذ كامبل فلامريون يسرد تاريخ الاستكشافات العلمية وما اتيه العلماء المكتشفون من المكلفات والاضطرابات . فذكر ان الفيلسوف الكبير سقراط قبض عليه وقتل بالسم لانه ترفع عن تصديق الخرافات التي كانت شائعة في زمنه . وان الفيلسوف اناجراغور اضطهد وعذب لانه زعم ان الشمس اكبر من شبه جزيرة يبلونيز ببلاد اليونان .

وجاء بعده غاليليه بالفى سنة فأحرق بالنار لانه قال ان الارض كرة حةيرة في هذه اللانهاية السماوية . ثم قال ما ترجمته حرفيا :

« وقد حضرت في ١١ مارس من سنة (١٨٧٨) تقديم الفونوغراف الذي اخترعه اديسون الى مجمع العلماء الفرنسي . فلما أدار مقدمه الآلة وتكلم الفونوغراف هب احد العلماء الكبير وهو المسيو (بيو) من مكانه وامسك بخناق الرجل ، وصاح في وجهه تمسكك يا نيا لا تتخذ لمشعوذ مثلك يتكلم من بطنه . وما هو اعجب من هذا ان هذا العالم اعلن بعد هذه الحادثة بسنة اشهر ، اى في جلسة ٣٠ سبتمبر لمجمع العلماء ، بانه درس مسألة الفونوغراف (درساً مدققاً) فرأى ان المسألة مسألة تدليس وان الصوت الذى يرن منه ليس منبعثاً من الفونوغراف ولكن من بطن مقدمه . ثم قال : (أى العلامة بيو) ولا يعقل ان يستطيع المعدن محاكاة الجهاز الصوتي الشريف للانسان » فلم يكن الفونوغراف في نظره الا من الاوهام .

« ولما حال السكياوى الكبير (لافوازييه) الهوا الى عنصريه الاوكسيجين

والازوت ثار عليه أكثر من عالم عظيم ، وانبرى له السكياوي الأشهر (بوميه) أحد أعضاء المجمع العلمي ، ومخترع الأريومتر ورد عليه بقوله :

« ان العناصر أو الاصول المكونة للاجسام قد اعترف بها وتحقق منها الطبيعيون في جميع المصور وفي كل الامم . وليس من المحتمل ان توضع هذه العناصر التي عرفت منذ ألفي سنة بأنها بسيطة ، في عداد الاجسام المركبة ، كما انه ليس من المحتمل أيضا ان تعتبر حقيقة تلك الوسائل التي تقدم لانهليل الماء والهواء ، ولأنك الادلة المستحيلة ، (ولا نقول أكثر من ذلك) ، الداعية الى انكار وجود عنصرى النار والتراب . فان الخواص المعترف بها لهذه العناصر تتعلق بجميع المعارف الطبيعية والسكياوية التي تمصنا عليها الى الآن . وقد صارت هذه العناصر قواعد مدد لا يحصى من مكتشفات ونظريات تقارى كلها في الوضوح والجلال . وهذه المكتشفات والنظريات يجب ان ترفع منها كل ثقة اذا اعتبر ان النار والهواء والماء والتراب غير عناصر أصلية .

ثم قال كاميل فلاماريون عقب هذا :

« كل الناس يعلمون اليوم بأن هذه الأربعة العناصر ، التي دوفع عنها هذه الروح العظيمة من التقوى ، لا وجود لها ، وان الحق في جانب السكياويين المصريين بتحليلهم الهواء والماء . اما عنصر النار الذي كان يقول عنه بوميه ومعاصروه بأنه الاصل المولد للطبيعة والحياة فلم يوجد الى في خيال اولئك الاساتذة .

والعالم لا فوزيه نفسه ليس يرى . من مثل هذا الجلود العلمى ، فقد كتب للجمعية العلمية بحثا مسهبا يثبت لها فيه استحالة سقوط الاحجار من السماء . وقد كانت تلك الاحجار وهي النيازك قد شوهدت في أماكن متعددة ورؤيت وهي ملتبة ومع هذا كله اعلنت الجمعية العلمية بأن ذلك من الامور التي لا تصورها العقل . وفي سنة (١٦٢٧) سقط نيزك يزن ثلاثين كيلو غرام في راحة النهار آة العالم (غاساندى) بعينى رأسه ولمسه وفحصه ونسبه لثورة ارضية مجبولة ، مع ان النيازك عرفت بعد

ذلك بأنها بقايا كواكب متحطمة، تمر بها الأرض فتجذبها إليها، فتسقط عليها من السماء.

وقد كان الاستاذة الارسططاليسيون يؤكّدون في عصره ايلياه بأن الشمس لا يمكن ان يكون عليها كلف وقد ثبت ذلك بعد بالحس.

ولما رأى العالم (جالفاني) مكتشف الكهرباء بأن ارجل الضفادع التي كان يلقها على قضبان الحديد في بيته قد اضطربت، وانهمك في درس سبب ذلك ونسبه للقوة الكهربائية هزي، به الناس وسموه استاذ رقص الضفادع. فكتب يقول سنة ١٧٩٢: « لقد هوجبت بطائفتين متعارضتين العلماء والجهلاء. كلتا الطائفتين تهزان بي وتسمياني استاذ رقص الضفادع. ومع هذا فاني متحقق من أني قد اكتشفت إحدى القوى الطبيعية »

وفي هذا الوقت نفسه انسكر المجتمع العلمي والمجمع الطبي المغناطيس الانساني انكارا مطلقا وعانا تعديهما به على نجاح (جول كاوكيه) في استئصال سرطان ثديي لامرأة بدون بنج وبواسطة التويم المغناطيسي وحده.

ولما اكتشف هارفي الدورة الدموية هزت به جامعة الطب وسلفته بالسنة هداد.

ولما قدم الماركيز جعفر فوا سنة ١٧٧٩ مشروع عمل السفن البخارية رماه الناس بالعتة وقالوا هل يتفق الماء والنار؟ وعرضت الحكومة مشروعه على الجمعية العلمية لفحصه فقررت بأنه خيال. فاشتد استهزاء الناس بالمخترع ونبزوه بالقاب. فنفخ عقبه (فولتون) وعرض مشروعه على اولى الامر فلم يصادف غير مصادفه سابقة، فرحل الى امريكا وهناك لقي بعض المساعدة بعد جهد جهيد.

ولما اكتشف فيليب لويزن الاستصباح بالغاز، نشر مشروعه فلم يأبه به احد، وسخر الناس منه، ومات صاحبه ولم يجد لندائه مليا، وكانوا يردون عليه باستهزاء وجود مصباح بدون فتيل . . .

ولما اكتشفت السكة الحديدية لنقل المسافرين والبضائع ثار الناس على المخترع

وعده مخرقا، وكتب المهندسون الفصول الطوال لاثبات ان المعجلات تدور على نفسها ولا تسير على القضبان . وقام العالم الرياضي المشهور (اراغو) في مجلس النواب سنة (١٨٣٨) فاثبت فساد هذا المشروع واقاض في بيان جهود المادة وحلابة المعادن ومقاومة الهواء وزعم ان هذا المشروع لو نجح افضى الى تقليل ايرادات النقل على الحكومة فتخسر بذلك مالا طائلا . ثم ختم خطبته بقوله : « لنحذر من المضي منع الاوهام فان مثلثين متوازيين من الحديد (يزيد القضبان) لا يعيران طبيعة اراضي غاسكونيا البور »

« وخطب السيامي الكبير (تيرس) في هذا الموضوع فقال : « انا اسلم بان مشروع السكة الحديدية يكون من ورائه (بعض الفوائد) لنقل المسافرين اذا قصر ذلك على بعض الخطوط القصيرة جدا والمنتهية الى بعض البلاد الكبيرة كباريس . ولا يجوز عمل خطوط طويلة »

« وقال الاقتصادي الكبير (برودون) : « ان من الآراء الساذجة المضحكة الزعم بان السكك الحديدية تخدم في تسهيل تبادل الافكار »

« ولما استشيرت الجامعة الطبية الملكية في امر السكك الحديدية اجابت بانها ان تحققت توجب المضار الشديدة على الصحة العامة فنسب الدوار لكاتب والمشاهدين في الخارج ونصحت بعمل حواجز عالية خشبية تحيط بالسكك حيثما مدت (حتي لا يرى القطار احد وهو سائر) .

« ولما اقترح عمل اسلاك تليفرافية بحرية بين اوروبا وامريكا في سنة (١٨٥٣) قام احد اقطابنا في علم الطبيعة العلامة (باينيه) احد اعضاء المجتمع العلمي وممتحن مدرسة الهندسة فكتب في مجلة العالمين يقول : انا لا استطيع ان اعتبر هذه الآراء من الآراء الجدية فان نظرية التيارات الكهربائية تستطيع ان تعطينا ادلة غير قابلة للنقض عن استحالة مثل هذا النقل للمخبرات ، حتي ولو اغفلنا التيارات التي تحدث من نفسها في سلك كهربائي طويل ، وهي تلك التيارات التي ثبت انها في غناية الحساسية في المسافة القصيرة الموجودة بين دوفر وكاليه (وهي لا تبلغ ثلاثين ميلا)

وأن الوسيلة الوحيدة لايصال العالم القديم بالحديث (أوروبا وأمريكا) هو اجتياز مضيق بيرنج بدون المرور على جزائر فينلند واسلندا وجروين-اسلندا ولابرادور ١١

وقد عاش العلامة الجيولوجي (إيلي دوبون) السكرتير المستديم للمجمع العلمي والمتوفى سنة (١٧٧٤) طوال حياته ينكر وجود الإنسان الحفري بدون أن يعرف شيئاً محققاً في هذا الموضوع. مع أن صديقي الفاضل (إميل ريفير) كان قد اكتشف الإنسان الحفري سنة (١٨٧٢) واحضره إلي دار الآثار ببريزوراء كل إنسان.

وقد ابنت الجمعية الملكية الانجليزية سنة (١٨٤١) نشر أهم مذكرات العلامة (بهرل) المشهور الذي أسس هو والعلامة (ماير) علم الترمودايناميك. وقد سخر اللورد (بروغهام) بتوماس يونج الذي وضع هو والعلامة فرنسل نظرية موجات الضوء.

ولما رأى العلامة ماير الجرد الذي قابل به العلماء اكتشافه الحاصل في ألمانيا اعتراه الجنون فرمي بنفسه من النافذة. والعلامة الكهربائي الكبير ('أوهم') عديمجنونا عند قومه الألمانين.

ولما اكتشفت العدسات البلورية المقربة للإبعاد رفض السناتو في هولندا أن يعطي مكتشفها امتيازاً لعملها بحجة أن الناظر بها لا يستخدم العين واحدة. وبعد ذلك بخمسين سنة رفض العالم الفيلسوف الكبير أن يضع زجاجات مكبرة في آلاته لظنه أنها تضر بضغط وتحديد مواقع النجوم.

وقد وضع صديقي الحميم (أوجين نو) في مقدمة كتابه الذي أسماه (أشياء عن العالم الآخر) قوله :

« هذا هدية إلى أرواح العلماء الذين ماتوا من حملة الامتيازات والشهادات والتشريفات والوسمة ، أولئك العلماء الذين أنكروا دوران الأرض وسقوط النيازك والكهرباء ودورة الدقة والتطعيم وتموجات الضوء ومائة الصواعق والدجاجير يوتيب

وقوة البخار والمحرك للسفن والسفن البخارية والسكك الحديدية والاستصباح بالغاز والتنويم المغناطيسي . ثم ما بقي اهديه الى الاحياء منهم والى الذين سيولدون عن يعجرون على خطه من سبهم في الحال وسيجرون عليها في لاستقبال »

« اني ارى أن من التحقير الشديد لهؤلاء العلماء ان اقلد صديقي (اوجين نو) وأربأ بنفسني عن كتابة مثل هذا الاهداء في رأس هذا الكتاب . ولكنني مع هذا انبه القارئ اليه واسمح بنشره لانه لا يخلو من القيمة الفلسفية ، واضيف اليها متابعا مؤرخا لهذه الظواهر بأن هؤلاء العلماء الرجميين الذين يصادفون في كل مجال من مجالات العلم والفنون والصنائع والسياسة والادارة ينتفع بهم من وجهة انهم يقفون عند حدود يقيين الناظر اليها مسافة التقدم .

« نبع اوجست كونت وليتربه وأرادا تحديد الطريق النهائي الحسي للعلم فأرادا ان لا يسلم الاس الا بما يرونه بأعينهم ويلمسونه بأيديهم ويسمعونه بأذانهم وان لا يعزلوا ادراكه مالا يمكن ادراكه . وقد صارت هذه قاعدة العلم منذ خمسين سنة .
« ولكننا بتحليلنا شهادات حواسنا وجدنا انها تتخذ عنا خدعا تاما . فانا نرى الشمس والقمر والنجوم تدور حولنا ، وهو ضلال مبين ، ونحس بأن الارض ثابتة ، وهو ضلال مبين أيضا ، ونرى الشمس تشرق فوق الافق والحال انها تحتها ، ونحس بأجسام صلبة ؟ ولا يوجد شيء من ذلك ، ونسمع اصواتا متناسقة ، مع ان الهواء لا يحمل في الواقع الا تموجات ساكنة في ذاتها . ونعجب بنتائج النور والالوان التي تجلي في نظارنا المظهر البديع للطبيعة ، والحال انه لا يوجد ضوء ولا لوان ولكن حركات اتيريه معتمة بتأثيرها على عصبنا البصري تعطينا شعورات ضوئية . ونرى ارجاننا تحترق في النار على غير علم منا ، ونرى أن مستقر الشعور بالاحتراق هو في مخنا وحده ، ونجدنا نتكلم عن الحرارة والبرودة ، والحال انه لا يوجد في السكون لحرارة ولا برودة بل حركة فقط . وبناء على هذا فحواسنا تتخذ عنا في حقائق الاشياء حتي اعتقدنا ان الشعور والواقع شيان مستقلان ،

« ليس هذا كل ما يقال فان حواسنا الحس المسكينة ظهو أنها لا تكفي في

« نعم يجب علينا ان نتفهم بما عندنا فان كانت العقيدة الدينية تقول للعقل ، « يا صاحبي الصغير ايس لك الا مصباح يهديك الطريق فأطفئه و اتركني اتول قيادتك » الا انه ايس هذا رأينا . نعم ايس لنا الا مصباح ضئيل ولكن اطفائه يفضي الى العمى المطبق . فلنجل مبدأنا وهوان العقل والعقل يجب دائماً وفي كل شيء ، ان يكون دليلاً لنا ، وليس وراء هذا الالعدم ، ولكن لا يجوز لنا ان نحصر العلم في هذه الدائرة الضيقة ولا نرجع الى (اجوست كوت) لانه مؤسس المذهب العصري ولانه يعتبر من اكبر العقول في جيلنا الحاضر . فقد حدد دائرة علم الفلك على ما كان يعلمه في زمانه ، وهو الامر الذي يعتبر من المستحيلات العقلية فقال « انا نعلم انه يمكن دراسة اشكال الكواكب وابعادها وجركانها ، ولكننا ان نستطيع ابداء أية وسيلة من الوسائل دراسة تركيبها الكيماوي » وقد توفي هذا الفيلسوف سنة (١٨٥٧) أي بعد اكتشاف التحليل الطيفي بخمسين سنين ، وهو الاكتشاف الذي عرفنا بالضبط التركيب الكيماوي للكواكب على حسب ترتيب طبيعتها الكيماوية

« واقعہ کان مسئلہ کمثل فلہی القرن السابع عشر الذين كانوا يؤكدون بأنہ لا يوجد غير سبع كواكب . ولم يعلموا ان المجهول بالامسي يكون عين الحقيقة غذا »

ثم ذكر الاستاذ كميل فلامريون ان العليا ليسوا وحدهم المصائب بالجمرد امام كل جديد ولكن يشار بهم الكفاية في ذلك والنس لهم عذرا ثم قال:

«ان استكشاف اشعة رنتجن حديثا وهو الاستكشاف الذي لم يكن بخطر يبال احد افرأته في ذاته يجب ان يعتبرنا بضيق مجال ملاحظتنا العادية. فان الرؤية من خلال الاجسام الكثيفة في باطن صندوق، ويميز الهيكل العظمي للذراع من خلال اللحم والثياب الكاسية له، لاشك انها من الامور المناقضة لحقائقنا العادية. هذا المثال هو على التحقيق افصح دليل على هذه البداهة العلمية وهي: من الامور المناقضة للعلم التأكد بان الحقائق تقف عند حد معارفنا وملاحظتنا»

«ثم ان التافون الذي ينقل الكلمة ينقلها بواسطة تيارات رنانة ولكن بواسطة حركة كهربائية، فاذا كنا نستطيع ان نتكلم من باريس الى مرسيليا بواسطة انبوبة فان صوتنا يلبث سائرا ثلاث دقائق ونصف قبل ان يصل الى الجهة المرسل هو اليها، وتلبث كلمة مخاطبنا مثل هذه المدة أيضا اى ان الجواب المركب من كلمة واحدة لا يصل اليها الا بعد سبع دقائق. هذا مالا يفكر فيه احد، ولكن التلفون ادخل في البعد عن التصور من اشعة رنتجن من جهة معارفنا بالاشياء السابقة عليه.

«لقد تكلموا عن النوافذ الخمس لمعارفنا وهي البصر والسمع والشم والذوق والامس. ولكن هذه النوافذ الخمس لاتصلنا بالعالم الخارجى الا قليلا، ولا سيما النوافذ الثلاثة الاخيرة. فان العين والاذن تذهب الى بعد ما، ويكاد يكون النور وحده هو الذى يصل بين عقلنا والوجود ولكن ماهو النور؟ هو نوع من الذبذبة في الاثير بسرعة مفرطة والشعور بالنور ينتج على شبيكة اعيننا على درجة من الذبذبات الاثيرية تمتد من ٤٠٠ ترليون في الثانية الواحدة (وقتها يظهر الطرف الاحمر من الطيف الضوئى) الى ٦٥٦ ترليون (وقتها يظهر الطرف البنفسجى) وعدد هذه الذبذبات قد قدر بضبط منذ زمان طويل، وقما هو مثل هذا العدد وما بعده توجد ذبذبات في الاثير لاندر كما اعيننا فما بعد اللون الاحمر تحدث الذبذبات الحرارية المعتمة، وقما بعد البنفسجى تحدث الذبذبات السكافية للاشعة الكمارية الممكن تصور ما

بالموتوغرافيا وهي اشعة معتمدة ايضا . ويبقى امامنا ذبذبات كثيرة غير هـ - هذه مجهولة عندنا

ثم قال بعد ابراده نحة يقات عليه لما سبق :

«الظواهر الطبيعية التي تحصل حولنا على الدوام تحدث تحت تأثير قوى غير مرئية لنا . فبخار الماء الذي له اكبر تأثير في اختلاف الاقاليم غير مرئي بالعين ، والحرارة والكهربائية غير مرئيتين أيضا . والطيف الشمسي يتمثله مجموع الاشعة المضيئة التي تحس بها شبكية العين اصبحت الاشعة المرئية بالعين ويعرفها الكافة اليوم . فاذا امررنا شعاعا شمسيا من خلال منشور زجاجي نحصانا منه وهو خارج من ذلك المنشور على شريط من الاشعة ملون من الاحمر الى البنفسجي يخرقه عدد كبير من الخطوط

«أشهرها يدل عليه بالحروف من اول ا الى ح من الحروف الابدادية وذلك الخطوط هي خطوط الامتصاص الناتجة من المواد التي تحترق في الجو الشمسي ومن الابخرة المائية الموجودة في الجو الارضي . ويعرف منها الآن الوف مؤلفة فاذا وضعنا ترمومترا على يسار الطيف المرئي بعد الشعاع الاحمر نري زئبقه يرتفع فيعرف ان هنالك اشعة حرارية لا تراها اعيننا . واذا وضعنا زجاجة فتوغرافية على يمين الطيف فيما بعد البنفسجي رأيناها تتأثر فيعرف بذلك ان هنالك اشعة كيمياوية شديدة الفعل محجوبة عنا . ثم اننا نعلم لهذا الامر الهام وهو ان الاجسام غير المرئية يمكن ان تصير مرئية . فالاورانيوم وسلفات الكينين تصير مرئية في الظلام تحت تأثير اشعاع الاشعة التي هي بعد البنفسجي»

ثم قال :

«يرجح اننا نجد اشعة رونتجن بين الدرجة ٥٨ و ٦١ حيث الذبذبات الانثوية تكون من ٧٤٤ ٧١١ ١٥١ ٣٧٦ الى ٢٨٨٢٥٠ ٦٩٥٩٥٢ ٢١٣ ٠٠٩ ٢٣٠٥٨٤٣

في الثانية الواحدة وقد يكون عدد الذبذبات اكبر من ذلك . فبري ان في هذه الرتبة من الذبذبات يوجد فراغات كبيرة او مواطن مجهولة ليس لنا عنها ادني علم . فن الذي يستطيع ان يقول ان هذه الذبذبات لا تلعب دورا هاما في التركيب الوجودي العام ؟

« ثم يقال الا توجد ذبذبات في الاثير امرع من الدرجة التي ذكرناها . »
ثم قال :

« يوجد في الحياة الارضية خصائص لم يكتشفها الانسان الآن وحواس لانزال مجهولة لديه . فكيف يجد الحمام السياح والسنور اعشاشها التي تركتها ؟ وكيف يعود الحجاب الي بيته بعد ان يبعد عنه عدة مئات من الكيلومترات في طريق لم يعمده من قبل ؟ وكيف تستوى الحية المصفور الى فيها ؟ وكيف يجذب الهرم الى الفراش بعد ان يوقعه في خدر النخلة ؟ وقد بينت في كتاب غير هذا ان سكان الدنياوات الاخرى يجب ان يكونوا متممين بحواس مخالفة لحواسنا ،

« ليس لنا علم مطلق بشيء من الاشياء فكل معارفنا نسبية اي ناقصة

وقاصرة

« فالعقل العلمي يوجب علينا ان نتحفظ في انكار اتناء ولنا الحق في ان نكون متواضعين ، ولنقل مع اراغو « ان الشك دليل علي التواضع وما ضر بتقدم العلم الا نادرا ، ولكننا لا نستطيع ان نقول مثل هذا اقول عن الانكار المطلق » .

« ويوجد كذلك عدد عظيم من الحوادث لانزال بمسألة عن التفسير تختص بالعالم المجهول ، ومن هذا الباب الحوادث التي سنتكلم عنها في هذا الكتاب . فالتلباتيا اى الشعور عن بعد ، وظهور اشباح الموتى ، وانتقال الافكار ، والرؤي في النوم ، وفي حالة الانتقال النومي بدون استخدام الاعين لقرى ومدن وآثار ، ومعرفة المستقبل من حادثة قريبة ، والشعور بما هو آت ، والاندازات الحارقة للعادة ، والحس بحوادث مستقبلية ، والاملاء بواسطة الطرق على الاخونة (التراييزات) ، وحدث

ضوضاء لا يمكن تعليلها، وظهور أرواح في بعض البيوت ونقل الأشياء من أماكنها ورفعها إلى فوق ضد نواميس النقل، وحركة الأشياء وانتقالها بدون مس أو حوادث تشبه تجسد القوى (وهو ما يظهر محالاً لأول وهلة) والظهور الوهمي أو الحقيقي للأرواح أو لنفوس من جميع الرتب، وظواهر أخرى غريبة لا تزال بعيدة عن التفسير لأن كلها تستحق أن نطلع عليها وأن نوجه إليها اهتمامنا العلمي.

ثم قال :

« والذين يقولون : حاشانا أن نصدق هذه المستحيلات . لالا ، نحن لا نصدق الانواميس الطبيعية ، وهذه النواميس معروفة ، هؤلاء يشبهون قدماء الجغرافيين السذج الذين كانوا يكتبون على خرائطهم عند ما يصلون في رسمهم إلى جبل طارق هذه العبارة (هنا تنتهي الدنيا) ولم يعرفوا أن في تلك الشقة القرية المحيولة يوجد من الأرض ضعف ما كان يعلمه أولئك الجغرافيون الجسورون في ذلك الحين .
« كل ما نعرفه من العلوم الانسانية يمكن أن يشبه بمزبزة صغيرة ، صغيرة للغاية مماثلة بأوقيانوس لاسا ل له » .

وقال في صفحة ٧٥٠

« المشاهدات الحسية تثبت وجود عالم روحاني محقق كتحقق العالم المادي المدرك بجواسنا الخمس » .

وقال هذا العالم الكبير أيضاً في صفحة ٨ من كتابه (القوى الطبيعية المحيولة) :

انا لا اخفى عن نفسي بأن كتابي هذا سيثير ثائرة مناقشات واعتراضات اصولية ، ولا يستطيع ان يفتح غير الباحثين المستقلين . ولكن ما أقل القول المستقلة

الحرية علي سطح كوكبنا هذا ، وما اقل الميل الصحيح للاطلاع مجردا عن كل مصاحبة
ذاتية . كآني بجمهور قرائي يقولون : أى شىء في هذه المسئلة يوجب الاهتمام : اخوثة
(أى تراييزات) ترفع عن الارض ، ومناضد تتحرك ، وكرامى تنتقل عن مواضعها ،
وياونات تفتز ، وستائر تضطرب ، وطرقات تحدث بلا سبب معروف ، واجوبة توجه
الى أسئلة عقلية ، وجل تملى عكساء ، وأيدى ورؤوس واشباح تظهر ، كل هذا من الامور
النافهة او الهذيان الذى لا يصح ان يلفت نظر عالم من العلماء

» اجل من الناس من قد تسقط السما علي رؤسهم فلا يتأثرون .
» اما انا فأجيبهم قائلا : ماذا تقول ؟ ألا يجدي شىء في نظر كم ان نعلم ونشاهد
ونعترف بأنه توجد حولنا قوى لا تزال مجهولة ؟ ألا يعد شىء يؤبه له عندكم ان ندرس
طبيعتنا الخاصة وخصائصنا الذاتية ؟ ألا تستحق مثل هذه المسائل ان تكتب في برنامج
المباحث ، وان ينحصر لها ساعات من العناية ؟

ثم قال :

» اني كلما افكر في هذا الامر ادهش من ان دهماء الناس لا يزالون يجهلون هذه
المسائل كل الجهل بينما قد عرفها ودرسها وقدرها حتى تقديرها وسجلها من منذ مدة مديدة
جميع الذين تتبعوا حركاتها بكل نزاهة في مدى هذه السنين الاخيرة » انتهى .

...

وقال العلامة الانجليزى الكبير السير وليم كروكس احد رؤساء المجتمع العلمى
البريطاني الحاصل علي اكبر الانجاب العلمية ، وهو مكتشف اشعاع المادة ، قال من خطبة
القاه في جمعية المباحث النفسية في ٢٩ يناير سنة ١٨٩٧ وكان اذ ذاك رئيسا لها
(انظر مجموعة خطبه) قال :

اني لا أستطيع أن اؤكد لكم بأن أعمال ومشورات جمعيتنا هذه فيما يختص
بالتدوين الدقيق للملاحظات الجديدة الهامة ، او بالفائدة التي تنتج من هذه المشاهدات
(٣ — اثبات الروح)

تؤلف مقدمة لا تقدر قيمتها لعلم هو ابعد غورا من اى علم ظهر على سطح الارض
(تأمل) سواء فى كشفه عن حقيقة الانسان او عن حقيقة الطبيعة، وعوالم اخرى ليس لنا
ملبها الى الآن اقل اثاره من علم»

...

وقال العلامة الشهير (هنرى سيد جويك) المدرس بجامعة كمبردج وهو يعتبر
اكثر اخوانه العلماء تشككا وتثبنا قال فى خطبة رئاسة جمعية المباحث النفسية سنة
١٨٨٢ اى قبل اربعين سنة

« من الامور الفاضحة ان يناقش الى الآن فى صحة هذه الحوادث (الحوادث
الروحية) التي اعلن تصديقه بها عدد عظيم من الشهود الاختصاصيين ، واهم غاية
الاهتمام بحل مسائلها عدد آخر منهم ، وان يحتفظ العالم العلمي مع كل هذا حياها بالانكار
الساذج

« كان الناس يظنون منذ ثلاثين سنة ان الاعتقاد بالمسيح يسم (التنويم المغناطيسي)
وبالاخوة المنحرفة يفسر تفسيرها كافيا بقلة التهذب العلمي عند اهله ، فلما اكد رجال
من اهل العلم المشهورون الواحد بعد الآخر صحة تجاربهم الشخصية ، اظهر معارضوهم
مهاره فى تصيد الحال للحط من مقامهم العلمي ، فقالوا ان هؤلاء المباحثين غواة وليسوا من
اهل تلك المهنة ، أو اختصاصيون فى بعض الفروع العلمية وليس لهم نظرات عامة ولا خبرة
كافية ، أو مخترعون فقط يجولون الاساليب الدقيقة لبحث العلم ، وانهم ليسوا اعضاء
فى الجماع العلمية ، فاذا كانوا من اعضاء تلك الجماع اظهر المعارضون اسفهم لهذا وعدوه من
الحوادث المحزنة

لنا فى متابعتنا السير فى هذه المباحث لا يجوز لنا ان ننتظر من شهادة واحدة
مهما كانت كاملة نتائج قاطعة على العرف الانساني فان الانكار العلمى اخذ فى النمو من
زمان بعيد ، وقد صارت له جذور قوية عديدة لا قبل لنا باجتثاثها اذا قدر لنا ذلك الا
بمباظها بمجموعة من الحوادث المحققة ، فيجب علينا ان نعمل بلا فتور وان نركم

البراهين على البراهين ، وان تضيف التجارب الي التجارب ، وان لا تطيل الجدال مع المنكرين الاجانب عن مباحثنا على قيمة تجربة من التحقيق ، واسكن انعمد على عدد هذه التجارب للحصول على الافناع المطلوب .

..

هذه كلمات من خطبة القاها الاستاذ سيد جويك في جمعية المباحث النفسية بلوندره فيما هي هذه الجمعية ؟ قال الباحث الفرنسي المشهور (جبريل دولان) في كتابه المسمى (الوساطة) صفحة ٧ :

« تأسست في إنجلترا منذ سنة ١٨٨٢ (أي منذ خمسين سنة) جمعية المباحث النفسية جمعت بين اعضائها رجالا من الطراز الاول في العلم مثل الطبيعي العظيم (وليم كروكس) والمؤرخ الطبيعي المشهور (الفردوسل ولاس) و (اوليفر لودج) وهؤلاء الثلاثة من اعضاء الجمعية العلمية الملكية . وكان يعاونهم اساتذة آخرون وبسيكولوجيون (علماء بالنفس) وغيرهم . فعملت مباحث مدقة في سنين طويلة اتخذت لها ادق النحوسات لتجنب اسباب الخطأ . وان الانسان ليجد في المجلدات الثلاثة والاربعين التي نشرتها الى هذا اليوم مستندات عديدة خاصة بالتجارب والملاحظات المنقطعة والمتحققة بعناية اولئك الباحثين الخ الخ »

نقول وهذه الجمعية لا تزال موجودة الى اليوم وقد بلغ عدد ما نشرته من مجلداتها اربعين مجلدا . وقد تأسس في فرنسا في سنة ١٩١٩ مجمع علمي شبيه بها سيورد عليك ذكره في هذا الكتاب . ولم تبق في اوربا وامريكا جريدة يومية ولا مجلة الا وتذكر المباحث النفسية بل منها ما خصتها كل يوم بمودين كجريدة (السيكولو) الابطالية ، وسوادنا الاعظم لا يزال الى اليوم لا يدري هل لهذه المسئلة وجود في العالم العلمي ، مع انها امس مسئلة بالانسان ، واخصها به ، لانها تحيط الاثام عن وجوده الروحاني وخلوده في عالم بعد هذا العالم

وقد نشر المقتطف الزاهر في صدر جزئه الصادر في اغسطس من هذه السنة (١٩٢١) تحت عنوان (مناظرة في مناجاة الارواح) مقالا للمستتر (مكايب) ناظر بها الكاتب الكبير الطبيب الدكتور (ارثر كونان دويل) في مسألة مناجاة الارواح وقد وعد المقتطف بايراد رد الدكتور كونان دويل في الجزء القادم الذي يصدر في سبتمبر فربنا ان نأتي على ملخص كلام المستتر (مكايب) ان ترى القراء مبلغ جهد المنكرين ابروا مثالا من وهن اساليبهم في دحض هذه المباحث . فقد قال :

«ان هذا المذهب ولد في الخداع وربى في الخداع وانتشر الآن في المسكونة والخداع وسيلته» .

واستدل على قوله هذا بثبوت خداع الوسيطة (اوزايا بلادينو) مسع ان كاشف خداعها هو العلامة (هودجسون) من كبار علماء انجلترا ومن اعظم المصدقين بمخاطبة الارواح .

ثم ذكر ان جميع الوسطاء خادعون واستشهد على ذلك بقول العلامة كاميل فلاريون والبارون شرنك فقال :

« اكتفى بالاستشهاد برجاين من الذين بحثوا في هذه الاعمال والمظاهر وهم يعتقدون صحتها ، الاول فلاريون الفالسي الفرنسي المشهور الذي بحث في هذا الموضوع بمحاذاة قضاة مدة خمس عشرة سنة فقد قال . «ان كل وسيط يستعمل وساطته لاربح فهو غاش » والثاني البارون شرنك نوتزنج من اعيان الاطباء في فيينا فقد قال قلما قام وسيط الا وثبت انه يستعمل الغش . قال هذا القول بعد ان بحث في هذا الموضوع بحثا دقيقا جدا مدة ٣٠ الى ٣٥ سنة .

« وقال آخر من المعتقدين بصحة مناجاة الارواح ان ٩٨ في المئة من حوادث مناجاة الارواح الطبيعية المحسوسة خداع .

« فاست مبالغاً فيما نسبته من الغش الى هذا المذهب » انتهى
 نقول ما اغرب هذا التذليل . يستشهد المستتر (مكايب) علي ان هذا المذهب

مبنى على الخداع بأقوال رجال يقول عنهم انهم من المصدقين به ولم يرد أن يسألهم على أى دعامة أقاموا عقيدتهم به مادام الامر كما ذكروا

نعم لم يسألهم المستر (مكايب) هذا السؤال مع انه أول ما يتبادر الى ذهن كل قارىء ، لانه يعلم أنهم سيحبونه بأنهم بنوا عقيدتهم على تجارب وسطاء غير مأجورين وقد ظهرت خاصة الوساطة في علماء أعلام واطفال رضع ونساء مريضات من زوجات المهجرين وبناتهم . فظهرت في المستر ستيد اكبر صحفي العالم وأشرفهم نفسا ، وفي العلامة فارلى الكهربائى الانجليزى ، وفي بنتي المستر ادم وندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكى ، وفي امرأة الوزير الروسى الشهير اكزاكوف ، وفي ابنة البارون كيركوب الانجليزى وعمرها لم يتجاوز تسعة أيام (ايام) وفي القصصي الفرنسى الكبير ساردو . راجع ما كتبناه على الوساطة في هذا الكتاب . وفي العالم اليوم الوف غير هؤلاء . ممن لا يعقل فيهم الخداع والتدليس . فلو كان سأل المستر (مكايب) هؤلاء العلماء الاعلام الذين يقول عنهم انهم من المصدقين ، مخاطبة الارواح لآخذ بروه بالواقع ، ولبيدوا له الاصول التي بنوا عليها عقيدتهم .

ثم قال ان كاميل فلامبريون بحث هذه المسائل مدة خمس عشرة سنة والحقيقة انه بحثها مدة خمس وخمسين سنة كما صرح بذلك في آخر كتاب له وهو (الموت وغامضته) الذى ترجمته الآن تباعا في الوجديات التي تصدرها كل خمسة عشر يوما (١) . فلو كان هذا ما بلغ تثبت المستر (مكايب) في مناظرته فانا نربأ به ان يخوض في موضوع ليس له المصالح صحيح بتأريخه .

ثم قال المستر (مكايب) :

« أرى ان مناظرى حسب ان من أقوى الادلة على صحة هذا المذهب ما ادعاه من كثرة عدد العلماء الذين اعتنقوه » .

هى مجلة كنا نودعها كل خمسة عشر يوما مقام خيالية خرافية وننشر فيها ما بحث عليه أخرى اشتراكا ١٥ قرشا في النهاية .

ثم استشهد المستر مكايب على فساد هذا القول بما كتبه الدكتور ستانلي هول رئيس جامعة كلارك ضد السير او ليفر ولودج رئيس جامعة برمنجهام الذي ذهب الى أمريكا لنشر مذهب مخاطبة الارواح وهذا قول الدكتور ستانلي المذكور في السير او ليفر ولودج :

« ان منظر اب يرى الناس قلبه الدامي على ابنه القتل يجعله يمان من الانتقاد » يشير بذلك الى مقتل ابن العالم الانجليزي في الحرب ، مع ان السير او ليفر ولودج يعتقد بصحة الاتصال بالارواح قبل الحرب العامة بعشرات من السنين .

ثم أورد المستر مكايب قول الدكتور ستانلي المذكور وهو :

« ولكن تشير السير او ليفر ولودج بمناجاة الارواح احتقار للم »

ثم أشار الى الحياة التي يجيهاها الارواح بعد الموت حسب ما ادعاه السير او ليفر ولودج (كما يقول) فذكر « انها تشبه حياة ضعاف العقول في اليمارستان » .

وختم الدكتور ستانلي مقاله بقوله :

« اني اؤكد انه لا يوجد ذرة من الحق في كل هذا الجبل الكبير من دعاوي مناجاة الارواح » انتهى .

أشار المستر مكايب الى هذه المقالة ليدحض قول السير ارثوكران دويل مناظره ان من أقوى الأدلة على صحة مذهب استحضار الارواح كثرة عدد العلماء القائلين به ، فهل غاب عن المستر مكايب ان القول بوجود علماء كثيرين يقولون بصحة شيء لا يفي بوجود علماء آخرين ينكرونه ؟ وهل رأى عالم منك لم ير شيئاً من التجارب النفسية يدحض جبلاً كبيراً كما يقول من تجارب قام بها علماء آخرون ورجال من كل طبقة في مدى حيايين متواليين ؟ وهل من العلم أن تكذب بشيء لم تعمل فيه تجربة واحدة بحجة انه لا يسيغه عقلك ، وانت تدري قيمة هذا العقل ثم باع رأس ماله العلمي في هذه الانهائية المجهولة ؟

ان الرأي العلمي الذي يؤثر في هذه المسئلة حقيقة هو أن يتصدى لها عالم أجمع علمي فبعضه في تجربتها وقتاً كانياً ثم يكتب عن تجاربه تقريراً مفصلاً يثبت فيه ما قام به من

التجارب وما اتخذته من الوسائل وما شؤ هدفه من التدليس وما انتهى اليه الامر من عدم وجود شئ اصلا يعول عليه في هذا الباب

هذا هو الرأي الذي يؤثر في دحض هذه المسئلة، اما رجل ينظر الى مجموع التجارب التي حصلت في اها مما لا يسيغها عقله... لغرائها (وما غرائها الا لكونها تفوق علمه الناقص)، فيندفع للكتابة في نفيها متقدما تجارب العلماء امثاله متهما اياهم بالانخداع والوقوع في حيلة المدلسين، فهذا ليس من العلم وليس من الحكمة، وليس من الاخلاص، وهو عار سيستجله التاريخ على كل من يرتكبه كائن من كان. كما سجل علي (لافوازييه) تكذيبه بالنيازك، وعلي (بوميه) تكذيبه لتحليل الهواء، وعلي (بوبر) تكذيبه لنظرية الفونوغراف وعلي (باينيه) تكذيبه لامكان مد الاسلاك البحرية، وعلي (تييرس واراغو) استهجانهما لفكرة السكك الحديدية، وعلي المجمع العلمي البريطاني تكذيبه للدورة الدموية، وعلي كل المجامع العلمية تكذيبها بالتبويب المغناطيسي الخ الخ، اليس في تاريخ الجود العلمي مزدجر لكل متهور يخيل اليه ان مساتير الوجود انحصرت في بضعة القشور العلمية التي حصلها له هذا العقل الناقص؟

ان هذه المباحث النفسية كما مرت من ادق الاختبارات العلمية الفردية، مرت كذلك من تحقيقات اكبر مجمع علمي اجتمع خصيصا لفحصها وتقديم تقرير عنها وذلك انه تقدم طالب من جم غفير من الانجليز سنة (١٨٦٩) حيث كثر اللفظ بهذه المسائل الى الجمعية الجدلالية العلمية بانجلترا لاعطاء الرأي العام البريطاني رأيا حاسما فيها، فندب هذا المجمع ثلاثين من اعضائه لفحصها فحسبوا علميا، وتقديم تقرير تفصيلي عنها. وقد صدعت هذه اللجنة بالامر، وكان من اعضائها السير وليم كروكس من اكبر علماء الانجليز، والمستر الفريد روسل ولاس، مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي وقوانين النشوء والارتقاء، وهو يعزل عن دارون ففسب المذهب الي الثاني بسبب سبقه اليه بشهادة بعض من اطعمهم دارون عليه. وقد وقع هذا التقرير في اكثر من خمس مئة صفحة ونشر في البلاد الانجليزية وترجم الى كثير من اللغات، ونحن ننقل من الطبعة الفرنسية التي بين ايدينا فقرات من خلاصته وهي:

« كل هذه الاجتماعات عقدت في البيوت الخاصة بالأعضاء، لنفي كل احتمال في أعداد آلات لاهداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أي نوع كان .
« وقد عملنا تجاربنا في ضوء الغاز ما عدا عدد اقليل منها اقنضي شأنه الخاص ان نعمله في الظلام دقائق معدودة .

« وقد تحدثت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة في الخارج أو الذين يأخذون أجرا على عملهم هذا. فكان واسطتنا الوحيد اعضاء اللجنة (نأمل في أنه لم يكن معهم وسيط مأجور) وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة المطلقة وليس لغرض مالي يرمى اليه ولا أي مصلحة في غش اللجنة .

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما امكن لمجموعة عقولنا ان نتخيل عملات بصير وثبات . وقد دبرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهدتنا وابعاد كل احتمال لغش وتوهم .

« وقد بدأنا بحواربة أخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر (نأمل) وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بانها نتيجة النديس أو التوهم، أو انها حادثة بحركة غير ارادية لعضلات. ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم الابدع ظهورها بوضوح لا يتمكن مقاومته وفي شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لا غبار عليها » الخ .

نقول فهل هذا الرأي العلمي الناضج الذي هو نتيجة تجارب ثلاثين من اكبر علماء الارض في مدي ثمانية عشر شهرا بغير وسيط مأجور، ولا تأثير من أي نوع كان، يتأني دحضه بكتابة مقالة يكتبها رجل مهما كانت منزلته لم يكلف نفسه تجربة هذه المسائل والتورط في ما رزقها ؟

إذا جوز العقل ان يتخدد بحيل المدلسين عالم أو عالمان أو عشرون عالما درسوا هذه المسئلة على افراد فهل يجوز ان يتخدد بها مئات منهم لخصوصها في كل بلد، وان يتخدد

كذلك الوف مؤلفة من أطباء ومهندسين وأصوليين ومالين وصحفيين ومؤلفين، ومن خبروا أسايل الخلق وعرفوا دخالهم في مدي ثمانين سنة، وفي كل صقع من اصقاع الارض ؟

وهل يعقل ان يتخضع بها ثلاثون عالما من اكابر علماء الانجليز ندبروا خصيصا لفحصها وهم في أشد درجات الانكار لها ، فبحثوها غير وسيطأ ما جور في مدي ثمانية عشر شهرا واتخذوا لتحصيها ما يمكن اعقولهم الراقية من الوسائل والتدابير ؟

ماذا يزيد الناس اكثر من هذا الضمان علي صحة مشاهدة من المشاهدات ؟ ان هذه الخوارق الروحية هي المسئلة الويدة التي لا يقبل ان يأخذها آخذ الا بعد ان يراها بعيني رأسه . ولورآها الناس اجتمعن الا واحد منهم اظن ذلك الواحد منكرها الخفي يراها . وهذا التنويم المغناطيسي الذي كافح العلماء الجامدين مئة سنة ثم تغلب عليهم وصار يدرس اليوم في جامعات الطب الكبرى ، لا يزال في الناس من ينكره ولا يآ به ، فسا قولك في الخوارق الروحية التي لاتعد عجائب التنويم المغناطيسي بجانبها شيأ يذكر ؟

ألا إن هذا الجود العلمى الذى يعتبره البعض من قوفا العقل ، ومن الألمعية هو شر ما مني به هذا الانسان المسكين ، ولا ندرى متى يخلص من كابوسه ليسرع في ترقيه الى القايات البعيدة التي اعد لها لغوها مدفوعا بالقوى العلوية التي متع بها دون غيره من الكائنات الحية .

نحن نكره بل نرى من الشؤم عليه ان يجري وراء كل ناعق بخرافة ، ولاننا نرى به ان ينكر ما يؤتي به حاصله علي كل الضمانات العلمية مما بحث على أدق الاساليب التجريبية وسربت عليه أشد الاصول التحصية .

قال العلامة (جان فينو) مدير المجلة العلمية في بحث جليل نشره في مجلته في ثلاثة اجراء متوالية من ديسمبر سنة ١٩٢٠ الى ١٥ يناير سنة ١٩٢١ تحت عنوان (فتح على الروح خالدة) مشيرا الي هذه المسائل الروحية قال :

» يكفى الانسان ان يلقى نظرة على الشواهد التي لا يحصى لها عدد مما قد درس

(٤ — اثبات الروح)

بمنايات مضاعفة ، ومراقبات شديدة للغاية ونشر في مطبوعات الجمعية الجدلالية بلوندره
ليحني رأسه اجلالا لهذه الحقيقة الجديدة .
وقال بعد ذلك :

« قالنكرون حتي أعصاهم قيادا لا يستطيعون ان ينكروا وهم مخلصون في انكارهم
انه توجد قوة نفسية تحدث ظواهر خارقة للعادة بزداد عددها يوما بعد يوم ولا يمكن
التزاع في صحتها » انتهى .
وقال المستر (مكايب) في مقالته :

« أشرت أنا الى ما قاله مناظري من انه يستطيع ان يذكر أجماء خمسين من الاساتذة
في معاهد العلم الكبرى الذين خصوا مظاهر مناجاة الارواح واثبتوها ، فاني أطلب منه انه
يذكر لي عشرة فقط »

يقول ان المستر مكايب عرض نفسه لخصمه تعريضا غريبا فان مناظره لا يستطيع
ان يذكر له أجماء خمسين فقط بل خمس مئة واثني اربعين ، الى ما نقلته عن رجال العلم
في هذا الكتاب لينظر اين يقع تحدى المستر مكايب في هذا الباب .
ثم أخذ المستر مكايب يناقش في حادثة طيران الوسيط (هوم) التي شهدتها الارل
كروفرود والاوزد ادر والسكبتن ونحاو لا اثبات ان الوسيط المذكور خدع هؤلاء الثلاثة
الرجال رعا عن تأكيدهم ذلك وعن قول احدهم وهو السكبتن ون : (اني احلف ان
هوم خرج من شباك ودخل من آخر) ، وأخذ يعيب على الدكتور كونان دويل قوله
ان صفحة هذه الحادثة اثبتت من صحة الحوادث القديمة التي اتفق الناس كلهم على
تصديقها .

وانا أعيب على المستر مكايب جرأته على رمي ثلاثة شهود في درجة الرجال الذين
ذكرناهم بالاخذاع في حادثة عيانية من هذا القبيل ، لان هذا الضرب من الاذراء ، يقول
الناس وخصوصا من الطبقة المذكورة بطمس اعلام كل حقيقة ، ولا أدري وهو كاتب ديني
كيف يجمع بين هذا الافراط في التشكك وبين ايمانه بالتاريخ الديني الذي يكتب
في .

ثم اخذ المستر مكاي بطمن في ادلة كتابي السير اوليفر لودج والدكتور ارثر كونان دويل وهو يعلم انهما ليسا بالركنين اللذين تأسس عليهما المذهب الروحاني. ولو كان هذا المذهب قائما علي كتابين افرادين لما قامت له قائمة في العالم، ولحكم عليهما بالجنون المطبق في هذا العصر الحافل بالاعلام الماديين .

والحقيقة ان هذا المذهب قام على تجارب اجراها مئات من العلماء وألوف من الاذكياء في مدى جيلين متواليين، وكان من ام اركانها (اولا) قرار لجنة الجمعية الجدلالية الانجليزية التي تألفت من ثلاثين عالما طبيعيا ودرست هذه الخوارق الروحية في مدى ثمانية عشر شهرا وبدون وسيط مأجور في بيوت اعضائها. و (ثانيا) مجاميع جمعية المباحث النفسية التي ألفها علماء. انجذرة من منذ سنة ١٨٨٣ ولا تزال قائمة للآن وقد جمعت من تجاربها اكثر من اربعين مجلدا ليس فيها حادثة واحدة غير معصية على الاسلوب العلمي الدقيق

فلي هذه الاركان القوية قام المذهب الروحاني وانتشر هذا الانتشار البعيد المدى، فهل يمكن ان تهدم كل هذه الجهود العملية التجربة مقالات كلامية، وتشكيكات لفظية من اناس اراحوا انفسهم من حيث تعب العالمون ؟ فلو كان العالم يتبع في سيره امثال هؤلاء الذين جعلوا حطيم من العلم التشكيك في كل جديد، ورعي العالمين عليه بالبله والانخداع، لما مدت الخطوط الحديدية، ولا الاسلاك البحرية، ولا اكتشفت الكهر بائية، ولا عد الاوكسيجين في المواد الكيميائية، ولا عرفت الدورة الدموية، الى مآلها مما لا يمكن حصره . ولكن الانسانية تصفى قليلا لهؤلاء المشككين، ثم تلفظهم الى عالم الجامدين، وتجري خاف العالمين الى ما اعد لها من النفايات البعيدة.

..

هنا يجب علينا ان نلفت نظر القارئ الى امر جدير بالنتبه اليه وهو :
ان الباحثين في الخوارق الروحية قسمان : قسم السواد الاعظم، وقسم العلماء قاما
الاولون فيطرون وراء كل ظاهرة روحية وينسبونها الى ارواح الموتى فيدعون انهم

خاطبوا روح ارسطاطاليس وابن رشد وشوبنهاور وناييون، ويعنون بنقل هذا الكلام ونشره، وقد اتخذوا هذه المباحث ديناً لهم لا يفترق عن الاديان الاخرى في شيء. واما قسم العلماء، فقد بحثوا في هذه الخوارق عقب شيوعها وانتشار القول بها ولهم غرض واحد وهو الترابيل ببراهين محسوسة على انها قائمة على الغش والتدليس، لانهم كانوا كلهم ماديين لا يتخيلون وجود عالم وراء المادة، ولا قوة غير قوتها الذاتية. فتبين لهم بعد انعام النظر في تلك الخوارق انها لانمال بالخداع، ورأوا انهم حيال قوى مجهولة يجب الاعتداد بها، والعناية بكشف الاثام عن وجهها.

فأخذوا يعالونها بالاعمال المادية في حيز النواميس المعروفة مع الانعام في دراستها، فكانت تستعصي على تلك العال، وتظهر لهم وجوه اخرى لا يمكن تعليلها بقوى المادة ولا بقوة الانسان الطبيعية، ولا بالقوة التي سموها بالنفسية، وقد درسنا هذه التعليلات في الفصل الخاص بها من هذا الكتاب وبيننا وجوه استعصاء هذه الخوارق عابها، حتى انتهى بهم الامر الى القول بانها تتعاق بقوة عاقلة غير قوي الحاضرين، لها قدرة على التكلم بالافات التي يجعلها جميع المجريين، وعلى الاثيان بما يعجزون عنه من الاعمال منفردين ومجتمعين، وعلى التجسد والظهور امام عينهم في مثل اجساد الادميين مدعية بانها ارواح المنوفين.

فوجدوا انك الباحثون انفسهم - حيال امر محسوس لا يمكن الشك فيه تدركه مشاعرهم وتسهله آلاتهم وتتناثر بشهده حتى الحيوانات التي تكون معهم فرأوا أن تكذيب المحسوسات ضرب من الجنون فسلموا بوجوده. لم روحاني بميد الغور فيه، والمحيية حياة عقلية عالمية وقادرة على مالا يقدر عليه الاحياء المتجسدون.

ولكنهم رغوا عن تأكيد تلك الكائنات العاقلة بانها ارواح الموتى واقامتها ادلة كثيرة على صحة ما تقول، كتكلمها بالجهنم، واستخدامها تعبيراتهم، وكتابتها بخطوطهم وتوقيعها بتوقيعاتهم، لم تسمح لهم حيطتهم بالتسايم لما بما تدعيه لان كل هذه الامور مرجحات لا ادلة عامة مطلقة، فتوقف جمهورهم عن القول بانها ارواح الموتى، وذهب كثير منهم الى القول بانها روح الوسيط نفسه (وفي هذا مرجح نسبي للمذهب الروحاني

لان هؤلاء ، ما كانوا يقولون بوجود روح على الاطلاق) ومال غيرهم الى القول بأنها ارواح
 بحجرة موجودة في العالم ولكنها غير ارواح الادميين ، وسلم جماعة منهم علي رأسهم
 العلامة (الفردوسل ولاس) الطبيعي الانجائيزي الكبير بأنها ارواح المتوفين . واستدل
 علي ذلك بالمرجمات التي ذكرناها وزاد عليها قوله انها لو كانت من عالم غير العالم الانساني
 لذكرت ذلك ولو لبعض الباحثين ، ولما أجمعت في كل بلد علي القول بأنها ارواح الميتين ،
 فاذا ذكرنا نحن الاسبرنسم والمذهب الروحاني والمباحث النفسية فلانني الامباحث
 العلمية المجردة عن كل صبغة مذهبية ، والموافقة للخطة العلمية الرسمية ، أي اننا لانعجز
 بأنها ارواح الموتى ، بل نرجح ذلك فقط ، ولا نعيأ بأي تجربة لاتأيدنا علي الاسلوب
 العلمي الدقيق .

هذا هو موقفنا وموقف كل مثبت ، فليستنا نذهب بادعاء العلمية الي ابعاد ما يؤدي
 اليه الجود ، كما يفعل المتحذرون ، ولا ننزل من درجات العقلة الي حضيض تأخذه
 بكل ما يقال من هذا القبيل كما يفعل الساذجون .

ومع هذا النوقف والتثبت فاننا نمان علي رؤس الاشهاد بأن العلم التجريبي قد
 اكتشف العالم الروحاني بأسلوبه العملي المحسوس ، وشرع يدرسه علي طريقته في درس
 عالم الماد ، وهذا عهد للبشرية لم يكن يخطر ببال اجراء الحيايين ، انتقلت به من دور
 الايمان بالغيب الي دور الايمان عن مشاهدة ، ولا تسل عما سيبتني علي ذلك من الفضا
 علي ما بقي في الانسان من الميول الحيوانية ، والرغوات البهيمية ، وما سيقوم عليه من
 الاصول الخلقية ، والكمالات الروحية في مستقبل ايس بهيد ، فاذا كان الانسان كاف
 بالبحث عن السعادة من يوم وجوده علي ظهر الارض فأعجزه وجد انها في شيء من
 اشياءها ، فسوف يجدها في هذا الفتح العظيم ، وسوف يجد فيه ما يحقرها في نظره لآزاء
 سعادة اخري ما كان يتخيلها في عهده القديم .

مقالة المقتطف

(نشر المقتطف في جزئه الصادر في ديسمبر سنة ١٩١٨ ما يأتي تحت عنوان:)

البحث الفلسفي الحديث

من يطالع ما ينشر من الكتب والمقالات الفلسفية يجد ان اصحابها مالوا عن الطريقة العلمية الى الطريقة الروحية . والفلسفة تشمل مواضيع مختلفة تتفق كلها في صعوبة ادراكها فمنها ما تحققت قضاياها حتى صار يحق له ان يحسب بين العلوم الطبيعية ومنها ما ابانت المعارف الحديثة انه من باب الاوهام والخرافات . وما يدعو الى الاسف ان كثير اهتمام الناس كان موجها في السنوات الاخيرة الى هذا القسم من الفلسفة كما يظهر مما نشرناه من اقوال السر اوليغر لدج واضرابه من المعتقدين بمناجاة الارواح والتلبثي ما اشبه .

والقد كانت الفلسفة دائما في عراك بين الذين يحكون العقول والذين يحكون العواطف . فان الانسان مغطور شديد الاميال الرغائب فاذا لم يقف عقله الثقيل الكافي حسب رغائبه حقائق . يرغب في امر فيعتقد انه حقيقة مقررة حتي اذا ابنت له خطاه رمك بالكفر او بسوء العقيدة او قال انك مادي لانؤمن بشيء روهي . واقد اثارت هذه الحرب رغبات شديدة لا يلام من ظهرت في نفسه وتملكتها . وهل تلام من كان ابنها فلذة كبدها في ميادين القتال اذ ارغبت في التكلم معه او في مناجاة روجه وقما تعلم انه اسلم الروح . لا تلام ولكن رغبتها هذه تقوى عواطفها فتغلب علي احكام عقلها . اما العلم ففرضه اظهار الحقائق كما هي وعلى رجال العلم ان يرشدوا العامة حتى لا يصدقوا شيئا مجرد رغبتهم فيه او لانه يطابق اميالهم . لكن المعتقدين بمناجاة الارواح غرضهم الاول اهمال العقل وارضاء العواطف

«من الكتب الحديثة التي ألفت في هذا الموضوع كتاب للدكتور مرسير خطأ فيه السر اولايفر لدج وبين انه على ضلال مبين على ما قاله هيو اليوت في مجلة «تقدم العلم» الانكليزية . ولم نطلع على هذا الكتاب حتي الآن ولكننا نرجح ان مخطئة المؤلف للسر اولايفر لدج جاءت مطابقة لمخطئتنا له في كل ما نشره في المواضيع النفسية سواء كان في كتابه خلود الانسان او كتابه عن ابنه رينولد . والدكتور مرسير من اشهر اطباء الامراض العقلية في هذا العصر وهو طبيب بيمارستان تشرنج كروس بيلاد الانكليز وقد قال قولاً يثقل وقعه على المعتقدين بمناجاة الارواح والتليثي وهو ان الاشتغال بهما يؤدي الى اختلال العقل ويعرض اصحابه للجنون . واستشهد لناييد قوله بالدكتور روبرتسن مدير بيمارستان الماسكي بادنبرج . وهذا يؤيد ما قلناه في مقتطف مارس سنة ١٩٠٦ «وهو ان الذين يصدقون مناجاة الارواح ويمارسونها تضعف قواهم العصبية

رويداً رويداً وينتهي أمرهم الى الجنون» . والظاهر ان الذين فيهم ضعف خلقي مياولون الى تصديق السبرتزم ومناجاة الارواح وما كان من هذا التقييم

ومن الكتب الفلسفية الحديثة رسالة في الخلود لجاعة من الكتاب قال فيها هيو اليوت انها تدل على ان كتابها يعتقدون بان الحجاب الفاصل بين الدنيا والاخرى يمكن هتكه وان آراءهم مطابقة لرغائبهم . ولكنه رجح ان القارئ الذي يقرأ رسالتهم وهو غير معتقد اعتقادهم لا يقنعه ما فيها من الادلة . والآخر كتابا في التليثي صحيحها وفاسدها اظهر فيه اسباب الفاسد منها اما الصحيح فلم يظهر اسباب صحته ، ولعله رأى صحيحا لانه يميل تصديق الاوهام فلم يبحث عن اسبابه البحث الكافي .

«هذا ونريد ما ذكرناه مراراً وهو ان الذين يدعون صحة مناجاة الارواح والتليثي ويعملون بهما لا يلزم ان يكونوا كلهم خادعين ولا ان يكونوا مخدوعين من غيرهم ، بل يغلب ان يكون كثير منهم مخدوعين من تلقاء انفسهم اى ان اميلهم

تلتصق على عقولهم في هذه المسائل مع أنهم في غيرها يكونون من اذكي الناس عقلا
عقلا واكثرهم بحثا وتدقيقا. ومن هذا القليل الصر اوليفرلديج ، ونحن نعرف
رجلا كان امهر الناس في العلوم الرياضية وحل غوامضها وتطبيقها ولكنه كان مع
ذلك يصدق من الاوهام مالا يصدقه العامي

(نشر المقتطف هذه الكلمة فرددنا عليها في المقتطفات نفسه بهذه المقالة لآنية)

المباحث النفسية

والفلسفة المادية

قرأت في مقتطف الشهر الماضي (ديسمبر سنة ١٩١٨) مقالا تحت عنوان
(البحث الفلسفي الحديث) فرأيت ان ابدى ملاحظات عنت لي فيه رجاء تجلية
الحقائق العلمية التي تشددونها.

رجاء في ذلك الفصل ان ما يشر الآن من الكتب والمقالات الفلسفية قد ميل
به عن الطريقة (العلمية) الى الطريقة (الروحية) وان أكثر اهتمام مناس كان موجها
في السنوات الاخيرة الى هذا القسم من الفلسفة.

هذا كلام صريح بان الميل العام اخذ يتجه غير الوجهة المادية في المباحث
الفلسفية ، وهو حادث جال في تاريخ الفلسفة الاوروبية لا يصح ان يهمل امره او
ان يعمل تعليلا بنظرة عجي ، فان أوروبا التي بلغت اشدها في المباحث المادية وذوقت
ثمار جهادها فيها عدة قرون ، لا تظهر فيها مثل هذه الحركة اعتباطا ولكن لابد لذلك من
علل جذيرة بانعام النظر :

ثم جاء في تلك المقالة ان « المعتقدين بمناجاة الارواح غرضهم الاول اهمال
القليل وارضاء المواطنين »

وهو كلام يدل بصراحة علي ان الباحثين في مسألة الروح محقرقون بخافون
الاسلوب العلمى الدقيق في ابحاثهم ولا يتوخون الا مشايعة ميوهم.
ثم جاء في ذلك المقال ان الذين يصدقون مناجاة الارواح تضعف قواهم العصبية
رويداً رويداً وينتهى امرهم الى الجنون.

ثم ذكر الكاتب لتلك المعجالة ان الباحثين في هذه المسائل لا يلزم ان يكونوا
كلهم خادعين أو مخدوعين، ولكن يغلب ان يكون كثير منهم مخدوعين من تلقاء
أنفسهم، أى ان ميوهم تتسلط على عقولهم مع انهم في غيرها يكونون من اذكي
الناس عقلاء، واكثرهم بحثاً وتدقيقاً، ومن هذا القبيل السر او ليفرلج. ثم قال ونحن
نعرف رجلاً كان من امهر الناس في العلوم الرياضية واخل غوامضها وتعايها ولكنه
كان مع ذلك يصدق من الاوهام بما لا يصدقته العاقل.

وهذا القول صريح الدلالة في ان جميع الباحثين في هذه المسألة لا يؤبه باقوالهم
وائى السر او ليفرلج وذلك الرياضى الجليل يكاد ان يكون ان العالمين الوحيدين الذين
يشاركان دهما، الروحانيين وساوسهم.

وبما اني من المتنبعين لحركة المباحث النفسية في اوربا وامريكا وقرأت اجل
ما كتب فيها بلغة الباحثين أنفسهم، رأيت أن اوافي المقتطف ببحث وجيز في هذا
الموضوع تجلية للحقيقة واعدا بالعود الي مثله كلما سنحت لي فرصة. واني ما وقعت
سنين كثيرة من حياتي العلمية لاستقصاء هذه المباحث الا لانها حادث حال في
تاريخ العلم المعصرى سيكون من اثره تعديل مناج الفلاسفة المعصرية وتكامل إنشاء
المدرسات البشرية علي المادة والروح معا

كيف نشأت المباحث النفسية

حدث في سنة ١٨٤٦ في قرية هيد سفيل من ولاية نيويورك بأمرىكا
ان امرأة رجل اسمه جون فوكس ازعجتها طرقات كانت تحدث في البيت الذى
تسكنه فتجارأت مدام فوكس ذات يوم وسألت ذلك القائل المستتر قائلا هل
(• — اثبات الروح)

أنت روح؟ وافقت معه علي أن يكون علامة الاثبات طرقتين وعلامة النفي طرقة واحدة . فاجابها بطرقتين . ثم مازالت تسأله وهو يجيب بواسطة الطرق حتي علمت منه أنه روح رجل كان ساكناً بهذا البيت قبله جاره ودفنه فيه ثم سلبه ماله ولم تهتد الحكومة اليه . فامرعت مدام فوكس بأخبار البوليس والنيابة فحضر رجلاهما واخذوا كل حيلة وتسمعوا للطرقات علي طريقة صاحبة البيت وفهموا منها ما فهمته . فعمدوا الى الحفر في المكان الذي دلت عليه الروح فوجدوا جثة القنيل وكان من أثر ذلك اعتداؤهم الي القاتل .

هدأت روح القنيل ولكنها ظلت تزور بنتي المسترجون فوكس حتي انستابها وحضرت ارواح اخرى ادعت انها ارواح موتي آخرين ، وتحسنت طريقة التفاهم بينهما وبين هذه الكائنات ، فجلست علي هذه الطريقة وهي : ان تقرأ واحدة منهما الحروف الهجائية فتعطي الروح عند الحرف المراد كتابته طريقة فتكتب الاخرى ذلك الحرف ثم تعيد الاولى مجرد الحروف فتعطي الروح عند الحرف المراد كتابته طريقة ثانية وهم جراً . ثم تجمع تلك الحروف وتقرأ .

فجاءت تلك الروح ذات يوم ورجت الاختين ان تعلمتا بانهما مستعدتان لاشهاد الناس خوارق ثبت لهم وجود الارواح في أكبر مسكن للمحاضرات في نيويورك . فأبى البنات ذلك اشد اباء خشية من سوء القالة واتهامهما بالشعوذة . فاجابتهما الروح بانها تصر علي ذلك لانها تريد ان تنتهز هذه الفرصة انثبت للناس صحة خلود النفس ، قائلة انها ما تنجست الاستئناس بهما الي هذا الحد الا لهذه الغاية . فاصبرت البنات علي الالباء والامتناع . فاندرنهما الروح بانهما ان بقيتا علي اصرارهما ذهبت ولم تعد . فلما استمر اصرارهما ذهبت كما قالت ، ولم تعد البناتان تسمعان شيئاً . فحدث لهما من جراء ذلك كدر عظيم لانهما كانتا قد انستا بتلك الروح وجعلتا التكلم معها من اكبر المسليات لهما . فلم يسمعهما اخيراً الا القبول واسكنهما . شرطنا ان يكون العمل في الصالونات الكبيرة لبعض البيوت ثم تدرجان من ذلك الي قاعة المحاضرات الكبرى . فأخذ البناتان يحضران في بعض تلك الصالونات امام جمهور من العلماء

والمفكرين فتحدث خوارق عديدة رغم أن كل ما يتخذ من التحولات . ثم اعلنا التحضير في قاعة المحاضرات الكبرى فشهد هذه الخوارق جم غفير من الناس وكثير المتحدث بها في كل ناد

فكان القاضي ادموندس رئيس مجلس الشيوخ بأمر بكا من اسرع الناس الى بحث هذه الخوارق، فاعتقد صحتها وكتب فيها بحثا مستفيضا، فحالت عليه الجرائد حملات عنيفة، ففضل ان يستقبل ويخدم الحقيقة علي ان يبتقي في وظيفته مقيدا بتقاليدها فكان من اكبر العاملين علي نشر هذه المباحث .

ثم تلاه الاستاذ (مابس) معلم علم الكيمياء بالمجمع العالمي فانهي امره بتصديقها ونشر مباحثه علي رؤوس الاشهاد.

فخذا حذوه العلامة روبرت هير واطال البحث والتنقيب فظهر له صدق نغار صاحبه فوضع كتابا جليلا امناه (الابحاث التجريدية علي الظواهر النفسية).

فكان من اثر هذه الكتابات فيه ان نشبت حرب قلمية بين الباحثين فلم يبق عالم ولا كاتب في الولايات المتحدة الا خاض غمارها، وانتقلت الحركة الى انجلترا فانتدب العلامة الكيمياء الكبير وليم كروكس لبحثها مع بعض الوسطاء الانجليز فانضح له انه حيال قوى كبيرة من قوى النفس كانت مجهولة، فكتب في ذلك كتابا دعاه (مباحث علي الظواهر النفسية قال) فيه :

« بما اني متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الادبي ان ارفض شهادتي لها بحجة ان كتاباتي قد استهزأ بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيئا في هذا الشأن ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام ان يحكموا عليها بأنفسهم، اما افسأمرد بغاية الصراحة ما رأيته بعيني وحققته بالتجارب المتكررة » :

ولما تولى هذا العالم رئاسة الجمعية الملكية اشار في خطابه الي الرئاسة الي المسائل النفسية وقال انه مضى عليه في بحثها ٣٥ سنة وان ممارفه قد زادت فيها وانه سينشر عنها كتابا جديدا وقد نقل المقتطفات عنه هذه الخطابة .

وكان من السابقين الي بحث هذه المسئلة العلامة الكبير الفرد روسيل واليس

مكتشف مذهب النشوء والارتقاء هو ودارون في وقت واحد فوضع فيها كتابين جليلين يسمى أحدهما (خوارق العصر الحاضر) ويُدعى الثاني (الدفاع عن اللاسبرنزم) وقد قال في الأول مانعه:

« لقد كنت ملحدًا بحثًا مقتنئًا بذهبي تمام الافتناع ولم يكن في ذهني عمل لتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها، ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لا تغالب، فإنها قهرتني واجبرتني على اعتبارها حقائق مثبتة قبل أن اعتقد نسبتها إلى الأرواح بمدة طويلة. ثم أخذت هذه المشاهدات مكانًا من عقلي شيئًا فشيئًا ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية، ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضًا على صورة لا يمكن تعليمها بوسيلة أخرى ».

وعن عني يبحثها من كبار العلماء العلامة الإيطالية الكبير (سيزار لومبروزو) مكتشف علم الجرائم فإنه بعد أن رمى المصدقين بها بالجنون، وكتب عنهم قصصًا ولا انتقادية في مؤلفاته، عاد فبحث هذه الخوارق مع العلامة بين كاميل فلا مريوت الفلكي المشهور والاستاذ شارل ريشيه العضو بالجمعية العلمية الفرنسية ومدير الجريدة العلمية والمدرس بجامعة الطب الباريزية وألف في ذلك كتابًا قال في مقدمته:

« لم يكن أحد أشد مني عداوة للاسبرنزم بحكم تربيتي العلمية وميولي النفسية، وكنت أعتبر من البديهيات العلمية أن كل قوة ليست الا خاصة من الخواص المادية، وأن كل فكر وظيفة من الوظائف الحسية. وكنت أهرأ دائماً من الاخوة المتكلمة. ولكن غرامي باظهار الحقيقة وتجليه الحوادث المشاهدة قد تغلب على عقيدتي العلمية. ومن كبار العلماء الذين درسوا هذه المسألة درسًا مدققًا الاستاذ هودسون والاستاذ ميرس المدرسان بجامعة كامبردج، وستفنون موزس المدرس بجامعة أكسفورد والسيرجون كوكس المستر المشهور، والاستاذ باركس الجيولوجي، والمستر غلادستون والمستر بالفور وزير الخارجية لانيجليزية الحاضرة، والعلماء سيدجويج و بودمور وباريت وغارني وكلهم من الانجليز.

أما من العلماء الفرنسيين فنذكر شارل ريشيه وكاميل فلا مريون المتقدم ذكرهما والدكتورين ماكسويل وبيير جانيه، والرياضي الكبير مدرس مدرسة الهندسة الفرنسية اليردوروشاس والدكتور بارادوك.

ومن الألمان العلماء زولتر الفلسفي وقيشنر وويبر والتريس.

ومن الأمريكان شارل ولیم اليوت رئيس جامعة مارفارد ووليم جيمس استاذ علم النفس بجامعة هارفارد وهزلوب استاذ العلوم العقلية بجامعة كولومبيا ووليم ليوبولد استاذ الفلسفة بجامعة بنسلفانيا.

كل ما ذكرناه من أقطاب العلم الرسمي وكانوا ماديین لا يعتقدون بشيء غير المادة، وكتبهم بين أيدينا، ولوشنا الملائنا من أسماء أمثالهم صحفا عديدة وإنما اكتبنا بهذا القدر للدلال على عظم خطر هذه المباحث الجديدة. ولم يحصل لواحد منهم جنون وقد مضى على بعضهم في البحث أكثر من نصف قرن، وهم شاغلون لناصبيهم العالية من محتملاتهم.

قال الفيلسوف جان فينو مدير مجلة المجلات الفرنسية في مجلته (عند ذكر هذه المباحث في مجلد سنة ١٨٩٥ وبعد سرده عددًا من العلماء المشتغلين بها) :
« لا يصح ان يفترض ان هؤلاء الرجال يستخدمون العنق والتدليس لانجاح الحرافات التي حطت كثيرا من العظمة الروحية . كما انه من الصعب ان نهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية هي اشهر من ان تذكر » .
وقال الاستاذ (بينيه) في كتابه (نحوالات الشخصية) في صفحة (٢٩٨) بعد ذكره بعض التجارب الروحية :

« وهذه البراهين كافية لان يتسكن مذهب كالاسبرتزم من ادعاش الناس اجمعين وكسب الوف مؤلفة من المصدقين » .

وقال العلامة البسيكولوجي الشهير (بير جانيه) في كتابه (الحركة النفسية الذاتية) صفحة (٣٧٦) وما بعدها :

« المذهب الذي اوجزنا الكلام عنه هنا يستحق درسا مدققا ومناقشة اصولية » .

وان التشكك والازدراء، اللذين يجهلان على نسكران مالا يفهم وعلى تردد كلفتي غش وتذليس دائماً وفي كل مكان، ليس لها مكان هنا ولا حيال ظواهر المغناطيس الحيواني، فان الحركة التي دفعت الى تأسيس خمسين جريدة في اوروبا وحلت على اعتقادها عدداً عظيماً من الناس لا يصح ان تعتبر قليلة القيمة».

وقال الاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي والمدرس بالجامعة العلمية بباريز في مجموعة المعلوم الفلسفية لسنة (١٨٩٣) صفحة ٣٤٩ :

« لا يمكن ان مثل هذا العدد العظيم من الرجال الممتازين في انجلترا وامريكا وفرنسا والمانيا واطاليا يقومون تحت تأثير الانخداع الغليظ الثقل . فان كل ماوجه اليهم من الاعتراضات قد فكروا فيه وتناقشوا عليه ، ولم يزدوا احد علماء وكلاء ورضوا بمسألة المصادقات الممكنة والتدليس وجدوا انهم قد فكروا فيها قبل ان يعارضوا بها حتى اني لا استطيع ان اتوهم ان اعمالهم كانت عقيمة، وانهم قد تأملوا وجربوا في اوهام خداعة » .

وقال الكاتب الفرنسي المشهور (جبريل دولان) في كتابه (مباحث علي الوساطة) :

« اننا نعتقد انه متى اكدر رجال من درجة روبرت هازومايس والقاضي ادمون بامريكا وكروكس وولاس ولودج بانجلترا واكزاكوف وبونزلوف في روسيا وفيشنر وزوانر في المانيا وجيببيه فرنسا — قلنا متى اكدر رجال من هذه الدرجة ونعمهم عدة الوف من المجرين انهم شاهدوا الحوادث المذكورة آنفا وانهم راقبوها بعناية فاننا نعتقد ان هذه المشاهدات وجوداً حقيقية وانها دخلت من ذلك الحين الى المجال العلمي » .

(ايهل الباحثون في هذه المسئلة العقل)

(ايرضوا العواطف ؟)

اكثر العلماء الذين بحثوا في هذه المسئلة لم يدفعهم اليها الاحب فضح استنار المشعوذين فاستخدموا لذلك ادق الاساليب العلمية والآلات الكشفية، فانهم

أصرهم باعتقاد سلامتها من كل تدليس .
ولما شاع ذكر هذه المباحث في إنجلترا ثارت لها الحزواطر وخشى المنورون
من عودة دولة الاوهام البائدة الى العلم والفلسفة فرفع عدة الوف منهم طلباً الى الجمعية
العلمية لنبذ رأىها في هذه المسئلة . فاهتمت تلك الجمعية بالامر وعينت لفضها
لجنة مؤلفة من ثلاثين عالماً منهم روسل ولاس ووليم كروكس وتندل والورد افيري
وغيرهم ، فقامت هذه اللجنة بماعد اليها في ثمانية عشر شهراً وعقدت للبحث والتجربة
اربعين جلسة ، ورفعت عن ذلك تقريراً مطولاً وقع في مجلد ضخم ترجم الى اكثر
اللغات جاء منه ما يأتي :

« عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها في البيوت الخاصة بالاعضاء لاجل في كل احتمال
في اعداد آلات لاحداث الظواهر او اى وسيلة من اى نوع كانت .

« وقد تجاشت اللجنة ان تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة والذين ياحذون
اجراً على عملهم هذا ، فقد كان واسطتنا احد اعضاء اللجنة ، وهو شخص جليل الاعتبار
في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة المطلقة ، وليس له من غرض مالي يرمى اليه
ولا اى مصلحة في غش اللجنة .

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما امكن لمجموع عقولنا ان نتخيله من
التحولات عملت بصبر وثبات . وقد دبرت هذه التجارب في احوال كثيرة
الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق
مشاهداتنا واعداد كل احتمال لغش او توهم .

« وقد اكتفت اللجنة في تقريرها بذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس
وحقيقتها مستندة الى الدليل القاطع .

« وقد بدأ نحو اربعة اخماس اعضاء اللجنة تجاربهم وهم في اشد درجات الابتكار
لصحة هذه الظواهر وكانوا مقتنعين اشد اقتناع بانها كانت اما نتيجة التدليس او
التوهم او أنها تحدث بحركة غير عادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون
لغاية عن فروضهم هذه الا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا يمكن مقاومته في شروط

ثنى كل فرض من الفروض السابقة وبعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة فافتنوا رغما عنهم بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لا غبار عليها . الخ الخ »

هذا بعض ماورد في نتيجة ذلك التقرير والقارى . يرى ان خوض ثلاثين عالما تجليزيا من اعضاء الجمعية الملكية في بحث هذه المشاهدات لم يكن الدافع اليه اهمال العقل وارضاء العواطف ولكن تهدة ثورة الخواطر . وهذا التقرير الذى هو حادث جال في تاريخ العلم المعصرى يعتبر فاتحة عهد جديد لتكبل الفلسفة وتحليلتها بما تجردت عنه من القسم الروحي تحت تأثير الفلسفة المادية .

ومما يجب التنبيه اليه ان جل الذين يكذبون بهذه المباحث لم يقرأوا فيها كتابا واحدا ولم يلموا بتاريخها وأدوارها الي حد يسمح لهم بالحكم عليها . ومنهم من عمل فيها تجارب ناقصة أو وقع تحت طائلة بعض المدايسين وكثير ما هم في كل مجال من مجالات العلم والعمل فهبوا يصخبون أن جميع التجارب تدليس في تدليس .

لو كان الذين يتولون هذه الحركة بعض العامة أو جماعة من كتاب الاقاصيص لما اعزناها أقل التفات ولكن العاملين فيها هم أعلم علماء الارض وما كنا لنعبأ بهم أيضا لو كان عددهم محصورا في عقد أو عقدين وكنا قلنا كما يجوز الانخداع على واحد يجوز على عشرة أو عشرين ولكن عددهم قد تجاوز حد الاحصاء فهم يعدرون بالالوف ومنتشرون في كل بلد متمدن وكتبهم بين أيدينا مفصلة تجاربهم كل التفصيل عمالا شبيلا الى الزاوية عليه .

ثم لماذا يستنكر البعض امر هذه المباحث وهل الفرض منها الا اثبات شيء . أجمع العالم على القول به قدما وحديثا وهو وجود الروح وخلودها بعد الموت ؟

نعم كانت الفلسفة المادية قد تشككت في هذه المسئلة وعنتها من بقايا الخرافات السابقة ولكن ليس في الارض فيلسوف يقول بأن المذهب المادى قد

وصل الى الدرجة التي ليس وراءها غاية، بل هو اليوم وقد انهدم ركن الجوهر الفرد، وثبت تحمل المادة واستحالتها الى قوة، قد فقد اساسه الذي كان يعتمد عليه.

لقد حاربت الفلسفة المادية التنويم المغناطيسي مئة سنة وعدت المشتغلين به ممخرقين، ثم اضطرت لاعتباره فرعاً من العلوم الرسمية. وهذه الفلسفة عينها اليوم تحارب المباحث النفسية بنفس السلاح الذي حاربت به التنويم المغناطيسي ولكن هيات فقد خرج الامر من يديها بعد ما فقدت سلطانها على العقول بثبوت تحمل المادة وبعد ما شهد الوف من العلماء المحققين بحقيقة المشاهدات النفسية، فالاولي باشياع تلك الفلسفة العتيقة ان يتلاقوا الامر ويوفقوا اصولها على ما فتح الله به على الناس من المباحث الجديدة، لان من اخص صفات العلم المعصرى متابعة طريقة في التقدم لا الجود على اصول قديمة ثبت بالامتحان انها ضيقة حرجة لا تجمع بين اطراف الحركة العلمية الحاضرة

...

هذا وقد تكونت في لوندن منذ سنة ١٨٨٢ جمعية دعيت باسم جمعية المباحث النفسية جمعت بين اعضائها خيرة علماء الانجليز والفرنسيين والامريكيين، وكان الغرض من تأسيسها ان تكون وصلة بين العلم الرسمي وهذه المباحث، فكان من تأثير هذه الجمعية صيغ هذه المسئلة بصيغة علمية بجملة لتسهيل دخولها الى العلم الرسمي، وسنأتي على اسماء اعضائها ونتيجة تجاربهم في الجزء المقبل من المقتطف ان شاء الله.



جمعية المباحث النفسية

في أوروبا وأمريكا

(نشرها المكتطف في جزئه الصادر في فبراير سنة ١٩١٨ ما ياتي)

وعدنا في مقالنا السابق هنا ان نأتي على تفصيل عن الجمعية النفسية التي تأسست في أوروبا وأمريكا لبحث عن معالم العالم الروحاني فنوفي اليوم بما وعدنا. واخسن اسلوب تتبعه في ايراد ما نريد به ان نأتي به بلسان العلماء الاوربيين فنترجم ما كتبوه في مؤلفاتهم عنها.

قال الاستاذ (وليم جيمس) العضو بالمجمع العلمي الفرنسي ومدرس علم النفس بجامعة هارفرد بالولايات المتحدة في كتابه (ارادة الاعتماد) صفحة ٣١٣ وما بعدها .

ان جمعية المباحث النفسية التي يمتد عملها في انجلترا وأمريكا قد سمحت بان يلتقي العالمان العلمي والروحاني في مجال واحد ، واني اعتبر ان هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير في ترتيب المعارف الانسانية. فلهذا استحسن ان افضي الى القارئ بنتائج اعمالها بايجاز فاقول:

« اذا صدقنا الجرائد واوهام الصالونات خيل لنا ان الضعف العقلي ومعرفة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين اعضاء هذه الجمعية، وان حب العجائب هو الروح المحرك لها . ومع هذا فيمكنني ان القي نظرة واحدة على اعضائها لدحض هذه التهمة . فان رئيس هذه الجمعية الاستاذ سدجوك Stdgwick المعروف بانه اشد الناس شكيمة في النقد واعصام قيساداً في الشك بجميع البلاد الانجليزية ووكيلاها المستر ارثر بلفور والاستاذ ج . ب . آنجلي سكرتير المجمع الشمسوني :

ويمكن التنبؤ به من أعضائها العاملين بالاستاذ ريشيه الفزولوجي الفرنسي الخطير . وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين كذا منهم العلمية اشر من نار على علم . فاذا طالب الى ان اعين جريدة علمية تكون مصادر اغلاطها مخصصة بادق الاساليب ، فاني انوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية . فان الفصل الفزولوجية التي تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقصد مبالغ دقة هذه المحاضر المذكورة . حتى ان صرامة الاساليب الكشفية التي طبقت منذ عدة سنين علي شهادات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء في باطن الجمعية نفسها .

وقال البعثة الفرنسي المهندس جبريل دولان في كتابه الوساطة صفحة ٧ :
 « قد تأسست في إنجلترا منذ سنة ١٨٨٢ جمعية المباحث النفسية فجمعت بين أعضائها رجالا من اعيان العلم يعتبرون في الطبقة الاولى ، مثل الطبيعي العظيم وليم كروكس والمؤرخ الطبيعي المشهور الفردرسل وآس واوليهر لودج ، وولا ، الثلاثة من اعضاء الجمعية العلمية الملكية وكان منهم اساتذة وباحثون (علماء بالنفس) وغيرهم ، فعملت مباحث مدقة في سنين طويلة اتخذت لها ادق التحوطات لتجنب أسباب الخطأ ، ويجهد الانسان في المجلدات الثلاثة والعشرين التي نشرها الى هذا اليوم مستندات عديدة خاصة بالتجارب والملاحظات المقتطفة والمحققة بعناية من اولئك الباحثين بحيث يمكن التأكيد اليوم بان الكشف والتلقين العقلي والتلقيني (التأثير الروحي عن بعد) أصبحت من الظواهر الطبيعية كمثل الظواهر التي لانحدث باستمرار . فان الشفق القطبي والزوايا المغناطيسية وثوران البراكين وظهور المذنبات الخ ليست عن الحوادث العادية ولا يمكن احداثها بالارادة ، ولكن ندرتها اللسبية لا يمكن ان تتخذ دليلا علي عدم وجودها » انتهى

ونحن الآن يجعل بنا ان نأتي علي اممنا اكثر اعضاء جمعية المباحث النفسية بدون الاطالة في وصف مزاي كل واحد منهم كما فعل الاستاذ وليم جيمس في كتابه

المتقدم ذكره فنقول :

منهم الاستاذ رسل واس مكتشف ناموس النشو. والارقا. هو ودارون في وقت واحد بدون ان يطام أحدهما علي مباحث الآخر ، والاستاذ هنري سدجوك المدرس بجامعة كمبردج . والاستاذ ولهم كروكس الكيماءى الانجليزى الكبير مكتشف اشعاع المادة ومخترع مكثف كهربائي يعرف باسمه ، وآلات أخر المباحث الكيماءية . والاستاذان الدكتور ميرس ورشاردهودسون وكلاهما مدرسان في جامعة كمبردج اعلم النفس ، والاستاذ أوسكار برونتج من أشهر علماء الانجليز ، والاستاذ تشاراس اليوت نورتون مدرس بجامعة هارفار بأمریکا والاستاذ ولهم جيمس مدرس علم النفس بجامعة هارفرد أيضا والاستاذ ولهم ر . ايوبولد مدرس علم النفس والفلسفة في جامعة بـلفانيا بأمریکا ، والاستاذ جيمس هيزلوب مدرس العلوم العقلية بجامعة كولومبيا بأمریکا ، والاستاذ كاميل فلانيريون الفلكي الفرنسي الأشهر والاستاذ شارل ريشيه الفزيولوجى الكبير والمضوء بمجمع العلماء والمدرس بجامعة الطب بباريز ، ورجال آخرون بينهم عدد كبير من الاطباء المشهورين والحقا كما المجرىين ، اضرب عن ذكرهم خوف الاطالة . فاذا أراد القارى. الآن ان يعرف الاسلوب الذى جرى عليه هؤلاء القادة في مباحثهم والباعث الذى حداهم الي تعشيم هذه المتاعب ، أتينا بما يريد منقولاً عن أولئك الباحثين أنفسهم .

قال العلامة الدكتور ميرس *myers* المدرس بجامعة كمبردج وهو الذى يصفه الاستاذ ولهم جيمس بأنه اكبر مجرب في انجلترا . قال في كتابه (الشخصية الانسانية) فى صفحة ١١ وما بعدها :

« حوالى سنة ١٨٧٢ حيث كانت المذهب المادى الذى أوغل - حتى وصل الى سواحلتنا وبلغ اوج سطوته علي العقول اجتمع ثلة من الاصحاب في كمبردج واجمعوا رأيا علي ان هذه المسائل المويضة المتنازع فيها يريد المباحث الروحية ته تحق التفاتاً وجهداً جدياً أكثر مما عولجت بهما الي ذلك الحين . وكنت أرى

انا ان محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل الى ذلك الوقت لبت فيما اذا كنا اهلا
أو غير أهل للالمام بشيء يختص بالعالم غير المرئي، (عالم ماوراء المسادة)، وكنت
مقتنعا بأنه لو أمكنت معرفة شيء من ذلك انما علي اسلوب يمكن العلم ان يقبله
ويحفظه، فلا يكون ذلك لا بالنقيص في الاساطير القديمة، ولا بوسيلة التأمل فيما
بعد الطبيعة، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة، وبتطبيقنا على الظواهر التي تحدث
فيها وفيما حولنا نفس اساليب المباحث المضبوطة المنزهة عن الاغراض والمتروى
فيها، اى تلك الاساليب التي نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئي المحسوس :
فالمباحث التي يجب علينا لا يمكن ان تقتصر علي تحليل ساذج للاسناد التاريخية
او التي صدرت عن هذا الوحي أو ذاك مما يوحى به في الزمان الماضي، ولكن يجب
ان تؤسس قبل كل شيء — ككل بحث علمي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة — علي
تجارب يمكننا تكرارها اليوم، ومما ين ان نزيد عليها غداً . فلا يمكن ان تكون الا
مباحث مؤسسة علي هذه القضية، وهي انه « اذا كان يوجد عالم روحاني، وكان هذا
العالم الروحاني موجوداً في اي عهد كان، وكان قابلاً لان يظهر ويستكشف فيجب ان
يكون كذلك في ايامنا هذه.

« فن هذه الوجهة وبالجرى علي هذه الاعتبارات العامة واجهت الجمعية التي انا
عضو منها هذه المسئلة » انتهى

ثم اخذ هذا الاستاذ يسرد التجارب التي حلها هو وعلمها غيره مما لا سبيل الي
بسطه في هذه المجالة . ثم قال مخطئاً الذين يكذبون بهذه المشاهدات في صفحة
: ٢٢١

« ماهي الادلة التي تحملني علي الاعتماد بأن هذا ليس بصحيح ؟ هذا السؤال
يجب ان يضعه كل انسان نصب عينه اذا توصل الى التحقق بتير طريق التأمل
العلمي من الجبل المطلق الذي هو عليه بماهية الوجود الحقيقية.
« واني اعترف في كل حال بان جهلي هو بحيث ان معارفي فيما هو مرجح او
غير مرجح في الوجود لم تظهر لي كافية لرفض مشاهدات تظهر بحقي انها مثبتة، وانما

مع ذلك ليست مناقضة لمشاهدات واصول عامة أكثر منها تأسيساً. ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسماً فإنه «-تي باعتراف ممثلي العلم، ليس الا نظرة عجيبي في العالم المجهول وغير المتناهي للنواميس الطبيعية». انتهى وقال السير (اوليفر لودج) في كتابه (خلود الروح الانسانية) في الذخيرة الفرنسية الهادرة في سنة ١٩١٢ صفحة (١) وما بعدها :

«قد ثبتت صحة حوادث غريبة حدثت في كل أمة، وفي جميع العصور، ويمكن حذف جانب كبير من تلك الحوادث الى مجال الاوهام والوساوس، ولا يمكن لا يمكن حذفها كلها الى ذلك المجال . وليس من المظنون في الحالة الحاضرة للعلوم الطبيعية أننا على علم بجميع اعمال الروح الانسانية، واننا قد أوصلناها الى درجة من البساطة بحيث ان كل ما يحدث في العالم العقلي والروحاني يمكن ان يفهمه الكافة بسهولة . ومع هذا فيوجد كثير من الناس يظهر انهم يعتقدون ذلك . على أنهم يضطرون من حين آخر الى قبول مكتشفات جديدة مدهشة في علوم البيولوجيا (علم الحياة) والكيمياء . وفي العلوم الطبيعية على وجه عام . ولاكنهم يقبلون ضمناً أن هذه المكتشفات العلمية هي وحدها من الوجود الاجزاء التي يمكن اكتشافها اكتشافاً اساسياً، واما الباقي فقد عرف أحسن معرفة .

« هذا ايمان ساذج وهو يبين استعداد من يميلون لقبول عقيدة ما ، ولاكنها عقيدة لا تعتمد على العلم ولا يمكن حفظها الاً باغفال مقدار عظيم من الشهادات في الجهة المضادة ،

« تألفت منذ ٢٨ سنة جمعية خاصة في لوندرة الغرض منها بحث ما في هذه التأكيدات من الحقيقة (يريد اليكيدات بوجود عالم روحاني) ، وقد كان مؤسسوها من رجال الادب والعلماء ، وقد ألفت منذ عدة سنوات بمقدار من هذه الحوادث الغريبة ، وهي وان كانت غريبة الا أنه قد اعتبرها صحيحة افراد من اهل الحكم والذوق . وقد كان غرض هؤلاء العاملين اما ادماجها بطريقة مناسبة في العلم المرتب ، واما حذفها نهائياً باعتبار انها غير قائمة الا على سرعة التصديق والتخمين والتدليس .

انتهى .

وقال العلامة سديجوك رئيس جمعية المباحث النفسية في خطبة الرئاسة ونحن نترجم ما نترجمه منها منقولاً عن كتاب الاستاذ لودج المتقدم ذكره قال :
« من الامور الفاضحة ان يتنازع الى الآن في صحة هذه الحوادث (الحوادث الروحية) التي اعلن تصديقه بها عدد عظيم من الشهود الاختصاصيين واهتم غاية الاهتمام بحل مسائلها عدد عظيم آخر ، وان يحتفظ العالم العلمي بحالها مع كل هذا الانكار الساذج » .

الى ان قال :

« كان الناس يظنون منذ ثلاثين سنة (هذه الخطبة قيلت في سنة ١٨٨٢) ان الاعتقاد بالمسحورم (التنويم المغناطيسى) والموائد المتحركة يفهم تفسيراً كافياً بقوله المهذب العلمي عند اهله . فلما اكد رجال من اهل العلم مشهورين الواحد بعد الآخر صحة تجاربهم والشخصية اظهر معارضوهم مهارة مضحكة في تصيد العمال للعطل من مقامهم العلمي ، فقالوا ان هؤلاء الباحثين هواة وليسوا من اهل تلك المهنة ، وانهم اختصاصيون في بعض الفروع العامة وليس لهم نظرات عامة ولا خبرة كافية ، وانهم مخترعون بسطاء . يجهلون الاساليب الدقيقة للبحث العلمي ، وانهم ليسوا اعضاء في الجامعات العلمية . فاذا كانوا من اعضاء تلك الجامعات اظهر المعارضون أسفهم لهذا وعدوه من الحوادث المحزنة .

« اننا في متابعتنا السير في هذه المباحث لا يجوز لنا أن ننظر من شهادة واحدة مهما كانت كاملة نتائج قاطعة على العرف الانساني . فان الانكار العلمي بدأ في النور من زمان بعيد وقد صارت له جذور قوية عريقة ، ولا قبل لنا باجتثاثها اذا قدر لنا ذلك ، الا باظهار مجموعة من الحوادث المحققة . فيجب علينا ان نعمل بلا فتور وأن نركم البراهين على البراهين ، ونضيف التجارب الى التجارب ، وان لانطيل الجدال مع المنكرين الاجانب عن مباحثنا على قيمة تجربة من التحديق ، ولكن لنعتمد على

عدد هذه التجارب للحصول على الاقتناع المطلوب «

..

هذه بعض اقوال قائلها اعضاء جمعية المباحث النفسية وقد جمعوا من تجاربهم اكثر من اربعين مجلدا ضخما أصبحت الآن عمدة الباحثين في هذا الموضوع وقد أثرت في العالم العلمي تأثيراً لا حد له حتي أصبح يطلب رجال العلم من كل قبيل ادخال هذه المباحث الى العلوم الرسمية التي تدرس في الجامعات قال العلامة كاميل فلانربون الفلكي المشهور في كتابه (القوى الطبيعية المجهولة)

صفحة ٦٠ :

« الكائن الانساني ممت بخصائص لم تعرف الا قليلا وهي خصائص قد اظهرتها الملاحظات التي عملت على الوسطاء والمستعدين لتوليد الحركات، كما اظهرها كذلك التنويم المغناطيسى والتليثي والابصار بدون الاعين والاخبار بالمغيبات « هذه القوى النفسية المجهولة تستحق ان تدخل في دائرة التحليل العلمي . وهي الآن لانزال في عصر بطليموس (يشيها بالعلوم الفلكية) ولم تصادف للآن كبرها ونبوتها ولكنها تستوجب العناية والبحث «

وقال الدكتور انكوس الطبيب بجامعة الطب الباريزية في كتابه (العلوم الخفية والسهرتزم) في طبعته الثالثة سنة ١٩١٩ صفحة ٧ .

« لقد انتشرت الجمعيات الروحية وتكثرت وشعر الناس بوجوب استناداتها واصبحتا تؤمل ان نظريات هذا المذهب الروحاني ستنال حرية المدينة في الفلسفة العصرية «

وقال العلامة الفرنسي الدكتور ج . ماكسويل في كتابه (الحوادث النفسية) في طبعته الخامسة الصادرة في سنة ١٩١٤ صفحة ٣١٣ :

« انا لا آسف من اني عبرت عن شعوري نحو الحوادث التي لاحظتها بنفسى فاني واثق من انها ستدخل في يوم من الايام — ولعل ذلك اليوم قريب — الي النظام العلمي ، نعم انها ستدخل فيه رغما عن جميع العقبات التي يركبها في طريقها

الناد وال خوف من السخرية »

..

هذا غيض من فيض ذكرته لخدمة الحقيقة وبري الفارئون ان جمعية بل جمعيات تتألف من أمثال هؤلاء الفحول الذين جهدوا على الدقة في البحث ، ومرتوا على التثبت والروية بأساليبهم الصارمة ، وليس فيهم الا من عرف مداخل الخطأ في الاحكام ، ومسارب الشطط الى المدرجات ، ومستقر الانخداع من النفس ومواطن الاهواء . من احناء الصدر ، زد علي ذلك ان كثيرا منهم من مدرمي علم النفس بالجامعات الكبرى ، وعلم النفس علي الاسلوب الحديث يعتبر من العلوم الحسية ، فلا هو مستمد من مباحث افلاطون ولا من مقالات ارسطو ، وعلماءه يعتبرون بحكم وظائفهم من أعلم الناس بدسيس الوسوس ، ودبيب الهواجس ، وضلال الحواس ، وتلبيس المشاعر . وكثير منهم من الطابعيين والسكياويين والحيويين ، الذين لا يعرفون بغير سلطان الآلات المعدنية والتجارب الحسية فهم لا يأتون بالبرهان العقلي ولا يخضعون لقياس المنطق ، لا يقررون شي . بوجود الا اذا أبصروه ولمسوه وقلوبه علي كل وجه ، وادركته آلتهم الحديدية فوزنته وقاسته وقدرته . ثم هم مع ذاك في بيئة قد تخلصت من الاوهام ، وتخلصت من سحر الاحلام ، غاصصة بالثقة المدققين ، والعرفة المتميزين والكتبة الصارمين . قلنا ان جمعية بل جمعيات تتألف من مثل هؤلاء . الاقطاب فيستمررون في البحث عشرات من السنين ، ويدونون تجاربهم في عشرات المجلدات ويعرضونها في الآفاق علي النقاد والمجربين ، كل هذا يعتبر حادثا جلالا ليس له نظير في تاريخ المدرجات الانسانية . وقد أحدث من التأثير الادبي ما لم يحدثه مذهب علمي ولا أسلوب فلسفي ، فأصبح له مؤلفات من المجلات والمكتبات الخاصة والوف من الجمعيات . وقد روى الاستاذ رسل واليس في كتابه (عجائب العصر الحاضر) ان اتباعه يبلغون عشرين مليونيا ، وكتب جان فينو مدير مجلة المجلات الفرنسية في مجلد سنة ١٨٩٥ وهو بصدد كلامه علي الاسيرتزم يقول :

(٧ - اثبات الروح)

« لنضيف الى هذا صفات أشياع هذا المذهب فهم اءاعلماء أو أساتذة فنون أو أطباء أو مهندسون ».

نقول أضف الى هذا أن بقا هذا المذهب قائما اكثر من سبعين سنة يتناولونه المهربون الخبثرون من كل قبيل، ويحاول دحضه الناقدون من كل صوب، ويتصداه الماديون ويبدلون وسمهم لاثبات التدليس فيه، ثم ينهي امرهم بتصديقه والقول به، ثم انتهاء امره الى الشبوع بين أقطاب العلم الاوروبي الى هذا الحءء وانقلاب الفلسفة من مادية متطرفة الى رومية معتدلة — كل هذا أثر عوامل ساطها مءبر الكون على هذا الانسان ليخرجه من ظلمات المادة، وينقذه من برائن الماديين، ليطمئن على وجوده في هذه الحياة القصيرة الأمد، وفيما بعد هذه الحياة في عالم الجمال الاقدس وايضع أصول أخلاقه ومراميه على أساس متين من فلسفة عالية جذيرة بمواهبه الكريمة، يستطيع بها أن يتابع سبيله في الترقى ثابت القدم مرفوع الرأس، مطمئنا على أمر عزير عليه وهي نفسه، واثقا بأنه حي في وجود كاه حياة وجمال وجلال ونور.

...

(نشر لنا المقتطف هذه المقالة ثم عقب عليها بما يأتي :

(المقتطف) ما أجمل ما ختمت به هذه المقالة . أما الامور التي بنيت عليها فقد ذكرناها كلها او اكثرها في مجلدات المقتطف الماضية، وذكرنا معها أوجه الضعف فيها، وما ثبت من فساد بعضها، ولو كان اصحابها من أكبر زعماء مناجاة الارواح كسندجوك وكروكس وستدولج . ومع اننا نتمني من صميم القواد ان تثبت صحة مناجاة الارواح ثبوتا ينفي كل ريب، لكن بحشنا المتواصل في هذا الموضوع منذ اكثر من اربعين سنة الى الآن اقنعنا ان الذين ينقطعون للعلوم الطبيعية

والفلسفية يكونون في الغالب من أبسط الناس وأحسنهم طوية وأقلام مقدرة على اكتشاف الخداع ، فالدكتور ميرس والسر اوليفر لدج والاستاذ ريشه والاستاذ لبروزو جاسوا غير مرة مع أشهر الوسطاء أوسايبا بلادينو وأكدوا أن ما كانت تعمله أمامهم لا يفستر إلا بقوة روحية أى باستخدامها الارواح غير المنظورة . وجاءها وفد من قبل جمعية المباحث النفسية لكي يبحث في اعمالها فجلس معها مراراً ونشر تقريراً مسهباً عن اعمالها نشرنا خلاصته في المقتطف وأكدوا أنها لا تستعمل الخداع بل تفعل ما تفعل بوسائل غير مادية أو غير طبيعية فانتقد تقريرهم هذا وابنا وجوه الضعف فيه وامكان الخداع في اعمالها وبعد حين ذهب هذه الخداعة الى اميركا سنة ١٩٠٩ فاكشف الاستاذ منستر برج استاذ الفقه في جامعة كولومبيا خداعها بما لا يبق مجال للريب ، وكان غشها قد كشف سنة ١٨٩٥ في كبرج لما جاست مع الاستاذ سدجوك والمستر ميرس والدكتور هدمجن ولكن ثقة هؤلاء العلماء بها لم تفارقهم حينئذ لانه لم يظهر غشها الا في بعض اعمالها . ومنذ سنة ١٨٥٠ الى الآن كشف غش أكثر من مئة وسيط من أشهر الوسطاء مثل بلادى وكاوشسنى وفوسنى والاخوان دنهبرت ومستر فاى والدكتور سلايد وفلورنس كوك ومس شورش وفر من ومس ود وهدمجن وبوغه ومدام بلافنسكى واغلتن

وقد قلنا غير مرة ان المحك الذى ثبت به صحة المستكشفات والمزاعم هو العمل بها . فنقل الاشارات بالتعارف ألوقا من الاميال من أغرب الامور التي يتعذر على الانسان تصديقها ولكنه لما رأى الاشارات تنقل فعلا وتبني على نقلها مصالح الناس صدقها وقال أنها حقيقة لا وهم ، ونقل الالفاظ المسبوعة بالتلفوت مثبات من الاميال اغرب من نقل الاشارات بالتعارف ولكن محك الاستعمال اثبت صحته . ومن هذا القبيل نقل الاشارات بالتعارف اللاسلكى والتصوير الشمسى واستخراج الالوان البديعة من قطران الفحم الاسود ، واستقطار الارواح العطرية من فضلات المواد الفاسدة ونحو ذلك من مكشفات القرن الماضى والسنين الاولى من

هذا القرن

فإذا كانت مناجاة الارواح صحيحة أى اذا كان عقل الميت يؤثر فعلا في الاحياء فيحدثهم ويخبرهم بأموور مجهولها فلا بدّ من ان يصير لهذا الاكتشاف قاعدة عملية يعتمد عليها في مصالح الناس كأن يخبر عقل القتيل عن قتله اذا كان مجهولا أو يصفه وصفاً كافيا للدلالة عليه وكأن يخبر من اخفى شيئا قبل موته عن المكان الذى اخفاه فيه أو من شاهد حادثة وقعت في حياته بما شاهد . وعدم ثبوت ذلك بالفعل لا ينفي بقاء النفس بعد الموت ولا يثبت زوال عقل الانسان من الوجود بعد موته ولكن يجب ان يكون لاثبات ذلك أدلة اخري « وضرر الشيء من ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره من يطمئن فيه بطريقه » كما قال الامام الغزالي في تهافت الفلاسفة

..

لما نشرنا هاتين المقتطفين في المقتطف رأينا انهما لا تكفيان لتجلية هذا الفتح العلمي الكبير فعولنا على أن تتبعهما ببحث مستفيض نأتي فيه على جميع أدوارها تحت عنوان اثبات الروح بالمباحث النفسية، ونورد فيه ضمنا على تعقيب المقتطف المتقدم فندشرنا فيه المبحث التالى نفسه فصدرت هذه المقالة فيه وهي أول حلقة منه في جزأ إبريل سنة ١٩١٩

اثبات الروح بالمباحث النفسية

ان البت في مسألة الروح الانسانية بالوجود أو عدم الوجود، والحكم لها بالخلود أو عدم الخلود، من الامور التى يبتني عايتها وخصوصا في هذا العصر عصر المبادئ والاصول، انقلابات فكرية غاية في الخطورة يكون لها اكبر الآثار في اخلاق الانسان ومراميه . وقد عهدنا الانسان يحيا بمحصوله الادبي اكثر مما يحيا بمحصوله المادي .

وهذا العالم الغربي الذي نال من المدنية والرفاهية بفتوحات العلوم الطبيعية أوفر حظ
وبعد ان زعزع له العلم المادى والنقد الفلسفى أقوى اصوله الدينية الموروثة منذ عدة
اجيال، نراه يضطرب بمجموعه وبتململ سأمًا مما هو فيه، وبثغرات تلتفت الخبران لكل
حركة يتنسم من ورائها نسمة عقيدة يثلج عليها صدره، وتزول بها شكوكه ويهصر بها
الحق واضحا فيتجه اليه

وقد اجبته على سؤال من سألكم عن منتهى آمالنا في التمدن في جزء يناجز
الماضى صريحة ٩٢ بولكم « ان يعيش كل احد مستريحا مسرورا لا يتألم ولا يعرض
ولا يجوع ولا يمتب . وان يعرف ما وراء الموت معرفة يقينية كما يعرف ان الماء يطفى
النار والخبر يسود الاصابع والحرارة تذيب الثلج ، ثم قلتم . ومن المحتمل ان يصل الناس
اليها بطريقة يقينية تقنع كل احد »

اصبتم في هذا القول كل الاصابة فليس الانسان بالكائن الذي يقنعه نعيم الجسد
دون الوصول الى سر حياته الروحانية، ولولا ذلك لقنع العالم الغربي بما هو فى من الرفه
ولم يحرك للباحث الروحانية ساكناء وانت تراه اشد اجناس المسكونة تطامعا لاسرار
الروح وقد فاق في هذا التهم المتدينين انفسهم.

ما توسط الناس القرن التاسع عشر حتى كانت العلوم المادية في اوج عظمتها
والمذاهب الفلسفية في غاية اجهتها ونبيغ مخلصات و كارل فوغت ولوبز بوختر وهيككل
في المانيا فاعطوا الفلسفة المادية نهاية ساطعائها فكسفت كل فلسفة فى الارض، واعتبرت
اشياعها من حيلة لا وهام الفكرية القديمة . ثم جاء مذهب النشوء والارتقاء في سنة
١٨٥٩ بفلسفته التى مؤداها قيام العالم على نظام آلي غير مقود الى غاية معينة بعقل مدبر
فأعطى الفلسفة المادية سطوة اخفقت امامها كل صوت ، فكان الذي يقول بوجود عقل
عام مدبر لا يكون أو روح مستقلة عن جسد الانسان يعد من البله الذين يستوجبون
الرحمة على قصور نظرهم وانحطاط عقولهم.

فى هذا الحين الذى بلغ فيه الشطط المادى هذا المبلغ حدثت حادثة هيدسفل
التي ذكرناها في مقدمة المقالة الاولى من بحثنا هذا ، وكان من امر تحقيقها وشيوع

امرها وتعالى مباحث العلماء في امثالها ما كان مما كان أثره ايجاد أدلة علمية. حسية على وجود عالم حي حياة عقلية سامية وراء هذه المادة وعلى أن الموت ليس هو الحد الفاصل بين الوجود والعدم. ولم تنقرر تلك الادلة لا في سنة ولا في عشرين ولم يتم بها عالم واخذوا لجماعة واحدة من العلماء، ولم تقتصر على بلد دون بلد، ولكنها اتفرت في اكثر من سبعين سنة بذات في الابحاث والمشاهدات والمجاذلات والتحديات، وقام بتحقيقها رجال من كل مجال من مجالات العلم والادب وانتشرت في كل أمة راقية وكانت ثمرة ذلك أن اكبر علماء الارض واجم فلاسفتها، واجل كتابها وساستها، وادبائها ينشرون آراءهم في الروح ووجودها وخلقها وبسر دون تجاربهم العلمية في ذلك غير خاشين لومة لأم بعد ان كان يجعل اكبر رأس فيهم قبل خمسين سنة ان يشير الى عقيدته الدينية بكلمة واحدة.

هذه حركة لا مثيل لها في تاريخ العالم، وقد كان من اثرها اعتدال مزاج الفلسفة وصدق النظر في الوجود وظواهره، وقد كتبت فيه مقالين في لقطات فقهية عليهما بما يفيد عدم اعتدالكم بما ورد فيهما، ولكنني ارى انكم مع هذا لا تضمنون على قرائكم بعض ما يظهر في عالم المباحث النفسية من الاقوال المنسوبة لبعض العلماء، وهي خطة مثلى حبيت الي أن افضي اليكم ببعض ما اعلمه في هذا الموضوع، فاني قرأت كل شبهة وردت عليه من الناقدين والماديين الذين تألبوا على دحضه بكل وسيلة، وقرأت كل الحلول التي دفعت بها تلك الشبه وهي حلول عملية لا كلامية مما يتألف منه مجموع من أبيل ما ولدته مجرودات البشرية في عصر من العصور واري ان نشر صورة موجزة من هذا المجموع في المقتطف مما يخدم قراء العربية اجل خدمة. ولهذا عولت على أن اوفيكم اولا بملاحظاتني على تعليقاتكم ثم اردفه بالتجارب التي علمت والشبهات التي وردت عليها وبما دحضت به الشبهات فاقول:

قائم أن بحثكم المتواصل في هذا الموضوع منذ اكثر من اربعين سنة افدكم بان الذين يعطون العلوم الطبيعية والفلسفية يكونون في الغالب من اسفل الناس واقلمهم مقدرة على اكتشاف الخداع.

وانا لا اوافقكم علي هذا الرأي فان قوما كالتطبيعيين من رواعي الاساليب الدقيقة وانقطعوا المشاهدات المحسوسة، وقصروا شهودهم على الآلات المدنية والحواس البدنية، لا يمكن ان يكونوا أقل الناس مقدرة علي اكتشاف الخداع . وبؤبؤني في ذلك مؤاخذ الغرب فقد جاء فيما نقلته عن مجلة المجلات الفرنسية في صحيفة . ه من مقتطف يتاير قولها : « من الصعب أن نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية أشهر من أن تذكر » .

وجاء فيما نقلته بتلك الصحيفة عن الاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي قوله : « لا يمكن أن مثل هذا العدد العظيم من الرسل المتمازين في انجائهم وأمر يكافونسا والمانيا وايطاليا يقومون تحت تأثير الانخداع الغليظ الثقيل » .

ثم اني لم أسرد في المقتطف امما . هذا الجمل العنبر من العلماء الطبيعيين والفلاسفة الا لاني اعتقد انكم مثلي لا تأبهون الا بشهادات رجال الطبيعة والفلسفة . ولو كنت اعلم انكم ترفعون علي شهاداتهم شهادات من دونهم لا تبتكم بامما ألوف من الاطباء والمهندسين والسكرتار والسياسيين والقوانين ، ومما يؤثر عن المستر غلادستون أنه كتب يقول : « ادرس الاسبرنزم فان وجدته فيه غشا وتديسا فأهرا بسائر المعتقدين به واسخري في مقدمتهم » (انظر كتاب الظاهرة الروحية لجيريل دولان في طبعته الخامسة)

ومنهم اللورد بلفور وزير الخارجية الانجليزية الحاضرة وهو القائل « عندي الاسبرنزم أفضل من السياسة لانها تفيديني أكثر منها » (انظر الكتاب المتقدم) هذا ولو شئت أن أسرد من هذه الاسماء المشهورة لمردت شيئا كثيرا ، فاذا كان المتقطعون للعلوم الطبيعية والفلسفة أكثر الناس قبولاً للانخداع فهناك الألوف من أمثال من ذكرناهم يشهدون بأنهم بدلوا غاية وسعهم لاثبات التديس في التجارب فلم يستطيعوا ولم يستطيعوا ان يشبهوه لهم ، والذين كشفوا تديس الوسطاء الذين ذكرناهم هم زعماء الروحانيين . فقد قلتم ان أوسايبا بلادينو كشف غشافي كهرديج سنة ١٨٩٥ سديوك وميرمن والدكتور هديجن وهؤلاء الثلاثة من كبار اعضاء

جمعية المباحث النفسية والقائلين بأنه قد قام الدليل الحسى على وجود الروح وخلودها بعد الموت.

ولا عجب اذا حاول بعض الوسطاء التدليس على المحررين، فان التدليس ليس بقاصر على هذه المباحث، فهو عام في جميع مجالات المجهودات الانسانية وانما المنعجب ان يفات مدلس من أيدي أوائل القدة الصارمين . علي ان لجنة الجمعية العلمية المالكية التي عينت في إنجلترا لبحث المسائل النفسية لم تستخدم وسيطا مأجوراً كما ذكرت ذلك في تقريرها ونشرناه في مقتطف يناير صفحة ٥٥، وكان لكثير من العلماء والكتّاب الباحثين خاصة الوساطة مثل الاستاذ الطبيعى الانجليزى دومورغان والمسترستونون موزس المدرس بجامعة اكسفورد والمستر ستيد الكتّاب الانجليزى الكبير وامرأة اكرا كرف الوزير الرومى المشهور وبنا المسترادمون رئيس مجلس شيوخ الولايات المتحدة سابقاً وكلت تعرضهما لانجربة لشدة شغفه بالمباحث النفسية .

قلنا ان التدليس ليس قاصر على وسطاء المباحث النفسية فهو في كل مجال من مجالات الاعمال الانسانية، وانما المدار على التعميم والاختلال - وطء، ولا نعرف فرعاً من فروع العلم مرسى عليه ادق من أساليب التعميم مامرسى علي المباحث النفسية لغراتها من جهة ولغلبة المذهب المادى علي الباحثين من جهة أخرى، ولم يتوصل الا الى اثبات تدليس نحو مئة وسيط من سنة ١٨٥٠ الى اليوم، أى في مدى سبعين سنة وهو عدد قليل بالنسبة لعدد الوسطاء الذين خضعوا لهذه المباحث الصارمة.

ثم انكم قلتم ان الحل الذي تثبت به صحة المكتشفات والمزاعم هو العمل بها فاذا كانت مناجاة الارواح صحيحة، أى اذا كان عقل الميت يؤثر فعلاً في الاحياء فيحادثهم ويخبرهم بأمر مجهول نها، فلا بد من ان يصير لهذا الاكتشاف فائدة عملية، كأن يخبر القتل عن قتله، وكأن يخبر من أخفى شيئاً قبل موته عن المكان الذى اخفاه فيه. الخ نقول ان تاريخ مناجاة الارواح مؤسس على ان روحاً أخبرت سكان البيت الذى ظهرت فيه بأنها روح قتيل قتله جاره وسلب ماله فكان كما أخبرت . وقد

أشرنا إلى ذلك في إيرادنا لتاريخ هذا الفن في صفحة ٥٠ من مقتطف يناير
ثم حدثت بعد هذه الحادثة ملايين من هذه الاختيارات وغيرها مما حير عقول
الباحثين واضطر أكبر الماديين كولين كروكس وروسل دلاس ولومبروز ووسدجوك
وأمثالهم للاذعان. فسئلت الأرواح عن حجج ومستندات ضائعة فعيقت مواطنها ،
وسئلت عن تفاصيل حوادث وفيات معجولة فأنبأت بها. وسئلت عن مقادير ديون
كانت عليها فقدرتها وعينت الدائنين وما لكل منهم بالضبط. واستخدمت في المخبرات
بين أمريكا وأوربا في أمور معجلة فقامت بما عهد إليها بأكثر واضبط من التلغراف
وسئلت أسئلة فلسفية عويصة فأعلنت بأشياء لم تكن تعرف إلا بعد سنين عديدة . كل
هذه أمور مقررة بمحصة كإيقول الأستاذ وليم جيمس أكثر من تمحيص الأمور الفيزيولوجية
(انظر صحيفة ١٠١ من مقتطف فبراير) .

وسنأتي في مقالاتنا التالية على نماذج من أنواع هذه المشاهدات كلها مع بيان صنوف
التحولات والتمحيصات التي اتخذها العلماء المحبرون لها .

ثم قلتم ان عدم ثبوت ذلك لا ينفي بقاء النفس بعد الموت ولا يثبت زوال عقل
الإنسان من الوجود بعد موته، ولكن يجب ان يكون لاثبات ذلك أدلة أخرى .
وانا اقول ان عدم ثبوت ذلك ينفي بقاء النفس بعد الموت. ويثبت انحلال عقل
الإنسان بعد وفاته ويقوى شبهات الماديين، بل يجعل تلك الشبهات حججا مقرة .
لانه كان يقال بحق : لو كان للروح بقاء بعد الموت لدلتنا بدليل حسي على بقائها هناك ،
والا فهل يعقل ان تكون ارواح ملايين الملايين من الامهات والآباء والاخياء حية
في عالم وراء هذا العالم فتلبث الوف السنين لا تبدى أقل حركة تشعر بوجودها وتم علي
بقائها ؟ وكان المادى اذ ذاك يرفع عقيرته قائلا : اذا كان الإنسان في بطنه عن
المجاهيل الطبيعية قد وقف على اسرار النواميس الميته وخواص الحركات الاثرية
الخفية كالكهرباء والمغناطيس واشعة رونتجن ، وهى من العالم الجامد المجرد عن العقل
والشعور، ألا كان يقف على رسوم ذلك العالم الحي الأهل بملايين من
العلماء والفلاسفة والقادة والمفكرين ؟ الا كانوا يبدون لنا ولو اشارة

(٨ = اثبات الروح)

خفية تدل على وجودهم وراء هذا الوجود؟ أليس في صحتهم ذلك حجة ناطقة على أنهم أصبحوا رميما تذوروه الرياح، كذاذور بقايا الاشجار وفئات الاحجار؟

نعم كان المادى يستطيع أن يقول ذلك وله الحق، وكان المتدين يحني رأسه خجلا وله العذر، فشروع أمر الاتصال بالاموات من أول وجود الانسان الى اليوم وذبوع ظهور أشباهم في بعض الاحوال في كل أمة حتي وجد ذلك في اساطير المصر بين القدماء، والمنود والصينيين، ووجد معه طارق تحضير الارواح منذ ألوف من السنين، ثم ظهور هذا الامر آثم ظهور في هذا العصر والعمل علي تحقيقه تحقيقا عاما على الاساليب النقدية الصارمة — كل هذا أثر واضح يدل على صحة وجود ذلك العالم، وعلى صدق العقيدة القائلة بخلود الارواح بعد الموت. وعدم وجود هذا الاثر الواضح كان يصح أن يكون من الادلة السلبية القوية على عدم وجود ذلك العالم.

ثم ان اسشهادكم بقول الامام الغزالي « ان ضرر الشئ، ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه » لا ينطبق علي ما نحن بصددده . فان الطريق الذي يسلكه العلماء الاورويون والامريكيون في تحقيق وجود الروح هو الطريق الاصلى لاثباتها، بل لا يوجد غيره، فهم يبحثون في أمر ظهور الارواح في أماكن قيل انها تنردد عليها، كعض الببوت والقصور القديمة . وفي تأثيرها على آدمغة بعض الاحياء بالاستيلاء، عاباء واظهار شخصيات غير شخصياتها، وعلى ايديهم في احداث خطوط غير خطوطهم والتوقيع عليها بتوقيعات المتوفين انفسهم — كل هذا لم يقنع الباحثين وكان لهم في تأويله مجال واسع . لانهم كلهم كانوا ماديين لا يعتقدون بشئ. فطلبوا الى أولئك الارواح ان كانت موجودة ان تكتب بدون يد الوسيط وان تتكلم لا بلاسانه، فحدث ما طلبوا وظهرت اذرع وايد لمسها المجربون وصانحوها، ثم ظهرت اجساد قاسوها ووزنوها وفحصوها، بكل وسيلة ممكنة وطلبوا اليها احداث الخوارق التي يتخيل أنها لاثقة بمالم الارواح السائد علي

العالم الحسى كادخال المادة من خلال المادة، وفي تغيير صياغة المعادن كأن تقاب السلاسل الذهبية الى خاتم، وفي تمزيق الثياب واعادتها كما كانت، وفي ظهورها بمظاهر مختلفة، وفي افنائها نصف جسم الوسيط او جسمه كله ثم اعادته، وفي رفع الاجسام بدون لمسها الى السقف حتي انها رفعت بعض الحاضرين أيضا، وفي جلاب الاشياء من بلاد بعيدة، وفي الاخبار عن الامور المقبلة الى غير ذلك مما سنلم ببعضه في مقالاتنا المقبلة. كل هذا بينما يكون الوسيط مربوطا وموضعا تحت قفص من الحديد ومتصلا بسلك من الجلو او متر لتسجيل أقل حر كاته وسكناته ومراقبا أشد مراقبة وهو في حالة خدر تام لا يعي ما يحدث، بخلاف المشعوذين الذين ذكرتم بعض أعمالهم في مقالة السحر الخلال فانهم يذهبون ويحبثون مطلقا لا يدى والارادة، فان لم يكن هذا هو طريق اثبات وجود عالم روحاني مؤثر في هذا العالم المادى فهل طريقه القياس المنطقي والاستنتاج العقلي وقد برهنت الفلسفة المادية الحسية، ان دليل علي ضلال العقل وعجزه عن الالمام بالحقائق، وعلي ان مسلماته اكثرها اضاليل قررها له قصوره وايدها في نظريته.

ثم قلتم في مقالة السحر الخلال: «رأى جماعة من اكبر علماء الارض أعمال الخداعة اوسايبا بلادينو فصدقوا ما ندعوه من أنها تفعل بواسطة ارواح الموتى، وبذهب هؤلاء العلماء انفسهم الى ناد لاحد المشعوذين ويرون من أعماله ما تقصر عنه أعمال اوسايبا بلادينو بمراحل كثيرة ومع ذلك لا يقولون انه يفعل ما يفعل بقوة روحية لانه هو نفسه لا يدعي هذه الدعوى».

أقول علماء أوروبا لم يفهم أمر المشعوذين فقد اعترض عليهم بمثل ما قلتم فاحضروا مشعوذا امبراطور المانيا ومشعوذا امبراطور النمسا وهما اوسم مشعوذى العالم حيا لا في جاسة روحية واروهما بعض الخوارق التي تحدث فيها، فاعترفوا بأن هذا فوق مقدور صناعتهم، وشهدوا بذلك كتابة، وسننشر نص شهادتهم في مقالاتنا المقبلة هنا اما ان ما يفعله المشعوذون أغرب مما يحصل في جلسات التحضير فلا نقول نحن به ولا الواف المحررين، فان الخوارق الروحية قد فاقت ما يتخيله كل متعجب، واي غريب

بعد ظهور روح الميت متجسدة بصورتها التي كانت عليها في الحياة الدنيا ، وتكلمها بصورتها الاصلي وعباراتها المألوفة لديها ؟ واي عجيب بعد افنائها لبعض اعضاء الوسيط او الجسم كله ثم اعادتها اياه ، او قلبها صورة الوسيط وجنسه فيظهر وجهه ملتحميا وهي امرأة او شعره اصفر وكان اسود او يظهر طفلة ناعمة وهو كهل ، ويطول قدمه ، ويقل جسمه ، ثم يعود الى ما كان عليه . كل ذلك حصل تحت اشد المراقبات العلمية واعيدت تجاربه في كل بلد وفي مدى اكثر من سبعين سنة مما لا سبيل الى دحضه بعد كشفه ووقوف الناس على اسانيده ، والا فكيف يعقل ان اكبر علماء الارض واذاكي الاطباء والمهندسين والمحامين والكتاب والادباء الاوربيين والامريكيين يتخذون هذا الانخداع القليظ وقد سبقونا في العلم والعمل والتشكك بمراحله ، وتشبعوا بالمذهب المسمى منذ عدة قرون ، ويستمررون في هذا الانخداع اكثر من سبعين عاما ؟

كل هذا لا يقبل التعايل بالخداع والانخداع ، فلانماص لقراء العربية من التوسع في معرفة هذا الموضوع ، وسأتولى بمعونة الله هذا الامر فانشره في هذه المجلة في عدة مقالات متسلسلة من الجزء القادم ثم انرك لكل انسان الخيار في الحكم والسلام



الاسلوب التجريبي

(الذي اتبعه العلماء في اثبات الروح)

الوساطة

نشرنا هذه المقالة بمجلة المقطاف في مايو سنة ١٩١٩

طبعَت الفلسفة الاوربية في القرن التاسع عشر بطابع الاسلوب الحسي ، فافقت جميع المدرجات العقلية الى عالم الفروض ، ولم تقبل في العلم الا ما ايسرته التجربة او دلت عليه الحواس ، فكان على المتصدين للبحث عن الروح ان يجدوها بدليل محسوس ، وكيف يتسنى ذلك بعير جعل الانسان ذاته موضوع النظر والبحث لرؤية آثارها فيه ؟ ايصح لمن يريد ان يعرف هل في الاناء الذي بين يديه ماء ، أن يتركه جانبا ويأخذ في بناء القضايا المنطقية للاعتداء الى ما حواه ، أم ينظر فيه هو نفسه ليتحقق من وجود أو عدم وجود شيء فيه ؟

لهذا احتاج الباحثون المصريون في الانسان الى الوسيط ، فيحتاج اليه في التنويم المغناطيسي لتنويمه ورؤية ما يظهر فيه من القوي الكامنة والخصائص المستكنة ، ويحتاج اليه في المباحث النفسية لما ثبت علميا منذ سبعين سنة وبشهادة ألوف من العلماء انه تحدث بحضرة شخص ذي استعداد خاص ، اذا انجمت ارادة المخبر بين معه الى الاتصال بالعالم الروحاني ، حوادث روحية غاية في الغرابة يمكن للعالم أن يبحثها على اسلوبه التجريبي فيضيف الى ما عرفه من أحوال المعنى الانساني معارف جليلة لا تقبل النقض بتجلي من خلالها وجود الروح واستقلالها عن الجسد وقيامها بدونه وتعلقها بعالم

روحاني ورا، هذا العالم المادي

فالوسيط في المباحث النفسية هنا يستخدم كآلة للبحث او كوسيلة لظهور الحوادث الروحانية . وليس أمر الوساطة ببدع فانها ضرورية حتى في الحوادث الطبيعية نفسها . فلا يمكن مثلا احداث شرارة من جسم مكهرب بكهربائية موجية الا بتقريب جسم آخر منه مكهرب بكهربائية سالبة . ولا يمكن احداث تفاعل بين عنصر جسم الا بتسليط عامل آخر عليه كالحرارة او النور او الكهرباء ، او جسم آخر له خاصية احداث التفاعل بينها . كذلك لا يمكن ايجاد الصلة بيننا وبين الالياء المجردة عن المادة الا بوجود وسيط تكون له خاصية في ايجاد تلك الصلة .

وقد شوهد ان خاصة الوساطة ليست بقاصرة على احد الجنسين ولا على المصابين بامراض عصبية ولا على ذوي اسنان أو معاوف محدودة

فمن الوسطاء رجال ونساء ومنهم المصابون بامراض عصبية، والاصحاء الذين هم في اكمل حالات القوة، ومنهم الطاعنون في السن ، والاطفال الذين لم يجاوز عمرهم تسعة أيام، كما شوهد ذلك لبنت الاورد سيمور كبير كوب فانها أمسكت القلم بيدها وكتبت به رسالة عن لسان جدتها المتوفاة أمام والدها والدتها وبناتها ومنهم الجاهلون الاميون والعلماء والاعلام

ثم ان الوسطاء يختلفون في الخصائص فمنهم وسطاء يرون باعينهم من العالم الروحاني مالا يراه غيرهم، فيصفون ما يرونه للمجربين ويعينون لهم موضعه، فيسلطون آلة التصوير على ذلك الموضع فتترسم عليها غين الصورة التي اخبر عنها الوسيط، والا لآخير شاهد على ان المرئي ليس بخيال .

ومنهم وسطاء يسمعون ما لا يسمعه سواهم من اصوات الارواح فيلقون الى المجربين ما يسمعون من الاجوبة على أسئلتهم مما لا يعرفه الوسيط ولا يخطر بباله ولا يستطيع ان يجيب به لقصور علمه .

ومنهم وسطاء يكتبون فتستولي الروح على يد أحدهم وتكتب ماتشاء ان يكتبه بينما يكون الوسيط ملتفتا الي عيته أو يساره بحداث المراقبين له . وقد شوهد

وسطا، تستولي الروح علي يد احدهم البني وتكتب جوابا على سؤاله، وتستولي روح أخرى على يده اليسرى فتكتب جوابا على سؤال آخر، وروح ثالثة علي اسانه فتجيب علي سؤال ثالث، كل ذلك في وقت واحد.

ومنهم وسطاء، تنجسد الارواح يحضرتهم فيلبسها المجرىون ويفحصون اعضاها ويوزونها وقيسون طولها ويسألونها فتكلمهم وتعمل لهم من الخوارق مالا يخطر ببالهم. وقد تظهر عدة ارواح في آن واحد ثلاثة أو أربعة أو اكثر منهم الذكر والانثى والشاب والشيخ فتجول بين الحاضرين وتلمسهم وتطالب اليهم أن يصوروها بآلة التصوير، بينما يكون الوسيط متشجعا ملقي علي كرسيه ومرافقا من اثنين أو ثلاثة من المجرىين. فلو تخيل متخيل ان أعين المجرىين قد انيمت نوما مغناطيسيا فرأت ما ليس بموجود، فهل انيمت آلة التصوير أيضا فرضمت ما ليس بموجود؟

هذه أمور خارقة للعادة تحققت علميا وتكررت تجاربها ملايين المرات في كل اقطار العالم المنمدن منذ سبعين سنة، وهي التي حوت الي المذهب الروحاني رؤوسا استعصت على كل مؤثر في الارض. وسنأتي على أمثلة من هذه التجارب مع بيان التحولات التي اتخذت لها في مقالنا التالية لهذه.

التحولات التي تتخذ ضد الوسطاء.

لما شاعت أول حادثة لظهور الارواح في هيد سفيل، وخاض فيها الناس من كل قبيل، استنكرها رجال العلم كل الاستنكار وجزموا بانها خرافة روجها المدلسون لسلب اموال الناس، واكتفوا بنفيها هي وامثالها بما شاع اذ ذك علي صفحات المجلات والجرائد ولم يتغزلوا لبحثها اعتقاداً منهم بأنها لا تستحق النظر. فلما كثر خوض الناس فيها واخذ في الدفاع عنها بعض ذوى العقول الكبيرة من أمثال المستر (ادمون) رئيس مجلس شيوخ الولايات المتحدة بأمريكا، وعدد من الكتاب والادباء، خف بعض العلماء لبحثها لا لظنهم ان فيها حقيقة تستحق الاعتبار. ولكن

ليثبتوا للناس بالدلائل المحسوس وجوه الاحاويل التي وقعوا فيها تحت تأثير الوسطاء الخادعين . فتولوها بأسلوبهم العلمي الصارم ونحوظاتهم البالغة أقصى غايات الاحتراس . فهايك بقوم ماديين لا يعتقدون بوجود شيء في الكون غير المادة وقوتها وقد مرنا من محاولاتهم العلمية على عدم التسليم الا لشهادات الآلات والموازين فأبوا بمد طول التجربة ونكروا الى التسليم بصحتها وكتبوا في ذلك كتباً سطروا فيها كل ما اتخذوه من التحولات لا ثباتها ، فتولي النقدة العلميون مباحثهم بالنقد الصارم ولا حظوا على نحوظاتهم أموراً اعتبروها نقصاً وزعموا أنهم لو كانوا نادر كرها لظاهر لهم التندليس ظهور الشمس . فكان من بينهم في البحث من العلماء يستدركون كل ما لوحظ على حلى من سبقهم من القص حتى بلغت بهم الوسوسة في ذلك الى حد ليس بعده مزيد . فكانوا يأتون بالوسيط الى جامعة من جامعاتهم أو معمل من معاملهم العلمية ويمجدونه من ملابسه ويفتشونها ثم يدخلونه حجرة خالية من الاثاث الا كرسي وخوانك ويقفون باها ويختمونه بالشمع ويأخذون مفاتيحهم ثم يجلسون الوسيط على كرسي ويربطونه عليه ربطاً قويا بحيث يؤثر الرباط في مفصليه وذراعيه وغذبيه حتى تستحيل عليه الحركة قيد اقلية . ثم يسرون أطراف الاربطة على الارض ويختمون العقد بالشمع . ثم يضعونه وهو وكرسيه في قفص من الحديد ويوصدون عليه بالاقفال ولا يكتفون بذلك بل يصلون به سلكاً من آلة الجوانومتر لتسجل عليه جميع حركاته وسكناته ، ثم لا يفتنون بكل هذا بل يكون به اثنين منهم يرابطانه طول مدة التجربة . وكان الذي يحدد هؤلاء العلماء لركوب هذه الخطة الصارمة جزمهم المطلق باستحالة وجود خارق للعادة في الطبيعة ، وباستمرار الجوارث فيها على نواحيها المقررة ، وأن تلك الخوارق المزعومة هي من الشعوذة البالغة أقصى درجات التمويه والسبك . ولكن كانت تذهب كل نحوظاتهم سدى فيستمر ظهور تلك الخوارق على أم ما يكون . فاضطروا أمام هذه المشاهدات — وما يضطر أمثالهم امرهين — أن يعترفوا على وجود عالم روحي بعيد المدى ، يمكن أن تتصل به بمحضرة وسيط.

حاصل علي خاصة الوساطة بيننا وبينه

وقد تكررت هذه التجارب مع كل هذه التحولات في كل مدينة راقية علي يد رجال يعتبرون في مقدمته أقطاب العلم المصري، أنينا علي ذكر بعضهم في مقالاتنا السابقة . وقد بلغ هذا المذهب من العمر أكثر من سبعين سنة وهو يزداد رسوخا وتزداد مشاهدته وضوحا حتي أصبحت من الحقائق التي لا يصح الاستمرار فيها ، ولم تكن تجارب هؤلاء العلماء انفرادية ولكن تألفت لها في كل عواصم البلاد المتقدمة الجمعيات ومنها ما بعد عمرها الآن بعشرات السنين ، من أكبرها شأنا جمعية المباحث النفسية التي تأسست في لندرة سنة ١٨٨٢ واتخذت لها أعضاء من أعلام العلم الرسمي في فرنسا وإيطاليا وأمريكا وغيرها وهي لا تزال عاملة الآن فيكون عمرها خمسين سنة ، وقد دونت مباحثها وتجاربها في عدة عشرات من المجلدات الضخمة ، وتولي عضويتها ورئاستها أكبر علماء الأرض من لا يصح اتهامهم بالقصور عن ادراك نقض الدليل ، ولا بالتقصير في اتخاذ أي ضرب من ضروب الاحتياط . بل هم الذين علموا الناس أساليب البحث عن المجاهيل ووجوه الاختراس لتجارب . ولا يقل أن هؤلاء الاراكين في العلم والفلسفة يبقون طوال هذه المدة مخدوعين لا يفرقون بين الشهوذة والغواهر النفسية على كثرة النقدة المحيطين بهم . بل هم أنفسهم أمسة النقد وزعماء الشكوك .

وقد استقدم هؤلاء العلماء أكبر الوسطاء الى دورهم من أقصى الأرض وتكلفوا في ذلك الالوف المؤلفة من الجنهيات، وصبروا على بحتم السنين الطوال . وقد ألغت كتب في تاريخ بعض وسطائهم منها كتاب وضعه المسيو (ساج) عن الوساطة الامريكية (مدام بيير) دعاه باسمها ووضع عليه العلامة الفلكي الاشهر (كاميل فلاماريون) مقدمة طنانة ونحن ننقل لاقراء بعض ماجاء فيها من طبعته الثالثة صفحة (٣١) :

٢. متى عرض الانسان مشاهدات من هذا القبيل علي القارى . فاول ما يتبادر الي ذهنه افتراض التدليس ، فيعتبر الوسيط خادعا ويرى أنه قد دبر حيلة بمهارة في (٩ — اثبات الروح)

طلي الحفاء ، فالامر في نظره لا يبدو الاحتيال والتدليس . فلأجل متابعة هذه المباحث بفائدة يجب ابعاد هذا الفرض ، ولكن ليس ذلك بالامر السهل فان اكثر الناس جيلوا علي ان يكبروا من فطنتهم الذاتية ويسيثوا الظن علي وجه عام بفطنة سواهم . وتجد كلامهم يعتقد في نفسه بأنه لو كان مع المجر بين لكشف العطاء عن التدليس بأمرع ما يكون ، وعليه فلأجل اقناع الناس يجب ان لا يهمل أى ضرب من ضروب الاحتياط والتحرز، ويجب استخدام جميع الوسائل لذلك وهذا هو الذي قام به مشاهدو مدام بيير كما سيراه القراء .

ثم ذكر ماتخذ المجر بون عليها في أمر يكاف من ضروب الاحتياط حتي عينوا عليها وعلي جميع اعضاء بيتها الجواسيس ثم قال :

« ولكن لأجل ابعاد فرض التدليس نهائيا رأي بعضهم ان يرفع مدام بيير من البيئة التي هي فيها وينقلها الى مملكة لا تعرف فيها احدا ، وهذا هو الذي حدث فعلا . فان بعضا من علية اعضاء جمعية المباحث النفسية دعوها الي انجلترا ليعجروا عليها هناك ، فلبت دعوتهم ووصلت الي انجلترا في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٨٩ علي الباخرة شينا من بواخر شركة كونا ر . فخف لاستقبالها الاستاذ فريدريك ميرس الذي حزن لبقده حديثا علم البسيكولوجيا وأوصلها من ساعة قدومها الي بيته في كمبردج ، ولكنه في اللحظة الاخيرة دعي الي ادمبورج فرجا صديقه الاستاذ اويلفر لودج (المدرس بجامعة كمبردج) اب ينوب عنه في اضافة مدام بيير فأضافها الاستاذ لودج في بيته ، هي وبناتها الصغيرتين اثنتين كانتا معها . وفي مساء ذلك اليوم نفسه عاد المستر ميرس وأرجعها الي بيته في اليوم التالي :

فابتدأ التجارب علي ذلك في كمبردج ، الي ان قال :

« الخلاصة ان في مدة الخمسة عشرة سنة التي لبثتها التجارب مع مدام بيير أخذ المجر بون بكل الآراء التي ابداهها المعارضون المكذبون لأجل كشف التدليس ، وكان بعضهم من المتعنتين ، فلم يكتشف شئ ، من ذلك ، وذهبت جميع الجهود ذات سدى . فيجب ان يبحث عن علة هذه الحوارق في غير التدليس »

(الفرق بين الشعوذة والوساطة)

كثيراً ما شبه البعيدون عن التجارب الروحية الوساطة بالشعوذة والفرق بينهما كما رأيت عظيم جداً . فالوسيط يعرى جسمه ويفتش ويرط ويوضع في قفص من الحديد ويوصل بجسمه سلك كهربائي لئلا يجيل أصفر حر كانه عليه، ويوضع تحت مراقبة صارمة، ويقع في صرخ شديد بالحق بالجلادات . ولكن المشعوذ يكون مطابق اليدنين والرجلين، يذهب ويجيء . بين المتفرجين لا يسأل عما أخفاه من الادوات والآلات، بل يحضر معه علي مرأى من الناس من العلب والاسلاك والاواني ما يعتمد عليه في خدع أعين الناس . ويث في وسط الحاضرين من مساعديه من يحتاج اليهم في نمويه أعماله . والمتفرجون يعرفون كل ذلك وبرون له الحق فيه .

ثم ان المشعوذ يعرف عنه انه درس هذا الفن وتعلم فيه لاستاذ وتقرن عليه تحت اشرافه سنين . ولكن الوسيط قد يتفق ان يكون بعض العلماء المجر بين أنفسهم او بعض زوجاتهم أو بناتهم ممن لم يدرسوا الشعوذة ولا تتجه اليهم رغبة فكان الكائن السامي والاجتماعي الخطير (ستيد) الانجليزى واسطة لنفسه تستولى الروح علي يده فتكتب، بينما يكون هو مشغولاً عنها بشي آخر . وكذلك كان الاستاذ ستفنون موزس المدرس بجامعة اكسفورد . و كان الوزير الرومي الخطير (اكراكوف) يجرب علي امرأته ، وكان المستر ادمون رئيس مجلس أعيان الاوليات المتحدة يجرب علي بنتيه . ولما اجتمعت لجنة الجمعية الملكية الانجليزية لفحص خوارق الاسبرتزم، وكانت مكرمة من ثلاثين عالماً كان واسطتهم واحدا منهم (راجع مقالتنا الاولى) . فاعظم الفرق بين الوسطاء والمشعوذين وما ابعد وجوه الشبه بينهما !

(تمثيل الخوارق التي تظهر بمحضرة الوسطاء)

لما ثبت للعالم المجر بين صحة هذه الخوارق ثبتا ليس معه تردد اخذوا في

تعليلها بالعلل المعروفة غير مباين بما يدعيه سواهم من نسبتها الى ارواح الموتى .
فافترضوا افتراضات كثيرة وأطالوا الجدل فيها عشرات من السنين فلم يظهر أن
واحداً منها يصلح لتعليل جميع مشاهدات الاسبرتزم غير فرض واحد وهو عزوها الى
أرواح الموتى . وقد رضي هذا الفرض جمهور من العلماء الذين بحثوا هذا الموضوع
الاعداد منهم محصورا لا يزال برجي رأيه الاخير . ومع هذا فهو لا يخفى عن الناس
انه يرجح التعليل المذكور . اما نحن فسنأتي على مجموع هذه التعليلات ونبين وجوه
عدم كفايتها في التعليل الا الفرض القائل بوجود عالم روحاني وراء هذا العالم باقلام
العلماء . المجريين انفسهم بعد أن نرفع من الاثبات على بعض تلك التجارب وعلى
ضروب التحولات التي اتخذت لها ، ليكون القارى ، على يئمة من تفصيلات هذا الموضوع
الخطير .

...

تجارب العلماء

على الوسطاء .

نشرنا هذه المقالة بمجلة المقتطف الصادر في شهر يونيو سنة ١٩١٩

لما ظهرت الحوادث النفسية تنفي بعض المقررات العلمية المعروفة تلقاها
العلماء . اولاً بصغير الاستهزاء ظناً منهم أن اوهام الازمان الماضية تحاول أن تستعيد
دوائها في عصر العلم التجريبي ، ولم يزدوا على ذلك فلما كثر ترددها . اندفع بعضهم
لكشف حيل المدلسين مدرعين بالاسلوب العلمي الصارم ، قلما قاومت كل مجهوداتهم
انهموا مشاعرهم وحواسهم ولم يسلّموا بذلك الظواهر وان كانت محسوسة لشدة
رسوخ المذهب المادي في نفوسهم ، فزعموا انها من الخيالات التي تتراعى للانسان
وهو في حالة الاستهواء ، وفرضوا ان الوسطاء . تأثيراً على المجريين يشبه تأثير النوم

المفناطيسي على المؤمنين فيرون الصور التي تطوف بخيال منيهم كآنها حقائق مجسدة
وماعى الا خواطر لا وجود لها في الواقع .

هذه شكوك لا تطوف برؤوس العامة ولا يعرفونها ، ولكنها من رجال العلم
ضرورية ، فان الموضوع الذى كانوا يصدده في منتهى الخطورة ، وكان هو المعركة الفاصلة
بين المذهب المادي والمذهب الروحاني في الواقع .

فكان الاستاذ الكبير كروكس ، الذى وفاه المقتطف حقه في الشهر الماضى من
الثناء ، يرى ايدى تتكون امام عينيه فتلمس الحاضرين وتسلم عليهم مصافحة ، وتمسك القلم
فتكتب صحفا طويلة رداً على كل سؤال يوجه اليها ، ويرى اجساداً بشرية تامة
تتكون امامه من مادتها الاولى فتسكلمه وتسمح له بفحصها بكل وسائل الفحص
العلمي وتجب على أسئلته الفلسفية اجابات يقصر عنها الوسيط بل لا يفهمها ، ورأى
أوف من العلماء غير هذه المراتبات عينها في كل بلاد متمدن ، فكان هم هؤلاء العلماء
ان يشنوا أولاً أن هذا الجسد المتكون شيء له حقيقة في الخارج وانهم ليسوا بمخدوعين
بمظاهر خيالية ولذا ذهن الواسطة واوجبا عليهم الاستهواء الذى قد يكونون وقعوا
فيه بتأثيره . حتي اذا ثبت لهم ان تلك الظواهر ليست خيالية وانها مستقلة عنهم
وعن الواسطة بمحوا عن حقيقة كما يبعثون عن المحسوسات في عالم الشهادة ،
فعمدوا أولاً الى استشهاد الآلة الفوتوغرافية فرسموا تلك الايدى والاجساد الكاملة
واتخذوا لذلك من التحولات ما يابق بمكاناتهم العلمية ، فكانوا يأتون بالآلات الخاصة
وبزجاجات حساسة لم تمسها يد قبلهم ويتولون التصوير بأنفسهم ، فكانت شهادة الآلة
موافقة لشهادة أبصارهم . والجمادات كما لا يخفى لا تقع في الاستهواء ولا تتأثر من الخيال .
إلا أنهم لم يفتنوا بذلك ، فكانوا يأخذون خصلاً من شعور تلك الاجساد المتكونة
وقطعاً من ثيابها ، كان فعل الاستاذ كروكس والوزير الروسي اكرا كوف وغيرهما ، يكون
بقاؤها واستمرارها بغير حضرة الواسطة أكبر دليل على انها ليست بخيالات ولكن
حقائق . فاستمرت تلك الاشياء ، موجودة وصرح كل أولئك العلماء وفي مقدمتهم
الاستاذ كروكس بأن تلك الاشياء لا تنزل موجودة عندهم وقد مضى على بعضها فبحر

خمسین سنة

الا ان الشكوك العلماء لا تقف عند حد فطلبوا المزيد، لان المسئلة في حققة انها مركة
فاصلة بين مذهبين يتنازعان السلطان على عقول البشر منذ الوف من السنين . فاخترع
الاستاذ (دونتون) *Donton* ، الجيولوجى الامريكى المشهور، وسيلة حاسمة لهذه
الشكوك، وهي اخذ قوالب تلك الاعضاء بواسطة البارافين الذائب . وقد نشر اكتشافه
في مجلة (البتراف لايت) الامريكية، ونقله عنه الوزير الروسى المشهور (الكسندر
اكراكوف) في كتابه المسمى (الايميسم والاسبرتسم)، وهو أشهر وكبر كتاب
في علم الارواح، لانه ثمره جهود هذا الرجل العظيم في مدي خمس وخمسین سنة، وقد
ترجم الي عدة لغات . قال الاستاذ دونتون :

« علمت اخيرا انه لو غمس اصبع في البارافين الذائب وترك حتي يبرد تأتي
الانسان ان يسحب اصبعه منه بسهولة، ثم اذا مليء هذا القالب بالجلس امكن
الحصول على شكله بالدقة، فكتبت للمستتر هاردي ارجوه ان يهي لي جلسة لاجربة
مع مدام هاردي، ولم اكشف له عن الطريقة التي نويت الجرى عليها . فابلث ان
دعاني الي بيته فذهبت اليه ومعي شيء من البارافين والجلس فوضعت البارافين ذائبا
تحت خوان وجلست مدام هاردي واضعة يدها عليه، وجلست انا والمستر هاردي الي
جانبيها ولم يكن معنا غيرنا .

« بعد قليل سمعنا حركة في انا البارافين، وبواسطة القرع على الخوان أمرت
الروح مدام هاردي ان تقدم يدها بضعة سفيتيمترات، ففعلت، ولم نلبث ان حصلنا علي
عشرين قابلا لاصابع ذات حجوم مختلفة منها اصابع اطفال واصابع كبيرة للغاية وكانت
الخطوط الجلدية ظاهرة فيها اكل ظهور، وكان طول اكبر ابهام منها يبلغ ضعف طول
ابهامي وكان أصغرها يبلغ طول اصبع طفل عمره سنة واحدة .

« بينما كانت تحدث هذه القوالب كانت يد الواسطة علي بعد قدمين علي الاقل
من البارافين . فالتفت انظار الوتطاء الي هذا الاسلوب فانه يثبت المنكر حقيقة
تلك الاشباح ووجودها مستقلة عن جسم الوسيط انتهى .

وكتب هذا الاستاذ بعد ذلك الى مجلة (البرافون لايت) يقول : ليس واحد
« رأيت أثناء التجارب ظهور الاصابع المتجسدة مقطعة بالبرافون مرارا عذها وتقلب
قال الوزير اكراكوف في كتابه المقدم ذكره صحيفة ١٣٢ من النسخة الفرنسية لعل
الطبعة الثالثة :

« تصور الاستاذ دونتون اقامة الدلائل التالي وهو انه وزن البارفين قبل التجربة
ثم وزن ما بقي منه بعد التجربة مضافة اليه القوالب التي أخذت فسكر وزن الجميع
مساوياً للوزن الاول تماماً . وقد جرب هذا الوزن علي رؤوس الاشهاد مرارا كثيرة
امامهم غفير بواسطة لجنة عينها الجمهور نفسه . وقد أعيدت هذه التجارب في بوستون
وكاراستون وبورتلند . وبالتيمور ووشنجتون وغيرها من المدن فنجحت في جميعها
نجاحاً تاماً . ولكن النقاد لم يعتبروا مع هذا انفسهم مقهورين فرعوا ان الوسيط يمكنه
ان يرفع يده او يرجله جزءا من البارفين يخفيه بوسيلة من الوسائل . فطالبوا ان يوضع
الوسيط في كيس وان يربط من عنقه وحمات التجارب معه وهو علي تلك الحالة امام
الجمهور نحو عشرين مرة فكانت النتائج ثابتة تحت مراقبة اللجنة التي عينها الجمهور
نفسه .

« ولكن هذه التحولات لم تقنع المنكرين فرعوا ان الوسيط يمكنه ان
يفتح الكيس ويخرج منه يديه ويعمل ما يريد ثم يخطئه ثانية ولو ان أعضاء لجنة
المراقبة لم يشاهدوا ما يبرر هذا الفرض . فعزموا ان يتخذوا تحولات اخرى تصلح
لاعطاء البرهان القاطع المطلق علي صحة هذه التجارب . فاقترحوا ان تؤخذ القوالب
داخل صندوق مغلق بمفتاح . قالوا اذا نجحت التجربة مع هذا الاحتياط الجديد كان
برهاننا دامناً وحاسماً . فاليك وصف الصندوق الذي عمل خصيصاً لهذه التجارب بإشارة
الدكتور جاردنر »

ثم وصف الصندوق بأنه من الخشب المصنوع داخله بالحديد وخارجة بشبكة
من ذلك المعدن أيضاً وجعل له أقفال متينة وأطال في ذلك ثم قال :
« واذا كنا قد أطلنا في بيان تفصيلات هذا الجهاز فذلك لان عليه يقوم الحكم

خمسین سنه.

الضربا بعد ذلك عند مدام هاردى وكان المخبون الكولونيل فريدريك فاصبحون وتيرلى وج.س درابر وايدس سارجنت ومدام دورا بريغهام والمسيو الاى وزوجته. فبدأ الكولونيل بوب، وهو خبير بالنجارة، ففحص الصندوق من كل جهاته. وتقدم المخبون فأطالوا البحث فيه. ثم أرادوا ان يتحققوا هل من الممكن توسيع ثقب من الثقوب بآلة حديدية، ثم أعادته الى ما كان عليه، فحاولوا ذلك فوجدوه مستحيلًا.

« وضع الصندوق المستر وتيرلى وأني بوعاء فيه ماء بارد في غاية الصفاء فوضعه في الصندوق بعد أن فتشه جميع الحاضرين. ثم أتى بوعاء فيه ماء مغلي وعلي سطحه قشرة ذائبة من البارافين وبعد فحصه بدقة أيضا وضع في الصندوق وأقفل بالاقفال. ولزيادة الثقة ختمت ثقب تلك الاقفال بالشمع وختمت به كذلك جميع جهات اتصال الغطاء بالصندوق ثم جعل عليه غطاء من القماش.

« بعد اربعين دقيقة سمعنا قرعات سريعة حادة آذنتنا بنجاح التجربة، فتركنا اماكننا ورفعنا الغطاء وفحصنا الاختتام فوجدناها لم تمس ثم فحصنا الصندوق فوجدناه على ماكان عليه فرفعنا الشمع وفتحنا الاقفال، فوجدنا قالبًا ليد عائمًا على سطح الماء فاضطررنا ان نستنتج من ذلك ان قوة لها خاصة النجسد عمات ذلك القالب ووضعتة في وعاء الماء ولم يكن بينه وبين يد الوسيطة أقل شبهة»

فاليك النتائج التي وصلنا اليها :

- (١) حدوث قالب يد آدمية في حجم اليد الطبيعية بواسطة قوة مجهولة.
- (٢) الشروط التي حدثت فيها التجربة لاندع ظلا من شبهة بحوم - حول نزاهة الوسيطة.

(٣) كانت كل النحوطات من العناية والدقة بحيث تنفي كل شبهة في التدليس وفي تأثير الوهم ولذلك فنحن نعتبر شهادتنا نهائية

- (٤) هذه التجربة حققت ما شاهدته الباحثون من قبل وهر ان ايديا

قد تتجسد فتتفاد بعقل منبعث من كائن غير مرئي ويمكن نظرها واسمها . النفس واحد
(٥) حدوث قوالب من البارافين بانضمامها الى شهادة آلات التصويرها وتغلب
منهما برهان محسوس على تأثير قوة عاقلة خارجة عن الاجساد المئوية وهذه التغيرات لعل
تصلح أن تكون قاعدة للأبحاث العلمية.

(٦) كيفية حدوث هذه القوالب داخل الصندوق تؤدي الى آراء سيكون لها
لها أكبر تأثير على فلسفة المستقبل وعلى المسائل النفسية والفيزيولوجية، وستفتح أفقا
جديدا للمباحث في القوي الخفية وفي مستقبل الإنسانية.

ثم يل هذا المحضر امضات المجررين

قال الوزير اكزاكوف عقب ابراده هذا الكلام ان لهذه التجربة صبغة
كافية من الصحة اذا نظر الاشخاص الموقعين عليها، نخس بالذكر منهم الاستاذ دنتون
والدكتور جاردنر. وقد كتب المستر ايس الكاتب الكبير الى مدير مجلة الاسبريتو اليست
بلوندر ما ياتي :

« لقد شهدت التجارب المذكورة فانا اضمن الصحة التامة للمحضر الذي قدم

عنها »

ثم نقل الوزير اكزاكوف شهادة النحات الامريكى المشهور (جون دويان) لي
الجيس المنصب في ذلك القالب وغيره قال :

« أشهد بأني نحات ونقاش امارس صناعتي منذ ٢٥ سنة ، منها عـدة سنين
امضيتها في ايطاليا لدراسة أعمال كبار اساتذة النحت والتصوير، وقد عرض على
المستر هاردى سبعة أشكال من ايد عمات من الجبس ذات حجوم مختلفة ففحصتها
في ضوء حاد بواسطة الزجاج المكبرة فرأيت ان كلا منها يعتبر من الاعمال الدقيقة
العجيبة، لانها تظهر جميع الدقائق التشريحية والبروزات والانخفاضات الجلدية بدقة
ومهارة لم استطع للآن مجاراتها في أى يد صنعتها او في أى جزء آخر من أجزاء الجسم
البشرى، لاهم الا اذا اخذت بواسطة الصب المباشر على الجسم أو على أى جزء آخر
منه .

خمسین سنہ اعلان ہوا عن طیب خاطر بأن هذه القوالب لو تحصل عليها بأية طريقة
الافانها تشرف اكبر صناعات العالم . الخ الخ »

فاصل (الامضاء) (جون دوبيون)

الاقال الوزير اكرزاكوف وقد اشترط في النجارب التي اجريت في انجلترا بواسطة
هكتور مونك ان تقدم الارواح القوالب وهي لانزال في ايديها الحاضرين فاليك بعض
ما كتبه المستر (ريمس) في ذلك (وهو من قضاة الانجليز) :

« بعد ان سمعنا حركة الماء امرت ان أفق مكاني واستلم القالب بيدي فرايت
رجلا ممدودة الي وعليها القالب فامسكت به فانسحبت منها الرجل بسرعة البرق تاركة
القالب في يدي » .

وذكر الوزير المذكور عن نجارب المستر تيب من مارتيزو المستر او كيلي والمستر
ريمس بانهم ادخلوا الوسيط في كيس من النل وجعلوا رأسه في داخله ثم عقد طرفه
عدة عقد وجعل عليها عقدة خفية من الورق تسقط اذا تحرك اقل حركة وشبكت اطراف
الاربطة بالدبابيس في ظهر الوسيط وشهد جميع المجرئين بأنه يستحيل علي الوسيط ان
يخرج من الكيس بدون ان يرى ،

ونقل المؤلف المذكور عن الدكتور (روبرت فريز) تبار به في اخذ القوالب
بلوندره فذكر فيما كتبه قوله :

« اذا اخذ القالب علي يد عادية فيستحيل سحبها منه فان محيط المعصم اصغر بنحو
بوصة ونصف البوصة من محيط الكف ، فلا يمكن سحب اليد الطبيعية من القالب الا
اذا تمزق . فيمكن تحليل سحب الروح المتجسدة ليدها منه بدون تمزيقه انها تتحلل
فيه وتتركه » .

ونقل الوزير المذكور ما كتبه المستر (ديسمون فيتزجيرارد) العضو بجمعية
مهندسي التناغرات بلوندره وهو قوله عقب ذكر نجاربه التي عملها والنحولات التي
اتخذها :

« لاجل فك الوسيط من اربطته اضطررت ان اقطع تلك الاربطة لعدم

نجاحي في حل عقدها، وأستطيع أن أؤكد بأن موضع الوسيط وحالة الاس واحد
بالضبط في آخر الجلسة علي ما كانت عليه في أولها .

ادخال الوسيط في قفص من الحديد

لما حار الشاكوت في أمر حصول هذه القوالب رأى الدكتور اذال
الانجليزى المعروف كما نقله عنه الوزير اكزاكوف ان يدخل الوسيط في قفص
من الحديد وان يقلل بابه لامتاحت بل بالمسامير ذات البرغي (أى ذات الفلاورز)
فراي رغما عن هذا التشدد كله تمجد روح امرأة تمجد روح رجل جالس اليه كلاهما واعطوه
هو والمجربين معه قوالب لارجلهما .

هذا بعض التجارب التي عملت لاختبار القوالب في أكبر عواصم العالم المتقدم،
وعلي أيدي رجال مرت الشكوك مع دمائمهم، وهي تثبت بالحس ان المجربين لم
يكونوا مخدوعين ولا مصابين بالاستهواء، وان تلك الاشباح المنجدة لها وجود حقيقي
في الخارج وليست بصور خيالية . واني أترك للقراء الحكم علي تلك التحولات وعلى
قيمة المجربين، وأذكرهم بأن هذه التجارب تعمل منذ سبعين سنة الي اليوم ولم يستعصم منكر
اثبات التديليس فيها . وليست هذه التجارب بشي في جنب ما سيرواه القراء، فالحدث
الذي حني رؤوس أقطاب المذهب المادى واركان العلم الرسمى في اوروباليس بالشبيء
الصغير . ولا عجب ان حنت هذه المشاهدات ارفع الرؤس فان المكابرة في المحسوسات
ليست من العلم ولا من الحكمة، والسكون كبير وقواه لاتحد، وما علمناه منها بواسطة
حواسنا الخمس القاصرة لا يبعد بجانب ما لم نعلمه شيئا، فيا صاحب لا تقنع بانك
صاح .

نخسبنا لما نشرنا هذه المقالة في الجزء نفسه جاء في المقتطف ما يأتي :

٧١

الامتحان العلمي

قاصدا

٧١

في المباحث النفسية

كل ما وقفنا على نتائجه قبل الآن من الامتحان في المباحث النفسية إما قام به شخص واحد فوجب أن تكون نتيجته حسب هواه أو استعداده أو اقتناعه السابق أو تغلب الوهم عليه ، وإما قام به اثنان أو ثلاثة في يوم أو يومين أو أيام قليلة، فكان عرضة للخطأ أيضاً، ولذلك لم تصبح هذه النتائج من الحقائق العملية مثل غيرها من المكتشفات الحديثة كالانفراف السلكي واللاسلكي والتلفون السلكي واللاسلكي والاحتراق الداخلي الذي بني عليه استنباط الاتومويل والنواصات والطيارات، وكأصل الامراض المنسوب الى المسكروبات وعلاجها بالمصل المستخرج منها، ونحو ذلك مما امتازت به السنوات الخمسون الاخيرة . ولا عبرة بما يقال من ان الارواح استخدمت في اكتشاف مواقع المياه في الارض والاستدلال على المحبات والانبيا . بما اصاب بعض الجنود في الحرب فان ذلك كله مشمول بالريب ولو كان صحيحا لذاع في اطراف المسكونة ورأينا العمل به في هذا القطر كإحدى الأعمال بالانفراف والتلفون والطيارات والاتومبيلات والتطعيم بالمصل في علاج الدفتيريا والنيفيويد .

وبعد فقد وقفنا الآن في مجلة ناتشر الصادرة في ١٧ ابريل الماضي على خلاصة امتحان مستفيض في المباحث النفسية في أعظم معهد علمي بأمریکا ذلك أن المستر توماس ستانفورد اخاند ستانفورد منشي . الجامعة الشهيرة في كاليفورنيا وهب تلك الجامعة عشرة آلاف جنيه لكي تستخدمها في المباحث النفسية ، وكان

الدكتور جوردان العالم الشهير رئيساً لتلك الجامعة، فسأل أساتذة فرع ابن واحد هل يقبلون هذه الهبة ويتولون هذا البحث فترددوا أولاً في قبولها، واستكبروا تغلب ونظروا في الأمر واستشاروا أساتذة الجامعات الأخرى فقرر أخيراً أهل المهلة والجرى في الامتحان، وعينوا الدكتور كوفر لإدارة هذا العمل وهو من أعلام البسيكولوجيا (أى علم النفس أو الفلسفة العقلية)، وقد نشر الآن تقريره الأول وهو مجلد ضخم فيه ٦٦٣ صفحة .

وفي القسم الأول من هذا الكتاب خلاصة التجارب التي جرت في الثلاثي أى انتقال الأفكار لحزر أوراق اللعب ونقط الزهر وما أشبه فكانت نتائج عشرة آلاف امتحان علمي مدقق أجريت في تلامذة المدرسة الذين يملون إلى الاعتقاد بقراءة الأفكار سلبية كلها .

ثم أجريت التجارب في عشرة من شديدي الشعور النفسي وخمسة منهم وسطاء في السبرتزم وكلهم من المحاصيين المعتادين بصحة شعورهم، وقد تبرعوا لأجراء الامتحان فيهم من غير أجر فكانت نتيجة ألف امتحان أن شدة الشعور النفسي لا تفيد أكثر من الوسائل العادية، أى أن حزرهم لم يزد على ما يتفق حدوده حسب قواعد الصدفة .

والتجارب التي أجريت لإثبات انتقال الشعور من شخص إلى آخر كانت نتيجة سلبية أي لم يثبت منها انتقال الشعور .

أما التجارب التي جرت لمعرفة تأثير العقل الباطن كما أشار الفيلسوف برغسن، فثبتت على وجود شيء من الشعور لا يتناوله الوجدان في الغالب، ولكنه مستبعد لدخول الوجدان ويدخل فعلاً في وجدان بعض الناس، والمرجح أن لهذا الشعور يد في ما يروي من حوادث الثلاثي أو انتقال الأفكار كما أثبت البعض .

وما امتحن أيضاً ما يتصور الإنسان أنه سمعه إذا كان الكلام الذى سمعه غير واضح تماماً سواء كان الكلام من فم متكلم في الهواء أو آلة كالناتون أو الدكتافون، فظاهر أنه لا يمكن الاعتماد على الأذن في سماع الأمما والجل إذا سمعتها في أحوال

نخسین سہا

التمت بمجلة نانشر ما كتبته عن هذا الكتاب بما مفاده ان الدكتور كوفر قام قاصب منه ونشر نتائج تجارب على غاية الدقة قام بها رجل مجرب
 " هذا ما وصل اليه البحث العلمي الدقيق حتي الآن ولكن هذه النتيجة لا
 نفي أن يتصل البحث والتحقيق غداً الى اثبات أمور كثيرة لم يستطيعوا اثباتها حتي
 الآن لانه يعتمد عن العقل أن لا تثبت الارواح وجودها بأدلة مقنعة كما أنه لا
 يستحيل أن يكون شعور الانسان لا يزال ضعيفاً وقد يرتقي حتى يدرك ما لا يدركه
 الآن.

...

هذا ما نشره المقتطف في ذلك الجزء ووجدنا في باب المسائل منه أيضاً رداله على
 سؤال وجهه اليه أحد قرائه تصدى فيه لهذه المباحث ونحن ننشر الـؤال والجواب عليه
 كما ورد ثم نرد عليه وعلى المقالة معا قاليك :

(١) السر ولیم کروکس والسبر تزم

مهر. طالب علم۔ اراکم تخطئون للسر ولیم کروکس في اعتقاده صحة مناجاة
 الارواح مع اعترافكم بأنه من أكبر العلماء الطبيعيين المكتشفين . أفلم يكن علمه كافياً
 لان يعصمه من الانخداع اذا كان الوسطاء خادعين حقيقة؟

ج . ان العلم بشئ لا يستلزم العلم بكل شئ . فأكبر علماء الشرع لا يستلزم علمهم
 به أن يعلموا أيضاً أصول علم الهندسة أو اصول علم الطب أو اصول علم الكيمياء ، بل
 أن النابغين في علم من العلوم قد يمنعهم نبوغهم فيه من ادراك غيره ، حتى لقد ادّعى
 بعضهم ان النبوغ في أمر نوع من الجنون أو يلازمه شئ من البله في أمور أخرى .
 ونحن نبري . السر ولیم کروکس من ذلك ، ولكننا لا نبرئه من الانخداع ، فقد اعتقد
 ان الوسيلة مس كوك . على عام الصدق والاخلاص ، فوثق بها تمام الثقة ، واعتقد
 أيضاً أن الوسيط هوم من الصادقين واستعمله كثيراً كوسيط في مباحثه النفسية .
 لكن هوم هذا قال للمسيو فلانبرون الفالسيكي الشهير أن مس كوك دجاله وقد خدعت

السروليم كروكس . وهذا نص عبارة فلاريون في كتابه : الاخير المطبوع واحد
سنة ١٩١٧ : أو تغلب

(هنا أورد المقتطف عبارة كاميل فلاريون باللغة الفرنسية ثم أورد ترجمته لعل
بقوله)

أي قال المسيو هوم نفسه ان رأيه أن مس كوك خداعة ماهرة وقد خدعت
ذلك العلامة الشهير بدناوة

وقال فلاريون في مكان آخر من كتابه هذا :
(وهنا أورد المقتطف أيضا عبارة الاستاذ كاميل فلاريون باللغة الفرنسية ووضع
ترجمتها كما يأتي :)

« اى ان المشاهدات التي شاهدها مدة أكثر من أربعين سنة لم تثبت صحة شيء
بل اثبتت لى عكسه »

ونحن لم نر من المشاهدات قدر ما رأى فلاريون ولكننا رأينا منها (مدة أكثر
من أربعين سنة) ما أقنعنا بأن اعمال الوسطاء كلها من قبيل الشعوذة والخداع والانخداع
وقد يغالطها شيء من محفوظات العقل الباطن ينطق به الوسيط وهو لا يدري . وهي
سحيفة تافهة الى حد ان قلنا فيها مرارا ما قاله الشهير هيكللي وهو « اني افضل ان اكون
زبالا هنا على ان اموت وتأتي روحى الى وسيط فتتعلق بالسخافات التي تنطق بها الارواح
بلسان الوسطاء . المجاورين بجنيته كل جلسة »

وقد نقلنا الشواهد المتقدمة من مقالة لكاتب الكاثوليكي الشهير وليم . ليلي
W.S.Lilly نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر وهو يعتقد ان الارواح
تخضر احيانا في جلسات الهينوتزم ولكنها ليست ارواح الموتى كما تدعى بل ارواح
الشياطين . فخلصنا من ورطة ليرقمنا في شرمها ، والعقول مختلفات ، أما نحن فقد رأينا
الذين يصابون بالاستهواء يتكلمون بخفة روح كالخشايش في اول تحشيشهم
ويظهر لنا ان تنبه الفرقيين من قبيل واحد (انهي كلام المقتطف)

خمسین : نحن على مقالة المقتطف وجوابه على السؤال بهذه الرسالة وقد نشرت فيه
أدر في يوليو سنة ١٩١٩ :
قام

تجارب العلماء

على الوسطاء

أرى من متعلقات هذا المبحث ان آتي بكلمتين في بيان معنى المباحث النفسية
فقد غرض على القراء التفرقة بين معنى هذه الكلمة في مقالتي ومعناها في مقالة
المقتطف التي وضعها في صفحة ٥٤٤ عنوانا للمقالة التي اقتطفها من مجلة ناشر الامر يكية
فبقول :

كلمة *Psychisme* تطلق ويراد بها جميع المباحث المتعلقة بالنفس، فمنها مباحث
في المقناطيس الحيواني وأخرى للحالات المختلفة للاسواء وغيرها في التلبى، وهي
تأثير نفس الحى على نفس اخرى لمي آخر من بعد، ومنها مباحث في العقل الباطن،
ومنها مباحث في خواص الوساطة وما يحدث بسببها من الاتصال بالعالم الروحاني
ومخاطبة العوالم التي فيها، وظهور الخوارق للعادة بتأثيره. كل هذه الابحاث توصف
بكلمة (بيسيشيك) أي نفسية. فالفرع الذي بحث في جامعة كاليفورنيا هو المسمى
بالتلبى والعقل الباطن واسما نزل عليهما في مبحثنا في المقتطف لان المسلك اليهما
وعرءهما حديثا عهد بالظهور ولم تهذب وسائل التجربة فيهما بعد، ولكننا هنا نعمل
على الفرع المثبت للعالم الروحاني والاتصال بالاحياء التي فيه، والخوارق التي تحدثها
المعجزين. هذا هو الاصل في هذه المباحث وعليه المعول في اثبات العالم الروحاني
وقيام الروح مجردة عن المادة. فسواء استطاع اساتذة جامعة كاليفورنيا
ان يثبتوا التلبى التي اثبتها اساتذة جامعة كمبريدج الانجليزية (لديج وميرس وهودجسون)
او لم يستطيعوا فالعالم الروحاني مثبت بالتجربة بخواص الوساطة التي نتكلم عنها
هنا.

ولعل المقتطف يريد من قوله عن هذا المبحث : «إما قام به شخص واحد فوجب ان تكون نتيجته حسب هواه أو استعداده أو افتقاره السابق أو تغلب الوهم عليه، وإما قام به اثنان أو ثلاثة في يوم أو يومين أو أيام الخ » قلنا لعل المقتطف يريد بهذا القول مبحث التلبيث، أما مبحث خواص الوساطة والانصاف بالعالم الروحاني الذي نتكلم عنه هنا فلا ينطبق عليه هذا القول، فإن أول قرار علمي صدر في اثباته كان من لجنة الجمعية العلمية الانجليزية، وكانت مؤلفة من ثلاثين عالماً من أركان العلم المعمرى وقد استمروا في بحثها ثمانية عشر شهراً، وتقريرهم المفصل لدى رفوه مطبوع في مجلد ضخيم بالانجليزية والفرنسية ولغات أخرى. وقد تألفت في أمريكا وإنجلترا وفرنسا جمعيات للبحث تعتمد بالمئات تأتي على أبحاثها وعنوانات مجلاتها ان طالب مناذك. أشهر هذه الجمعيات جمعية المباحث النفسية التي تأسست في لوندرة سنة ١٨٨٢ الى منذ سبع وثلاثين سنة ولا تزال موجودة للآن وهي مؤلفة من اكبر علماء الانجليز ولها مجلة خاصة ولفروعها بفرنسا وأمريكا مجلات ايضا. يدير مجلة الفرع الفرنسي الاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي والدرس بالجامعة الطيبة بباريز.

فهذا الفرع بحثه الجماعات لا الافراد، ودام البحث فيه عشرات السنين لا يوماً ولا يومين، حتي صارت مشاهداته أقرب من مشاهدات علم الطبيعة، وعدد مجلاته اكثر من عدد المجلات الطيبة. منها مجلة (المغناطيس والعلوم النفسية) وهي تصدر منذ ٧٣ سنة و (المجلة الروحية) وعمرها ٦٢ سنة وغير ذلك مما لا تكفي في بسطة عشرات الصفحات.

ولست أختم هذا الفصل حتي انبه القارئ، الى تدليس احد رجال المذاهب والي فضيلة المقتطف، ذلك ان المقتطف في رده علي سؤال طالب علم صفحة ٥٩٧ أتى بعبارتين للعلامة (كاميل فلاماريون) نقلاً عن مقالة المستر (وليم لي) ظهر من ورائهما العلامة فلاماريون من اشد المنكرين للمباحث النفسية، وأى انكار بعد ان يقول جربت اكثر من اربعين سنة فثبت لي عكس ما يقال؟

قرأت هذا الكلام فدهشت لاني أعرف ان كاميل فلامريون يكتب في اثبات العالم الروحاني بالتجربة الي مايو الماضي . فتناولت كتابه الذي نقل منه القس وايم الي فلما لك نفسي من الضحك اذا وجدته فعل بكلام العالم الفلاسكي ما فعله بعض الرافضة بالقرآن الكريم في آتي « لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » « وويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » فأخذ المستر ولیم الي صدر كلام فلامريون وترك بقيته فجاء المعني مبانيا لما قصده المؤلف ومظهر آله بغير صورته الحقيقية واليك تكملة هاتين العبارتين :

جاء في عبارة العلامة فلامريون بعد قوله : « وقد خدعت ذلك العلامة الشهير » قوله « وانه هو وحده دانيال دو جلاس هوم الوسيط الوحيد الذي يمكن ان يوثق به ثقة مطلقة » ومن الغريب ان الاستاذ المؤلف وضع هذه الجملة الاخيرة بالخط الواسع ادلالا علي غاية الاستهزاء بالوسيط هوم . ثم قال عقب ذلك :

« والذي علم وشاهد منافسات الوسيط ، وهي لا تفترق عن منافسات الاطباء والمختارين والموسيقين والنساء ، لا يري لحديث المستر هوم هذا حقيقة ذاتية » انتهى فالاستاذ كاميل نقل قول هوم مستهزئا به لامتثالته .

وقد سلك (ولیم الي) هذا المسلك عينه في عبارته الثانية . وذلك ان (كاميل فلامريون) بعد ان مررد مشاهداته ومشاهدات غيره في كتابه (القوي الطبيعية المجهولة) ، أراد ان يجر لها تعليلا علميا ، فعرض جميع التعليقات ومنها التعليق القائل بأن هذه الخوارق من عمل ارواح الموتى فلم يقبل هذا التعليق (١) وقال انه في مدي بحثه أربعين سنة لم ير ما يؤيده مع اعتقاده صحة المشاهدات ورأى ان يمزوها اما لمجموع عقول المجهزين أولا رواج مجردة مجبولة الطبيعة .

ثم قال بعد ذلك في صفحة ٥٨٨

« ومع ذلك فان الفرض الروحاني يجب حفظه في مستوي الفروض السابقة

(١) (المقتطف) ان الفريضة في جوابنا وفي كلام المستر لي تفيد نفي فلامريون لمناجاة

أرواح الموتى لا غير

لان المجادلات لم تدحضه الي الآن » .

ثم زاد في هامش تلك الصفحة قوله :

« كانت تحت نظري حديثا مشاهدات تشهد لهذا الفرض (الروحاني) فالاولي والثانية من الاحدى عشرة مشاهدة يمكن ان تكون عرفت من القواميس والثالثة والخامسة من الجرائد (اي صرحت روح الوسيطة فترأت ذلك عند ماسئلت عنه في القواميس والجرائد) ولكن بالنسبة للسبع الاخرى نرى ان قبول صحة شخصية الروح هو احسن الفروض المفسرة لها » .

ومن المدهشات ان العلامة (فلامريون) الذي أظهره لنا المستر لي عظمه أشد المنكرين أنحي بأشد الاوم على الذين ينكرون صحة هذه التجارب بعد ان جازت كل أدوار الامتحانات فقال بعد تأييده للمنكرين :

« هذا التعليل الساذج الذي مؤداه ان كل ما في هذه الظواهره ليس قدع ضناه كثيرا في هذا الكتاب وجادلنا فيه ودحضناه وقد صار قرائي يعتبرونه فيا رجو محكما عليه حكما تاما مطلقا نهائيا ومطروحا خارج دائرة البحث » انتهى ولكن بقدر ما أضحكني تدليس المستر (وليم لي) اعجبني المقتطف في عزوه الكلام الي ناقله وتحميله تبعته، وهذا من النحفظ الذي يجب علي كل متكلم في العلم ان يتوخاه .

عود لموضوعنا الاول

أكتب هذا الفصل وبين يدي عشرات من مؤلفات العلماء وتقارير الجمعيات وكلها غاصة بالتجارب الروحية في كل ضرب من ضروب القوى النفسية فما علي الا ان اختار وان اختار التجارب اهل العلم الطيبين فهم اعلم بسلامة الدليل وطرق الامتحان وفي قلوبهم من الجلود الاحلادى ما يحملهم علي زيادة التدقيق، فكلمة واحدة من مثل ولیم کروکس أو اوليفر لودج أو سيدجنوبك تفوق في نظري مئة الف كلمة

من كلمات ستيد وساردو وفيكتور هوجو من كبار الكاتبين ونبغاء الشعراء من المصدقين بالاسبرتزم ، ولو كان الذي يشهد للاسبرتزم عالم أو عالمان لقلنا مجنون أو مجنونان ، ولكن عددهم أصبح يقدر بالالوف وفي كل أمة متمدة فلا يعقل أن الله والجنون يشمل هذا العدد العديد من رجاء العلم النابيين في مدى سبعين سنة

بعد أن نحقق أهل العلم أن ما يحدث من الخوارق في أثناء تجاربهم ليس بخصائلات عذوا الى النظر في القوة العاقلة التي تحدث هذه الظواهر وتدعي انها من سكان العالم الروحاني ، فقالوا ان لم تأتوا هذه القوة بدليل معنوي يمكن الركون اليه سهل تعليل حصول تلك الخوارق بتأثير روح الوسيط أو مجموع أرواح الحاضرين أو من عاقل آخر يبحث عنه .

لهذا اهم العلماء ككل الاهتمام بالمحصول العقلي لهذا التجارب فساءوا تلك الكائنات عن مسائل شتى في العلم والفلسفة والامور الغيبية ليتحققوا عما اذا كانت كانت الاجوبة التي تعطيا عنها يمكن تعليلها بأنها صادرة من عقل الوسيط أو عقل أحد الحاضرين نقلها من طريق قراءة الافكار (اون كانت قراءة الافكار من متعلقات العلم الروحاني أيضا) . فنتخار من ألوف التجارب التي بين أيدينا ثلاثا احدها موضوعها اجابة الروح علي مثة مسألة علمية من أعوص المسائل . والثانية حلول مسائل فلسفية والاخبار بوجود جرم سماوي قبل اكشافه بمانية عشر عاما . والثالثة أمام الروح لنصف رواية كان وضعها الكاتب الانجليزي الطائر الميت ديكينز ومات قبل أمامها فجارت روحه قائمتها امام أهله من الهجرين :

١ - اجابة علي مثة مسألة علمية

كتب العلامة ت ب باركس *Barkas* الجيولوجي الانجليزي العضو بالجمعية

الجولوجية في مجلة (اللايت) الانجليزية يقول :

«دعيت لحضور سلسلة من جلسات روحية تجريبية في بيت امرأة ليست من الوسيطات المأجورات، تربتها العلمية عادية، فالقيت عليها مسائل كنت أحضرها في أثناء التجربة، وكانت تعجب عليها كتابة في جلسات تستغرق الواحدة ثلاث ساعات. فدأبت على ذلك ٣٩ ليلة، فجاءت الاجوبة من السداد والقوة بحيث لا يوجد في انجلترا كلها فيما يرجح رجل واحد يستطيع أن يجيب اجابات بهذه الدقة في مثل هذه الاحوال على كل هذه المسائل»

وجاء في مجلة (سيكولوجيال ريفيو) الانجليزية ذكر عن هذه التجارب في الصفحة ٢١٥ من مجلدها الاول قالت:

«لا يجوز أن يغيب عنا أن الوسيطة تربتها عادية، وكانت محاطة برجال يراقبونها بيقظة، وكانت المسائل تحضر وقت انعقاد الجلسة وهي تعجب عنها كتابة بسرعة عظيمة كأنها ترتجلها ارتجالاً، ثم لا تعود بتصحيح بعض ما كتبت، وكانت هذه المسائل من علوم شتى لا تميل اليها النساء عادة. وبؤكد الذين عرفوها فوق ذلك انها لانتهى بالعلم ولم تقرأ في حياتها كتاباً علمياً واحداً»

رقال الوزير الروسي اكرا كوف في كتابه (الانيميسم والاسبرتسم) عن هذه التجربة في صفحة ٣٣:

«كان أكثر المسائل يحضرها الاستاذ باركس أثناء التجربة ولا يطلع عليها احدا من الحاضرين. وكانت الوسيطة تكتب الاجوبة عليها في الظلام وهي مثبته»
ثم سرد الوزير تعديداً من تلك المسائل وما اجابت به الروح عنها ونحن نختار سؤلين منها ليرى القراء مبلغ صعوبتها وهما:

(١) هل تستطيع أن تقول لي (يتخاطب الروح الذي يحرك يد الوسيطة) كيف يمكن حساب العلاقة التي تربط الذبذبات النوعية للهواء المتأخوذ بمجموع معين ونحت ضغط ثابت على حسب السرعة المعلومة للصوت أو السرعة المحددة بواسطة قاع عديمة نوتن؟

(٢) هل تستطيع أنت تفسر لي اصل الذبذبات الهوائية الناتجة من الانقسام

الناقصة ؟

هذان سؤالان من مئة ليس في بلادنا هذه واحد يجيب عنها ولا يوجد في انجلترا كلها، وهي مركز العلم والعلماء، واحد يستطيع أن يجيب عليها كما بدون تحضير فهل يعقل أن يجيب عنها امرأة تربتها العلمية عادية وأن تكتبها بسرعة البرق وفي الظلام وهي تحدث الحاضرين في أثناء اشتغال يدها بالكتابة ؟ قبل أن يسرع المنكرون الى تحليل هذا الامر انقرأ ما كتبه عنها باركس نفسه في مجلة (الاسبريتواليست) الانجليزية ونقله عنه الوزير اكزاكوف في كتابه فيما قاله :

« يوافقني كل انسان علي ان هذه الاجوبة المختلفة لا يعقل أن تصدر الامن انسان واسع الاطلاع جـ دأ علي أعرض الفروع المختلفة للعلم وقد اعطينا الوسيطة غير هذه الاجوبة المختصرة رسائل تامة علي الحرارة والغوص والفيزيولوجيا النباتية والكهرباء، والمغناطيس والنشربح ويمكن أن يقال أن كل واحدة من هذه الرسائل تشرف رجلا من رجال العلم ، وجميعها صدرت منها بدون تحضير وبلا اقل تردد

« والوسيطة طول مدة التجربة تكون في حالها العادية وتحدثنا ونهيئنا علي كل سؤال نوجه اليها في الامور العادية بلا تكلف ولم يبد أثر للعالم الخفي عليها الا في استيلائه علي يدها وتحريكها بارادته دون ارادتها.

« فاني اشهد بأنني قد وضعت بنفسني اكثر هذه الاسئلة ، وان الوسيطة لم تعرفها قبل ذلك بل لم يكن في جميع الحاضرين من يعرف عبارتها غيري . وقد كتبت اكثر هذه الاسئلة بدون تحضير عقلي، فكانت الوسيطة تجيب عنها تحت نظرنا وكان يستحيل عليها ان تستعد للاجابة عليها.

« واضيف الى هذا انها لم تأخذ بانفسا واحدا اجرة علي تلك الساعات التي سخرتها فيها وهي لا تقل عن مئة ساعة ضحتها بكل نزاهة لدرس الخاصة الجليلة التي لها في الوساطة ؟

انتهى

لما نشر الاستاذ بار كس تجاربه هذه عنيت بها جمعية المباحث النفسية واعتبرت
بعد نقدها من التجارب التي تستحق الاعتبار ودونها في مجموعتها.
وكتب الوزير اكزاكوف الي العلامة بار كس يسأله امورا ايضاحية فأجابه
بكتاب نقله من الانيميسم والاسبريسم تأليف الوزير المذكور صفحة ٣٣٨
قال بار كس :

« سيدى : تسألني عما اذا كنت انا نفسي استطيع ان اجيب علي الاسئلة
الطبيعية التي وجهتها الي الوسيطة بمثل الدقة التي اجابت بها عنها ثم تريدون ان نملوا
الوجه الذي نستند عليه في القول بأن هذه الاجوبة ليست نتيجة قراءة الافكار .
فأجيبكم بأن الاسئلة التي وجهتها الي الوسيطة في علم الطبيعة كنت استطيع ان اجيب
علي بعضها ولكن بأقل اتقان منها .

« وقد كانت الاجوبة التي اجابت بها الوسيطة علي وجه عام تفوق معارفي كثيرا
في ذلك الوقت (قبل ١٢ سنة) وهي لانزال ارقى من معارفي الحالية اذا طلب مني ان
اجيب عنها بدون تحضير .

« وفي هذه الاجوبة كثير من المصطلحات الفنية كان لا يدور بخلدني أن آتي
بها لعدم استعمالي لها ، ويوجد في تلك الاجوبة أيضا عبارات أجعلها كل الجبل كقولها
غشا . ادنيه Adnée فلم اصادف في هذه المدينة كلها (نيوكاسل اون تاين) غير طيب
يعرف معناها .

« واني استطيع ان او كذا لك بشرى اني لم اكن استطيع ان اجيب بمثل هذا التفصيل
علي جزء كبير من المسائل الطبيعية التي وجهتها الي الوسيطة بدون ان اطلع عليها احدا وكان
من بين المسائل عدة لا استطيع ان اجيب عنها ابدًا .

« وقد رجوت أحد اصدقائي ممن يتقنون علم الموسيقى ان يضع لي اسئلة فيها
فلفل ولم أحاول انا ان اتفهمها ، ثم وجهتها بعد ذلك لوسيطة فكتبت أجوبتها بدون
تردد . تلك الاجوبة التي قرأتوها وقرأها غيركم ولم يكن موسيقى واحد في تلك الجلسة

(يريد بذلك انها لم تقرأ الاجوبة في افكار أحد من المجرئين) وكانت معارف الوسيلة ذاتها ابتدائية في الموسيقى.

«وأني امرجد السرور اذا رأيت ولو حادثة محقة يجب فيها وسيط حساس من العوام غير منوّم، بالكتابة وبعبارات علمية صحيحة، على اجوبة موسيقية وعلمية بواسطة قراءة الافكار او بتأثير ارادة رجل عالم او موسيقي عليه.

«تسألوني ان ابين لكم المسائل التي كنت لا أستطيع انا ولا واحد من الحاضرين الاجابة عليها فأجيبكم بأنه في الجلسة الاولى التي كانت مخصصة للموسيقى لم يكن في الحاضرين واحد يستطيع الاجابة عنها بجواب معقول. ولم يكن منهم واحد يستطيع الاجابة على الاسئلة السكياوية والنشيرية والخاصة بالعين والاذن والدورة الدموية والمخ والمجموع العصبي ومواضيع كثيرة أخرى تتعلق بالعلوم الطبيعية الا ان المستر (بل) كان علي شيء من علم الكيمياء العلمية ولكنه ما كان يستطيع ان يبررها بعلمه بسهولة وكنت انا علي علم بمبادئ علم الطبيعة. واما بقية الحاضرين فكانوا من اعد الناس عن هذه المسائل

«تفضلوا بقبول... الخ»

التوقيع: ب. ت. باركس

وانا لا اتولي بيان قيمة هذه التجربة وقيمة الذي قام بها، فمن اراد التحليل فليحل بحركة غير ارادية ليد تعجب علي مئة سؤال من اعوص المسائل العلمية لا يوجد في انجلترا كلها من يجب عليها بدون تحضير فتكتبها بسرعة عظيمة في الظلام او في الور تحت اشرف الحاضرين بينما صاحبة تلك اليد تكلم المجرئين بدون تكلف كأن يدها لم تفعل شيئاً، ثم لا تأخذ على هذا اجرا ولا تريد ذكر اسمها ايضا.

نرجي، ذكر النجربتين الباقيتين للجزء المقبل ان شا. الله

...

رد المقتطف علينا

نشرنا في المقتطف هذه المقالة فرد علينا في جواب رد به على احمد سائليه من ذلك الجز، نفسه، ونحن نورده هنا ليطلع عليه القراء، ولم نشأ أن نناقشه فيه لانه مجرد شبه يمكن أن توجه الى كل بحث، وفي مجر، مع مقالاتنا الكفابة في ارالتها. اليك السؤال المذكور وجواب المقتطف

(٤) مناجاة الارواح

ومنه . ذكر محمد بك فريد وحدي في مقالاته (اثبات الروح بالمباحث النفسية) مقتطف ابريل أن قد بلغ هذا من العمر أكثر من سبعين سنة وهو يزاد وشوخا وتزداد مشاهداته وضوحا حتى أصبحت من الحقائق التي لا يصح الامترأؤها وقد تألفت لها في كل عواصم البلاد المتقدمة الجمعيات ومنها ما يعد عمرها بعشرات السنين الخ . ثم قال « وقد سئلت الارواح عن حجب ومستندات ضائعة فعيذت مواطنها وسئلت عن تفاصيل حوادث وفيات مجهولة فانبأت عنها وسئلت عن مقادير ديون فقدرتها وعيذت الدائنين وما لكل منهم بالضبط، واستخدمت في المحاورات بين امريكا وأوربا في أمور معجزة فقامت بما عهد اليها بأكثر وأضبط من التلغرافات وسئلت أسئلة فلكية غريبة فأعلنت بأمر لم تكشف الا بعد سنين عديدة . كل هذه الأمور مقررة بمحصة أكثر من تمحيص الأمور الفزيولوجية »

« فكيف نرى حتي اليوم في أرقى الممالك مدنية اموالا طائلة تصرف وعشرات الالوف من الناس تستخدم في اثبات القضايا والجرائم، وكيف يعاني اهل العلم بما هو في اكتشاف غوامض امرار الطبيعة وعند هذه الممالك ما يكفيها مؤنة البحث والجهد ولا يتكلفها غير استئجار الوسيط، فهل العالم في غفلة وسبات الى حد العدم حتي يهمل

(١٢ - اثبات الروح)

ذلك؟ وكيف يصدق ذلك محمد بك فريد مع سعة اطلاعه وغزيره علمه؟

ج ، ان ما ذكره فريد بك ترجيح انه لم ير شيئا منه بعينه، ولم يقع شيء منه في اختياره، بل قرأه في كتب القوم وعجالاتهم ، أما كونه موجودا في كتب القوم فلا شبهة فيه ولا شبهة أيضا في انه ان كان الذين يصدقونه يعدون بالمئات فالذين لا يصدقونه ولا يعملون به يعدون بالملايين، وهم لا يصدقونه لا كبرا ولا عندا ولا جهلاء بل امالانهم لم يعلموا به اولانهم علموا به ورأوا انه غير صحيح، وان الذين يصدقونه مفسوشون، وقد وقم لنا ان شاهدنا الذين يقرآن الافكار والذين يستنطقون الموائد والذين ينابون الارواح والذين يخبرون بالغيب والذين يكتبون بالبلنشت، وكان معنا اناس رأوا ذلك معنا واعتقدوا صحته، وبعضهم علماء، وبعضهم اطباء، واما نحن فلم نرفيه شيئا بخارقا للعادة مطلقا. رأينا مع جمع كبير في اول شهر دسمبر كمبرلند يقرآن الافكار ويكتب بالمرية وهو لا يعرف حرفا منها. كتب اما واضحا اضمره احد الحضور وكنا قد فسرنا كيفية عمله لما قابل الخديوى توفيق واسم صورة قبل الخديوى قد اضمر صورته، ثم لما رأيناه في اول شهر دسمبر هو كيفية عمله فاذا هي كالمفسرنا نحن كانوا في مقتطف فبراير ١٨٩٣. وقد فسرنا اعمالا اخرى للذين شاهدوها معنا فلما رأوها ثانية زالت غرايتها من نفوسهم. وقرأنا بالامس مقالة لـ كاتب الروحي الشهير المستر سنوت ذكر فيها انباء بعض الوسطاء بعدد الجوهر في عناصر الاجسام، ذكر ذلك معجبا به غاية الاعجاب، مع ان بعضه غير صحيح والبعض الآخر مبهم ويستطيع كل من قرأ اصول الكيمياء وما يظنه الكيمائيون من وضع الجواهر في العناصر ان يقول به كما قال الوسيط كأن الوسيط اطلع على كتب الكيمائيين التي فيها آراؤهم في تأليف الجواهر موضحة بالرسوم فرسخت تلك الرسوم في ذهنه وذكرها وهوائهم كما يذكر من يحلم حلما ما هو راسخ في ذهنه. والعلماء الطبيعيون في أوروبا وأميركا يعدون بعشرات الالوف فلا عجب اذا اتخذ مئة او مئتان منهم لاسيما وان العلماء من ابسط الناس في الغالب، واقامهم مقدرة على كشف الخداع. وهذا غير خاص بعلماء أوروبا وأميركا ولا بعلماء هذا العصر بل هو شائع في كل العصور حتى جاء المثل

العربي القائل « العالم مطية الجاهل » ، والذي يقرأ كتب المعتندين بمناجاة الارواح ولا يقرأ الردود عليها يتعذر عليها ان لا يصدقها، ولا سيما اذا لم يشاهد حوادثها بنفسه ومعه واحد يفسرها له ، وفلامريوت من أشهر الباحثين في هذه المواضيع ويظهر لنا مما استشهد المستر لي من كتابه الاخير انه لا يرال يعتقد بوجود ارواح تؤثر في الاحياء. ولكنها ليست ارواح الموتى والمستر لي يعتقد انها ارواح الشياطين . ونظن انه لو رأى محمد بك فريد وهدى الوسطاء وسمع أقوالهم وكان معه واحد يشير الى مواقع الخال فيها لعدل عن رأيه فيهم.

...

تجارب العلماء

علي الوسطاء

نشرناها بالمقتطف في ٥ أغسطس سنة ١٩١٩

قلنا في الجزء الماضي من المقتطف ان العلماء اهتموا بعد اثبات صحة المشاهدات الروحية بالبحث في الدرجة العقلية لتلك الموامل الخفية، واخترنا من الوف التجارب التي قاموا بها ثلاثا اثبتنا على واحدة منها ووعدنا بايراد الاثنين الباقيتين في مقتطف هذا الشهر فنوفي بما وعدنا فنقول:

قال الوزير الردي (اكراكوف) في كتابه (الانيميسم والاسبريتسم) في صفحة ٣٤١ ما يأتي :

نشر الماجور جنرال (ا . و . دريزون) الانجليزي في مجلة (اللات) اسنة ١٨٨٤ صفحة ٤٩٩ تحت عنوان (حل مسائل علمية بواسطة الارواح) ما يأتي :

« اجابة لما طلبة الى المسترجرك ستوك من إخباره عما اذا كنت استطيع ان اوفيه ولو بمثل واحد عن حل الروح أو العامل الذي يدعي انه روح لمثلة من تلك

المسائل التي حيرت ألباب العلماء في القرن الماضي أتشرف بأن ارسل لكم المشاهدة الآتية التي شاهدتها بعيني رأسي:

«اكتشف وليم هرشل في سنة ١٧٨١ الكوكب اورانوس وتوابعه ولاحظ ان هذه التوابع على خلاف جميع توابع النظام الشمسي تقطع مداراتها من الشرق الى الغرب . فقال ج. ف هرشل في رسالته الفلكية ان لمدارات هذه التوابع خصوصيات شاذة تناقض النواميس العامة التي تحكم اجرام المجموعة الشمسية . وذلك أن مستوي هذه المدارات يكاد يكون عموديا على سمت الشمس فهو يكوّن معه زاوية ٥٨ و ٧٠ درجة وأنها تجري في حركة قمرية أي أن دورانها حول مركز كوكبها يحصل من المشرق الى المغرب بدل أن يكون على العكس .

«ولما نشر لابلان نظريته هذه وهي أن الشمس وجميع الكواكب تكونت من مادة سديمية كان أمر تكون التوابع في نظره من المساتير ،

«وذكر الاميرال سميث في كتابه (الحوادث السماوية) أن حركة هذه التوابع قمرية على خلاف جميع الاجرام السماوية التي شوهدت الى ذلك الحين فكان هذا موضع دهش جميع الفلكيين .

«ونشر في (الجالوري أوف ناتشر) مثل ذلك وهو أن توابع أورانوس تدور من المشرق الى المغرب وهو شذوذ غريب لا نظير له في المجموعة الشمسية

«وقد اشتملت جميع الكتب الفلكية التي نشرت قبل سنة ١٨٦٠ على هذا الموضوع فيما يختص بتوابع أورانوس .

«أما أنا فكنت لا أجد تفسيراً ما لهذا الشذوذ وكان الامر في نظري من المساتير كما كان في نظر جميع المؤلفين الذين ذكرتهم .

«في سنة ١٨٥٨ نزلت في ضيافتي امرأة حاصلة على خاصة الوساطة فألتفت لاجلسات يومية لتجارب الروحية

«في ذات ليلة أخبرني بأنها تري بجاني شخصا من عالم الارواح يزعم انه كان فلكيا في حياته الارضية .

«فسألت روح: عما اذا كانت الآن وهي في عالمها اكدت علما بالغالك مما كانت عليه وهي في حياتها الارضية ؟ فأجابني بأنها صارت الآن اعلم مما كانت عليه كثيراً. فخطر ليالي ان اوجه الي هذا المدعي بأنه روح سؤالاً اخبر به علمه فقلت له: تستطيع أن تقول لي لماذا تدور توابع اورانوس من المشرق الى المغرب لامن المغرب الى المشرق ؟

فأجابني على الفور بما يأتي :

ان توابع اورانوس لا تجري في مداراتها من المشرق الى المغرب بل من المغرب الى المشرق على ذات الانحاء الذي يجري عليه القمر في دورته حول الارض. وإنما نشأ خطأكم من أن القطب الجنوبي لاورانوس كان مواجهاً للارض في الوقت الذي اكتشف فيه هذا الكوكب . ولو نظرتم الى الشمس من نصفها الجنوبي ظهرت لكم دائرة من اليمين الى اليسار لا من اليسار الى اليمين . وتوابع اورانوس أيضاً تتحرك من الشمال الى اليمين وهذا لا يعني أنها تجري في مدارها من المشرق الى المغرب .

فسألته سؤالاً آخر في هذا الصدد فأجابني بما يلي :

«مادم القطب الجنوبي لاورانوس متوجهاً نحو الارض بالنسبة لراصد ارضي فان توابعه تظهر انها تتحرك من الشمال الى اليمين . فيستنتج من ذلك خطأ بانها تجري من الشرق الى الغرب . وقد بقيت هذه الحالة نحو اثنتين واربعين سنة ، ولما اتجه القطب الشمالي لاورانوس نحو الارض فان توابعه رؤيت جارية من المغرب الى المشرق . فسألته كيف حدث ان هذا الخطأ لم يعرف في مدى اثنتين واربعين سنة بعد

اكتشاف الكوكب اورانوس بواسطة ولهم هرشل ؟

فأجابني بما يأتي ذلك لان الناس من عادتهم ان يرددوا ما يقولونه أئمتهم وقراهم في اعظامهم امر الثمرات التي حصل عليها اسلافهم لا يكلفون انفسهم عناء التفكير والروية فيها.

قال الماجور جنرال دريزون عقب ذلك : فاخذت مستمدياً بهذا التعليم في

حل المسئلة هندسيا فرأيت ان تفسيرها في منتهى درجات الاحكام ، وان حلها غاية في السهولة ، فلم يسعني الا كتابة رسالة علي هذه المسئلة في مذكرات الجمعية الملكية المدفعية في سنة ١٨٥٩ .

« وفي سنة ١٨٦٢ فسرت أمر هذا السر المزعوم في كتاب فلاسكي صغير دعوته (نظرة في السموات) ولكن تأثير رأى الأئمة كان شديدا حتي انه لم يبدأ اعتراف المشتغلين بعلم الفلك بأن حركة توابع اورانوس منسوبة لموضع محرر هذا الكوكب الا في ايامنا هذه .

« وفي ربيع سنة ١٨٥٩ لاحت لي فرصة بحضرة الوسيطة المذكورة لمحادثة الروح التي ادعت انها روح فلاسكي فسألناها عما اذا كانت تستطيع ان ترشدني الي حادث فلاسكي آخر لا يزال مجهولا عند البشر . وكنت اذ ذاك املك منظارا مقاس عدسته أربعة بوصات ومسافته البؤرية خمس اقدام . فأخبرتني بأن كوكب المريخ تابعين لم يرهما أحد من اهل الارض الآن . وقالت لي بأنني أستطيع ان اراها في شرط صالحة لرؤيتهما . فانتهزت اول فرصة لاحت لي لرصد ما أخبرتني عنه فلم اجد شيئا . فأخبرت بهذا النبأ ثلاثة أو أربعة من اصحابي . كنت اجرب معهم في الامور الروحية وقررنا ان لانكلم أحدا بما أخبرتنا به لاننا لانملك أى دليل علي صحته . وذلك كان منا تفاديا من التعرض للاستهزاء العام .

« ولما كنت في اثنا اقلتي بالهند فالتحت بذلك المستر سينت واسكني لاستطيع ان أعين في ذلك ، فحدث انه بعد ذلك التاريخ بمائتي عشرة سنة أى في سنة ١٨٧٧ اكتشف هذين التابعين للمريخ فلاسكي في وشيجتون » . انتهى

هذه هي التجربة الثانية من التجارب الثلاث التي وعدنا بإبرادها لا يمكن ان تعال الا بشيء واحد وهو ان الوسيطة كانت أعلم بالفلك من جميع علماء زمانها فادعت للعالم الفلاسكي الجنرال دريزون بأنها نهب عن روح فلاسكي ميت وهي في الواقع لا تعتبر الا عن رأيها الخاص . ولكن ما فائدة هذه الوسيطة من نكران ذاتها الى هذا الحد وهي لو نشرت مقالاته للجنرال باسمها لخلدت ذكرها في تاريخ العلم ؟ وناهيك بمن

يعدل رأي مثل الامامين الفلاسكبين هرشل ولا بلاس ويمت يكتشف المربخ
تابين جـ ديدين لم برهما احد من العلماء من يوم خلق الله علم الفلك الى سنة
١٨٥٩ .

اليك التجربة الثالثة :

مات الكاتب الانجليزي العاثر الصيت (شارل ديكنز) عن رواية
من افضل رواياته اسمها (امرار إدوين درود) كتب نصفها ونشره في مجلد
وفي نصفها الآخر حسرة في قلوب طلاب الآداب ، فاتفق ان جمعية في مدينة
براندبورغ بأمرىكا كانت تجرب مع وسيط شاب صناعته عامل عند بعض الميكانيكيين
فحضرت روح ادعت انها روح (شارل ديكنز) الانجليزي وانها تريد ان تكل الرواية
التي تركتها ناقصة . فوسع تلك الجمعية الا اعلان ذلك وخرّب له موعدا ١٥ نوفمبر
فاهتم بذلك المستطاعون واوفدت جريدة (دى سبر نجفيلد دلي يونيون) مندوبا
من قبلها ليحضر التجربة فكتب عنها فيها ثمانية أعمدة ونحن هنا نقل بعض ما كتبه
مجلة الاسبر بواليسست الانجليزية عنها نقلا من كتاب الوزير الروسي اكزاكوف من
صفحة ٣٢٦ الى ٣٣٢ قالت المجلة :

«حوالي آخر اكتوبر من سنة ١٨٧٢ أمسك الوسيط المتقدم ذكره القلم وكتب
بغير ارادته رجاء بتوقيع روح المستر (شارل ديكنز) بأن تعين الجمعية لها جلسة خاصة
في ١٥ نوفمبر لتعمل فيها على امام الرواية آنفة الذكر قائلة أنها بحثت طويلا بلوغ هذا
الغرض فلم تجد وسيطا مناسبيا لهذا العمل غير هذا الوسيط، وشغعت هذا القول برجاء
الوسيط نفسه أن يخصص لهذا المشروع كل أوقات فراغه ،

« قبل الوسيط هذا التكليف فكانت الروح تستولي على يده وتكتب مصحفا
عديدة كل يوم أمام المجرىين حتى كتبت من نوفمبر الى يوليو ١٢٠٠ صفحة طبعت في مجلد
يحتوى على أربع مئة صفحة

« واليك ما كتبه من دُوب جريدة (السهر نجفيلد ديلي يونيون) في ذلك

العدد :

« نحن هنا بمحضرة جمعية مؤلفة من أشخاص لسكل منهم مبرة خاصة وهم يؤدون وظائفهم الى النهاية . وما أشد هذا علي من لم يكتب في حياته ثلاث صفحات في أي موضوع كان (يزيد أن الوسيط كان عاميا وأن المراقبة عليه كانت صارمة) . اما نحن فقد دهشنا عند كتابة أول فصل اذ نتحققنا أنه يشبه النصف المطبوع من الرواية من كل وجه . وقد بدأت كتابته من الجهة التي ترك الكاتب روايته فيها بالضبط . وقد انسبك الكلامان معا بحيث أن امهر النقدة لم يستطيعوا أن يعينوا الحد الفاصل بين الكلام الذي كتبه ديكنز في حياته وبين الكلام الذي كتبه روحه بعد وفاته . فكل شخص من أشخاص روايته استمر في النصف الاخير منها علي ما كان عليه من الحياة والصفات والاحوال . وليس هذا كل ما في الامر فقد جدت أشخاص أخرى (وكان ذلك دأب ديكنز لا يزال ينشئ أشخاصا جدد حتي في آخر أدوار رواياته) لم تكن صورة منقولة من الأشخاص الذين تقدم ذكرهم في النصف الاول من الرواية ولم يكونوا هياكل جامدة ولكن كانوا أشخاصا ذوي حياة ومبتدعات حقيقية . فمن الذي ابتدعها ؟

« ثم اليك تفصيلات ذات فائدة عظيمة جدا فاني بحثي في المسودات وجدت كلمة سائح Traveller مكتوبة في كل موضوع بلامين كما هي العادة عند الانجليز في إنجلترا بخلافها عندنا في أمريكا فلا تكتب الا بلام واحدة وكلمة Coal فحتم كتبت في كل موضوع باضافة حرف S عليها كما هي العادة عند الانجليز دون الامر بكان ، ومن المفيد أيضا أن ننبه علي أن الحروف الكبيرة التي تكتب في أوائل الاعلام كانت في المسودات حافظة للميزات التي كانت لها نظائرها في خط ديكنز وهو سخي . ومن المدهشات أيضا الاعلام بشكل مدينة لوندرة كما دلت عليه الروح في موالطن عديدة من الرواية . وكانت في المسودات أيضا تعبيرات مستعملة جدا بانجلترا ومحبولة تماما بأمريكا . وأنه أيضا بالتحول الفجائي في الافعال من الزمن

الماضي الى الزمن الحالي وخصوصاً في سياق حديث حى . هذا التحول بعينه كان يمكن
وروده في كتابات ديكنز وخصوصاً في مؤلفاته الاخيرة . هذه الخصائص وما يمكن
اضافتها اليها ايضاً ذات قيمة قليلة ولكن مثل هذه الفروق النافذة يمكن أن تخبئ كل
محاولة للتدليس .

وختم المندوب كلامه بقوله :

« وصلت الى مدينة برانلبوروغ وانا معتقد ان هذا الامر ان يكون الا كقراءة
صابون يسهل فقهاها . ولكنني بعد يومين صرفتهما في الامتحان المندوق اعترف بأني
عدت وانا حائر . ولقد كنت انكر اولاً باعتبار انه مستحيل — كما كان يفعل ذلك
كل انسان بعد الاختبار — ان تكون هذه المسودة كتبت بيد الوسيط الشاب . ولقد
قال لي بأنه لم يقرأ قط الجزء الاول من هذه الرواية . هذا امر قليل القيمة في نظري
لأنني مقتنع كل الاقتناع بأنه ليس باهل لانه يكتب صفحة واحدة من المجلد الثاني
لهذه الرواية . لا اقول ذلك لاجل اهانته لان كثيراً من الناس ليسوا باهل لتكيل عمل
تركه ديكنز ناقصاً .

« فانا الآن متردد بين امرين : فاما ان افرض ان رجلاً عبقرياً يستخدم الوسيط
ليقدم بواسطته لجمهور عملاً خارقاً للعادة بوسيلة خارقة للعادة كذلك ، وبين مايقوله
ذلك العامل الخفي من ان روح ديكنز هي التي كتبتة بنفسها . الفرض الثاني ليس
بأعجب من الفرض الاول . فاذا كان يوجد في مقاطعة فرمون رجل مجهول للآن يصلح
لان يكتب مثل ديكنز فليس له من علة معقولة لان يعود الى مثل هذه الحيلة . وإذا
كان ديكنز نفسه هو الذى يتكلم بعد موته فما اعجب هذا الامر .

« واني لاشهد بشرفي بأني اعطيت كل الحرية لاختبار كل شيء فلم أجده أقل
أثر للتدليس . ولو كان لي الحق في نشر اسم الوسيط (وقد طالب ان لا ينشر اسمه)
لكان ذلك وحده كافياً لازالة كل ظن يعتري من لم يعرفه

« وقد كانت كتابة الوسيط تسرع أحياناً حتي تتعذر قراءتها . وكانت التجربة
تبدأ في كل مرة في الساعة السادسة صباحاً او في منتصف الساعة الثامنة مساءً وكان

نور النهار يمتلي الى تلك الساعة في ذلك الفصل . ولكن اذا اظلمت الحجرة بعد ذلك كان ذلك لا يطل الوسيط لي يستمر في كتابته كأنه في نور ساطع .

« وكان الوسيط يقف في غيبوبة عند استيلاء الروح على يده ويخبر بعد يقظته بأنه كان يرى روح ديكنز جالسة بجانبه وهي في حالة تأمل عميق . واحيانا كانت تنظر اليه نظرات انجاثية يفرق منها ، وكان ذلك يحدث للوسيط كأنه في حلم ، وكان متى أرادت روح ديكنز ان تلمن الوسيط بانتها ، الجلطة تضع يدها الثقيلة الباردة على يده . فكان الوسيط يفزع عند ذلك ويصيح وتخرجه تلك الملامسة من النشي الذي هو فيه . وكانت احيانا يشعر بعد انهما التجربة بألم في صدره يستمر طويلا ، انتهى

ونقات مجلة الامبريتوالست الانجليزية عقب ابرادها هذه الحادثة قول المستر هاريسون الاخصائي المشهور في هذه المسائل وهو :

« من الصعب النسايم بأن العبقرية والصناعة المتعاليةين في هذه السكتاتبات والاقنين تشبهان من كل وجه عبقرية وصناعة شارل ديكنز تدفعان صاحبهما معها كان شأنه ان يقدم نفسه للعالم على حالة امهر المدلسين » .

نقول هذه ثلاث تجارب اختبرتها من الوف امثالها ليست باقل قيمة منها عجز اكبر النقاد الاوربيين عن تعاليلها بعالم طبيعية فلنكتف بها الآن ولننظر في المقالة المقبلة الى اى حد وصلت خاصة الوساطة عند بعض الوسطاء وفي استعالة تفسير احوالهم بالتدليس ومنهم علماء من الطراز الاول وكتاب وشعرا من الطبقة العالمية ونساء اميرات من بيوت الملك وزوجات وزراء وعلماء ومثل هؤلاء يستحيل في حقهم العمل لخدع الناس :

وقد سئل فاضل المقتطف اذا لا تعتمد الحكومات على الوسطاء في اثبات الجرائم وكشف الغمواض . فنجيب حضرته متوسلين بذكره اسمنا في سؤاله بأن هذا العلم لا يزال يجاهد لاثبات وجوده ولا يزال خصومه الذين لم يدرسوه يبدلون كل وسعهم لطمس معالمه وذلك سرور بهجة انه يهدم اساس المذهب المادى ويعنى

على آثاره . والمذهب المادى في نظرهم ثمرة العلم الذى ليس وراءه شيء ولا بعده معلم . وقد ثبت بشهادة التاريخ انه ليس أشد على الانسان من تعبد بدمدر كانه اثنى شب عليها وتعديل مقررانه التي أنس اليها . وقد ظهر فيه هذا الخلق بأشد حالاته في القرن التاسع عشر حيث بلغت دولة المسادة اوج عظمتها وغاية اجهتها . ولولا ان المباحث النفسية تجري على نفس القاعدتين اللتين اتخذهما المذهب المادى اساسين لاسلوبه وهما المشاهدة والتجربة لماسات هذه المباحث وليدة ولما قاومت العوامل الداحضة لها سبعين يوما لاكثر من سبعين سنة ولخجل ان يلفظ بها الحورذى الاوربي بله الالوف من اقطاب العلم الذين نذكر بعضهم في كتاباتنا عنها . ففني انتهى هذا الدور دور النزاع الشديد الذى يسبق عادة ميلاد الحقائق الكبرى تلاء دور الاستفادة والانتفاع . ولا يدري الا الله مبلغ ما ستمكسه على الانسان هذه الفتوحات من النور الالهى وغاية ما تصل به اليه من المدرجات العالية المناسبة لمقامه الكريم من هذه الخليفة « سـ أريكم آياتي فلا تستعجلون » .

تعليق للمقتطف

(لما نشر المقتطف هذه المقالة علق عليها بما يأتي)

(المقتطف) انا ناسف لان وجدى بك لم ينصف الذين لم يروا حتى الآن ما يقنعهم ان ارواح الموتى تعجل الاحياء وتناجيهم بالوسطاء قائمهم بانهم يفعلون ذلك لانهم ماديون . فكاتب هذه السطور مثلا ليس ماديا اى لا ينكر وجود الروح بل لو اراد ان ينكر واحدا من الاثنين الروح او المادة لرأى انكار المادة اسهل من انكار الروح لان الذى يشعر به العقل ليس المادة نفسها بل التأثير الواصل منها الى الدماغ والدماغ اشعر بمثل ذلك ولو لم تكن المادة امامه . وان لم تكن مخطئين فالعلامة فلايمريون الذى قضى اربعين سنة يمتحن ويحرب اقتنع ان قوة روحية تفعل بعض

ما ينسب اليها ولكنها ليست ارواح الموتى فكيف لم يقنعه ما نقله الآن وجدى بك
بان مفسر حركة اقدار اورانوس ومكتشف قرين المريخ هو روح فلنكي مشهور .
ومتهم رواية دكنز هو روح نفسه . افلامريون لا يصدق ما قاله الوزير الرومي في
مسألة فلكية من اختصاصه ومسألة انشائية من اختصاصه ايضا ولماذا؟ هذا سؤال نظرحه
علي حضرة وجدى بك :

تعليقات على ملاحظات

نشرنا هذه المقالة بالمقتطف في شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ وفيها ملاحظات علي تعليقه
المتقدم.

ذيل المقتطف الزاهر مقالتنا الخامسة المنشورة في جريته الماضي بكلمات ختمة
بسؤال وجهه اليها لتعجب عنه . وانا نرى ان في مناقشة تلك الكلمات والاجابة عن
ذلك السؤال اكبر فائدة للبحث الذي نحن بسبيله فليعذرنا حضرات القراء اذا استوعبت
هذه المقالة تلك المناقشة وارجأنا متابعة البحث الاصلي للاجزاء المقبلة فان المقتطف
مباحث اخري يطالب باستيفائها فلا تسمع صحفته من هذا البحث لاكثر مما نورد
اليوم .

تعقيب المقتطف على مقالتنا يشمل قضيتين ؟

(الاولي) لومه ايانا علي اتهمنا من لا يصدق التجارب الروحية بالاخلاص الى المذهب
المادي .

(والثانية) سؤاله ايانا عن وجه عدم اعتداد كاميل فلامريون الذي بحث هذه
الظواهر اربعين سنة باجابة روح الفلنكي عن المعاضل الفلكية واتمام دكنز لروايته
التيافصة وكلا الامرين من اختصاصه .

(رأينا في القضية الاولى)

المكذبون للتجارب الروحية ثلاث طوائف وهم الدينيون والماديون وبعض الفلاسفة والاعتقاديين.

فالدينيون يعتقدون وجود الروح من طريق الوحي، وكتبهم شعونة بظهور ارواح الانبياء والصالحين في كل مكان وكل زمان، ولكنهم يطنون على التجارب الروحية الحديثة من جهة اعتبارات مذهبية، ويدعون أن تلك الارواح المزعومة هي من أخبث الشياطين جاءت لتضليل الناس.

وأما الماديون فيكذبون تلك التجارب جملة وتفصيلا ويدعون ان اخوانهم الباسخين فيها قد وقعوا في شباك التديس، وتردوا في الفخاخ التي نصبها لهم المشعوذون. هكذا كان يقول ولیم کروکس وأوليفر لودج وكاميل فلامريون وشارل ريشيه وسيزار لومبروزو وغيرهم. فلما صنعت لهم فرص للتجارب ورأوا صحة ما كانوا يكذبونه بالامس واعانوا ذلك بشجاعة أدبية يحمدون عليها، ضحك منهم المتخلفون وزعموا أنهم وقعوا في فخاخ المشعوذين كما وقع من قبلهم. وما زال الامر يجرى على هذا الموال، منذ اكثر من سبعين سنة حتي بلغ عدد العلماء الذين جربوا الظواهر النفسية وصدقوها حداً فاق ما لكل فرع من فروع العلم فجازوا حدود المثلث الى الالوف في جميع انحاء المعمور، ووصل عدد من نماحوهم من الشعراء والكتاب والاطباء والمحامين والمهندسين والسياسيين الى بضعة ملايين وصار لهم صحافة واسعة النطاق وجمعيات تعد بالمئات. ونقلت المجلة العلمية الاخلاقية للاسبرتزم التي يديرها المهندس (جبريل دولان) في جزئها الصادر في شهر يونيو الماضي عن جريدة الاكسليسيور ان الكاتب الانجليزي الكبير (كونان دويل) أعلن اعتقاده بهذا المذهب، وعقبت تلك المجلة على ذلك بقولها أن هذه المباحث قد انتشرت في انجلترا انتشارا عظيما حتي لا تصادف مجمعا أو ناديا أو ملهى الا وجدت الماحتمين فيها يتجادلون فيها أطراف الحديث. وقد انتشرت أيضا في أمريكا

علي هذا النحو . مثل هذه الجماهير من كبار المتمدنين لا يعقل ان يعمهم الانخداع عشرات من السنين ، وان عقل انخداع الافراد فلا يعقل انخداع الجمعيات الكثيرة التي الفت لهذه المباحث خاصة ومبريت عليها فيها الاساليب العلمية العملية .

وقد أحسن العلامة كامبل فلامريون حيث قال في مقدمة كتابه (القوى الطبيعية المجهولة) صحيفة ٥ :

«كلما فكرت في هذا الامر عراني الدهش من ان معظم الناس لا يزالون يجهلون هذه الحوادث جهلا مطبقا مع انها عرفت ودرست وقد رت وسجلات من منذ زمن ليس بقصير بفضل جهيم الذين تتبعوا بنزاهة اتجاه هذا النور الجديد» .

واما الاعتقاديون من اهل العلم والفلسفة فقد اعتبروا الفروق العظيمة بين الحياة الانسانية وحياة الاحياء الاخرى فحكموا بوجود روح انسانية من طريق الظن والترجيح ولم يمل كلام طويل في هذا الباب سقط كله امام شبهات الماديين حتى خفت صوته في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فانتشر الاتحاد في أوروبا انتشارا مريعا . وجاءت مذاهب النشوء والارتقاء واخصها مذهب دارون فوصلت بين حقائق الاحياء وحشرت بالانسان في رتبة الحيوانات الثديية ، ولم تمنحه الا هذه المزية وهي انه ارقى انواع هذه الرتبة . واقتدح علماء الفزيولوجيا أفكارهم ليبدوا فارقا بين الانسان والحيوان من جهة العواطف الغالبية والميول النفسية والقوى الادبية والعقلية فلم يعثروا على شيء من ذلك الا في الكم دون الكيف . الا ان العلامة دو كاز فارج الفرنسي زعم انه اهتدى الي فارق بين الانسان والحيوان وهو عاطفة التدب فادعي انها هي الوصف المميز لهذا الكائن الذي يزعم غرورا انه ملك الكون . فلم ينتشر رأيه هذا حتى سلقه اخوانه الفزيولوجيون بالسنة . سداد وعجبوا منه كيف يجرأ علي هذا القول وهو يرى ان الحيوان لا يتجرد من عاطفة الخضوع والخشوع والاستسلام وهي اساسي العاطفة الدينية بمعناها العام . قال كلب الذي يتخاشم ويتخاضع امام سيد

وبسبب هذه التحريك ذنبه ليعطف عليه ويرضى عنه اذا آتس منه الغضب لا يفترق عن الانسان في تخاضعه وتخاضعه عند مجامع زحجرة الرعد وهزم العواصف أو وهو متأثر بطالب مغنم أو دفع مغرم لقوة خفية يظن أن يدها نصرب هذه الشؤون الكبرى . فمعاطفة التدين موجودة كما ترى في الحيوانات العليا ولكن علي قدر قواها العقلية . فليس للانسان أدني ميزة علي الحيوان من هذه الوجهة أيضا . وقد أفرد هذا الموضوع بالتأليف .

نعم عدت مذاهب النشوء والارتقاء علي عقيدة الروح وان كان دارون نفسه تظاهر بالايان . ولكن لم يفت هذا التناقض كبار أنصاره من معاصريه فزعم بعضهم أنه تصنع التسامح امام العقائد ليصد حملات الدينين عليه وعلى مذهبه . ومن يظن منهم اخلاصه في ايمانه رماه بالعجز عن استقصاء كل النتائج التي يؤدي اليها رأيه في النشوء والارتقاء .

فأين ذهبت زخارف الاعتقاديين من الفلاسفة في امر الروح امام هذا السيل الجارف من الملاحظات العلمية والملاحظات الفزيولوجية وما تخللها من الحملات القوية علي العقائد والموروثات ؟ آوت الي بعض الرؤوس ومن بينها رؤوس كبيرة وجدوا في انفسهم من الجرأة مادفعهم الي الجهر بعقائدهم ، فهز انصار النحول رؤسهم متضاحكين ، وقالوا هذا مصداق لنا موس الوراثة الذي نعول عليه في نقل الصفات المكتسبة . فان عقيدة اكتسبها الانسان منذ الوف السنين لا يمكن ان تزول في أعوام معدودة ، فلا بد من مرور اجيال لتحل محلها المورثات الجديدة .

علي ان الباقين من هؤلاء الفلاسفة الاعتقاديين لا يعبأ بعقيدتهم في الروح الا من الوجهة الفلسفية الكلامية ، فهم لا يعملون علي استشرافها ولا يأبهون بالباحثين المحررين فيها . وكثير منهم ينتقد هذه التجارب ويدحضها ولم يكلفوا انفسهم عمل تجربة واحدة ، متأثرين بنفس الاصول المادية التي تغلبت علي رجال العلم في القرن الماضي . وسيرتها في ابطال هذه الحوادث منقولة عن سيرة الماديين انفسهم الذين هم

يزعمون ان ايس وراء المادة مرمي . والا فان الرجل اذا اعتقد فلسفياً أن المادة مجهولة الاصل وانها قد تتحلل وتستحيل الى قوة، وان ممكنات الكون غير محصورة وان حواسنا الحس من انقصور والضوئية بحيث لا نصلنا من الوجود الا باغلاظ جهاته، وان العقل قد لا يكون صفة من صفات المادة، ولا يمكن متزلا من عالم أرق منها، وأن علومنا الارضية على جلاتها لا تساوى قطرة من بحر العلم المطلق — ان رجلا يعتقد مثل هذه الاصول من الوجهة الفلسفية لا يتحفز لتكذيب كل بحث جديد، ولا يتعجل في البت بنقض كل نظرية بدون امتحان مدقق، ولا يتهم ألوف العلماء وملايين من الازكياء، فيما يدعون انهم شاهدوا أمورا على الاسلوب العلمى الدقيق في مدى أكثر من سبعين سنة بأنهم مخرقون ضالون . بل يتشد ويستجمع كل ما كتب في هذا الموضوع ويبقى عليه نظرة عامة ويتتبع سير المباحث ويظهر أمامها بمظهر المستعد لقبولها متى بلغ عدد العلماء القائلين بها حداً يستعمل معه اجماعهم على ضلالة، أو وقوعهم في حيلة، أو انفاقهم في البسالة العقلية والبله .

ولكن الذين يكذبون هذه المباحث وان كانوا من المعتقدين بالروح لا يسلكون هذا المسلك، ولكن يسرعون الى تكذيبها باعتبار انها مستحيلات علمية أو مظاهر خيالية . وهذا بعينه سيرة الجامدين على الفلسفة المادية . وهم مظاهر هذا المظهر على مناقضته لاصولهم الا لتأثرهم على غير علم منهم بأصول تلك الفلسفة وانحصارهم في دائرتها الضيقة . فالمدو اللدود لكل بحث روحاني هو تلك الفلسفة دون سواها سواء كانت بذاتها وجهاً لوجه، أو بمظهر من مظاهرها الكثيرة في الفلاسفة الاعنقاديين وغيرهم .

لهذا السبب انهم الذين يسرعون الى تكذيب المشاهدات الروحية بدون بحث، أو الذين يزعمون اكتافهم عند سماعها لعدم الاهتمام بها بانهم ماديون جامدون على المادية، فان لم يكونوا ماديين فهم متأثرون بالفلسفة المادية ومحسوسون في دوائرها الحرجة على غير علم منهم . ولا تخلى العالم من وجود أفراد مثل العلامة صاحب هذه المجلة وقفوا موقف الحياء ولم يتأثروا بالتعاليم المادية الا انهم من القلة بحيث يصح

اغناهم من باب التغليب

(رأينا في القضية الثانية)

كيف لا يعتقد العلامة كاميل فلامريون بأن روح فليكي مشهور تكشف القناع عن بعض المساتير الغامضة وأن روح كاتب كبير تكمل رواية تركها ناقصة مع أن كلا الأمرين من اختصاصه ؟

الجواب : أن كاميل فلامريون بمقتضى مذهبه لا يرتاب في أن روحاً من العالم الروحاني تأتي فتحل بعض المعضلات أو تكمل ما تركه بعض الكاتبين ناقصاً . ولكنه يرتاب في صحة شخصية تلك الروح أى في أن تلك الروح الظاهرة هي روح هذا الميت أو ذاك ، ويرى أن الأدلة لديه غير كافية في إثبات الشخصيات ويرجح أن تلك الآثار العقلية أما أحدثها أرواح المجريين مجتمعة ان كانت لا تعدى قدرتهم العلمية وإما أنت بها روح من طبيعة غير مروفة للبشر موجودة في العالم الروحاني وهي غير الروح الانسانية ، وهو لا يشير إلى هذا التعليل الا متى رأى أن تلك الآثار العقلية تفوق قدرة المجريين منفردين أو مجتمعين كما هو الشأن في الاخبار عن اجرام علوية مجهولة أو احداث كتابية ليس في قدرة أحد احداثها غير أفراد معدودين في العالم كله لم يكن منهم واحد في جلسة التجريبية ؟

على ان كتابات الرجل في هذا الموضوع تدل على حيرته الشديدة كما نقلناه عنه في مقتطف يوليو سنة ١٩١٩ صحيفة ٤٣ فقد ذكر أن أمامه إحدى عشرة مشاهدة بما منها يمكن أن تعلل بأن روح الوسيط سرت فنقلت ما قالته عن القواميس والجرائد، وأن السمع الباقية منها لا يمكن تعليلها الا بالقول بأنها أرواح الموتى الذين تدعى الارواح بأنهم أرواحهم .

هذا موقف الاستاذ فلامريون وهو بعينه موقف جماعة من الباحثين في الروح ولا بد لنا من كلمة في هذا الموضوع وان لم يجيء وقتها لاعطاء القارىء فكرة عن هذا الباب فنقول :

(١٤ — اثبات الروح)

اجمع العلماء والعقلاء الذين بحثوا في الظواهر الروحية منفردين أو مجتمعين على أنها حقة لا يصح الارتياح فيها بعد ان مرت من منخل الامتحان العلمي الدقيق هشرات من السنين . ولسكنهم اختلفوا في أمر واحد وهو صحة شخصية الارواح التي تنصل بالاحياء ، هل هي ارواح الاشخاص الذين تعينهم بالاسم ام هي شخصيات تتكون من مجموع ارواح الجيريين أو ارواح عالمية أخرى مجرولة الطبيعة أو ارواح الشياطين ؟

فذهب الكثيرون من العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ الكبير رسل ولاس الفزيولوجي بأنها ارواح الاشخاص الذين تعينهم بالاسم ، مرتكنا على أنها لو كانت غير ذلك لما اجمعت في كل بلد ولدي كل امة على أنها ارواح الموتى طول هذه المدة ، ولو جدمنها من يصدق الجيريين بذكر حقيقة ولو مرة واحدة .

ثم ان هذه الارواح تأتي فتتجسد على صور اشخاص الميتين ، وتكلم بلغاتهم ، وتكتب بخطوطهم ، وتوقع بتوقعاتهم ، وتذكر أهلها بما نسوه من ماضيهم معها ، وتدلم على مواضع اشياء كانوا ستروها عنهم ، فلو كانت ارواحا غير ارواحهم لما اتفقت التليس عليهم الى هذا الحد وعلى هذا الوجه الظاهر .

ثم قالوا أي حظ للشياطين أو لارواح أخرى في نكران شخصياتها الى هذا الحد وانتحال شخصيات أخرى ؟ ان قيل انما تفعل ذلك لتضليل رد على الفائل بأنها تأتي بأرفع درجات الحكمة وهي لا تدع وجها من وجوه الاصلاح الخلقى والنفسى لاجبات به بأبلغ العبارات وأكثرها تأثيرا على النفوس .

ولكن الذى حير بعض الناظرين ان روحا قد تأتي فتدعى أنها روح فلان ثم تأتي روح فلان ذلك فتسأل عما قالته في التجربة السابقة فتنكره ، وتقول ان الروح التي جاء تكلم قبلي هي روح شريرة اتت لتهزأ بكم في غيبيتي

وقد شكك كبار الجيريين هذا الامر لتلك الارواح وأظهروا التشكك في صحة شخصياتها من جراء تلك الحوادث . فأجابوا بأن عالمهم كالعالم الارضى فيه الطيب والحديث . فالحبشاء ينتهزون بعض الفرص لتضليل الناس والسخرية بهم على نحو

ما كانوا يعملون وهم علي الارض . ويحذرون المجريين من الوقوع في حبالانهم ،
ويذكرون ان المميزات التي تميزهم عن اصحاب تلك الشخصيات هي انها تخط في
ماضيها ولا تكتب بخطها ، وانما تمثلها تمثيلا ناقصا ، فيفتضح امرها بقليل من التأمل كما
هو حاصل ،

فمسألة النسخة من شخصية الارواح هي عضلة العنق في المباحث النفسية وهي
المسئلة الوحيدة القابلة للاخذ والرد بين العلماء . اما اثبات العالم الروحاني ووجود عالم
عاقل فيه مجرد عن المادة يمكن ان تتصل به بواسطة اشخاص ذوي استعدادات خاصة
فقد اصبح من البدائنه العلمية التي لا يصح التردد فيها بعد ملايين التجارب والمشاهدات
السابقة .

فكامل فلامريون لا يكذب كما قلنا ان روحا تأتي فتحل مسألة فلاكية . وتكمل
رواية ناقصة ولكنه يرتاب في شخصية تلك الروح هل هي روح ذلك الشخص
الذي تعينه بالاسم او روح عالمية اخرى مجهولة الطبيعة . فهو لا يرتاب في صحة المسألة
ولكنه يرتاب في تعليلها .

وفي ختام هذا البحث نقول ان المعركة القديمة بين الماديين والروحيين كانت
قائمة علي امكان او استحالة قيام الروح المجردة بدون مادة . اما قد ثبت بهذه المباحث
قيامها بدون مادة فان مسألة اثبات الشخصيات ثابوية . وقد تفنن العلماء في وسائل اثباتها
تفننا لا يخطر ببال غير امثالهم ، سنأتي على طرف منها حينما نصل في بحثنا الى هذا
الموضوع هنا ان شاء الله .



ملاحظات للمقتطف

لما نشرنا هذه المقالة لاحظ عليها المقتطف في الجزء نفسه بمناسبة رده علي بعض السائلين ونحن نورد السؤال وجوابه هناهما:

(٧) حقيقة أقار أورانوس

مصر . أحد المشركين . لقد علقتم علي مقالة فريدريك وجدي المدرجة في مقتطف أغسطس مشيرين اشارة المنكر الي ما ذكره عن روح الفلكي الذي صار الآن أكثر علما بعلم الفلك، وأن هذه الروح بينت خطأ الفلكيين الذين يحسبون أن اقار أورانوس تدور حوله من الشرق الي الغرب، لامن الغرب الي الشرق كسائر السيارات وكما يقتضي الرأي السديمي . والي روح الروائي ديكنز التي قيل انها آتت رواية لديكنز مات قبل أن يتمها . وسأتم وجدى بك كيف أن هذين الامرين لم يقنعا فلا مريون بصحة دعوي الذين يدعون مخاطبة أرواح الموتى بالذات مع ان المسألة الاولى فلكية والثانية انشائية وهما من اختصاصه . ولكن لفرض ان فلا مريون لم يقتنع بان روح فلكي هي التي بينت خطأ الفلكيين، وروح ديكنز هي التي آتت رواية ديكنز، اينفي ذلك كون روح فلكي فسرت حركات اقار أورانوس وروح ديكنز آتت روايتها؟

ج . اننا استشهدنا بفلا مريون في هذه القضية كهيئة قوية على انه لو كانت الحادثنان صحيحين لما خفيت عليه صحتها وكفنا لا قناعه بأن الروح الاولى هي روح فلكي والروح الثانية روح ديكنز نفسه . ومن حيث انهما لم تقنعا في صحتها شبهة قوية ولو ذكرهما كل وزرا . روسيا في كتبهم . وهذا هو الواقع . ولم ننته نحن بتنفيذهما قبلا لان دعاوى مدعي مناجاة الارواح كثيرة جداً ويستحيل علينا ان نبحث فيها كلها . ولكننا لم نبحث بحثا مدقنا في واحدة منها الا وجدناها غير صحيحة او وجدنا شيكا

في صحتها، هذه أقمار أورانوس لما كشفت ظار انها تدور حوله من الشرق الى الغرب كما قبل ولا يزال علما، الفلك يولون ان حركتها متقهرة انها تدور من الشرق الى الغرب. قال السر روبرت بول استاذ علم الفلك في جامعة كمبردج في كتابه دليل السماء، المطبوع سنة ١٩٠٥ في آخر الصفحة السابعة منه مترجمته: «ان اقمار اورانوس واقمار نبتون تخالف في سيرها سير كل جرم آخر في الاظام الشمسي في كون حركتها متقهرة» *Rétrograde* وقال العالم انسورت دافز في المجلد الاول من كتابه العلم في الحياة الحديثة المطبوع بلندن سنة ١٩١٠ صفحة ٢١ مترجمته ان اقمار اورانوس الاربعة حركتها كلها متقهرة في سطح ميل ٨٢ درجة على سطح فلك سيارها . وقال العالم ترماس هيث المساعد الاول في المرصد الفلكي بادن-برج في اطلسه الفلكي المطبوع سنة ١٩٠٣ صفحة ٩٠ مترجمته: «ان افلاك اقمار اورانوس مائلة على دائرة البروج على زاوية ٨٢ درجة وحرركات هذه الاقمار متقهرة». وجاء في ملحق الانسكلوبيديا البريطانية المطبوع سنة ١٩١٣ عما تم من التحقيق الفلكي في أمر اورانوس «ان الفلكيين سايفر ولول اثبتا ان حركة اورانوس نفسه على محوره متقهرة يتمها في عشر ساعات وثلاثة ارباع الساعة». فاذا ذكره الوزير الرومي في كتابه غير صحيح سواء قالته الوسيطة او وضعه هو او قالته كل ارواح الموتى.

ورب قائل يقول كيف تعلمون اذا كلام الوسيطة العلمي بمحدوده العلمية ولولم يكن

منطبقا على الحقائق العلمية . فنجيب أولا أنه ليس ثم دليل على ان الوسيطة نطقت به . وسواء نطقت هي بهذا القول او غيرها فالتمثيل عندنا هو هذا: ان القائلين برأي لا بلاس الحريصين على اثباته هالمهم كون حرركات هذه الاقمار متقهرة وحسبوا ذلك ناقضا لرأي لا بلاس، ثم لما رأوا ان فلك هذه الاقمار يكاد يكون عموديا على فلك اورانوس قالوا ان حركتها يصح ان تحسب مستقيمة كما يصح ان تحسب متقهرة . والمراجع عندنا انهم ذكروا ذلك في المجلات والكتب فقرأته الوسيطة وذكرته بشي من الاتهام ان كانت قد ذكرته فعلا . ويحتمل انها فعلت ذلك حينئذ لا

بقصد التضييل، بل ذكرته في غيوبتها كما يذكر الانسان أمورا كثيرة وهو بين النوم واليقظة مما لا يندكره في اليقظة . ولكن افلاك هذه الاقار ليست عمودية تماما على فلاك أورانوس حتى يصح ما تقدم بل تقطعه على زاوية ٨٢ درجة ولذلك تسهل رؤيتها منقورة . ونرجع اننا ذكرنا اسباب الحركة المنقورة فيما كتبناه من مسائل علم الفلاك وكون ذلك لا ينقض رأى لا بلاس.

اما تكميل رواية دكنز فليس لدينا الآن دليل على تكذيبه، ولكننا نذكر قصة وقعت لنا وهي ان جريدة اميركية يومية عيدت عيد بلوغها مائة سنة على ما نذكر ونشرت شرحا مشهيا لتقدمها في هذه المدة من سرعة الطبع وسعة الانتشار وبعثت اليها بالعدد الذي ذكرت فيه ذلك . فاستحسنه ونوهنا به في المقطع وبشنا اليها بالعدد الذي كتبنا فيه عنها فصورنا لمقطع ونشرت صورته وكتبنا فصلا طويلا هنا نقول فيه ان المقطع جريدة يكتبها رجل واحد وهذا الرجل نفسه هو الذي يجمع اخبارها ويكتب مقالاتها ويجمع كل حروفها ويطبعا ويوزعها الى غير ذلك من الغرائب التي تفوق التصديق وينقصها الاختبار. وليس في هذا كله ما يشيننا ولكن الجرائد الاميركية لانحاسب ذمتها في ذكر الغرائب والظواهر ان قراءها يرضون بذلك فلا نستبعد ان تستبطل جريدة اميركية أو مطبعة اميركية قصة مثل قصة رواية ديكنز لكي يكتبوا رواها ويربح طابعها من بيعها . والا فلو كانت هذه القصة صحيحة لكنت وحدها لافئاع فلا مربون وكل المشككين في محادثة ارواح الموتى بصحة ما ينسب الى هذه الارواح . أو لاستحضروا روح دكنز مرارا وسألوها عن صحة القصة فأخبرتهم الخبر اليقين حتي لم يبق في المسكونة مشكك.



ردنا علي المقتطف

نشرنا هذه المقالة في المقتطف متابعين بحثنا الاصلي ومضمين اياه اردا على ما نشره المقتطف من الرد علينا في جوابه السابق.

كلمة في مصلحة هذا البحث — اني مع احترامى لرأى المقتطف ولكل رأى يخالف رأى من حقى ان ادفع عن مستنداتى وجوه التجريح،
اجاب المقتطف على سؤال بعض قرائه في صفحة (٢٦١) فذكر ان عدم اعتراف كاميل فلامريون بمحادثة اقرار اورانوس وبقية رواية ديكنز يعتبر بينة قوية على عدم صحتها . وقد بينا رأى فلامريون في ذلك الجزء نفسه في امثال هذه التجارب فلا نعود اليها هنا .

وقد نقل المقتطف أقوال بعض العالميين الذين لا يزالون يعتقدون ان اقرار اورانوس تدور من المشرق الى المغرب . وانا اخشى ان يتسرب الى ذهن القارىء ان الجنرال دريزون صاحب هذه التجربة الروحية يحكم بأن ماذكرته الروح اصبح رأى (١) العلماء كلهم . لذلك انبه القارىء الى انه قال كما نقلته عنه في صفحة (١٢٣) من المقتطف :

» وفي سنة ١٨٩٢ فسرت أمر هذا السر المزعوم في كتاب فلكى صغير دعوته

(١) (المقتطف) اذا قال عالمان من أشهر علماء الفلك اننا رصدنا اقرار اورانوس فوجدناها تدور من المشرق الى المغرب لا يكون قولها من قبيل الرأى أو الاعتقاد من قبيل النتائج الحسابة كما اذا قال مهندس اننى مسحت الاطيان الفلائية فوجدت مسطحها خمسة وسبعة من فدانا . فما وجدته الفلكيان سليفر ولول فى مرصد من اكبر مرصد الدنيا منذ بضع سنوات فقط يجب الاخذ به الى ان ثبت انها غلطانى حسابهما .

(نظرة في السموات) ولكن تأثير رأى الأئمة كان شديدا حتى انه لم يبدأ اعتراف المشتغلين بعلم الفلك بأن حركة توابع أورانوس منسوبة لموضع محور هذا الكوكب الا في أيامنا هذه انتهى.

فهو يقرر أن الاعتراف بذلك لم يبدأ الا حديثا وهو نفسه باعتباره عالما فلكيا جرى عليه.

وقال المقتطف في صفحة (٢٦٢) عند نقده هذه التجربة. (ليس هم دليل على أن الوسيطة نطقت به) والشك في نسبته للوسيطه معناه الشك في صدق الجنرال دريزون أي يجوز أن يكون قد اختلق هذه الحادثة وقول الوسيطة ما لم تقل.

وفي رأيي أنه لا يصح أن يصير الناقد الى هذه الدرجة من الشك في صدق محجوب الا اذا كانت هالك قرائن تسوغه . ولا نرى نحن قرينة واحدة في ذلك . فالجنرال دريزون حاصل على أعلى الالقاب العسكرية في رأي أمة أوربية ومعروف بمباحثه الفلكية . وكتاباته من الاعتبار بحيث تسجل في مذكرات الجمعية الملكية للمدفعية . ولم ينفرد من بين العالم بالقل عن الارواح في الارض ملايين من اهل العقل والبحر يحذون حذوه في هذه المباحث فأى قرينة تسوغ لنا أن نصدقه بنقيضه لا يقدم عليها الاكل مجرد عن الشرف، عار عن الادب.

اما ما ذكره المقتطف عن رواية ديكنز واستشهاده بما ذكرته الجريدة الامريكية عن المقطع فيه نظراء فان هذه التجربة لم تنفرد بروايتها تلك الجريدة بل نصت عليها مجلة الاسبريتواليسيت الانجليزية، كما نقلناه عنها في الصفحة (١٢٥) من المقتطف . وكانت التجربة في جمعية المباحث النفسية في مدينة براتلبورغ من الولايات المتحدة . وقد تناولها النقدة من الانجليز ومنهم الاخصائي المستر هاريسون فقررُوا انها لا تفسر بالغش والتدليس، فليرجع من شاء لما كتبناه عنها في المقالة السادسة.

اما ما ذكره المقتطف عن الجريدة الامريكية التي قرطت المقطع قائلا لا أستطيع ان اشك في صحته حرصا على آداب النقد ولكني أقول، لعل تلك الجريدة خلطت

بين المقطم والاهرام فان المرحوم بشاره باشا كتب عن نفسه ، انه اتى في أول تأسيس
الاهرام من المتاعب ما لم يلقه غيره، وقال بأنه كان هو وحده يحرر مقالاته السياسية
واخباره اليومية ويترجم تلغرافاته ويرتبها ويشرف على توزيعه وادارته جامعا في شخصه
بذلك وظائف لا يقوم بها الاعدة رجال ، والا رجب علينا أن نحكم بان الجرائد
الامريكية (١) من السخف وقرائنها من البله في حضيض ليس دونه حضيض ، وهذا
الحكم لا يتفق وما عليه الامريكيون من التبريز في كل مجال من مجالات العلم والعمل
والضرب في المدنية الانسانية بافوز السهم واوفر الحظوظ.

وبعد فليس رمينا عرض الحائط بكل هذه الشهادات الانسانية والمشاهدات
العلمية التي لوحظت فيها ادق الشروط التجريبية علي ايدي اعقل افراد الامم واهدم
نظراً واكثرهم شكوكا من الامثلة الحسنة التي ننقشها في نفوس من يجتذون
شاكلتنا من القارئين، فلو اتيج لي او لحضرة العلامة صاحب هذه المجلة ان نجرب
هذه المشاهدات ونقرر ما قرره قبلنا الملايين من الفضلاء، لما كان حظنا ان استحسننا

(١) (المقتطف) يقول المثل الغرض يعنى ويصم وبعض الجرائد الاميريكية
غرضها الاول في الغالب تسليية القراء بذكر الغرائب المدهشة واليكم مثالا من ذلك
يتعلق بموضوعنا ذكره الفلكي الكبير الامتاذ نيوكم اشهر فلكي اميركا بالاجماع في
مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر ولخصناها حينئذ في مقتطف مارس سنة ١٩٠٩
وهو :

«وسنة ١٨٥٨ احدثت نار الجدال في جريدة من جرائد امير كافي امر مناجاة
الارواح والوسطاء وانتهى الجدال بان واحداً عرض لمعاظنا لامن المال جائزة لاوسط
الذي يحرك مائدة من غير ان يلمسها او يقرأ ورقة من غير أن يراها او يقرع قرعة لا
يعرف سببها، واشترط أن يكون ذلك امام لجنة يعينها هو. فقبل رئيس المعتندين
بمناجاة الارواح طلبه واتي باشهر الوسطاء من اماكن مختلفة والفت اللجنة من ثلاثة
وم الامتاذ لويس اغاسز وامتاذان آخران من اسانذة مدرسة كمبرج الاميريكية

هذا الأسلوب من النقد وجرينا عليه بأحسن من حفظ اعلام العلم ، وأركان العقل ، فيتم منا تلاميذنا بأننا نكذب فيما نقول ، أو أننا من السذاجة بحيث نتخددع بأحاديث المشعوذين .

عود لموضعنا الاصلى

انينا في الاجزاء الماضية على عدة أمثلة من خواص الوساطة التى يخيّل لبعض انها نوع من السكينة أو المرافقة أو الشحنة . والواقع اننا جميعا حاصلون على خاصية الوساطة ولكن على درجات شتى . وقد ظهرت هذه الخاصية في الوف مؤلفة من أملاء الاوربيين بين رجال ونساء فكانت وسيطة الوزير الروسى اكراكوف امرأته وهى من اعرق البيوتات الروسية . وكانت وسيطة ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الأمريكى ابنته المماز لورا . وكان المستر ستيد السكاتب الانجليزى الكبير وسيط نفسه فكانت الروح تستولى على يده فتكتب ماشاءت الارواح وجرى الامتحان في نزل بوسطن فلم يفاج الوسطاء فى شئ ، واستصغر أولئك الاساتذة انفسهم لما رأوا انهم جالسوا ساعة ولم يروا شيئاً يستحق الذكر . ولم يعمل الوسطاء الا بعض ما يعمل المشعوذون عادة ، وكان عذرهم عن فشلهم ان الارواح لا تظهر امام اناس لا يؤمنون بها . ومن ثم لم يعد الاستاذ نيوكم يعاب بما يسمع عن مناجاة الارواح ، بل كان يقول للذين يكلمونه فى هذا الموضوع ايتوني بوسيط تعتقدون صدقه ودعوني امتحنه على انفراد وأخيراً وجد الوسيط المطلوب وهو فتاة اسمها لولو هرست عملت اعمالها المدهشة امام جماعة كبيرة وهو بينهم لسكنها لم تدع انها فعلت شيئاً خارق العادة بل اظهرت كيف فعلت كل ما فعلته . واتضح حينئذ ان كل ما سمعه الاستاذ نيوكم عنها قبلاً كان من قبيل المبالغة والوهم . وكان هناك جمهور من مخبرى الجرائد فصدرت جرائدهم وفيها اغرب الاخبار كأن الفتاة فعلت أعجب ما يدعيه مناجو الارواح . فتأملوا .

ان تباينه اياه . وكان على هذه الحال أيضا العالم اللاهوتي الانجليزى ستنتون موزس . وكان وسيط الجمعية العلمية الرسمية التي تكومت في لوندرة لتقديم تقرير عن الاسبرتسم واحدا منهم فلم يحتاجوا لوسيط مآجور . وكان الضابط الانجليزى يول الذى تولى مصلحة الانجار مع الاعداء في اثناء الحرب في بلادنا هذه وسيط نفسه أيضا . فذكر في كتابه (العسكري دودنج) ان الروح استوت علي يده فأملت عليه ذلك الكتاب ، وفيه تنبؤات كثيرة ظهر منها ما جاء وقته كتاريخ وقوف رحي الحرب العامة ، وتاريخ ابرام الصالح ، مع ان ذلك الكتاب أملى عليه قبل الصلح بسنتين . وقد قال المقطم عقب ابراد هذا التنبؤ في عده الصادر في ٨ مارس سنة ١٩١٩

« هذا ماقلناه من الحديث المذكور وأعظم مايقع منه في نفس القارىء النبوة الخاصة بانتهاء الحرب وعقد الصلح فانها كتبت سنة ١٩١٧ كما تقدم ولم يكن في سير الحرب مايدل على موعد نهايتها وتاريخ عقد الصلح . »
ان خواص الوساطة تعتبر خطأ من علم ماوراء الطبيعة وهي في الواقع من الخلات الطبيعية . فالباحث الذى ينهم شخصا وما منطيسيا وينظر فيما يكتسبه من من الخصائص العقلية والروحية وهو في تلك الحالة لايقال عنه انه يبحث فيماوراء الطبيعة ولكن يقال انه وسع من دوائر بحثه الطبيعي ، فبعد ان كان يقصره على درس خصائص المادة الجسدية تخطي الى درس خصائص الحياة المستكنة فيها . وكذلك الباحث الذى يجلس واخوان له حول خوان ويعمل على الاتصال بعالم الروح ، لايقال انه يبحث في عالم ماوراء الطبيعة ولكن يقال انه يتخطي بحثه الدوائر التي حدها المذهب المادى الى الدوائر التي تظهر فيها خصائص الروح . فالذين يزعمون ان هذه المباحث من علم ما وراء الطبيعة ويلفظونها بهذا الاعتبار يقفون في وجه العلم الطبيعي نفسه ، ويصدون عن سبيله ويحكمون عليه بأن لايتعمدي الدوائر الضيقة التي حدها القصور العلمى وهو حكم ياباه الرقي المطرد للعلم نفسه
علل بعض النقدة في اوروبا هذه المشاهدات تعليقات شتى ، فلم يقو واحد منها

على القدم، واضطر النقدة واحدا بعد الآخر الى التسليم بصحة هذه المشاهدات الا الذين لم تنجح لهم تجربتها، ونحن هنا نأتي على طائفة من المشاهدات من أنواع شتى لا تفسر بالخدع والانعذاع، ولا بالبله والسذاجة، ننتخبها من ملايين من أمثالها لننتقل منها الى فصول أخرى من اول المقالة الثامنة المقبلة

(وساطة الاطفال الرضع)

ذكر المستر كابرون في *Kapron* في كتابه المسمى المذهب الروحي في العصر الحاضر في صفحة (٢١٠) قال

« روى لنا المستر لوروا سندرلاند ان المسائل التي كان يطرحها على الروح كان يجاب عنها بالقرع على الخوان وكانت الوسيطة ابنته مارجریت أو ابنتها الطفلة، وكانت لانزيد سنها عن سنتين، قال فكنت امسك الطفلة بين يدي ولا يكون معنا احد فتجيبنا الارواح بالاسلوب المصطلح عليه »

وجاء في كتاب المذهب الروحي بأمریکا في العصر الحاضر ان البارون سيمون كبير كوب كتب الى المستر جنكن مؤلف ذلك الكتاب يقول:

« كانت ابنتي وسيطة ولم تتجاوز سنها سنتين، وقد بلغت الآن من العمر احدى وعشرين سنة، وقد كتبت طفاها بيدها تحت تأثير الارواح ولم تتجاوز سنها التسعة الايام (تاسوعاً)، وقد حافظت على الرسائل التي كتبها وها انا مرسل اليكم بصورة فوتوغرافية لذلك الكتابات.

« لم تحمل ابنتي هذه الطفلة غير سبعة اشهر ثم وضعتها في حجم صغير جدا. فكانت ابنتي ترفع هذه الطفلة علي وسادة باحدى يديها وتمسك بيدها الاخرى كتبا عليه ورقة بيضاء، وما كنا ندرى بأية كيفية ينتقل الفلم الى الطفلة، فكانت تمسكه بيدها بقوة. فكتبت اولاً الحروف الاولى لاسماء الاربعة الارواح التي تلازمها وهي *R.A.D.J* ثم سقط القلم من يدها، فظننت ان الامر قد وقف عندها الحيد، ولكن ابنتي الاخرى لاوجين

صاحبة قائلة انها قد عاودت القبض على القلم فكتبت الطغلة الجملة الآتية: (لا تعير شيئاً فهذا برهان جـ لي وافعل ما أمرناك به . أستودعك الله) وانت ترى ذلك في الصورة الفوتوغرافية المرسلة اليك .

(تكلم الوسيط، عدة لغات مجهولة)

كتب المستر ادموندس الذي كان رئيساً لمجس الشيوخ الامريكى في كتابه المذهب الروحى عن وساطة ابنته وهو من ممرة الامريكين وثراتهم قال :

« ظهرت في ابنتي (لورا) خاضعة الوساطة ولكنها ما كانت تقم في اغناء أنسا . حضور الارواح . وكانت تلك الارواح تستولى على لسانها فتتكلم بلغات مختلفة ولم تكن تعرف في حالتها العادية الالغتها الاصالية واللغة الفرنسية . ولكنها متى استولت الارواح على لسانها كانت تتكلم بنسق أو بعشر لغات بسهولة تامة »
ومثل الرئيس ادموندس لا يصح اتهامه بالبسلة والحيل ولا اتهام ابنته بالتزوير والندائس ، وأمثلة تكلم الوسيط باللغات المجهولة كثيرة لا تحصى .

(تلقى الوسيط رسائل متعددة في وقت واحد)

ذكر الدكتور (ولف) في كتابه عن وسيطه منسفيلد يقول :
« رأيت منسفيلد وهو يتلقى عن الارواح وقد استولت روح على يده اليمنى وروح على يده اليسرى فأخذنا نكتبان بلغة مجهولة ، وبينما كانت يدها تكتبان كان هو نفسه يكلمني في أمور أخرى .

وذكر الاستاذ كوكس في كتابه المباحث النفسية صفحة ٩٥ :
« رأيت الميس كيت فوكس بينما كانت تكتب يدها تحت تأثير روح رداً على سؤال أحد الحاضرين ، كانت روح أخرى تلي بواسطتها أجواب الرجل آخر من الحاضرين

بطريقة الفرع . وكانت الوسيطة نفسها في تلك الحالة تتكلم مع شخص ثالث في أشياء .
للعلاقة لها بالارواح »

(النخاطب بواسطة الارواح عن ألوف الاميال)

ذكر المستر ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكى المذكور آنفا في المجلد الاول
في كتابه صفحة ٣٠ :

« بينما كنت اسبح في امريكى الوسطى كان اصحابي يقفون علي اخباري مفصلة
بواسطة الارواح يوما فيوما وهم في نيويورك . اول اجتماعهم للسؤال عني كان بعد سفرى
بأربعة ايام وانا علي بعد ٨٠٠ ميل منهم ، ولم تقابلنا في طريقنا سفينة حتى يتوهم انها
نقلت من اخبارى اليهم »

ثم مررد تفصيلات ماخبرتهم به واتفاقها التاريخي مع مذكراته اليومية
وكتب الاستاذ الامريكى (روبرت هير) في كتابه (المباحث التجريبية على الجواهر
النفسية) فقال :

« لما كنت في كيب مى Cape May بايسلاندة كلفت الروح للملازمة الى ان
تذهب الي فيلادلفيا (بأمريكا) عند ميسيز جورلى وان تبلغها اني ارجو زوجها ان
يذهب الي بنك فيلادلفيا ويستقيم منه عن تاريخ جواله كانت لي فيه ، وكلفتها بأن
تخبر الميسيز جورلى ايضا بأنني في منتصف الساعة الرابعة سأجاس امام السبيريتوسكوب
(آلة عابها الحروف الهجائية للنخاطب مع الارواح) لتسلم الجواب . وكانت الساعة
اذ ذاك واحدة بعد الظهر وفي الساعة المحددة عادت الروح وأخبرتني بنتيجة
عملها .

« فلما عديت الي فيلادلفيا حدثتني مدام جورلى بأن الروح التي ارسلتها اتفق
حضورها في ساعة كانت هي تنخاطب فيها مع روح اخري ، فطلعت عليهما النخاطب

عن الامر الذي عنائي ووصلتني نتيجة مساعيها في اليوم نفسه .
 « وكان عامل البنك قد أعطاني تاريخاً خطأ عن الحوالة التي انا بصدد هاو كنت
 انتظر مجيء الجواب مطابقاً لحسابي ، ولكن لما ذهب زوج دمام جورلي واخوها الى ذلك
 العامل تحري التاريخ واعطاها اياه صحيحاً هذه المرة فغارت الروح بتاريخ لم يكن انتظره
 ولا اتوقعه » انتهى

هنا يمكن ان يقول معترض : اذا كان قد بلغ من قدرة الباحثين في الارواح
 ان يتخاطبوا على بعد آلاف الاميال فلم لا يكتفون بها عن التعارف اللاسلكي ؟
 الخ الخ

فأقول بأن الارواح لا يمكن استخدامها لاغراضنا الدنيوية فهي اذا اطاعت
 الباحث في نقل الاخبار ، وجاب الاشياء ، واحداث الحوارق فانما تفعل ذلك لاقامة
 الدليل لهم علي انهاحية باقية مدركة وقد صرحت بذلك الف مرة . ولكن الفائدة
 المنتظرة من عقيدة وجود الارواح وخلودها لا يمكن للعقل تقديرها في مثل هذا القرن
 وما يليه . فالمذهب المادي ساق الناس الى تيسار ادهم الى الابادة المطابقة ، واطفا في
 صدورهم جذوة الامل فأظلمت القلوب ولم تجد لها متنفسا الا في الافراطات من كل
 نوع . هذا ولا تزال بقية في النفوس من عقيدة موروثه ، فاطمك لو ذهبت تلك البقية
 الموروثة أيضا وتحقق الانسان علميا انه كمية مهملة في الوجود لا تبالي الزوايس في
 اية زاوية من زوايا العدم قذفت بها ؟ فجاء المذهب الروحاني اليوم يشب للناس من
 طرائق الحس والعيان وجود العالم الروحاني وخلود النفس بعد الموت في عالم كمال
 وجلال وترق لاحد له ولذات عقلية وروحانية لا تنتهي الى غاية . فنحن لا نحتاج
 للارواح لتخديمنا في امورنا الدنيوية ، ولكننا نحتاج لها لتثبت وجودها بأى الطرق
 شئت .

ان ماوردته في باب خواص الوساطة شئ . لا يذكر في جنب الملايين من
 المشاهدات التي تنص بهما المؤلفات التي وضعها الافراد والجماعات . وهاهيك ان
 الملايين من الافراد والالوف من الجمعيات دأبت منذ اكثر من سبعين سنة علي

التجارب وتدوينها. فالذي حفي رؤوس الباحثين الاوروبيين من أهل الشكوك المستعصية والاحلاد المصمت ليس بالامر الهين، فان توالى هذه المشاهدات في مدي ثلاثة ارباع القرن علي ايدي رجال لا يخشون في الحق لومة لائم من العلماء والكُتّاب والصحفيين والسياسيين والاطباء والمهندسين والاصوليين علي الاسلوب العلمي الحاصل علي ادق الشروط التجريبية هو الذي أعطي المذهب الروحي هذا الوزن في أوروبا وأمريكا وممكنه من ضرب المذهب المادى ضربة لا قيام له بعدها

ولو كان مجموع هذه الشهادات والتجارب في مدى هذا الزمن كله وعلي ايدي هؤلاء الرجال الذين ذكرناهم في أرقى أمم العالم مما يسهل تعليله بالخدع والانخداع وعدم التفارقة بين الشعوذة والمشاهدة العلمية، أو بالبله والخبل، فعلي العقل الانساني وعلي التجارب والمشاهدات، وعلي العلماء والاذكياء، وعلي الباحثين من كل أمة وفي كل اجيال البشر السلام

...

تعليلات المنكرين

الحوادث الروحية

شربنا هذه المقالة في المقتطف الصادر في نوفمبر سنة ١٩١٩. وفيها رد ضمني علي الحواشي التي ذيل المقتطف بها بعض الصحف .

لما ذاع امر الحوادث النفسية، وتناقل الناس تجاربها، حاول بعض الناقدين ممن يفسرون مساطر الكون وهم جلوس علي امرتهم، أو ممن يسرعون الي الست في كل معضلة ولم يبلغوا الغاية من علمها، أن يملأوا بعض ظواهرها بملل . وقد نظرنا في التعليقات التي

تعال بها الحوادث النفسية فوجدناها تنحصر في ست نظريات وهي :

(١) هذه الحوادث من الشعوذة لا أكثر ولا أقل فجميع الوسطاء خادعون وكل
المجر بين مخدوعون .

(٢) هذه الظواهر خيالات تتراعى للمجر بين وهم نحت تأثير الاستهواء. الواقع
عليهم من الوسيط فيرون مالا حقيقة له في الخارج ويخبرون عنه كأنه من المشاهدات
الواقعية.

(٣) هذه الحوادث من فعل روح الوسيط نفسه لاروح أجنبية عنه .

(٤) هذه الحوادث عمل الروح العامة التي تتكون من مجموع أرواح جميع
الحاضرين .

(٥) هذه الحوادث نتيجة عمل أرواح مجردة موجودة في الكون ولكنها ليست
بأرواح الموتى.

(٦) هذه الحوادث فتنة من الشياطين لتضلّل عباد الله المؤمنين

فلنناق على كل من هذه التعليقات نظرة انتقادية مستندين على التجارب العلمية التي
عملت لدحضها وإثبات نقيضها فقول:

(نظرة على التعليقات بالتدليس)

قال الاساذ الكبير ولیم کروکس في كتابه القوى النفسية صفحة ١٧٤ :

« قالوا ان كل هذه الحوادث نتيجة التدليسات والتدبيرات الآلية الممنّنة أو
الشعوذة، وان كل الوسطاء مزورون وجميع المجر بين غفل مخدوعون . . .

واقدر رأيت عدة تدليسات كان بعضها متقنا جدا وبعضها من الغلاظة بحيث
لا يفتق ان يقع فيها واحد ممن شهدوا الحوادث الحقّة لهذا العلم . فمن الباحثين من اذا
صادفه تدليس من هذا القبيل يكره موالاة البحث، ويجد نفسه مدفوعا الى اطلاق
العنان لآرائه سواء في مجالسه الخاصة أو بلسان الصحف، فيم بانكاره جميع الوسيطيين

(١٦ — اثبات الروح)

فيكتب للجرائد شارحا مارآه من التدليس، وقد تأخذ الشقة من رؤية هذا المنظر المحزن وهو اعمان الرجال المعدودين من الاذكيا، في الانخداع بالاحاييل التي كشفها هو من أول وهلة . . .

« فلا يجوز ان ننسى ان اي تعليل من التعليلات يجب ان تتوفر فيه جميع الشروط لاجل أن يكون ذا قيمة حقيقية . فليس من العقل ان يقول شخص لم ير الا بعض المشاهدات النافذة » اظن ان كل هذا من التدليس « ولا ان يقول : « قدرأيت كيف تدبر هذه الادوار من الغش » . . .

« وبما اني متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الادبي ان ارفض شهادتي لما بحجة ان كتاباتي قد استهزأ بها المتقدون وغيرهم ممن في يعلمون شيئا في هذا الشأن ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام ان يحكموا عليها بأنفسهم . أما انا فأسرد بغاية الصراحة مارأيت به يعني وحقيقته بالتجارب المنكرة » .

وقال العلامة كاميل فلاماريون في كتابه القوى الطبيعية المجهولة صحيفة

: ٥٤١

« من السهل جدا ان يقف الانسان موقف المنكر انكارا مطلقا حيال المشاهدات التي هي غرضنا من هذا الكتاب » .

ثم سرد حوادث روحية كثيرة وقال : « كل هذه الحوادث بالنسبة لثلاثة ارباع سكان الكرة الارضية تعتبر هذيانا أو شعورًا، فلا يصح ان يبحث عن علتها في نظرهم . ولديهم ان الرأي المقول الوحيد هو ان كل هؤلاء الوسطاء من الذين اتخذوا الوساطة صناعة أولم يتخذوها كذلك، مدلسون مزورون وكل المحر بين غفل مخدوعون » .

« وقد لا يكتفى الواحد من هؤلاء القضاة الاعلى بالغمز بعينيه أو بالتبسم وهو على اريكة اختصاصه المسمى، ولكنه قد يفضل فيحضر احدى التجارب، فاذا اتفق كما يحدث كثيرا، عدم حصوله على شيء، يخضع لارادته، يبرح المحر المبعجل الممكن وهو معتقد تمام الاعتقاد بأنه بنفاذ بصيرته الفائق قد اكتشف الحيلة ومنع

ظهور أى شيء، بادراكه الواسع ونظرة البعيد . فيسارع الى الكتابة للجرائد مفسراً
التدليس وباكيا بأدمع التمساح تأثراً من ذلك المنظر المحزن وهو انخذع رجال معدودين
من الاذكاء بتدليسات اكتشفها هو من أول وهلة .

« هذا التعليل الاولى الساذج قد عرضناه كثيراً في هذا الكتاب وجادلنا فيه
ودحضناه، وقد صار قوائى يعتبرونه فما ارجو محكوما عليه حكماً تاماً مطلقاً ثانياً ومطروحاً
خارج دائرة البحث ».

هذا قول رجلين من اكبر رجال العصر الاخير في نفس التدليس وانما انما ثبات
من هذه الاقوال فلنكتف بهما ولننظر الى ماعلقه المقتطف على بعض ما قلناه في
المقال السابق:

ذكر المقتطف من الاستاذ نيوكم الفليكى ما جرى سنة ١٨٥٨ أى قبل ٦٢ سنة
من تكون لجنة من ثلاثة اساتذة في نزل بوستن لبحث حوادث الاسبر تسم فلما برؤا ما
يستحق الذكر . وان الاستاذ نيوكم نفسه جرب على فتاة اسمها لولو هرست فأتت
بالمدهشات واكتنها لم تدع انها فعلت شيئاً خارقاً للعادة ولكنها أظهرت كيف فعلت
ما فعلته ، وان الجرائد الامريكية ذكرت الغرائب عن تلك الفتاة .

لكن الجرائد الامريكية على تلك الصفة، بل ليكن الامر يسكن كاهم مخدوعين
بالاعيب المشعوذين، فاسننا والحمد لله نعتد عليهم ولكن على مقررات الجمعيات العلمية
الاوربية، ومؤلفات الباحثين الاوربيين، وعلى الاخص منهم الانجليز المشهورين بشدة
التدقيق والتحريص والاعتماد على المشاهد المحسوس وعدم التسرع في اصدار الاحكام
الطائشة .

وبعد فان الاستاذ نيوكم الامريكى لم يخرج عن كونه أحد المنكرين لهذه
المباحث، وقد بنى انكاره على تجارب سلبية معدودة، بل نفى دكه الشخصى فيها
على تجربة واحدة وقم بها في احاييل مداسة عمرها خمس عشرة سنة فتطبق عليه
أقوال الاستاذين وليم كروكس وكاميل فلامربون التي قدمناها. فأين البروفسور نيوكم
في تسرعه وضجره، من الاعضاء الثلاثين الذين نديتهم الجمعية العلمية الانجليزية رسمياً

لبحث ظواهر الاسبرتسم، فامعنوا في التجارب ثمانية عشر شهرا وليس معهم وسيط أجنبي وبالقوا في الصبر، وبذلوا ما هو معروف عن علماء الانجليز من الثبات والنودة وبعد النظر، ثم كتبوا تقريرهم المشهور الذي وقع في اكثر من خمس مئة صفحة وترجم الي جميع اللغات الحية. وقد جاء فيه بالصفحة ٩ وما بعدها من الترجمة الفرنسية ما يأتي :

« قد عقدت هذه اللجنة من يوم تأليفها في ١٦ فبراير سنة ١٨٦٩ أربعين اجتماعا بقصد عمل التجارب والامتحانات المدققة.

« كل هذه الاجتماعات عقدت في البيوت الخاصة للاعضاء، لاجل نفي كل احتمال في اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أى نوع كان،
« ولقد كانت اثاثات الغرف التي عقدت فيها الاجتماعات في كل حال هي اثاثاتها العادية،

« وقد كانت الاخونة (التراييزات) التي استخدمت دائما للتجارب هي أخونة لطعام ثقيلة تحتاج لقوة عظيمة اذا اريد تحريكها، وقد كان طول أصغرها خمس أقدام وتسع بوصات وعرضها أربع أقدام. وكان طول أكبرها تسع أقدام وثلاث بوصات وعرضها أربع أقدام ونصف القدم وكان ثقلها مناسباً لاجتماعها.
وقد كنّا نعمل الى تفتيش هذه الاخونة وجميع الاثاثات تفتيشاً مكرراً قبل عمل التجارب، لنحصل على الثقة التامة بعدم وجود أي آلة أو جهاز يمكن بواسطته أن تحدث الاصوات والحركات التي سندكرها بعد؛

« وقد عملنا تجاربنا في ضوء الغاز ماعدا عدداً قليلاً منها اقتضي فيها شأنه الخاص أن نعمله في الظلام دقائق معدودة.

« وقد تمحاشت لجنتكم أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه الوظيفة في الخارج أو الذين يأخذون أجراً على عملهم هذا، فكان واسطتنا الوحيد احد أعضاء اللجنة، شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية، وحاصل علي صفة النزاهة المطلقة وليس له من غرض مالي يرمي اليه ولا أي مصلحة في غش اللجنة.

« وقد عقدت لجنيتكم عدة اجتماعات بدون أي وسيط لاجل محاولة الحصول على نتائج مشابهة لاني تحصات عليها بحضوره فلم تحصل بعد كل جهد نتائج مشابهة مما لاني تحصل مع وجوده .

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا ان تنخيلها عملت بصبر وثبات ، وقد دبرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف واستخدمناها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا واعداد كل احتمال لغش أو توهم .

وقد اكتفت اللجنة في تقريرها بذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس وحققتها مستندة الي الدليل القاطع .

وقد بدأ نحو أربعة اخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ومقتنعون أشد اقتناع بأنها كانت اما نتيجة للتدليس أو الزوهم أو انها حادثة بحركة غير ارادية للأضلات ، ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم السابقة الا بعد ظهورها بوضوح لا تمكن مقاومتها في شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة ، وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة فاقنعوا رغم انهم بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لا غبار عليها .

« وقد كانت نتيجة تجاربهم التي تتبعوها مدة طويلة وقادوها بعناية واهتمام وجشموها جميع اشكال الامتحانات تقرير احوال الآتية :

(أولا) أنه بوجود شخص أو اشخاص ذوي استعداد حساني أو عقلي خاض تنولد قوة كافية لتحريك أشياء ثقيلة بدون استخدام أي مجهود عضلي وبدون مس ولا اتصال مادي من أي نوع كان بين تلك الاشياء وبين جسد أي شخص من الحاضرين .

(ثانياً) هذه القوة تستطيع أن تحدث اصواتا في بعض الاشياء الجامدة بحيث يسمونها جميع الحاضرين بوضوح تام ولا يكون بين تلك الاشياء وبين احد الحاضرين أي اتصال .

وقد ثبت ان هذه الاصوات صادرة في هذه الاشياء عن ذبذبة تنضح عند المس تمام الانضاح .

(ثالثا) كثيرا ما تكون تلك القوة مقودة بعقل . انتهى

نقول أين هذه الرزاة والثبات والدؤوب وراء الغاية الجليلة من ذلك التسرع المغيب والتجدي السابي الذي ظهر بهما الاستاذ نيوكم ؟ فهل كان يتخيل اغاسز وصاحبا به ان يكشفوا عالم الروح بحلولهم مرة أو مرتين امام وسيط لا يهمل الا قبض الاجرة ؟ وهل كان يرجو الاستاذ نيوكم ان يتصل بالعالم العلوي بحلوله مرة واحدة امام مشعوذة وهو بين حشد من المتابعين ولم يتخذ بعض ما يتخذه رجال العلم في التجلجلا وفرنسا والمانيان التحولات التعجبية كربط الوسيط وحبه في قفص حديدى وتسميره بالارض وايصال تيار كهربائى الى جسده ليسجل كل حركة وسكنة اسكيلة يقع فيما وقع فيه من الانخداع الشأن حتى كانت المشعوذة هي التي اخبرته بانها لم تفعل ما فعلته بقهر اساليب المشعوذة ؟

انا اعجب لماذا يعول خصوم هذه المباحث على أمثا هؤلاء المتسرعين ويمتنعون عن قراءة تقرير اللجنة الرسمية التي نذبت لدرس هذه الحوادث في البلاد الانجليزية وهو يعتبر حكم الانجائز المشهود له بالمعجس والتدقيق ؟

ان تقريرا يكون من الموقعين عليه تندر ولورد افبرى وروسلا وولاس ووليم كركس من أقطاب العلم الانجائزى بل من زعماء المذاهب العلمية الحاضرة لجدير بأن يحل في الدرجة العليا من الاعتبار في نظر المنكاهين في هذا الموضوع الذي حول آراء العلماء من المادية البحتة الى الروحانية الصرفة في هذا الجبل .

هل يعقل ان نعتقد بتعجربة اغاسز السالبيه الوحيدة وبوقوع نيوكم (١) في يد مشعوذة ماهرة فنعتبر فشاما حجة دامة ونرمى عرض الحائط باقوال الالف من رجال العلم الذين

(١) (المقتطف) انما استشهدنا بالاستاذ نيوكم للدلالة على عدم تدقيق الجرائد

الاميركية . اما رايه في السبرنزم فيرجع فيه الى مقالته المشار اليها وقد كان اول رئيس لجمعية المباحث النفسية الاميركية

جربوا هذه المباحث بمجتمعين ومنفردين في مدى أكثر من سبعين سنة ؟
 ألم يكن في الثلاثين اخصائيا الذين نديهم المجمع العلمي البريطاني افحص الاسبرتسم
 واحد في مثل تبصر اغاسزاو نيوكم فيهدى تلك اللجنة الى طريقة التدليس ؟
 ان جمعية المباحث النفسية التي تأسست في لوندرة منذ سنة ١٨٨٢ لاتزال قائمة
 وقد تولى رئاستها لسنة ١٩١٩ اللورد ريليه *Rayleigh* وهو اعلما انجلترا بالطبيعة
 ناهيك انه يشغل في الجمعية الملكية محل العالم الاشهر تيندل . وقد جمعت هذه الجمعية
 من التجارب ما يقع في أكثر من اربعين مجلدا . فهل يعقل ان هذه الجمعية المؤلفة من
 غطارفة العلم الانجليزي تنكس في الغرور والوهم والاتخايع نحو اربعين سنة ؟ وهل
 يليق ان نرى تجاربها الايجابية عرض الحائط وتأخذ بقول اغاسزاو نيوكم بمن لم
 يحاولوا هذه الموضوع الخطير الا مرة ؟

هل هذا الاسلوب الساي الاكاري مما يرقى العلوم، أو يشجع الباحثين على موالاة
 التقيب عن امرار الكون ؟

لو كان دحض المستكشفات العلمية يتأتى بنقل آراء الخصوم المتسرعين في احكامهم
 لما حيي مذهب جديد في العالم ولا ثبت رأى حديث فيه .

ولو كانت الحقائق الجديدة تموت بأحكام الخصوم المتسرعين لباد استكشاف
 الاوكسيجين بواسطة لافوازييه، لقيام قيامة العلماء ضده اذ ذلك بحجة ان العناصر
 الاربعة لا تقبل التحليل . ولذهب استكشاف هرفي لدورة الدم ادراج الرياح لان
 جامعة الطب هزئت به وسلقته باسان حاد . ولقبر الاستصباح بالغاز لان العلماء
 كانوا يضحكون متى ذكروا امكان وجود مصباح بلا فتيل، ولما مدت الخطوط
 الحديدية وجرت عليها الآلة البخارية، لان الرياضي الاشهر اراغو اثبت بالادلة
 الرياضية سنة ١٨٣٨ امام مجلس منواب الفرنسي ان هذا المشروع مستحيل . ولما
 تحقق عمل الاسلاك البحرية التلغرافية لان العلامة ناييه قال عنها في المجمع العلمي
 الفرنسي سنة ١٨٥٣ : « ان نظرية التيارات الكهربائية تستطيع ان تعطينا
 أدلة غير قابلة للتقص (تأمل) عن استحالة مثل هذا النقل للمخابرات » ، ولما كنا

صدقنا وجود الانسان الحفري لان العلامة الجيولوجي الكبير (ايلي دو بومون)
السكرتير الدائم للمجمع العلمي الفرنسي ظل طول حياته ينكر وجوده ، ولكننا
رفضنا الاستفادة من السيكنوسكوب لان العلامة اجوست كوت قال اننا
لا نستطيع ابدأ وبأية وسيلة من الوسائل أن ندرس التركيب الكيميائي للكواك ،
ولحرمنا من القوة الكهربائية في مخايلنا ومعاملنا ويوتنا لان علماء الطبيعة
المعاصرين لمستكشفها جالغاني سخرؤا منه وكذبوه ونيزوه بلقب مرقص الضفادع .

انا لو أردنا استقصاء أقوال خصوم كل بحث جديد لارمنا أن نضع في ذلك
كتابا فليس طريق الوصول الي الحقائق وخصوصا السكبري منها أن نقف مع
أقوال المنكرين الجامدين من غير المجريين ، أو من المجريين الذين فشلوا في تجربته واحدة
أو عدة تجارب في سويعات معدودة ، ولكن طريقها درس أدلة المثبتين وزنتها بميزان
النقد الصحيح .

هذا هو الذي نعمله في كتابتنا هذا البحث وهو الطريق الذي سلكه كل الباحثين
في جميع العصور ، وبهذا الاسلوب وحده تقررت الاستكشافات الجديدة وزادت بها
مبادئ العلم

ان التنويم المغناطيسي الذي أصبح اليوم جزءا من العلوم الرسمية رمى
مستكشفه مسمر بالشعوذة ونيز بكل الاتساب المحقرة . فلو كان أخذ المجربون
المقاديم بكلام هؤلاء الخصوم لسينا حرمنا اليوم من أعظم استكشاف ظهر في العلوم
النفسية .

والاسبرتمس مضي علي جهاده اليوم أكثر من سبعين سنة وقد وصل الى ما
وصل اليه من احترام الوف من العلماء وملايين من الفهماء في سائر اصتقاع المعمور
ونحنا عن جميع المعارضين حتى صارت له مجامع علمية لا تقل جلالا عن المجامع
الرسمية .

وقد ذكرت مجلة التاريخ السنوي للمباحث النفسية التي يصدرها العلامة الكبير

شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي بجرئها المطبوع في سبتمبر الماضي أنه قد تألف في فرنسا مجمع علمي جديد تهمة الحوادث النفسية للدخول الى العلم الرسمي مؤلفا من الاستاذ الدكتور جيليه المدرس بجامعة السرريون وشارل ريشيه المدرس بجامعة الطب الباريزية والدكتور كالت المفتش العام لصحة باريز ، وجبريل دولان المهندس والاستاذ كاميل فلاميون والكونت ا. دوغرامون من المجمع العلمي الفرنسي وجول روش أحد وزراء فرنسا سابقا والعضو بمجلس النواب حاليا والاستاذ سانتو ليكويديو أحد وزراء إيطاليا ورئيس اللجنة الدولية للصحة للحلفاء والاستاذ تيسيه المدرس بجامعة ليون والمسيو بارتلمي سوريل الصحفي الفرنسي المشهور . فهل يجتمع هؤلاء القادة المشاهير من العلماء والاطباء والسياسيين لتهمة الاضاليل للدخول الى العلم الرسمي ؟ وهل يعقل أن يتنزل أمثالهم للاشتغال بالاعيب المشعوذين مما ثبت لاغاسز بجرأة سامية ولبؤكم بانخراعه لطفلة مشعوذة أنها خرافات لا تستحق غير الاعراض ؟

وجاء في المجلة العلمية والخلقية للاسبرنزم الصادرة في شهر سبتمبر الماضي بصفحة ٢٨٠ ان المجمع العلمي الفرنسي (الأكاديمي فرانسيز) منح المسيو ل. شفروى جائزة (فاني امدن) لتأليفه كتابه الذى عنوانه (الانسان لا يموت) وهو أول كتاب روى حصل على هذه الجائزة من مجمع كان قبل سنوات بهزا بهذه المباحث ويعدها من الانحرافات العقلية . فهل يهب مثل هذا المجمع جوائز لنشر الاضاليل وتأييد خزعبلات الخادعين والمخدوعين ؟

ان دولة الاسبرنزم قد تأيدت بحيث لم يعد فى وسع أحد ان يصعدن سبيلها او يقف حائلا دون انتشارها ، بعد ما اكتسبت الى صفها الالوف من رجال العلم والملايين من أصحاب الذكا . والفهم ، وخصوصا بعد ما اجتازت كل عقبة وضعت فى سبيلها وثبتت على كل تمحيص واختبار وتجربة سررت عليها . فاي وهم يقاوم كل هذه التجارب والملاحظات ، وأي شعوذة تستهوى عقول اعلى المهريين من الماديين فى مدى أكثر من سبعين سنة ؟

هل عهد في تاريخ البشر ان شعوزة مهمما بلغت من الدقة ينخدع بها ثلاثون عالما نزلوا خصيصا ليبحثوا فيجمعون على الشهادة بصحتها ؟ وهل عهد في تاريخ البشر ان الملايين من افراده الاذكياء يتألبون على درس مسألة محسوسة فيالعاب بعقولهم حيلة من المحتالين والدجالين وينتهي الامر بأن يصدروا نشرها نحو ثلاث مئة مجلة ، ويؤسسوا لها الجامعات العامية ، ويتولاها أقطاب العلم الرسمي في مثل الأمم الانجليزية والفرنسية والالمانية وغيرها ؟

وهل يعقل بعد هذا كله ان تستمر هذه الحركة وتزيد في هذا العصر عصر الشكوك والاحاد وفي مثل القارتين المتمدنتين حيث دولة العلم قائمة وموازن النقد صارة ؟

الاهم لا

ويحسن بنا ان نختم هذه المقالة بكلمة كتبها الاستاذ فايجو مدرس علم التشريح بجامعة ايسبون للعلامة كاميل فلامريون في ١٥ مايو سنة ١٩١٦ ونشرتها مجلة التاريخ السنوي للعلوم النفسية في عددها الصادر في سبتمبر الماضي جاء في نهايتها :

« انا لا احاول ان اعلل مارأيت ، ولكن اكتفي بأن أقول كما قال السيروليم كروكس بأنه حق صحيح .

« وانا اشعر الآن بدم عظيم من جراء جمودي السابق . فاذا ادرك الانسان ما وصل اليه العلم في هذه السنين الاخيرة تعذر عليه ان ينكر شيئا لاول وهلة . واننا لنفسى بسرعة تعاليم روجر بأكون وندعي مع ذلك اننا نحسبون نحب المذهب التجريبي »

دحض شبهة الاستهواء

في التجارب الروحية

نشرنا هذه المقالة في مقتطف ديسمبر سنة ١٩١٩:

ندحض في هذه المقالة النظرية الثانية من نظريات الماديين التي يوردونها لتعليل الظواهر الروحية، ومؤادها ان هذه الظواهر خيالية بحت ليس لها حقيقة في الواقع وإنما تترادي المجرىين لوقوعهم تحت تأثير استهواء الوسيط.

لما آانس الماديون ان استمرارهم على نظرية النديس أصبح لا وزن له بعد دخول الوف من الرجال المشهود لهم باللامعية والفضل الى ميدان التجارب، وطاق شهاداتهم لما في كل صقم من اصتباع الممورء لجأوا الى نظرية الاستهواء التي قدمناها وهي بمثابة خط الدفاع الثاني لهم، كأن العلماء الكبار امثال كروكس وريشيه وزولنر ولومبروزو وبترهوف والالوف المؤلفة من الاخصائيين العظام، من النبوة والبله وانحطاط المدارك والبلادة العقلية بحيث يسهل على وسيط ساذج مربوط على كرسيه ومحبوس في قفص من الحديد ان يوقعهم تحت تأثيره المنطاسي فيوهمهم برؤية مالا يوجد الا في خياله، فيسرعون الى اثباته تحت العنوانات الضخمة في بحجالاتهم وكتبهم، في مدى جيلين متتابعين، ويعقدون له مئات الجمعيات ثم لا يؤوبون الى رشدهم بعد تنبيه الماديين لهم، ولكنهم بدأبون عليه ويواصلون البحث فيه كأنهم جمعوا الى بلادة العقل نبله المستعصى والجود الذي لا حد له.

ان دحض نظرية الاستهواء من ايسر الامور، بل هي داحضة عن نفسها في نظر من وقف على بعض التجارب الروحية ونحن ساردون هنا الوجوه التي تبطلها .

(١) المعروف في الاستهواء انه يؤثر على واحد، والمجرىون للظواهر النفسية يكونون

عادة كثيرين وقد كان عدد الاعضاء الذين نديتهم الجمعية العلمية الانجليزية لبحث هذه الظواهر ثلاثين فكيف تسنى للوسيط استهوا. هذا الجرم الصغير ؟
(٢) المقرر أن الواقع تحت استهوا، غيره يكون فاقه آلا رادته وملازمها لجاسه وفي حالة نوم لا تفترق عن النوم الطبيعي الا في اطاعته لا. وثر عليه. والمجربون في المسائل النفسية يكلم بعضهم بعضا ويقومون ويقعدون ويراقبون الوسيط ويقعدون بالكتابة ما يشاهدون ويسمعون .

(٣) المعروف عن الاستهوا. ان المستهوى يقف على قدميه امام من يريد استهواه. ويحرق في عينيه، أو يشير اليه بيديه . والامر على العكس من هذا في التجارب الروحية فان الوسيط هو الذي يقف في خلد تام وقد يتشنج وتعتبره حوادث تعوز الاسماء في أثناء التجربة، فيقوم بخدمته المجربون ويكون مقيداً ومربوطاً علي كرسيه، وموضوعاً داخل قفص من الحديد، وموصلاً به سلك كهربائي ليسجل عليه جميع حركاته .

(٤) كثيراً ما يكون الوسيط امرأة الباحث المجرب أو ابنته كما كان ذلك حال الوزير الرومي اكزاكوف وادموندس رئيس مجلس السناتو الامريكي، أو أحد المجربين كما حدث للجنة التي نديتها الجمعية العلمية الانجليزية لبحث هذه الظواهر، أو يكون المجرب وسيط نفسه كما كان حال ستيدوستنتون موزس وغيرهم من كبار الرجال وعظيمات النساء، فهل تستقيم نظرية الاستهوا في هذه الاحوال كلها ؟

(٥) تسجيل الآلة الفوتوغرافية للظواهر النفسية في ساعات حدوثها فتأتي الصور مطابقة لما رآه المجربون بأنفسهم، فهل تقع الجوامد في الاستهوا أيضاً فنرسم خيالات الوسيط ؟

(٦) ارتفاع الاخونة الثقيلة عن الارض وانتقال الاثاثات من أماكنها وبقاؤها في مطارحها الجديدة بعد التجربة، أو تحطمها واستحالتها الي قطع بدون لمس احد لها وخروج مساميرها بدون آلة وبقا. ذلك كله مشاهداً محسوساً بعد الفراغ من التجربة .

(٧) حدثت قوالب من البرافين في اثناء التجربة وقاؤها بعدها ومنها قوالب لا يد وأرجل ليست لاحد من المجرىين لان منهما ما يكون في نحو وضع في حجم يد الانسان العادي.

(٨) بقا. الازهار والاشياء التي تجلبها الارواح من اما كن بعيدة بعد التجربة ولا يزال كثير من تلك الاشياء محفوظا لدى المجرىين وقدم مضي علي بعضها اكثر من نصف قرن

(٩) بقا. ما تكتبه الارواح بأيديها في اثناء تجسدها بعد انقضاء التجربة هذه الوجود كلها تفي نظرية الامتواء، والتخييل، وقد قلنا عدداً كافياً من هذه التجارب في مقالنا السابقة هاء ولكن الماديين الذين يزعمون ان يكون في الكون غير المادة المحسوسة يهزون اكدافهم متى سمعوا بهذه التجارب ويصرون علي اعتبارها اضمال عقلية او احاييل شعوضية وينسون او يقتاسون ان الذين يقولون بها اليوم كانوا بالامس اشد منهم شكاً وكانوا يسمون المجرىين باشد مما يصمونهم هم به اليوم من سقم العقل، والوقوع في الانخداع، ولكنهم بعد ان خبروها بأنفسهم عادوا فاقننوها بصحتها بالرغم منهم.

ولو كان هؤلاء الماديون منصفين ولم يطوح بهم الهوى الي ماطوح بهم اليه من معاندة المحسوسات لكان لهم في تقرير لجنة الجمعية العلمية الانجليزية التي وكل اليها البت في امر هذه الظواهر مقتنع. لان هذه اللجنة التي الفت من ثلاثين عالماً من اشهر علماء الانجليز دعيت خصيصاً لحسم مادة القيل والقال ودرس الموضوع دراسة علمية خالية من كل غرض مذهبي أو اعتبار ديني. ولم تستخدم وسيطاً مأجوراً، ولم تجتمع الا في بيوت أعضائها المجرىين، وليس فيهم واحد يجهل الاسماء، أو يستنم للانخداع، وكانت الامة الانجليزية اذ ذاك ناقصة علي حركة الاسبرتسم، وعادة اياها رجوعاً للاوهام القديمة، وتود أن يكون من وراء اجتماع هذه اللجنة كشف وجوه التدليس واصدار حكم قاطع صارم لا يقبل النقض علي ان هذه الامور من الشعوذة التي لا يقع فيها الا الغفل، ولا يقع لها وزنا الا العظام

الجاهلون ولكن ربما عن هذا كله جاء تقرير اللجنة مخالفا لرأى الجمهور ومشتا
لنظرية القائلين بأن وراء هذه المادة قوي تظهر في شروط خاصة وتعمل بعقل
وروية، وتأتي أعمالا مادية لا تدخل لاحد من المجرمين فيها . فكان هذا رأى
العلم الحاسم . وجاء بعدها الوف مؤلفة من العلماء المجرمين قايروا كلهم هذه
النتائج . فهل بعد هذا اشاك مهما بلغ به حب النحوط لمدرسته ان يشك في صحة
تلك الظواهر بحجة انه لم يرها بعينه ؟ ولو رآها هو وتلقاها لكانت السامعون كما
يكذب هو سواء . وليس هذا بالطريق التي تؤدي الى تقرير الحقائق
الكبرى . وقد لاحظ هذا الامر قادة العلم في اوربا ونهوا علي ضرره وعلي تأثيره
السيء في تقدم العلوم فقال الاستاذ الرياضى الكبير ألبرت دورشاس مدير مدرسة
الهندسة في باريس في مقدمة كتابه « استخراج القوة المحركة التي في الانسان » :

« ان رفض تصديق كل هذه التأكيدات علي كثرتها ووضوحها ودقتها يجعل قيام
أى علم طبيعى مستحيلا فدارسه لا يجوز له ان يطلب شهود جميع الظواهر التي تأتي اليه والتي
تكون ملاحظتها صعبة غالبا .

علي ان المادي المتشكك لو قام له عذر في اطراح قرار لجنة الجمعية العلمية الانجليزية
المذكورة آنفا فلم بعد في تاريخ العلم ان ثلاثين عالما من الاخصائيين يجتمعون ثمانية
عشر شهرا لبحث في مسألة محسوسة ويجمعون على حكم لا يشذ عنه واحد منهم واربعة
اخماسهم كانوا مقتنعين قبل بحثها بانها من الشعوذة كما كتبوا ذلك بأنفسهم في تقريرهم ،
كلهم في الضلال لا يشذ عنهم واحد يخالفهم الي المرمى .

لم بعد هذا في تاريخ العلم ولن يكون في عصر من العصور وقد أثر تقرير هذه
الجنة أعظم تأثير في عقول العلماء فعملهم على احلال هذه المباحث محلها من الاعتبار وانتهى
الحال بهم الى ما نرى اليوم من اعتبار المجامع العلمية الرسمية المؤتمرات التي تصدر فيها ،
وقد ذكرنا في المقالة الماضية خبر منحه المجمع العلمي الفرنسي جائزة (فان إمدن) لكتاب
المسؤول . شغريوى الذي عنوانه الانسان لا يموت وكل مستنداته مستمدة من التجارب

الروحية الحديثة .

قال الدكتور السرارث كونان دويل وهو من مشهور في المفكرين الانجليز في كتاب أصدره في سنة ١٩٠٩ التي نحن فيها وهي التي أعلن فيها انضمامه الى صفوف الروحانيين بعد تجارب دامت اكثر من ثلاثين سنة :

« ولقد تأثرت أيضا في ذلك العهد بتقرير الجمعية العلمية الانجليزية وهو التقرير الذي يصعد تاريخه الى سنة ١٨٦٩ فانه من الاعمال التي تفضي قراءتها الى الاقتناع . وهو وان كان قد قوبل من الصحفيين الجاهلا ، ومادني العصر بالسخرية الا انه في الواقع ذو قيمة جليلة . فلقد تألفت هذه اللجنة من جماعة من الرجال الممتازين المعروفين بالنزاهة وقد رغبوا في تحقيق الظواهر الخارجية الاسبرتسم . فجاء تقريرهم مفصلا بتجاربههم والذخومات التي اتخذوها ضد التدليس . فبعد ان يقرأ الانسان البراهين المجموعة في ذلك التقرير لا يستطيع ان يدرك كيف كان يحصل هؤلاء المجربون الى غير النتائج التي اعلنوها ، وهي ان هذه الظواهر بلا أقل ريب حقيقية وتدل على وجود نواميس وقوى لا تزال مجهولة من العلم . والاغرب مما تقدم انه لو جاء قرار هذه الجمعية ضد الاسبرتسم كان طعن هذه الحركة طعنة قاتلة وما كان يقابل بالاستمراء لضمائه صحتها . ولقد كان هذا الاستمراء يحظ بمباحث عديدة عملت بعد مباحث هيدسفيل في سنة ١٨٠٨ أو حين قام الاستاذ هير (Hare) من جامعة فيلادافيا ليعارض الحقيقة كما كان شأن القديس بولس ، ولسكنه اضطراب ان يتعني ابلالها (انظر صفحة ٣٧ من كتاب الوحي الجديد تأليف الدكتور السير ارثر كونان دويل)

هذا تأثير وقع تقرير اللجنة العلمية الانجليزية في العالم العلمي فيحسن بكل من يريد الكلام في هذا الموضوع نصوبيا او تخلفيا ان يقرأ احتراماما للحقيقة .

وانا في مناسبة ذكر كتاب الدكتور السير ارثر كونان دويل فتعطف لقراء هذه المجلة كلمات منه فهو أحدث كتاب ظهر في عالم المطبوعات في هذا الموضوع ، وصلتني

نسخة منه منذ أيام وقد أخذت في ترجمته لأنه يحكى تاريخ نفسه في الشك والجـود
ثم تدرجه شيئاً فشيئاً تحت تأثير البراهين الى الاعتقاد الجازم بان الاسبرتسم حق وانه
وحي جديد للعالم ليخرجهم من ظلمات الالحاد المطلق الى انوار الايمان القائم على دعائم
العلم الصحيح . قال الدكتور المذكورة بعد ذكره التجارب التي عملها في مدى الثلاثين
سنة السابقة .

« ان هذا الموضوع كما برهنت عليه يجدر ان يعتبر بعنا لعلم كان قد اندثر
لا استكشافاً جديداً . وانا لسنا في عهد يصح أن نحسب فيه الآراء الناضجة المتروية
فيها لامثال كروكس وواليس وفلاميون وشارل ريشيه ولودج وباريت ولومبروزو
والجنرالين دريزون وتوريز والسرجان بالانتان وستيدوالقاضي ادموندس والاميرال
اسبورن مور والمرحوم ارشيد يكون ويلبر فورس وجم غفير من شهود آخرين . قلت
لسنا في عهد يصح أن توصف فيه آراء هؤلاء ، بأنها من الخاطئ أو اللغو الممل . وقد
توافقنا انا والمستر ارثر هيل في القول باننا وصاننا من هذا العلم الى الغاية التي تعتبر
مهما كل شهادة جديدة زائدة عن الحاجة وبقع عب . كل انكار علي المنكرين
أنفسهم .

« ان زمن البحث والتنقيب قد مضى وحان وقت العمل من زمان بعيد .

« ان الادلة التي يستند عليها هذا العلم من الكثرة بحيث تملأ مكتبة بأكملها .
والشهود الذين دعووه لا يعيشون في غيابات الغلام ، ولا هم في ماض بعيد لا يقبل التمهيص
ولكنهم معاصرون لنا ، ومن اصحاب المدارك والصفات المجمع علي احترامها ؛

« الامر في جهاته ينحصر كما أرى في الاخذ بأحد رأيين اثنين وهما : اما ان يفرض
بأن وباء من الجنون النهم جيلين من الناس ، وعم قارتين من الارض واصاب رجالا ونساء
يعتبرون في أوج الصحة في كل مجال عقلي آخر . واما التسليم باننا منذ سنين ثنائي وحيث
جديداً من مصدر الهى يخالف اكبر الحوادث الدينية التي حدثت منذ موت المسيح مخالفة
كبيرة . لان حادثة الاصلاح البروتستانتى كانت عبارة عن تهذيب للاسكاثوليكية

وأما هذا الوحي الجديد فيغير في نظرتنا وجه الموت، وحظ الانسان من الوجود تغييراً
كلياً . لا مجال للتردد في اختيار أحد هذين الفرضين . وأما النظرية التي مؤداها ان
الاسبريسم لا يعد والتدليس والافك، فلا تثبت أمام الوضوح والعيان . فاما ان يكون
هذا الامر من الجنون البحت، وأما ان يكون انقلاباً بجهلنا نقابل الموت وجه الوجه بلا
وجل وبتعزية لاحدنا باقناعنا بان الذين نحبهم لم يتلاشوا بالموت، ولكنهم انتقلوا الى عالم من
وراء حجاب

«وأحسن ما أفعله لحتام هذا الكتاب الصغير هو أن أنقل الكلمات البليغة
التي أعجز عن الاتيان بمثالها وهي كلمات تساوى فيها النكر والبيان في السموء للمفسر
الكبير والشاعر المستر جبرالدماسيه *Geraldmassey* وقد كتبت منذ عدة سنين
قال :

«ان الاسبريسم صار لي، كما صار للكثيرين غيري، توسعة في مدى أفقي العقلي
ومنفذاً لي الى السماء، ونحولاً لا يمانني بالغييب الى عقيدة بمشاهدات محقة لا يمكن
أن تشبه الحياة بدونها الا بالمرور في قاع سفينة مقفلة النوافذ وليس مع السائر
من نور غير بصيص من لمب شمعاً ثم سمح له مفاجأة أن يصعد الى ظهر السفينة في
ليلة حالية بالكواكب ليتأمل لأول مرة هذا المظهر المعجب للسماء وهي تنللاً بعظمة
الله».



الروح والجسد

جاء في جزء المقتطف الذي نشرنا به هذه المقالة سؤال وجهه اليها بعض قراء المقتطف هذا نصه :

حضرة الفاضل محرم المقتطف

قرأت في مجلاتكم مقالات متوالية تحت عنوان اثبات الروح بالمباحث النفسية لحضرة الفاضل فريد بك وجدى ويتأخص كلام حضرة في أربع كلمات وهي ان الروح غير الجسد خلافا لما يشبهه الطبيعيون من ان الروح ظاهرة من الغواهر التي تنتج من الجسد بتأثير بعض المؤثرات فيه ،

فالرجاء من حضرة الكاتب ان يفسر لنا العلاقة بين زوال الروح من الجسد بالامتناع عن تناول الطعام وبين استمرارها فيه بتعاطيه الطعام الى ان يعبر الجسم غير صالح لما مسكننا مستفيد

،،

دحض شبهات

تأثير الوسيط بقوته الذاتية

نشرنا هذه المقالة في جزء المقتطف الصادر في يناير سنة ١٩٢٠

لما تحقق المنكرون للمالم الروحاني ان نظرية التدليس والاستهواء لاتنهض لتعليل المشاهدات التجريبية للمباحث النفسية، ولا تقوى على مقاومة تيار غواهرها

التي تظاهرت في الشهادة لها المشاعر والآلات المعدنية، وخشوا ان هم أصروا على هذا الضرب من المسكارية أن يحاط بهم من كل جهة، تقهقروا الى حط دفاع ثالث وجمعوا صفوفهم استعدادا لمركة فاصلة تسلموها بفروض جديدة . فزعم ان تلك الظواهر كلها لا تدل على وجود عالم روحاني تظهر لنا آثاره بواسطة ذوى الاستعداد الخاص لاظهارها، ولكنها مظاهر مختلفة لقوى الوسيط نفسه . فقد يظهر الوسيط بشخصية مختلفة لشخصيته فيخيل المجرى ان روحا استوت عليه وتكلمت بلسانه والحقيقة ان هذه الحالة مظهر من مظاهر الامراض العصبية كحالة المرضى الذين وصفوا اطوارهم الباطنون في تلك الامراض كالاساندة جانه وريجرو جيس وميرو غيرهم (انظر المقتطف صفحة ٤٦٨)

والوسيط الواقع في تلك الحالة قد يخبر بما لا يعرفه هو ولا يعرفه المجرىون فيتوهم من يراه ان روحا تتكلم بما غاب عن الناس، والحال كما يقول المقتطف في الجزء الماضي انه يعبر عن « معلومات محفوظة في عقله الباطن الذي أطلق عليه الاستاذ ميرس اسم *Subliminal* أى تحت عتبة الشعور وأطلق عليه شونيهوير وهارتمان اسم اللاشعور *Inconscient* تريد بذلك ان بعض الناس يسمعون ويقرأون عن أمور كثيرة فترسخ في عقولهم الباطن ولكنها لا ترسخ أولا يبقى ذكرها في عقولهم الظاهر الذي يستولي عليهم وهم في حالتهم الطبيعية، فاذا مرضوا أو ناموا بالاستهوا، وأصابهم الغيوية تذكروا ما هو راسخ في عقولهم الباطن وذكره »

فان قلت لهؤلاء ان انواع المشاهدات الروحية لا تنحصر في ظهور الوسيط بشخصية غير شخصيته، ولا في اخباره بالغيب ولكن تتناول ضروبا من الخوارق يطول فيها العديد ردواعليك بمثل ما قاله المقتطف في ذلك الجزء نفسه : « لا يخفى علينا ان بعض مازوى عن الوسيط لا يعمل بما تقدم ولكن الذين فحصوا بعض الغرائب الروحية وجدوا فيها بعدا عن الحقيقة مقصودا او غير مقصود وانما اذا ردت الى حقيقة زالت منها كل غرابة »

المنكرون في كل زمان ومكان ردّدوا هذه العبارات كلها خوطبوا في المسائل الروحية . فقالها كوكس ورسل والبس وشارل ريشيه وبترهوف وزولترو لومبروزو ولجنة الجمعية العلمية الانجليزية التي دعيت لفحص المشاهدات النفسية وتقديم تقرير رسمي عنها وقالها الالوف من الدالما والمفكرين في كل بلد متمدن ولسكنها ذات وتلاشت عند ما بحثوا هذه المشاهدات بانفسهم فاقبلوا الى صفوف أنصارها وادفعوا عنها بكتاباتهم وخطابهم ، حتى أصبح لها الدولة اليوم . فالامر كما يقول الدكتور (ارثر : كونان دويل) ينحصر بين فرضين اثنين لا ثالث لهما : فالأمر أن يكون وباء من الجنون النهم القارئ في جيلين متواليين ، واما أن نكون حيال فتح جديد افاضه الله على الناس ليكمل به لهم نقص الدليل العقلي في اثبات الروح والخلود بشاهد من الحس كما تتطلبه الفلسفة المصرية .

وأنا أزيد علي هذا قولي : لو كانت مشاهدات ألوف من العلماء والنبها ، مجتمعين ومنفردين في جيلين متواليين ، تدحض بمثل هذا الاسلوب ، لبطل كل علم في الارض الا ما يراه الانسان بنفسه . فيستطيع أحدنا مثلاً جريا علي هذا الاسلوب ان ينكر كل ما ذكره المفتطف عن العالم . جانه ويريجر وجس وميرس وازام من تجاربهم في الشخصيات المتعددة ، ويستطيع أن يورد عليها كل ما يورده المنكرون علي المشاهدات الروحية من التشكيكات المتنوعة . واذا كان المفتطف يثنى بهم ويعتمد علي ما يقولونه عن الشخصيات المتعددة لدحض الوساطة الروحية ، فلم لا يثق بهم فيما يقولونه هم انفسهم عن المشاهدات الروحية . اليسوا هم أولى الناس بتعليقها بالشخصيات المتعددة باعتبار انهم اكبر المدرسين لها والواقفين علي أطوارها . انهم لم يفعلوا ذلك بل رأيناهم يشهدون بصحة الظواهر الروحية وبأنها ليست مما يعال بالشخصيات المتعددة . فقل الدكتور جانه في كتابه (الحركة النفسية الذاتية) صفحة ٣٧٦ بعد ذكر الاسبرتسم :

والذهب المادي الذي اوجزنا الكلام عنه هنا يستحق درسا مدققا ومناقشة صولية وان التشكيك والازدراء اللذين يميلان علي نكران كل ما لا يفهم وعلي

ترداد كاهن غش وتدليس دائماً وفي كل مكان ليس لها محل هنا ولا حيال ظواهر
المنطاطيس الحب-واني . فالت الحركة التي دفعت الي تأسيس خمسين جريدة
في أوروبا وحملت علي الاخذ بها عدداً عظيماً من الناس لا يصح أن تعتبر قليلة
القيمة.

أما ميرس وجنس فالاول منهما كان اكبر أعضاء جمعية المباحث النفسية في
لوندرة وفي كتابه المسمى الشخصية الانسانية الذي نقل المقتطف عنه ما قاله في الشهر
الماضي عشرات من الشهادات في حجة التجارب الروحية. والثاني منهما كان رئيساً
لجمعية المباحث النفسية المذكورة وقد نقلنا شهادته لهذه المباحث في العدد الصادر من
المقتطف في شهر يناير من السنة الماضية.

ويحسن بنا أن نضيف هنا الى شهادتهم شهادة عالم كبير من الباحثين في مسألة
الشخصيات المتعددة هو الاستاذ الدكتور (بينيه) *Blnet* مدير المعمل البسيكوجي
في جامعة الطب الفرنسية فقد قال في كتابه (تحولات الشخصية) في صفحة ٢٩٨ بعد
ذكره بعض التجارب الروحية :

« هذه البراهين كافية لان يتمكن مذه . كالاسبرتسم من ادعاش الناس أجمعين
ومن كسب الوف مؤلفة من المصدقين » .

هذه شهادات من نخبة العلماء الذين استشهد المقتطف باقوالهم في مسألة تعدد الشخصيات
وقد زدنا عليها شهادة الاستاذ (بينيه) وهو من اكبر الاخصائيين في تلك المسألة،
فيأي مرجح نأخذ باقوالهم في مسألة تعدد الشخصية ونرفض تعارضهم في المباحث
النفسية ؟

...

فلنا ان في المشاهدات الروحية مالا يمكن تفسيره بتعدد الشخصيات، ولا
بالعقل الباطن، وانضرب لذلك أمثلة قليلة من ملايين كثيرة من تجارب بحثت كلها
ببحثا علمياً ومبرر علمياً أدق أساليب التحصيل المعروفة، منها تسكلم الوسيط بأكثر

من عشر لغات لا يعرفها هو ولا أحد من المجرين، كالعربية والهندية والجاوية والصينية، يتكلم بها كإحد أبنائها بشهادة أهل تلك اللغات الذين يستحضرون لفهم مع الروح المتكلمة . وقد كتب المستر ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الأمريكي ان ابنه (لورا) كانت تتكلم بخمس عشرة لغة كإحد أبنائها وكان من شدة شغفه بهذه المباحث يعرضها للمجرين ، فهل يعقل ان عقلها الباطن يفظ تلك اللغات كلها على غير شعور من عقلها الظاهر ويشهد أبوها ، وكان زعيم أكبر هيئة دستورية في العالم انها لم تعلم غير الانجليزية والفرنسية ؟ ان عقل ذلك فهل يعقل كتابتها لتلك اللغات كلها بخطوط أصحابها المتوفين ؟

ومنها ادخال المواد الجامدة الى غرف التجارب المقلدة من خلال الحوائط ونقلها اياها من مئات الاميال ، وانفاذ الاشياء الجامدة في الصناديق الحديدية المقلدة المغطاة امام أعين المجرين بدون ان لمسها ، وقد نقلنا شيئا من ذلك في مقالنا الماضية ، فهل تفسر هذه الحقائق بتعدد الشخصيات أو بالعقل الباطن ؟

ومنها ظهور ايد وأرجل وانصاف اجساد واجساد تامة التركيب تتكلم وتسلم على الحاضرين بيدها وتسمح لهم بفحصها بكل ضروب الفحص وتكتب لهم بيدها وتترك قوالب من البرافين لبعض أعضائها وتهديهم بخصل من شعرها وقطع من ثيابها ، فهل يفسر هذا أيضا بتعدد الشخصيات أو بالعقل الباطن ؟

كل هذه المشاهدات ، وهي ملايين ، مما يرى عليه أقصى ضروب التمحيص لو عرضتها على الماديين وأخبرتهم بأن الذين شاهدوها هم من اخوانهم العلماء الذين يفوقونهم علما ورزاة اعرضوا بجانبهم ولم يجدوا وسيلة أحسن من نكرانها بجملة وتفصيلا ، والادعاء بأن أولئك العلماء (وهم أولف) قد خدعهم المشعوذون واستهوهم الدجالون ، فان أتيتهم بشهادة عشرات الآلاف من الأطباء والمهندسين والصحفيين والكتابيين والشاعرين رموا بها عرض الحائط أيضا وزعموا ان هؤلاء ينتقصهم التمحيص العلمي الصارم وكبر عليهم ان يأخذوا بتجارب من دونهم . فان قلت لهم فافضلوا انتم بالبحث بأنفسكم ،

اجابك بعضهم بأن هذا لا يهمل أصلاً كما فعل الأستاذ هكسلي . وأجابك البعض الآخر بأنه حضر تجربة لوسيط (ما جور) فظهر له أنه يحاول النفس فلم يعد بعدها للتجربة ووفر في نفسه أن كل الوسطاء مدلسون ! ورد عليك آخر أن هذه المشاهدات مناقضة لعلم المعروف كأن العلم المعروف لا يصبح أن يرتقى عما هو عليه إلى أيد الأبدن .

ان هذا الأسلوب في دحض الاستكشافات الجديدة لا يعتمد من الخطة العلمية ولا من دلائل العلمية ولكن يعتبر من قبيل وضع العقبات امام العلم واتخاذ مسائل الوجود الكبرى لعدد محصور من نواميس ناقصة أظن النقد العلمي الجديد انهم استلزمات تحكيم كالمسلمات المنطقية .

..

واقعد بالغ الغلو بعض العلماء الماديين انهم اخترعوا نظريات لتعليل المشاهدات الروحانية لو ثبتت لكانت اعجب من ظهور ارواح الموتى جهاراً وسريها بين الناس في الطرقات . كقولهم ان القوة العصبية للوسيط قد تخرج منه في بعض الاعوال وتحدث أعمالاً مادية محسوسة . فما هي هذه القوة العصبية ؟ وعلى اى دليل علمي استندوا في زعمهم بأن هذه القوة قد تخرج من الجسم لتصلحك على لحي المجرىين ؟ وما حظهم من ادعائها بأنها روح بعض الميتين ؟

وأراد الدكتور ادوارد هارتمان الألماني ان يتمدد فلم يقل بخروج القوة العصبية بل قال بخروج الروح من جسد الوسيط وهو متشنج واثباتها لتلك الحوارق فيظنها المجرىون روح أحد المتوفين وما هي الارواح اخبرهم الوسيط . كما ذكر ذلك في كتابه (انيميسموس اندسبيريتسموس) الذي رده على الوزير الرومي اكراف . فلما سئل ومن اين لروح وسيط جاهل أن تأتي بالفلسفة العالمية وأنباء الغيب ؟ فأجاب بقوله ان الروح الانسانية نفحة من الخالق عز وجل فاذا تجردت اتصلت به اتصال الفرع بالاصل وعلمت ما كان وما سيكون الى ابد الأبدن .

فرد عليه اكزاكوف بقوله : ان هذه الارواح التي تظهر للمجربين تدعى انها
أرواح موتى معينين، فهل يعقل أن روح الوسيط بتجربتها عن عالم الرعونات البشرية
واتصالها بالذات العالية الكلية، تنصف بالكذب الصراح وهي في ذلك العلور من
الجلال السماوى ؟ اما كان يجدر بها وهي تتجلى في ذلك العالم العالى بذلك العلم المطلق
أن تقول الحق ونهذى الناس الى الصواب ؟

وقد زعم بعض العلماء ان هذه الخوارق تحدث من الروح العامة التي تتكون من
مجموع توجهات المجربين واتحاد قواهم العصبية على احداثها . وهذه شبهة لا تحتمل النقد
ولا يصح أن تحشر في عالم الفروض العلمية، فان القول بتكون روح عامة من قبيل
الاستناد الى مجهول فما هي تلك الروح العامة ؟ وتم تنأف ؟ وكيف تتكون ؟ وما
حدود سلطانها ؟ وما حفظها من الابهام والتدليس ؟ على أن المجربين أكثر ما
يكونون مكذابين منكرين يريدون عدم ظهور أي خارق أو ظهوره وكشف اجولة
الوسيط . واذا أمكن تحليل بعض المشاهدات الساذجة بهذه النظرية كتحريك خوان
أو انتقال متاع من مكان لمكان، فهل يمكن أن يعمل بها حدوث المشاهدات الكبرى
كظهور الاشباح وتكلمها بلغات متعددة وكتابتها بها واحداث الخوارق التي سردنا
عليك بعضها ؟

ان أوردت عليهم هذا، قالوا كل ما لا يملل بذلك النظرية يجب ان يأنظر الى
زاوية الاهمال باعتبار أنه من الشعوذة وانخداع المجربين (الخ) .
الامر جال . وهناك ملايين من المشاهدات تتظاهر على نفي هذه الشبهات
كلها . وما احتل المادبون اعداء هذه المباحث خط دفاع إلا تعقبهم المجربون فيه
وقهروهم عنه . فاذا كانت هذه المشاهدات ليست من الشعوذة ولا الاستهواء، ولا من
روح الوسيط ولا من مجموع أرواح المجربين، فلم يبق الاشبهة رجال الدين ومن نهما
محوهم من الاعتقاديين، وهي انها آثار ارواح مجردة موجودة في الكون غير ارواح الناس
او اعمال شيطانية الغرض منها التضليل وصرف الناس عن حقائق الدين . وهذا ما سننظر
فيه في الجزء المقبل ان شاء الله .

وما سألني به حضرة المستفيد في صفحة ٢٣ من المقنطف فسنجيبه عنه في ختام
المقال التالي أيضاً.

رد شبهتي الأرواح غير الانسانية

والأرواح الشيطانية

نشرنا هذه المقالة في مقنطف فبراير سنة ١٩٢٠

نفينا في مقالات سابقة شبهات الماديين على الخوارق والأرواح المنجسدة التي
تظهر للمجربين اطواهر الاسبرتسم واليوم نفي شبهة بعض الفلاسفة الاعتقاديين القائلين
بان تلك الأرواح التي تكلم المجربون ليست بأرواح الموتى من الأديمين ولكنهم
أرواح مجردة أخرى موجودة في الكون لا ندري حقيقةها. وشبهة رجال الدين الذين
يذهبون الى ان تلك الأرواح ارواح شيطانية تظهر للمجربين لتفتنهم وتضلهم عن
الدين

فاما الشبهة الاولى فضعيفة من وجوه عديدة :

منها انه لا معنى لادعاء تلك الأرواح المجردة بانهم ارواح موتى الأديمين وامرارها
على تلك الدعوي في مدى جيلين متواليين واجمعها على ذلك في كل ادوار هذه
المباحث.

ومنها ان الأرواح التي تظهر للمجربين تعلم امرار الموتى الذين تدعى هي انها
ارواحهم، وتكتب بخطوطهم وتوقع توقعياتهم ، فاذا تجسدت ظهرت بصورهم التي
كانوا عليها وتكلمت باصواتهم واخبرت عن جميع دخائلهم، ولا يعقل ان تكون
تلك الأرواح المجردة من الغش وفساد الطوية بحيث تزج بالعالم في مثل هذا الضلال

(١٩ - اثبات الروح)

البعيد الا اذا كانت من اخبث الشياطين ، فنقول هذه الشبهة الى الشبهة الثانية .

ومنها ان تلك الروح لا يعقل ان تكون من الملائكة الذين تصفهم الاديان فانها تقول بأنهم كائنات علوية ليس من شأنهم التدليس ولا من صفاتهم التلبيس .
ومنها انه لو ساغ في العقل وجود أرواح مجردة تخضر فتكلم المجريين ، فلم يستبعد ان تكون هي أرواح الميتين خصوصا وهي تؤكد ذلك وتقيم عليه البراهين كاستمراء في المقالة الثانية عشرة .

ومنها ان هذه الشبهة لا قيمة لها في دحض المذهب الروحاني لانها من جهة لا تؤيد مزاعم الماديين انفيهم وجود الارواح جملة كافية ، ولادعوى الدينيين اذهابهم الى ان الارواح لا تخضر للمجريين ، بل تقوى حجة الروحانيين من امكان اشرفنا على العالم الروحاني واتصالها بالكائنات الملامادية فيه .

..

وأما شبهة رجال الدين فلا تقوى على النقد ، حتي النقد المؤسس على تعاليمهم ، لان الشياطين في تعريفهم هي ارواح شريرة ، جبات على اغراء الناس على الفساد وتوريطهم في الهلكات . والارواح التي تظهر للمجريين على الضد من ذلك تأمر الناس بالمعروف ، ونزعهم عن المنكر ، وتقيم لهم الادلة على الخلود ، وتعمل جهنمها في هدم المذهب المادي الذي دفع بالناس الى قبول شر التعاليم وكان من اثر تلك الارواح في مدي سبعين سنة ان آمن بالله واليوم الآخر ملايين من الماديين وانفتح لاهل النظر مجالا لاحد له في تنوير اسرار الخالق وكشف مساهير الطبيعة والاستدلال على عالم الروح بأسلوب العلم المادي ، وتعديل مزاج الفلسفة العصرية .
فاذا ابرت هذه الكائنات بعد هذا كله للملائكة الكروبيين ، وأرواح الشهداء والصالحين ؟

الحقيقة ان لتأليب رجال الدين في أوروبا على الخط من قيمة هذه الآلية الكبرى

آية ظهور الارواح سببا قل من فطن له في هذه البلاد . وهو ان هذه الارواح تدعى انها مكلفة بهداية الناس الى نظر جديد يرتفعون به على معارج الدليل الحسى الى مستوى من العنايد ارقى مما هم فيه من اديانه المقررة . وقد صرحت بأن الناس بما يحملونه باسم الاديان من جهالات اسلافهم أصبحوا بعداء عن كل خير ، مستعصين عن كل كمال . وانه قد آن وقت خلاصهم من هذه الاضرار لا بتكذيب كتبهم ورسالهم ، ولكن باعتبار ان تلك الكتب أو حيث لهم مشوبة بكثير من الخرافات لان حالتهم العقلية تأبى غير ذلك ، وان المرسلين هم وسطاء روحيون لا اقل ولا اكثر .

هذه التعاليم ازعجت رجال الدين وجعلتهم ينظرون الى المسألة الاسبريتية نظرم الى عامل شديد الخطر يقوض صروح الاديان ، ولكنها لغت من جهة أخرى نظر الباحثين المستقلين ، ورأوا فيها حلا علميا مقبولا لمسألة النبوة والكتب الموحاة . ونحن في هذه المقالة لانرى بدأ من نشر طرف من فلسفة الارواح في هذه المواضع . فأحسن ما أتت به من ذلك ما كتبه بنفسها بالاستيلاء على أيدى أكبر وسطاء . انجلترا القس ستنتون موزس الاستاذ بجامعة كوليدج سكول . كان هذا القس عدوا للمذهب الروحي كجميع رجال الدين وكان له صديق حميم من غلاة الماديين وهو الدكتور ستانوب سيير . فاتفق ان ميسز سيير قرأت كتاب (الارض المتنازع عليها) الاستاذ الانجليزى الكبير (دبل اوبن) في الاسبريتسم فحسب انبها البحث في هذا المذهب . فحلت زوجها الدكتور سيير وستنتون موزس على التجربة ، وكانت الوسيط أولا (لوتى فلاور) ثم (وايم) المشهور فاتفق في اثناء التمارين ان القس ستنتون موزس خاصة الوساطة ، فكان يشاهد أصحابه اذا اجتمعوا معه للتجربة حدوث طرقات واجاباتها على أسئلة السائلين ، وظهور أثار على هيئة كريات وهبوب روائح زكية عليهم وحصولهم على مقادير من المسك السائل في أيديهم ومناديلهم النخ ولكن أكبر هذه الظواهر كلها كان استيلاء أرواح معينين على يد القس وكتابتهم فصولا طويلة كان لها أكبر تأثير عليه وعلى الحاضرين .

وذلك انها فاجأته بما يناقض عقائده الدينية فكان يحد يده - يكتب ما يحد يحد -
 انكر فيه كفرأ صريحاً، فيشدد في الرد عليه، فتستولى الروح علي يده ثانية وتناقشه
 في رده حتى أفشى الامر الي صبوه لمذهبها واقتناع الدكتور سير وزوجته وابنه
 شارلتون سير بصحة مذهب استحضر الارواح بعد أن رأوا من دلائله الحسية ما لا
 يمكن التردد في قبوله.

ونبه هنا ان ما سنقله عن كتاب القس ستنتون موزس (التعاليم الروحية) هو مذهب
 جميع الارواح في جميع بقاع الارض.

فما كتبه بيد القس المذكور عن وظيفة قولها في صفحة ٩٠ من الكتاب

المذكور :

« نحن مرسلون من عند الله كما ارسل المرسلون من قبلنا غير أن تعاليمنا أرقى
 من تعاليمهم ، فالله هو الههم الا ان الهنا أظهر من الههم ، وأقل صفات بشرية ، وأكثر
 خصائص الهية »

والإيمان التقليدي لا يمكنه ان يحل محل الاقتناع العقلي ، لان الإيمان إنما
 يكون إيماناً اذا قام على أصول ثابتة منتخبة يقرها العقل ، والا فلا يمكن أن يكون واجباً
 علي أحد . فإذا لم يكن مستنداً علي شيء ، أصلاً فاسناً في حاجة الى إقامة الدليل علي
 بطلانه .

« ان وجهتنا نحن اعتبار العقل فكيف يمكن أن يستدل من ذلك علي أننا آتون من
 قبل الشيطان ؟ وما هو الخطر المتوقع من الاصل الذي نعوأ اليه ؟ وبأي مناسبة يمكن
 اتهامنا بأننا نرمي لغرض جهنمي ؟ »

(مذهب الارواح في حب الانسانية وفي الفلسفة)

« محب الانسانية هو الذي يحبها لذاتها ، والفيلسوف هو الذي يحب الله لذاته ،
 كذلك فاشكال هذين الرجلين هم أحياء الله الذين لا تقدر اهم قيمة ، وما أعد لهم من
 العبادات لا يمكن ان يحد يحد »

فالاول لا يقيد حبه للناس اعتبار الجنس ولا لوطان ولا لاعتقاد ولا لامم، ولكنه يحيط الانسانية عامة بحبه الخاص . فيحب الناس باعتبارهم اخوانا غير مبال بآرائهم الخاصة فهو لا ينظر الا الى حاجاتهم . يهجم من علمه الراقي فيبارك الله عليه . هذا هو الحب الصادق للانسانية، وليس هو ذلك الذي لا يجب الا الذين يوافقونه في الرأي، ولا يساعد الامن يتملقونه، ولا يتصدق الا ليعرف عنه انه من المحسنين .

«والثاني أى الفيلسوف هو الذي خاص من وطأة النظريات فيما يجب أن يكون، ومن الخسوع الآراء، الطائفية والتقاليد المذهبية، فاصبح حراً من أمر المقررات، ومستعداً لقبول الحقيقة مهما كانت بشرط أن تقوم عليها البراهين، باحثاً عن مساهمات الحكمة الالهية فيجد سمادته من وراء هذا البحث . وهو لا يخشى أن يستنفد خزائن هذه الحكمة فانها لا تقبل العناد، اما اغتباطه في الحياة فهو في الترقى كل يوم في معارج العلوم العالية، وفي الحصول منها على محصول عظيم من آراء هي أقرب الى الحقيقة عن الله وعن العالم . اجتماع هاتين الخصلتين حب الانسانية وحب الفلسفة يكونان الرجل الكامل (صفحة ٣٧)

(مذهب الارواح في المقررات التي نعتبرها حقائق)

من الكتاب المتقدم

« اذ ارايت ان تعاليمنا تثبت عدم وجود حقيقة مطلقة فنحن نشكر على انك فهمت ما نرمي اليه . فما لاشك فيه انه لاشئ . وانتم في حالتكم الراهنة من النقص بقرب من الحقيقة المطلقة ولان الكمال المطلق .

والحقيقة المناسبة لكم يجب ان تكون متغيرة لانكم لا تستطيعون ان تحيطوا بالحقيقة المطلقة في كليتها، ولان تدركوها في جزئياتها، فهي تظهر لكم من وراء حجاب . ونحن لاندعي ان نكشف لكم عن وجهها فنحن انفسنا نجد في الوصول اليها . والذي علينا هو ان نساعدكم في الحدود المسموح بها، فنعين لكم في صورة غير تامة الجلال، مدرجات جديدة هي اقل بعداً عن الحقيقة مما لا يقدر من المدرجات التي تتخللون انما وحي مباشر من الحق

تعالى نفسه (صفحة ١٦٧)

﴿ نصيحة الارواح للناس في الامور الاعتقادية ﴾

من الكتاب المتقدم

« لا تخضع لاية عقيدة مذهبية، ولا تقبل بلا بصير ولا روية تعاليم لا تستند علي العقل ، ولا تأخذ بلا تحفظ وحيًا جاء لاحوال خاصة في عصر من العصور . وستعلم بعد أن الوحي لا ينقطع أبدًا ، وهو آخذ في الترقى ولا وقت له ولا حد وليس هو بامتياز لامة دون امة ولا لشخص دون شخص . والله يكشف نفسه للانسان شيئًا فشيئًا (صفحة ٩٧)

(مذهب الارواح في الاديان الموجودة)

من الكتاب المتقدم

« العقل الانساني مسوق لان يأخذ بدين ورأي، ومحمول علي ان يعتقد بأنه يجب أن يكون الله علي ما يدركه جنسه أو أمرته . فقله عند الهندي الاحمر هو الروح الاعظم الذي يدركه، وعند المنوخش الاسود هو الفنش الذي يعبد ، والني يجب ان يكون المسيح أو محمد ار كونيوس ، وبالجملة فان الانسان من الشمال الي الشرق ومن الغرب الي الجنوب قد أسس علمًا لاهوتيًا لما يعتقدوه وأخذ يلقنه لاولاده مخضعا ايام بالقوة لدين يعتبره الوسيلة الضرورية للنجاة . وقد نهناكم قبل الآن الي هذا الامر فتأملوه . فأى دين من الاديان لجنس من اجناس البشر، علي أي بقعة من بقاع الارض، يدعي احتكاره للحقيقة الالهية فهو بشري مزور ، ولده الكبر وافقه الزهو

« فلا يوجد اي علم لاهوتي محنكر للحقيقة بل ان في كل منها نقصا الي حد معين . ولكل منها جهات صحيحة تناسب حاجات الذين أُوحي اليهم أو ارتقي بهم . ولكن لا يوجد من بينها واحد يصح ان يعلن الناس بأنه الغذاء الروحاني الوحيد المنزل من الله اليهم . والانسان في قصوره وعجزه يحب ان يعتقد بأنه المالك رحله

لاصل من أصول الحقيقة (ونحن نضحك من تمسكه بهذا الغرور) وبؤديه افندياره
بهذه الملائكية الوهمية الى الاعتقاد بوجوب ارسال دعاة له في طول الممالك وعرضها
بمملوك عقائده الجنسية لشعوب اخري نضحك من هذه الحقوق المزعومة
(صفحة ١٧٨)

(مذهب الارواح في اختلاف الاديان وصحتها كلها)
من الكتاب المتقدم ذكره

ذكرت الارواح اولا ان الحقيقة المطلقة نور ساطع لا تتحمله عين البشر طرفة
ثم قالت :

« قد حصل كل اجناس البشر علي شعاع من هذا النور . فنذ وجدت دنياكم
هذه حصل كل من البرهي والمعمدي واليهودي والمسيحي علي بصيص خاص من ذلك
النور واعتبره كل منهم ميراثا له خاصة انزل اليه من السماء . فلاجل ان نزيدك تنبيها علي
مبلغ بطلان هذه المزاعم ننبئك الي التأمل في الكنيسة المسيحية التي تدعي لاختصاص
بالحقيقة الالهية والي ما وصلت اليه من الانقسامات

« لقد قرب الوقت الذي فيه يخترق شعاع جديد من نور الحقيقة ظلمات هذا الجبل
الانساني . والحقائق العالية التي كلفنا باعلانها تمحو من ارض الله الاحقاد المذهبية
وغم العلوم الالهية والعبادة والعبادة والكبر الفريسي (نسبة لافريسيين)
وهي الصفات التي شوهت اسم الدين وجعلت كلمة العلم اللاهوتي مرادفة بين الناس لشقاق
والفرق (صفحة ١٧٩)

(مذهب الارواح في الابرار وفي القرب من الله)
من الكتاب المتقدم ذكره

« لا يوجد بررة مخارون غير الذين يشتملون بأنفسهم للترقي في معارج
الكمال علي مقتضى النواميس الطبيعية التي تحكمهم . فنحن نكر ما يعزى للاعتقاد
الاعمى والايمان الساذج من القدرة المطلقة . ونعترف بقيمة العقل المدرك الخالص

المنزلة عن ضيق النظر . فمثل هذا العقل يقرب من الله ويجذب ارشاد الملائكة .
وترفض بصوت عال كل مذهب هادم يقرر أن للايمان والاعتقاد والتسليم بالآراء
المفرزة قدرة ما على محو الذنوب . وننكر أن حياة أرضية معيبة نجسة يمكن ان ترتقي
وتتحول الى حياة طاهرة بالتسليم برأي ما أوهيخيا ل ما أوبعقيدة غير معقولة تسليما اعني .
أن مذهبها هذه حاله قد حط من النفوس اكثر مما حطته اية خرافة يمكننا ان نعنيها
(صفحة ٩٤)

(مذهب الارواح في أى الاديان يجنب الاخذ به) من الكتاب المتقدم ذكره

« ليس من تأملينا أن ديننا من الاديان له التأثير الاعلى دون سواه . فليس
واخذ منها بمعتقدات الحقيقة . ولكن لكل دين نصيبا منها وكأها مشوبة بالاضاليل .
فنحن نعلم مالا تعلمون ونعرف الاحوال التي تكون الشكل الديني الذي يفضله كل
إنسان على سواه ونقدره حتى قدره . ونعرف ان ارواحا هي معنا في الطبقات العليا
من الرقي الروحاني تقدمت رغبتا عن الشكل الديني الذي كانت آخذة به على
الأرض فنحن هنا لانعميا الا بهاطفة النعش لادراك الحقيقة عند جميع جملة
العقائد المتخالفة على السواء ، وليس لاناملات المجردة من قيمة هنا فترانا نكره المباحث
الجامدة التي يزعم اللاهوتيون انهم حلوا بها مساتير العلم السماوي . ولا نبالي
بالتجادلات الطفولية التي ينهم بها الناس . ولانصكرت بمسألة النخالف المذهبي الا
لأنها اشد العوامل خطرا في توليد الحقد والبغضاء والحيث ومقاصد سوء بين
الناس

(مذهب لارواح في الوصول الى الحقيقة) من الكتاب المتقدم ذكره

« يجب على الانسان ان يعلم كل هذا اذا أراد ان يتصل بالارواح بلا خطر .
واذا علم ذلك او كان في دور تعلم ذلك ، وحب عليه ان يرى ان نجاحه متوقف

عليه نفسه

«فليكسر نفسه ولطهر عقله الى اعلى ما يصل اليه ولطارد منه القدر كما يطارد الطاعون لوجهه . ولا يرفع بصره الى ارفع ما يستطيع أن يرفعه اليه . ولا يحب الحقيقة حبه لله فهي التي يجب أن ينحني أمامها كل شيء . ولا يتبعها غير مبال بما يؤديه اليه البحث . اذا فعل ذلك احتف به ملائكة الله، وأشرقت في صميم روحه .
الانوار»

...

هذا عارف من مذهب الارواح ، وكتب المجرىين مشحونة بها في كل أمة فلا عجب . ان ذهب رجال الاديان الى انها ارواح شريرة جاءت لتفتن الناس في دينهم وتحيدهم عن ما بق عقائدهم . ولكن رجال العلم في أوربا وأمريكا يرون في هذه التعاليم اصلاحا بعيد المدى لم تصل الى تكوينه والدعوة اليه فلسفة بشرية الى اليوم . وهم يذهبون الى أن هذه التعاليم العالية من أقوى الأدلة على أن هذه الارواح ليست من الارواح السفلية ولا من الكائنات الواقعة في درجة معينة من درجات الرقي العقلي . ومن غنى من القراء بدرس الفلسفة الدينية ووقف على قوة ما يدلى به نقدة الاديان من الشبهات عليها يجد في هذه التعاليم الروحية - لا عليها أصولها لجميع تلك الشبهات . ويجد معه الدواء الشافي من داء الاتحاد الذي يتسرب الى عقول الواقفين على تلك الفلسفة .

فاذا كانت الارواح تقول بأن الحقيقة ليست محتكرة لاي دين في العالم وانها لا يصح ان تنحصر في واحد منها وانها إنما أوحيت في أزمان مختلفة لأمم خاصة احتوشتها أحوال خاصة وأن ليس فيها ما يصح الركون اليه في كل أدوار البشر وفي جميع أجيالهم ، فانها في الوقت نفسه تصرح بانها كلها وحي من الله ولا كنهه وحي مشوب بالخرافات التي كانت عالقة في عقول المرسلين بها ، أو تلك المرسلين الذين تعتبرهم وسطاء ليس الا

(٢٠ - اثبات الروح)

هذه تماثيل خطيرة ندع الخوض في تحليلها وبيان قيمتها الآن ولكننا نقول بأنها تنفي شبهة رجال الدين في أن تلك الأرواح من الكائنات السفلية. فإذا انتفت جميع الشبهات التي قدمناها على حقيقة تلك الأرواح فلم يبق إلا فرض واحد وهو أنها أرواح الموتى الذين تدعى هي أنها أرواحهم ، ولكن هل نقيم هي الأدلة الحسية على ما تقول ؟ وهل لها في إثبات شخصيتها ما يحمل على الأخذ بما تدعيه ؟

ذلك ما نبحث فيه في المقالة الآتية إن شاء الله

وقد طالت هذه المقالة فلم نستطع اجابة حضرة الكاتب المستنيد كما وعدنا فنرجي ذلك افرصة مقبلة .

...

تحقيق شخصية الأرواح

التي تظهر للمحجورين

نشرنا هذه المقالة في جزء المقتطف الصادر في مارس سنة ١٩٢٠

ثبت بالأدلة العلمية التجريبية بأدق معاني هذه الكلمات أن كائنات تظهر للمحجورين متمثلة بعقل غير عقل الوسيط ولا عقل واحد من المحجورين ولا عقولهم مجتمعة فتستولي أما على يد الوسيط فتكتب بخطوط المنوفين وتوقع بتوقيعاتهم ، وأما تتسلط على لسانه فتتكلم بلغته الخاصة . وقد تظهر تلك الكائنات متجسدة بجسد تستمد من جسم الوسيط نفسه كما ثبت ذلك بوزن الوسيط قبل تجسد الروح وفي أثاثه فتدعى هذه الكائنات بأنها أرواح ميتين معينين عاشوا منذ حين ، أو عشرات بل مئات من السنين . فهل هذه الكائنات الروحانية صادقة فيما تدعيه ؟

هذه مسألة ضخمة ليس لدينا عليها دليل علمي من نوع الأدلة التي تستحق هذا الوصف ولكن كل ما لدينا مرجحات اذا جئت والتي عليها نظرة عامة بلغت بالنظر درجة الافتناع ونحن نثبتها هنا بإيجاز فنقول :

(١) تكلم الروح بلغة المتوفى الخاصة واستخدامها عباراته المألوفة وتذكيراهل بمحادثات قديمة كانوا نسوها بعد العهد بها ولا يدريها أحد سواهم .

(٢) دلالتها اهلها على إمكانية اوراق ومستندات ضائعة وضعها المتوفى في تلك الاماكن قبل موته بدون اطلاع احد عليها .

(٣) كتابتها بخطه والتوقيع بتوقيعه والتعبير بأسلوبه حتي ولو كان من كبار السكانيين بحيث عرض كل ذلك على الخبراء فحكوا بتطابق الخطمين والانشاءين كل التطابق .

(٤) ظهورها متجسدة على صورته التي كان بها على الارض وتكلمها بصوته وطبعته .

(٥) اجماعها في كافة بقاع الارض على التأكيد بأنها ارواح المتوفى وانها ليست من الملائكة ولا من الجن ولا هي ارواح أخرى ذات طبيعة مجهولة

(٦) شغفها بأهلها واوصاء المجر بين بهم وتكليفهم البحث عنهم ومساعدتهم . هذه كلها مرجحات قوية وقد قلب العلماء المجر برون البحث في هذه المسألة علي كل وجه يمكن تصوره فكانت الدلائل تتظاهر علي ابطال كل فرض غير هذا الفرض مع كثرة ما أتو به من الاحتمالات في هذا الباب وطول ترددهم في قبول هذا الرأي

فقال العلامة الفزيولوجي الشهير (الفريد رسل واليس) مكتشف مذهب النشوء والارتقاء هو ودارون في وقت واحد فنسب لثاني لاعتبارات جزئية قال في كتابه (المعجزات والاسبرتسم العصري) :

« كنت مادياً مقتنعاً بمذهبي كل الافتناع ولم يكن في عقلي مكان للتصديق بمحياة روحية ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها ولكني رأيت ان المشاهدات

الحسية لا تغالب قائمها قهرتي وأجبرتني علي اعتبارها حقائق مثبتة قيل أن أعتقد نسبتها الى الارواح مدة طويلة. ثم أخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيئا فشيئا ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية، ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضها علي صورة لا يمكن تعميلها بوسيلة أخرى»

يقول انه كان ماديا متشدداً ولكن المشاهدات قهرته علي قبول وجود العالم الروحاني. غير عزو تلك المشاهدات الى ارواح الموتى، ثم اضطر أخيراً إلي أن يتناهي المشاهدات الي القول بهذا الرأي لانه لا يمكن تعميلها بوسيلة أخرى.

وقال العلامة العلي الكبير كابل - ل فلامريون في كتابه (القوى الطبيعية المجهولة) :

« كان تحت نظري حديثاً مشاهدات تشهد لهذا الفرض (الروحاني) . فالاولى والثانية من الاحدى عشرة مشاهدة يمكن أن تكون عرفت من القواميس، والثالثة والخامسة من الجرائد (أى أن روح الوسيط مرت ففترأت ذلك عند ماسئلت عنه في القواميس والجرائد)، ولكن بالنسبة للباقي الاخرى نرى أن قبول صحة شخصية الروح هو أحسن الفروض المفسرة لها»

...

بقي علينا أن نقول كلمة فيما نخبر به الارواح عن أشياء يصعب علي بعض الناس تصديقها عن العالم الآخر . كقول بعض الارواح أنها هنالك تأكل وتشرب، وكقول ريموند بن السير اوليفر لودج أنه هنالك يقيم في بيت من الآجر وأنه اذا راكم النذات ثيابه بالطين . وقد وجه سؤال الي المقطع في هذا الصدد بصفحة ١٨٦ من الجزء السابق . ونحن لبيان هذا نقول :

ان للناس عن الموت وعن الحياة في العالم لاخر معارف وراثية تقليدية وان كانت أصبحت لدي الاكثريين في عداد الاوهام القديمة بتأثير شبهات الفلاسفة المادية الانهم لا يزالون يستندون اليها في هدم كل علم صحيح يخالفها مما يختص

بالحياة في العالم الآخر . فالذى ورثه الناس من ذلك ان الانسان متي مات انتقل طفرة الي حالة نفسية وعقلية مياينة لما كان عليه كل المياينة، فعلم كل ما كان يحبه له وخلص من كل الاوهام والاباطيل والصفات القديمة التى عاش عمره عليها، واصبح اسد رجلين اما منما ثوبا على ما قدم من اعمال صالحة، او معذبا جزاء على ما اسرف على نفسه

ونحن هنا لنبحث في مصدر هذا العلم ولا فى فساد اسلوبهم في الاخذ عنه ، ولكننا نريد ان نقول الماديون (ولا نقصد سواهم بكتاباتنا فى هذا الموضوع) ان الموت كما ثبت علميا لا يرفع الانسان طفرة من حالة كان فيها على الارض الى حالة اخرى لان نسبة بينهما . بل هو انتقال بسيط من حياة كان فيها الانسان يحمل جسدا كشيئا الى حياة اخرى يحمل فيها جسدا لطيفا خاضعا للقوانين الطبيعية على نسبة الفرق بين تركيب الجسد بن ، فبقي الميت في الوجود معه على ما كان عليه على الارض من الخلقين النفسية والعقلية، الا انه يرانا ويسمعنا ولكننا لا نراه ولا نسمعه . ولا عجب فى ذلك فمن لا ترى الاثير وهو مادة ولا ترى اشعة ورنج والكهرباء والحرارة المغناطيسية وهى مواد اثيرة فى حالة حركة، ومؤثرة فىنا اعظم تأثير . ولكن يرى الميت امثاله من الذين انتقلوا الى مثل حالته، فيجتمعون به ويعيشون معه على النظام المقرر فى ذلك العالم اللطيف، كما نعيش نحن فى عالمنا هذا على نظامنا المعروف، فيظل الميت على ما كان عليه ويأخذ فى اصلاح نفسه تدريجيا على سنن مقرر . ومن الموتى من يستمرون على ما كانوا عليه من الصفات ويزيدون عتوا وعنادا، ويعصون كل ارشاد كما كانوا يعصونه وهم على الارض

ولا ادري كيف يعقل ان يكون امر الحياة الاخرى على غير النظام الطبيعى العام والوجود واحد وقواه هي في كل زمان ومكان؟ اليس الطفرة محالا، والسنن الطبيعية حكيم لا يمكن التماس منه، وللحياة درجات لا تقف عند حد ؟
نعم قد ثبت عامها ان الارواح اقدر متاعا على المادة المحسوسة وانها تأتي من الخوازيق مالا

يكاد يتصوره، وان من ارتقى منها قد وصل الى مكانات عالية من السمو والعلى والنفسي،
وليس هذا بصعب التعايل لو امعنا النظر فيه قليلا.

اننا بحالتينا الجسمية والعقلية مرة وجودنا في وسط عوامل معينة من عوامل
الطبيعة المحيطة بنا، فوجود أرضنا على هذه الكثافة المقدرة، وهوائنا على هذه اللطافة
المفردة، وحواسنا على هذه القوى المعينة، وجرينا من الشمس على هذه المسافة المحددة،
هي اكبر العوامل التي جعلتنا على ما نحن عليه جسدا وعقلا. فان تخيلنا كوكبا من
الكواكب يخالف أرضنا في كل هذه العوامل جات انكائنات مناسبة له كل المناسبة
ومخالفة لنا كل المخالفة.

ولو تخيلنا نشوء حامية سادسة فينا كالخامسة التي تهدي النحل الى خلياتها، والحمام
الى وكنايتها، عن بعد مئات الاميال، لتغيرت مدركاتنا والاتنا الجسدية والعقلية
والاجتماعية على تلك النسبة. فاطاك لو زادت قوى حواسنا الخمس كلها فأدركنا من
قوى الوجود مالا ندركه منه الآن.

اننا نعلم الآن ان المادة نفثها وكل قوى السكون كالحرارة والنور والكهرباء الخ
ليست الا درجات معينة من الذبذبة في الاثير المالى، للسكون، فأدركنا تلك المادة
وكل للقوى المعروفة لنا على نوع ما وبينا على هذه المعرفة القاصرة وجودنا
المصورى والمعنوى، واقنعنا عليها الصنائع والعلوم التي نحن عليها اليوم، ولكن بين عدد
الذبذبات الاثيرية التي تولد الحرارة وعدد الذبذبات التي تولد النور والكهرباء،
الخ درجات تناحجها مجهولة لنا، ولم ندرك منها أشعة رونتجن المعتمدة الا عواء فبيننا
عليها التصوير من خلال الحجب الكثيفة. فلو اتيح لنا ان ندرك نتائج الذبذبات
الاثيرية الاخرى قالى اى حد تبلغ قدرتنا على المادة وعقولنا من ادراك
الحقائق؟

هذه من الوجهة المادية. فاما من الوجهة النفسية فلانسان على مثل هذه
الحال النسبية ايضا، يرى نفسه يفكر فى الامور ويذكر الماضي، ويحفظ المسموعات،
ويتخيل الصور، فيسمى مجموع تلك القوى عقلا لا يعرف له مصدرا فتارة يزعم انه منفحة

من عقل عام متميز عن المادة، وخالد لا يعتبره الفساد، وآخر يدعي انه ليس بمستقبل بل هو لازمة من لوازم تركيبية الجسداني يقضي بفنائته .

ينام فيرى خيالاته تتجسد امامه فيلحسها ويكلمها ثم يستيقظ فلا يبقى في ذهنه الا صورها وقد لا يذكرها فيسمي ما يراه حلما ويذهب في تعاليله على ما يحسنه المذهب الذي ينتمي اليه .

وينوم نوما صناعيا فيرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه وهو يقظان ويتجسد امامه كل ما يتصوره منومه تصورا فيسمى هذه الحال نوما مغناطيسيا وبسلك في تعاليله المسلك الذي يزينه له ما هو عليه من المدركات الطبيعية الناقصة .

ويصاب ببعض الاعراض فتكون له شخصية غير شخصيته أو شخصيات متعددة فيتوهم انه يرى اشياء واشباحا يلحسها ويكلمها فيسمي الاظر اليه هذه الحال مرضا عصبيا ويمضي في تفسيره على ما يسمح به علمه في العهد الذي هو فيه .

يحدث كل هذا في هذا العالم ويؤلف حتى لا يلفت نظرا لاحد لجره به مجرى الامور العادية ولم يهجن في عقل عاقل ان ينكر وجود هذا العالم المادي بسبب وجود هذه العوارض فيه . ولكن اذا روى له بعضها عن عالم الارواح اتخذ ذلك دليلا على عدم وجود ذلك العالم وعد من يقول بوجوده جانيا على العلم والفلسفة .

فاذا سأله لم تنكر العالم الروحاني لو اية بعض هذه الاعراض النفسية عن اهله ولا تنكر هذا العالم مع وجودها كلها فيه ؟ ولم تكون النفس البشرية وهي في هذا العالم عرضة لسكل الاعراض التي ذكرتها ويجب ان تنتزه عنها وهي في الحياة الاخرى ؟ اجابك على الفور بقوله : نعم لان الروح متي خلعت من هذا الجسد يجب ان تتخلص من جميع عوارضه المرضية ؟

فان قلت له : من أين أتيت بهذا الايجاب وأنت لم تكن بدرس حالات الارواح بعد انتقالها الى ذلك العالم كما عني بذلك الوف من العلماء والباحثين في عشرات من السنين ؟ وبأى سلطان تتحكم في اسناد تلك الاعراض للجسد المحسوس دون اسنادها

للمجسد غير المحسوس الذي ينتقل مع الروح بعد الموت؟ ان قلت لذلك لم يجد جوابا يمكن أن يسمى علميا .

أما الذي ثبت لاهل العلم الذين وقفوا أنفسهم لدرس حالات الارواح بعد انتقالها من هذا العالم، فهو أنها لا تطفر طفورا من حال : نيا الى حال علميا بل تلازمها جميع صفاتها العقلية والنفسية مدة حتى تنهذب بجواربها الخاصة وترتقي علي سنة تدريجية فقد تكذب وتدلس وتحمى وتغرى بالفساد وتخيل الخيالات وتضارب باعراض كل هذه الصفات .

فان أخبرتهم روح بأنها هنالك تسكن في بيت من الآجر وان ثيابها تنلوث بالطين كلما سجدت كما أخبرت بذلك روح ابن السر أوليفر لودج، نظروا في قولها نظرا ناقدا فلماها تكذب انضليل المجرىين، ولماها تسخر منهم، ولماها انتقلت الى ذلك العالم وهي حاملة لخيالاتها القديمة الخ، ولكنهم لا يتخذون قولها هذا دليلا علي عدم وجودها في ذلك العالم . وكيف يسوغ لهم ذلك وهي تكلمهم وتعلمهم البيئات علي وجودها، كما ثبت ذلك لكل من طالع كتاب السر أوليفر لودج . والعلماء لم يتكفروا المشاق وراء هذه المباحث وفا، لشهوة من شهوات الانحراف العقلي كما يقوم خصوم هذه المباحث ولكن بعد قيام الادلة التي لا تقبل النقض علي وجود العالم الروحاني، وليس بعد تجسد اهله امامهم واحداث انخوارق لهم مزبد مستربد فهم ليسوا بطائفة من الموسوسين يجتمعون حول وسيط فيستملون ما يصوره لهم من أهوائه وخيالاته ثم يقوون بنشره بين الناس، لاجتلاب السخرية اليهم في مدى جيلين متتابعين، ولكنهم أئمة العلم الرسمي ألفوا لبحث هذه الامور مجامع علمية بلغ عمر بعضها اليوم نحو نصف قرن، وقد تكون في فرنسا مجمع جديد في سنة ١٩١٩ جمع بين أعضائه أكبر زعماء العلم في تلك البلاد وقد آتينا علي خبر تأليفه في جزء شهر دسمبر من المقتطف واثبتنا اسما، أعضائه وقرناها بالقابهم العلمية وسكاناتهم في الهيئة الاجتماعية .

مسألة الروح ووجودها في عالم وراء هذا العالم أكبر مسألة إهمت البشرية منذ

وجودها على هذه الارض، وستكون كذلك مادامت عليها وهي من الاعضال
والشعب واتساع المدي وبعد الغاية بحيث يجب أن توقف لها الاعمار وبوصل
في بحثها الليل بالنهار. وقد توجهت البشرية بمجموعها اليوم، وفي مقدمتها رجال العلم
الى حل هذه المسألة حلا حاميا بحيث تصبح من المقررات الطبيعية فتدرس في
المدارس كما تدرس الكيمياء العملية والميكانيكا، فكان من أثر هذا الاهتمام كله
حدوث حركة روحية لم يسمع بمثلا في أي عهد من عهود التاريخ. وقد جاء في جريدة
المقطم في عددها الصادر أمس ٩ فبراير تحت عنوان (بساط الربح وتحقيق حلم قديم)
ما يأتي :

« لم يسبق أن اشتد اهتمام العلماء والكتاب الباحثين برفع ستار
الغيب لمعرفة ما وراء هذه الحياة اشتداده هذه الايام . ولما تصدر جريدة
أونجملة من جرائد الغرب ومجلاته الكبرى الا وفيها بحث أو رسالة أو
فصل عن هذا الموضوع الذي شغل العقول والاذهان منذ عرف المرء الموت مفرق
الجماعات ».

(جواب مستفيد)

طالب الينا فاضل في مقتطف ديسمبر تعليلا لعلاقة الروح بالجسد من بقاء الحياة
فيه سلامته وزوالها عنه بعطيه كأنه بري ان في هذه العلاقة الوثيقة شبهة على استقلال
الروح عن الجسد.

فنجيب حضرته على ان هذا الاستقلال قد قامت عليه الادلة الحسية اليوم وفيما
كتبناه هنا من المقالات المتتابعة الكفاية في هذا الباب .

أما وجه وجود تلك العلاقة المشاهدة بين الروح والجسم فهو ان هذا الاخير آلة
تستخدمها الروح لاغراضها كما يستخدم الميكانيكي الآلة البخارية لاغراضه كذلك
فاذا صارت الآلة البخارية منافقا للميكانيكي أحسن سوق، واذا فسدت بعض الفساد

قادها على إعلانها قيادة تناسب ما عرض لها من التلف . وإذا عطبت كل العطب تركها حيث هي وانصرف عنها شأنه . فكما لا يقدح تلف بعض عدد الآلة البخارية أو عطبها كلها في استقلال قائدها وسلامته التامة، كذلك لا يقدح ضعف الجسد وعطبه في استقلال الروح وكفايتها التامة.

واني مع هذا أوجه نظر حضرة المستفيد لما سأكتبه في الجزء المنبل في خاتمة مباحثي في إثبات الروح فسيجد فيها مكان هذه الشبهات من العلم الحق ان شاء الله .

..

خاتمة

نشرنا هذه المقالة في مقتطف ابريل سنة ١٩٢٠ وهي تمة هذا البحث

امتاز الانسان عن جميع الاحياء التي تشاطره الوجود على هذه الارض بمقدار مدى النظر العقلي، ونمو قوتي الاستدلال والاستقراء، وعدم وقوفه من هذه الخصائص عند حد . وقد كافأت هذه القوى فيه تجرده عن الاسلحة الجثمانية لحفظ وجوده بين الاحياء التي تذعه البقاء، واستظهر عليها بسمة حيلته وقدرته على الابتكار، وسخرها لحاجاته، فجاء فراغاً من الوقت لتأمل في نفسه ليعرف مصدرها ومصيرها، وفي الكائنات ليدرك مساهمتها، وفي الطبيعة ليقف على القوى أو القوة العظمى المدبرة لها .

لم يكن الانسان بالسكان الذي يفعل لقوى السكون صاغر الهاء، ويغضم لفواعله لاهياعته، فأخذ يفكر أولاً في علل العاديات التي تصيبه في ذاته واهله وجماعته ومشته، فتخيل الوجود عامراً بعوامل عاقلة محجوبة عن بصره، فقرر لها عواطف واهواء من نوع عواطفه واهوائه، فشرع يتقرب اليها بالعبودية، ويتزلف لها بالقرابين الحيوانية،

والبشيرة جلسا لمراضيتها ونجبا لمساخطها فكان هذا اصلا لتدبته وابحثه فيما وراء المادة المحسوسة .

اطرد الانسان طريقه في الترقى فكان كلما ازداد علمه بالكون والكائنات، ونما ادراكه لعمال والمعلولات، ورفق شعوره بالحقوق والواجبات اعطى من عقائده تلك العوامل وهذب من مدر كانه فى صفاتها حتى وصل الى توحيدها ونزيبها وجيد في التوفيق بين ما يديه اليه العلم الحسى وبين ما يوجبه عليه النظر العقلى حتى كان له بازاء العلم الطبيعى علم لاهوتى . ولكنه ما كاد يصل الى هذه المرتبة العقلية حتى تولدت في ذهنه الشكوك والشبهات، وعمر رأسه بالايراضات والاستشكالات، وهي من لوازم الاعمال العقلية، فتجراً بعض آحاده على نفى القوة العاقلة المدبرة للكون والذهاب في تحليل الوجود بالفواعل الطبيعية المحضة . الا ان اولئك الاتحاد لم ينجحوا فى نشر مذهبهم بين الدهماء . لعلمية سلطان العقائد على الالذهان، ومسايرة العلوم الكلاسية لاهواء الانسان

بدأت هذه النزعة المادية حوالى القرن الخامس قبل المسيح وبقيت مقصورة على بعض المعكرين، هرفا لتجريح الدينين والاعتقاديين من اللاسفة الرسميين . وتشدد حافظة العقائد فى تعذب اصحابها في بعض الادوار تشددا ليس له مثيل فى تاريخ التطورات العلمية، وازدادوا فى الوقت نفسه جودا على تعاليمهم وعداء الحرية البحث والنظر حتى اختنق العقل الانسانى تحت آصار التقييد وعيت سبل التأمل على الماظرين، وظل العالم العربى على هذه الحالة نحو من الف سنة حتى كانت فتنة الحروب الدينية بين البروتستانت والكأوايك، وما نشأ عنها من فهم وحدة الدينين، فتجراً الفيلسوف الايطالى بطرس بومبايوس سنة (١٥١٦) على التصريح جهاراً بانكار الروح، وبعدم امكان حدوث الاعمال العقلية بدون جسد . وتلاه جسندى سنة (١٥٩٢) قاحياً مذهب ديموكرىت المسادى اليونانى فى الجواهر الفردة، وتلاهما نوما هوبس من ككبار فلاسفة الانجليز ولكنه اضطر لهرب من انجلترا خوفاً من بطش الدينين

فلما جاء القرن الثامن عشر كان الجوا أكثر ملامة لنشر الفلسفة المادية فنعم دايفيد هيوم في انجائته ناصر ألهاوايد في فرنسا كوندياك ودولامترى وديدرو، وفي ألمانيا البان هو لباخ، ولم يهل القرن التاسع عشر حتى كان للفلسفة المادية دولة قوية الشوكة ولا سيما في المانيا، دخل تحت لوائها أكثر أذكاء الامم في عشرات قليلة من السنين لانها اعتبرت تحريراً للعقل من امس الاضاليل الموروثة وزاد الماديين تبجحاً بنظر يانهم ج. د. رجال الدين على عقائد تناقض مدته العقل، راحته ظهم بأرا. ظاه. بطلانها بالحس، وماداتهم لالم معاداة لاهواودة فيها، مع ظهور اثره الباهر في ترقية الحياة الانسانية وتخفيف وبلائها الجمة.

فلما ظهر مذهب دارون سنة (١٨٥٩) تلقاه الماديون بالتصفيق الحاد وعدوه ضربة قاضية على كل مذهب يناقض المادية لاقامته الدليل القاطع على ان الكون سائر على نظام آلي محض، واكب الماديون على تعادل كل صغيرة وكبيرة في الكون بالنواميس المادية البحتة متشددين في انكار كل ماعداها من عقل مدبر وعالم روحياني، فكان كل ما يروى لهم من الخوارق التي غص بها تاريخ العالمين ويشير الى وجود قوى تعمل في الكون من غير طريق النواميس الآلية، يعدونه من خرافات الاقدمين واكاذيب المنبئة والمشعوذين.

فيكان اذا تجرأ متجري، على التصريح بوجود عالم ورا، المادة صاحبه الماديون من كل مكان قائلين له، انتهيت اليه فانت تخبر عنه عن عيان، ام سلمت به انقيادا لاضاليل الكهان؟ وان تجاسر متكلم على القول بوجود روح في الانسان نظر بعضهم الى بعض يتغامزون، ثم قالوا له وهم يتضاحون لا تصدق الاماترا بهينيك وتلهسه بهديك، والا فخذ بكل مايقال، وهي. ذهلك اقبول كل خيال.

هنا تقوض دولة المنطق، وانهارت اركان النظر العقلي، واصبح الحكم المطاق احسن والعيان وايقن منهما المنكلمون في العالم الروحياني والنفوس المجردة عن المادة؟ ادرك الباقون من اشياح دولة الروح ان الخطب جلي وان العقبات التي تعترضهم لا

تذال، فادر كم الشك هم الآخرين ونخرج موقف حفظة الاديان، وممرت اليهم عدوى
النعالم المادية فأصبح وجودهم في وظائفهم مبنيا على المصاحبة الشخصية لا على العقيدة
الدنيية .

كان كل هذا ولم تبطل في دور من تلك الادوار تلك الامور الخارقة للمادة
الذاتة علي وجود عالم روحاني محجوب وراء هذا العالم المادي المشهود، من حدوث
حوادث في بعض الدور تدل علي وجود عوامل عاقلة مستترة عن العيون، وظهور
اشباح متجسدة للمستعدين لرؤيتهم، وسريان ارواح النائمين ووقوفها . من هذا الطريق
علي ادراك كثير من الشؤون الغيبية . ولكن من الذي كان يستطيع في دور غلبة
المذهب المادي في القرنين السابقين أن يرفع بهذه الامور رأساء أو يحركها شفة، وأسنة
المتهمين مترصدة، وأقلام الناقدين مترقبة، تشن علي كل متكلم فيها غارات لاني ولا
تذروا، أقلا ان تسليه كرامته بين العارفين، وتعهده في زمرة الممخرفين، حتى ان الطيب
(مسمر) الالماني لما وقف علي سر التنويم المغناطيسي في أخريات القرن الثامن عشر،
وهو الفن الذي كان يمارسه المصريون والهنود والصينيون منذ أوف من السنين، وعالج
أوقاف من الذين كان قد حكم الاطباء، علي أمراضهم بالأعضاء، سلمه الساقدون بأسنة
من نار، ووصوه بالندجيل والشعرذة، وحطوا من كرامته كل الخطحي أمفي بقية أيامه
مرذولا متبوذاً . فخلفه في التجارب جمهور من الاطباء، وغيرهم فلم يكونوا أحسن
حظا منه . وأفت جمعية العلماء الفرنسية لجنة لبحث هذا التنويم المزعوم . . .
فقررت بعد التجارب المدققة . . . انه زور وبهتان، وان القائلين به مدلسون
او اغبياء . فظل انصاره مئة عام يقرعون النهم الكلامية بالتجارب العملية، حتي
اضطروا تلك الجماعات الرسمية المسماة بالجمعيات العلمية الي اعتباره فرعاً من العلوم
المقررة . ولكن المادية الموروثة لم تسمح لهم أن يقرؤا منه الا مالا يتناقض
مذهبهم، وغضوا الطرف عن مشاهداته العالية التي تثبت وجود الروح بالحس لاسكل
محجرب فيه .

ظل العلماء في هذه الحيلة الفكرية كل القرن الثامن عشر والنصف الاول

من القرن التاسع عشر ، وبات الناس تبعاً لهم مفتونين بذلك المقررات العلمية
الاقصية متخيلين انهم حلوا مسألتهم الكون ، وتمكنوا من تعليل كائناته تعاملاً آلياً محضاً ،
حتى هدأت ثائرة هذا الدور الانتقالي وسكنت فورة الفرح بالجديد ، فأخذ العقل
الانساني ينظر فيما حصله بعد كل هذا الجهاد الجهد نظر نقد وتمحيص وقد صدحا
من نشوته ، وسكن من هزته ، فإذا به لم يبرح موقفه الاول ، اللهم الا علماً ببعض الظواهر
واكتشافاً لبعض البسائط . أما من جهة ما كان يزعمه من ادراك سر الطبيعة ووقوفه
على آثار العمل الاولى ، فوجد انه قد انخدع بالفاظ بعدت به عن مجال
الفلسفة العملية ، التي ارتضاها أسلوباً لبحثه اشواطاً بعيدة ، متي اشبه الخياليين
الذين طالما تبجح عليهم بمحصله وتعالى عليهم بأصوله . وجد ان المادة لا تزال
مجهولة وان القوى التي دعاها ميكانيكية مقرررة لا تعدو النظريات الظنية ، وان العمل
التي فسر بها الوجود ظواهر خداعة لا ينطبق التعليل عليها علي أسلوبه ، وان تلك
النواميس العليا التي عال بها عالم الاحياء ، والتنوعات البيولوجية كساً ، وس لا انتخاب
الطبيعي والوراثة معلولة لا يصاح ان يركن اليها الا اذا اراد ان يوه على نفسه ، وقد اوجز
هذا الموقف من الحيرة العلمية الاستاذ المشهور (جوستاف لوبون) في كتابه تحول المادة
فقال :

« كل نظرياتنا العلمية العظيمة ليست بقديمة العهد جداً ، فان تاريخ العلم التجريبي
المحقق لا يصعد الى ابعد من ثلاثة قرون . وفي هذا العهد القريب قرباً نسبياً حدث دوران
مختلفان من ادوار التحول في افكار العلماء .

« فالدور الاول كان دور الثقة وهو الذي تكلمت عنه آفا . فكانت المقررات
الفلسفية والدينية وهي قواعد مدر كانتنا القديمة على الوجود تضمحل وتزول بسطاً ،
امام الاستكشافات العلمية التي تتوالي كل يوم ولا سيما في النصف الاول من القرن الاخير .
فلم كنت تسمع من يرفع عقيرته بشكوى . وكيف يشكى من احلال الحقائق المطلقة محل
اوهام المعتقدات القديمة . فكان يظن مؤسسو كل علم جديد انهم يحدون له الدوائر النهائية
التي لا يعوزها غير سد ما فيها من الفراغ . وكان يخيل اليهم انهم متي اتوا بنا الصرح

العلمي استمر هذا المرح قائما على انقراض أوهام الزمان الماضي فكانت الثقة العلمية في هذا الدور على أنم ما تكون .

دامت هذه الثقة في المقررات الكبرى للعلم العصري حافظة لقوتها الى ان حدثت في الايام الاخيرة استكشافات غير منتظرة قضت على الفكر العالمي بأن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد انه قد تخلص منه الى ابد الآبدن . فان المرح العلمي الذي كان لا يرى ما فيه من الصدور الا عدد قليل من العقول العالية ، تززع فجأة بشدة عظيمة . وصارت التناقضات والمستحيلات التي فيه ظاهرة للعيان بعد ان كانت من الخفاء بحيث لا تبلغها الظنون .

د ادرك الناس على عجل انهم كانوا مخدوعين وأمرعوا يتساءلون عما اذا كانت الاصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن الا فروضا واهية تحجب تحت غشاها جهالا يسير له غور . فحدث اذ ذلك في العقائد العلمية مثل ما كان يحدث ذلك للعقائد الدينية عند ما شرعوا في مناقشتها الحساب اذ سبقت ساعة النقد ساعة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان .

د لا مشاحة في ان الاصول التي كان العلم يختال بها اختيالا لم تنزل كل الزوال ، بل هي ستبقى امداء طويلا في نظر الدهماء . كعقائد مقررّة ، وستستمر الكتب الابتدائية في نشرها ، ولكنها فقدت كل ما كان لها من الاجلال في نظر العلماء الحقيقين .

د وقد كتب المسبو (لوسيان بوانكاريه) من جهته يقول : « لا توجد لدينا نظريات عالية الا ان يمكن قبولها قبولاً تاماً وبجمع عليها المجرىون اجماعاً عاماً ، بل يسود اليوم على عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى . وقد اتسع المجال للافتراضات الجريئة ولم يظهر ان ناموساً من النواميس يمكن اعتباره ضرورياً ضرورة مطلقة . فمن نشهد في هذه الآونة اعمالاً هي اشبه بالهدم منها باقامة بناء نهائي . فالأراء التي كانت تظهر لمن سبقنا انها تأسست تأسيساً ثابتاً صارت اليوم لدينا موضوعاً للمناقشة . وقد رفض اليوم على وجه عام الرأي القائل بأن كل الظواهر الطبيعية تقبل لتعليقات ميكانيكية . فان اصول علم الميكانيكا نفسها صارت مشكوكاً

فيها . وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت ثقتنا المتعقبة بالقيمة المطابقة لنواميس التي اعتبرت الي اليوم كأنها أساسية » انتهى كلام العلامة لوسيان بوانكاريه .

ثم عاد الاستاذ (جوستاف لوبون) فقال :

«ولسكن من حسن الحظ لاشئ، أكثر ملائمة لتربي العالمي من هذه الفوضى الحالية ، فالوجود مغمم بمجهولات لانراها ، والحجاب الذي يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي . فقد دلنا التاريخ على مبلغ تأثير النظريات العلمية في تأخير الترقى متى حصلت على درجة معينة من الجود. فلا يمكن والحالة هذه أحداث خطوة واحدة الى الامام الا بعد تفكك الآراء السابقة. فان تعيين ضلالة واحدة وتبني نتائجها يساوى أحيانا حدوث استكشاف جديد. فالأشد خطرا على تقدم العقل الانساني هو تقديم الظنيات للقارئين لا بسة حلل الحقائق المقررة علي نحو ما تفعله الكتب المدرسية، والنطاول لوضع تخوم للعلم، ورمم حدودها. يمكن معرفته، كما كان يود ذلك اجوست كونت » انتهى

ونحن نقول بعد هذا التمهيد : لما وقف العقل الانساني في شخص رجال العلم العالي هذا الموقف من النظر الصادق والادراك الصحيح والتواضع الجدير به، وهو في وسط هذه اللجة من المجهيل العالمية، حرم علي نفسه الركون الي اصل ركونا مطلقا مهما زين له الخيال انه ثابت لا يتنقض، والقي عن عينه تلك الغشاوة التي كانت تمنعه من النظر في كل ما يخالف مقرراته الموروثة، وعلم من هذا الدرس القامي من الانخداع عدم التسليم لغير ما يتم تحت حسه بالتجربة ، فما كاد يلبثه وجود حادثة من حوادث ماوراء المادة يمكن تحقيقها بالاسلوب التجريبي حتي يادر الي تمحيصها ولم يأنف من اعلان حقيقتها، ولم يستكبر جهاهير من العلماء شابت نواصيهم في

المباحث المادية وملايين من الأذكياء والفضلاء جحدوا على الاتحاد وتربوا في مهده أن يهتموا بدراساتها مجتهدين ومتفرقين وان بصروا بما رأوه غير هيابين ولا مترددين

هذا سر تقاطر رجال العلم العالى وأراكين النهضة العصرية على بحث مشاهدات ماوراء المادة وانعامهم في هذا السبيل بنهمة لم تعهد في تاريخ العلم الى اليوم ، ولكن ما أبعد الشرقيين عن مثل هذا النوق الجليل من النواضع والتعطش للحقيقة . انهم لا يزالون في دور الغرور بالنظريات العلمية الناقصة والتبجح بمقررات الفلسفة المادية البائدة، متوهمين ان ذلك منتهى العلم واقصى غايات الضلالة العقلية . ولا يدري الا الله كم مقدار الامد الذي يمضونه في هذا الدور الخطير سهل الله عليهم الانتقال منه

ومما نذبه اليه هنا ان البحث في المشاهدات الروحية ليس يوقف على العلماء بل تناولته جميع الطبقات من اطباء ومهندسين وأصويين وصحفيين وماليين وغيرهم ممن يعدون بالملايين، تألبت كل هذه العقول البشرية على تحقيق عوادتها فلم تزد الا وضوحا حتى صارت اليوم في عداد الامور الحسية التي تمتحن بالآلات المعدنية . فثبت من مجموع هذه الابحاث ان وراء هذه المادة المحسوسة عالما اعلى منه عامرا بالكائنات العاقلة، وان الانسان متى اتم العمر المقدر له هنا انتقل الى ذلك العالم بما حصله من علم واختيار، وتابع فيه طريق ترقيه حاملا جسداً اثيريا لا يعدو عليه التحول ولا الفناء، وانه لا يزال يترقي حتى يصل الى درجات يعجز عن تخيلها حتى الارواح المجردة العالية التي تتصل بالباحثين بالطرق التي بيناها هنا.

هذه العقيدة لم يحصل عليها العقل العصري من طريق الدين ولا من طريق المنطق، ولا يمكن من الطريق العلمي التجريبي المعروف . وقد تردد في قبولها عشرات من السنين قلبها فيها على كل وجه وميري عليها كل اسلوب من التمهيص حتى صارت هي والحسيات في مستوى واحد . فأخذ بها كما يأخذ بالعلم الطبيعي (٢٢ — اثبات الروح)

الذى تهديه اليه الحواس، بل هي من العلم الطبيعي وانما سميت مما وراء الطبيعة لانها لم تكن في دائره البحث العلمي. أما اليوم وقد تناولها الاسلوب العلمي التجريبي فهي من صميم العلوم الطبيعية، مثل الكلام فيها كمثل الكلام في أشعة رونتجن وخصائص الراديوم، وقد اعتبر العقل الانساني روقوف العلم على آثار هذا العالم الروحاني انتقالا منه من دور الحرج والنقص الى دور السعة والتكامل، فانه وصل به بين شطري الوجود، أي بين شطره المدرك بهذه الحواس القاصرة وبين شطره المحجوب عنها. ولا يخفى ان المحجوب عنها هو مستقر القوى المؤثرة ومسرح العوامل المكونة. فتم له بذلك وصل ما يجب ان يكون موصولا ليجد العلم المجال امامه مطلقا فلا يقف حيال كل مسألة من المسائل التي يتعرق الانسان لادراكها حائرا ثم يرتد عنها معترفا بأنه امام مجهول لا يسير له غور. بهذا الوصل بين شطري الوجود انحلت مسألة من اكبر المسائل الانسانية وهي التناقض المؤلم القديم بين العلم والدين. فتحول الدين عن أسلوبه المعرف من التسليم بالغيب والجولان في مناهات الآراء القديمة، الى ادراك صحيح مبني على الاسلوب العلمي الصارم. فتوحدت وجهتا الانسان. فبعد ان كانت امامه عقيدة وعلم على طرفي تقيض أصبح أمامه علم محض جامع لجميع ميوله الجسدية والروحية. اركانها المشاهدة والتجربة وعماده النظر والاختبار، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يذابذ فيه الامن خادع نفسه.

هذا عهد للانسانية تصغر كل عبارة عن وصف جلاله وجماله ويعجز كل خيال عن تقدير آثاره في ترقيتها وابصاليها من فهم الحقائق الكبرى الى ما توجه اليه بكليتها. ولا يمكن تصوير ما يبتني على ذلك من طهر النفوس وسمو الاخلاق وبعدها الغايات وتلاشي الفراق الجنسية والدينية، والشعور بالسعادة الحقة والعلمانية الكاملة، واعتبار الموت كجوف الواتع ترقيا من عالم نقص الى عالم كمال، وانتقالا من سجن الحواس القاصرة الى باحة الاطلاق المنزه عن القيود.

هذا هو العهد الذهبي الذي طالما تخيله الانسان في كل زمان ومكان فليعمل

له العاملون ولا يقف في سبيله الشاكون ال ايقروا ما كتبه اشياعه وليجربوا ما جربوه
فقد وضع الصبح لدى عينين وملا نوره الخافقين .

وقد أتينا فيما نشرناه في المقتطف علي صورة مصغرة لمشاهدات هذا الفتح الالهي
وسردنا كثيرا من شهادات مجريها، ولم ندع وجهان وجوه بيان مسألة الا أتينا عليه
أو اثمرنا اليه، حتى صارت مقالاتنا هذه كاذلة لدحض كل شبهة تقام ضدها فان فيها كل
ما يكتب في توهينها ردا مقنعا، والسكل ما يستشكل به عليها بيا نوافياء، يدركه من يراجع
تلك المقالات عند ما تمر به شبهة أو يقرأ في تحويرها مقالا ، والله يهدي من يشاء الي
صراط مستقيم

..

تحقيب للمقتطف

على اثبات الروح بالمباحث النفسية

أتم محمد بك فريد وجدى مقالاته الممتعة التي ارادها اثبات الروح بالمباحث
النفسية وهو الموضوع الذي كتبنا فيه في مجلدات المقتطف السابقة ما عملا الب صفحة
علي الاقل ذاكرين ما يقوله انصاره وما يقوله مخالفوهم . ولم نكتف بالنقل عن زعماء
الفريقين بل امتعنا الوسطاء الذين يدعون مناجاة الارواح وذلك في أوروبا وهذا القطر
والقطر السوري فلم نر شيئا غريبا لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح . وزد على ذلك
انا انتقدنا مرة ما كتبه المسترستد عن انباء وسيطه بقتل ملك السرب قبلما قتل ثم
ثبت ان انتقادنا كان في محله وان ما كتبه المسترستد لم يكن صحيحا . وانتقدنا ايضا
تقرير اللجنة التي ارسلتها جمعية المباحث النفسية لامتحان أوسايبا بلادينو وأبدت دعواها
ثم ثبت بالامتحان ان تلك المرأة كانت تخدع مشاهديها.

وقد طالعتنا كثيراً من أنفس الكتب التي تلم بهذا الموضوع مثل كتاب الدكتور ميرس « الشخصية الانسانية وبقاؤها بعد موت الجسد » وكتاب الاستاذ وليم جيس « علم النفس » وكتب السر أوليفر لدج وكثيراً من المقالات التي نشرت في اكبر المجلات الانكليزية والاميركية فلم نر فيها كلها دليلاً قاطعاً على ان الذي يتغلق الوسطاء هو روح انسان ميت مع رغبتنا الشديدة في مخاطبة ارواح الموتى . وهذا ما يقوله كل الذين يعتقد بقولهم من رجال الدين في الكنيسة السكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية أي الزعماء الدينيون لثمانية مليون من البشر الروحيين المعتقدين بخلود النفس ، وحدثت مالدينا من الادلة على ذلك ما جاء في عملة اقرن التاسع عشر الانكليزية في عدد يناير هذه السنة وهو ان مؤتمر الكنيسة الانكليزية الذي عقد حديثاً اعان رئيسه فيه (وهو رئيس اساقفة انكلترا) ان يجزم الاساقفة الذي موعد اجتماعه هذه السنة سيبحث في مسألة مناجاة الارواح .

وهذا دليل قاطع ان اشد الروحيين تمسكاً بالروحانية لا يزالون صرّابين في مهنة مناجاة ارواح الموتى .

وقد اورد وجدي بك في مقالته خلاصة الادلة التي يقيها اصحاب مذهب المناجاة لتأييده فأجاد واوفى الموضوع حقّه من هذا القبيل . لكنه لم يكتب بأدلة التأييد بل شدد الكبير على منكري المناجاة أو مفسري أعمال الوسطاء وأقوالهم بغير مخاطبة ارواح الموتى وجارى الذين يتبعونهم بأنهم ماديون وان اعتقادهم المادى هو الذى يمنعهم من التسليم بوجود الارواح وبالتالي من التسليم بصحة مناجاتهم، والتهمة بالمادية قديمة جداً اتهم بها كل الطبيعيين من ايام غاليليو الى الآن حتي باخت وصديق عليها ما قيل في تلك الناقاة:

لقد هزات حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

ونود ان نرفع وجدى بك عنها ونرجح انه لو علم أن اكبر المعترضين على دعوى مناجاة ارواح الموتى هم رؤساء الدين في الكنائس المسيحية الذين لا يرتاب أحد منهم في خلود نفسي الانسان — لو علم ذلك لما خطر علي باله ان يتهمهم هذه التهمة

ثم ان بعض العلماء الذين يعتقدون مناجاة الارواح لا يفرقون بين المادة والروح بل يقولون ان الروح تتجسم فتصير مادة والمادة تنحل فتصير روحا هذا ولا خلاف في ان الوسطاء يفعلون افعالا غريبة سواء كان بالكلام او بالقرع او بالكتابة ، والناس في تفسير هذه الافعال فريقان فريق يقول ان سببها داخلي *Subjectly* أي أن الوسيط يفعلها من تلقاء نفسه اما احتيالا واما بفعل داخلي فيه كما يتكلم ويمشي وهو نائم أو مصاب بالبههران . وان الذين يشاهدونها قد يتوهمون انهم رأوا وسمعوا أكثر مما رأوا وسمعوا او يروون عنها غير ما رأوا وسمعوا . وفريق يقول أن سببها خارجي *Objectly* وهؤلاء ثلاث فرق فرقة تقول ان سببها أرواح الموتى وفرقة ان سببها أرواح الشياطين وفرقة أن سببها منتشرة في الكون

وما من أحد الا وهو يود ان يعرف أين كان قبلما ولد والي أين يذهب بعد ما يموت . اما جسده فأمره معلوم تراب والي التراب يعود . وأما عقله وأروحه أو نفسه فشيء آخر غير هذا التراب نعلم وجوده فيما مادمننا احياء فهاهنا وابن تكوّن والي أين يذهب بعد موتنا . الاديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية تقول انه يذهب بعد الموت الى الجنة أو الى النار ، والعلوم الطبيعية تقول انها لا تعلم اين كان ولا الى اين يذهب . فهل صار في الامكان ان تتصل أرواح الموتى بالاحياء فتثبت وجودها لهم ويخبرهم بالحالة التي هي فيها وبما يصيب ارواحهم بعد مغادرتها اجسامهم . هذه احق المسائل بالبحث والتحقيق



ملاحظاتنا على هذا التحقيق

اننا لم نشأ ان نرسل بملاحظاتنا هذه إلى المقتطف بعد ما اعلنا فيه اننا لم مقالنا لاسيما وقد رأينا ان حضرة العلامة منشئه لم يزد شيئا في هذا التحقيق على ما سبق مساجلته البحث فيه، ولما كتبنا في هذا الكتاب نأني بهذه الملاحظات عليه لان المقام يدعو اليها هنا فتقول :

يقول حضرة انه امتحن الوسطاء الذين يدعون مناجاة الارواح فلم ير شيئا لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح .

ثم ذكر ان الوسطاء يفعلون افعالا غريبة والناس في تفسيرها فريقان اولها يرى ان سببها داخلي، أي ان الوسيط يتألمها من تلقاء نفسه اما احتياالا او بالفعل داخلي فيه . وان الذين يشاهدونها قد يتوهمون انهم رأوا وسمعوا اكثر مما رأوا وسمعوا الشيخ، وفريق يقول ان سببها خارجي وهؤلاء ثلاث فرق فرقة تقول ان سببها ارواح الموتى وفرقة ان سببها ارواح الشياطين وفرقة ان سببها روح منتشرة في الكون .

ونحن نرى ان في هذا الكلام نظرا . فاما امتحان حضرة للوسطاء، وعدم رؤيته شيئا لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح ، فليس بعجيب فانه فيما يظهر امتحن الوسطاء المأجورين ، وقد قلنا انه لا يوثق بهم ، وقد أكد ذلك المجرىون للشؤون النفسية واثبتوا ان جهلهم دجالون وانهم لم يعتمدوا على اكثرهم في ما حثهم .

وقد ألف أولئك الباحثون كتابا في ذلك لتحذير الناس منهم ، واما قوله انه لم ير شيئا لا يمكن تفسيره بغير مناجاة الارواح ، فكلام غامض . فهل يفسر ما رآه بالخداع المحض ، ام بفعل روح الوسيط نفسه ، ام بروح منتشرة في الهم ، ام بالجن ؟

فان كان يرى انه يفسر بالخداع المحض عذرناه لانه لم يصادف غير الوسطاء المأجورين ، وان كان يريد بهذا ان يظن على مجموع المشاهدات، قالنا قوله هذا بما كتبه لجنة الجمعية الجدلالية الانجليزية في تقريرها عن هذه الماواث، وقد كانت

مؤلفة من ثلاثين عالما ندبوا خصيصا لفحص صحة هذه الظواهر فقد ذكرت في تقريرها ما يأتي :

« وقد تحاشت اللجنة ان تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة في الخارج والذين يأخذون اجرا على عملهم هذا الخ . . .

« كل تجربة من التجارب التي عملناها بما امكن لمجموع عقولنا ان نتخيله صلت بصبر وثبات ، وقد دبرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وإبعاد كل احتمال لغش أو تزهم .

« وقد بدأ بمواربة أخماس اللجنة التجارب وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها اما نتيجة الدبلس أو التوهم ، وأنها حادثه بحركة غير ارادية للمضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فرضهم السابقة الا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن مقاومته في شروط تنفي كل افتراض من الافتراضات السابقة الخ الخ » .

لو قابلنا هذا الكلام الصادر من ثلاثين عالما انجائزيا نألبوا على كشف القمام عن هذه المسئلة ، بما يقوله حضرة صاحب المقنطف من انه لم يرقها شيئا يعلون عن التعليل ثم كما ان حضرة تسرع في حكمه فلنظ من مجال البحث العلمي موضوعا هو أجل ما هدى اليه الانسان من حين وجوده على سطح الارض الي اليوم ،

ولو كان وقف أمر هذه المباحث عند حد الحكم القاطم الذي أصدرته لجنة المجمع العلمي الجدلى البريطانى لوجد المشككون سبيلا الى تشكيكهم باهمال العلماء لها ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد فقد أسس اساتذة من جامعة كمبردج وغيرهم جمعية سموها جمعية المباحث النفسية سنة ١٨٨٢ لانزال قائمة الي اليوم ، وقد جعنت من تجاربها أكثر من أربعين مجلدا . وتألف في فرنسا مجمع علمى برئاسة الاساذ الفزيولوجتى الكبير (شارل ريشيه) العضو بالمجمع العلمي والمدرس بجامعة الطب الفرنسية وبإدارة الدكتور جوستاف جوليه العالم المشهور وعضوية الفلكى الاكبر كامبل فلامريون والدكتور

كملت مفتش صحة باريس والكونت دو غارمون احدوزرا فرنسا السابقين والاستاذ تيسو وغيرهم، وهما اليوم نعمل تجاربها تسويغاً لادخال هذه الحوادث الى العلم الرسمي، وقد تأدت الى نفس النتائج التي تأدت اليها لجنة المجمع العلمي البريطاني وجمعية المباحث النفسية كما تشير اليه مجلاتها الجليلية المسماة (نشرة المجمع العلمي لدرس الحوادث النفسية) .

وقد قرأنا في المجلة الروحية الفرنسية الصادرة في شهر يونيو ان خمسة عشر عالماً من علماء امستردام (هولاندا) كثير منهم اعضاء في المجمع العلمي وخواوانهم في البلاد المتمدنة كافة ان يحضروا مؤتمر سيقام فيها للمسئلة الروحية من ٢٦ اغسطس الي ٤ سبتمبر .

فسألت نجتمع افحصها اللجان العامة ، وتؤسس في سبيلها الجمعيات التجريبية ، في يارقي الامم مدنية ، وتؤاف لها المؤتمرات في العواصم الاوربية ، لا يصح ان تلفظ الى مجال الامور الخرافية ، ولا أن يكتفى فيها مثل صاحب المتعطف بحكم كالذي اصدده فيها .

وقال حضرته انه سيتألف مجمع للاساقفة الانجليز في سنة (١٩٢٠) وسيبحث في مسألة مناجاة الارواح .

نقول نعم وقد اجتمع هذا المجمع وكان قراره عدم الاستخفاف بهذه المسألة والاشادة بشراتها وقد لخص هذا الحكم العلامة (جان فينو) مدير المجلة العالمية وهي اكبر المجلات الاوربية الصادر في ١٥ يناير من هذه السنة (١٩٢١) فقال :

في مؤتمر الاساقفة الانجليكانية الذي عقد في قصر لامبيث في ٥ يوليو الي ٧ اغسطس سنة ١٩٢٠ وحضره ٢٥٢ من رؤوس السكنيسة منهم مطارنة كنتر بوري ويورك وميدني وكيتاون والهند الغربية وميلبورن وامارة بلادغال الخ هذا عدا اكثر من مئة اسقف من اكبر الاساقفة تقرر النظر بنوع خاص في امر الاسبرتسم والعالم المسيحي وباتتوصوفية نظراً لتأثيرها العظيم في عقلية اهل العصر الحاضر .
فومع تحذير هذا المؤتمر للمؤمنين عن مزاولة اعمال الفرق المختلفة للمذهب الباطني

اغترف مؤتمر لامبيث المذكور بقيمة هذه المذول الروحانية التي تكافح المادية بنجاح عظيم . ولكن تفاديا من أن يفضي شدة انتشار هذه المذاهب وسلطانها الأخذ في الازدياد الى هدم سلطة الكنيسة واصولها الاعتقادية استحسن كبار الاساقفة المؤتمرين وضع معالم جديدة للنهرانية لتكسب ثقة العناصر التي تشذ كل يوم عن الايمان الرسمي

« فيخطيء الذكر الخطأ كما اذا ظهر أقل تسامحا من الكنائس النهرانية التي فقدت شيئا كثيرا بغلبة المذهب الروحاني الكامل لان مذاهبه المختلفة قد أعلنت منذ الآن حرا بضرورة علي الاديان ذات العقائد الجارمة وخصوصا ضد مدعى الوكالة عن الله في الارض

« وبمد كل هذا فالحقيقة ستتغلب على كل هذه الاعتبارات ونحن باسمها نطالبه باحترام هذا (الوحى الجديد) ويبحث ظواهره بحثا علميا في حدود الامكان» .

الى أن قال :

« قاله القديس المتأخر يكره هذه الفتوحات الجديدة ، ولكن من الظلم وما يؤسف له اغلاق النوافذ التي فتحت أمام أعيننا فبهرتها منها الانوار» انتهى ذلك قرار المؤتمر وهذا رأى الفيلسوف المشهور (جان فينو) مدير المجلة العالمية ، في أرقى البلاد مدنية ، فليقدرا القراء تأثير المباحث الروحانية في المراكز العلمية ، وليواجهوا هذا الفيض السماوى الجديد بقلوب متعطشة للحقيقة ، فان العالم والعالم قد دخلاني عهد هو أعظم عهود الانسانية وأجلها شأننا يتأدي الانسان به الى كماله المطلق من أقرب الطرق وأمنها

ويجدر بنا أن ننبه هنا الى امور جديدة بالنأمل

(أولها) ان الخوارق الروحية لتعضها جميع السنن الطبيعية المعروفة للآن عز على العقول التسليم بها وأكثر الناس من اتهام الباحثين فيها بالانخداع والوقوع في حبال

(٢٣ = اثبات الروح)

المشعوذين ، وتطلب كل منهم ان يراها بنفسه ليفضح الشعوذة التي اتخذ بها غيره ، هذا علي خلاف المسائل العلمية التجريبية التي يكفي في الاخذ بها ان يجرها عالم او عالمان . لهذا السبب تأبى علي دراسة الخوارق الروحانية جميع صنوف العقول من علما ، وفلاسفة واطبا ، ومهندسين واصوليين وكتبة وشعراء وصحفيين وماليين فانفق الجميع علي القول بأنها حقة لاغيار عليها ، وان لا أثر للتدليس فيها . وهذا الاجماع كاف في اثبات حقيتها . وهل يعقل ان تعجز كل هذه العقول في مدى اكثر من سبعين سنة عن فضح أى شعوة مهما بلغت من الاتقان وخفاء الوسائل ، وانت تعلم ان الوسطاء كانوا يرطون وبوضعون في اقفاص من الحديد ويقبض علي أيديهم وتوصل أجسادهم بالاسلاك الكهربائية التي تسجل عليهم اصغر حرركاتهم ؟

(ثانيا) ان المنكرين لهذه الحوادث كلهم ممن لم يكلفوا أنفسهم تجربتها او ممن جربوها مرة أو مرتين فلما لم يجدوا شيئا يذكر أو وقعوا مع وسيط تدليس اقلعوا عن التجربة وامرعوها في الحسب بأن المسألة كلها تدليس في تدليس . قال العلامة (كاميل فلامريون) في صفحة ١٠٥ من كتابه (القوى الطبيعية المجهولة) :

« من السهل جدا أن ينف الانسان موقف المنكر انكارا مطلقا حيال المشاهدات التي هي غرضنا من هذا الكتاب » .

ثم صور حال أولئك المنكرين فقال :

« قد لا يكتفى الواحد من هؤلاء القضاة الاعلى بالغمز بعينه ، أو بالنسيم وهو على اريكة اختصاصه الملكي ، ولسكنه قد يتفضل فيحضر احدى التجارب فاذا اتفق ، كما يحدث كثيرا ، عدم حصوله علي شيء يخضع لارادته ، يبرح المحرب المبعجل المكان وهو معتقد تمام الاعتقاد بأنه بنفذ بصيرته الفائق قد اكتشف الحيلة ومنع ظهور أى شيء . بادراكه الواسع ونظره البعيد ، فيسارع الى الكتابة للجرائد مفسرا التدليس وباكيا بادمع التماسح تأثرا من ذلك المنظر المحزن وهو اتخذ رجال معدودين من الاذكياء لتدليسات اكتشافها هو من أول وهلة » انتهى .

هذا حال المنكرين كلهم ، ولا يحفظ تاريخ هذه المباحث ان عالمنا وقف على بحثها عدة سنين فهب بعد ذلك يعان على رؤوس الاشهاد انه لم ير شيئا او انه اكتشف فيها وجوه التدليس ، كما لا يحفظ تاريخها أيضا ان جماعة من العلماء ، أو الاذكياء قاموا بفحصها بصبر وثبات مدة كافية ثم اعلنوا انها خداع في خداع كما يقول المنكرون بدون بحث ولا تنقيب . بل حفظ تاريخها ان كل العلماء الذين وقفوا زماما كافيا لدراستها صدقوا بها وكتبوا فيها كتابا او رسائل .

وهذا من اكبر الادلة على صحة هذه المباحث وتعاليلها على كل تعاليل مادي يريد أن يعللها به الماديون .

(ثانيا) ان الشعوذة عرفت بهذه الصفة في كل زمان ومكان ، وتاريخها يصعد الى عدة الوف من السنين ، والمشعوذ نطاق له الحرية في اعداد الآلات ، واتخاذ الادوات ، وبث اعوانه بين الجمهور ، وتعطى له كل الفرص الضرورية للذهاب والحيثية على المسرح لمرض الاعيىه على المنفرجين . والمباحث الروحية عرفت كذلك في كل زمان ومكان ، وكلام عنها في اساطير المصريين القدماء ، والصينيين والهنود والباليين وغيرهم ، وميزت عن الشعوذة بميزات كثيرة ، منها ان الذين كانت تحصل على أيديهم في الازمنة القديمة كانوا من اهل الرياضات والعبادات ، ظهرت منهم هذه الخوارق من غلبة ارواحهم على اجسادهم تامة لانهن طبيعية ارقى من السنن المعروفة عن عالم المادة .

وكل الذي يفعله العلم اليوم هو انه يقوم بفحص هذه الخوارق على من تظهر على أيديهم متى وقعوا في حال خاص كنوم ، غناطيسي أو انتقال نومي او خدر تام الخ ، والعلماء يبحثونها بالاسلوب العلمي الدقيق متخذين كل النحوط التي تنفي كل تدليس أو خداع . كربط الوسيط على كرسيه وتسميره بالارض ووضعها تحت قنص من حديد وايصال اجسادهم بالتيارات الكهربائية الدقيقة لتسجل عليهم كل حركة وسكون . فاین هذا من الشعوذة ؟

وقد ظهرت هذه الخوارق على ايدي اطفال رضع منهم من كان عمره تسعة ايام

ومنهم من كان عمره عامين ومنهم خمسة اعوام ، وظهرت بوساطة رجال ونساء من الذين لا يعقل أن يصدر منهم غش أو تدليس ولا نزاع تصدر منهم الى اليوم .

وليس في تاريخ العقل الانساني انه اتخذ للشهوة مثل هذا الانخداع في مثل هذا الامد الطويل ، فهل يعقل انه يقع فيه وهو في اشد القرون كراهة لكما قدمه واكثرها تمسكا بالاسلوب العلمى القويم ؟

وهل يعقل ان يروج هذا الانخداع في كل بلد وفي القارتين معاً ، ويكون في مقدمة المدعوين العلماء الاعلام الذين من نواحي الاساليب العلمية الخاصة ، وجهدوا على التعاليم المادية الصارمة ؟

وان عقل كل هذا فهل يعقل دوام هذا الانخداع جيلين متواليين ، فيزداد زيادة مطردة حتي يبلغ الي حد تأسيس مئات المجلات للبحث فيه ، وراقلة للمجامع العلمية لدعم مبادئه ، والوصول به الي اقصى مراتبه ؟

الاهم ان كل هذا مما لا يعقل ولا سيما في مثل هذا الجبل الذي لم تدع الشكوك مكاناً من قلبه لقبول رأى لم يقع عليه دليل محسوس ، فضلا عن خرافة يقوم علي فسادها ألف شاهد ملموس .

(رابعها) ان المصدقين بصحة الخوارق الروحية من العلماء والادكياء في كل صقع لم يرفعوا أصاً بتكذيب المكذبين ، ولم يابهاوا باستهزا المستهزئين ولكن قالوا كلهم كما قال السير وليم كروكس العلامة الانجائزى الكبير في كتابه (القوى النفسية) :

« وبما أني متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجنب الادبي أن ارفض شهادتي لها بحجة أن كتاباتي قد استهزأ بها المنتقدون وسوام ممن لا يعلمون شيئاً في هذا الشأن ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام ان يحكموا عليها بانفسهم » انتهى

فكيف حصلت للمصدقين بها كل هذه الثقة ؟ ولماذا تعلقوا بها كل هذا التعالي ، رغماً عن سخريه الساخرين ، وتنطاع المتحذلقين ؟ أليس لان الادلة العيانة لا يندفعها الاقوال ، والوقائع الملموسة لا تطمسها الاضاليل ؟

فلو كان هؤلاء الباحثون قد اتخذوا كما يقول المنكرون ، لمكانت زواجهم خصوصهم نبتهم الي مواطن العقلة من نفوسهم ، فظفروا اكثر استصاء على تضاميات المضالين ، واحايل الدجالين ، ولانتهى بهم الامر في جيلين متواليين الي الانقراض من حولهم ، وثبتين وهن اصولهم ، كما هي السنة في تنازع الحق والباطل ، ولكن الذي يحدث هو ان كثيراً من هؤلاء المنكرين المتشددين ، والمستهزئين المتغالبين ، أخذوا يحررون هذه الخوارق لدحضها بشاهد محسوس ، فأروا من صحتها ما لم يكونوا يجهلون ، فعادوا الي الاعتراف بحقيقتها ، وبتمسك نظرهم السابق في تمقيدها ونقمة بر كل من كان يأخذ بها ، ونشروا ذلك في كتبهم ، وقد اتينا على طرف من ذلك في هذا الكتاب كما رأيت ، فهل كان يمكن هذا اذا كانت هذه الخوارق الروحية من أصايل المشعوذين ؟

فعلى الذين يسرعون الي انكار هذه الظواهر لعقبة التعاليم المادية على عقولهم ان يتأملوا في هذه الوجوه الاربعة ، وليربأوا بانفسهم عن الاستخفاف بقول الالوف من العلماء ، والملايين من الفهماء ، فان مثل هذا الاستخفاف لا يفتبر من الالمية ولا من قوة الموهبة العقلية ، ولكن من الجلود المزرى بهما ، والركود المردى للآجد به ، ولعلم كل من له عقل سليم ، اننا نعيش في بحر لجى من مجاهيل ، واننا متعنا بالقوى التى تمكننا من استكشافها فلا يقطن قاطع على نفسه طريق التقدم ولا يجمعان هذه القشور التى يسميها علمية عوائق له عن متابعة سيره الي استجلاء هذا العالم الكبير ، فذلك منه اهم خطير ، وشر عليه مستطير ، والله نسأل ان يتولانا بعنايته ، وان يكلنا برعايته .

فهرست الكتاب

صفحة	
٣	مقدمة الكتاب وفيها ترجمة بحث بديع جليله العلامة كايل فلامريون مقدمة لكتابه المسمى (المجهول والمسائل النفسية)
١٧	رأى العلامة الانجليزى (وليم كروكس) أحد أعضاء المجمع العلمى الملكى فى صحة المباحث النفسية
١٨	رأى العلامة (سيد جوك) أحد أعضاء المجمع العلمى الملكى فى صحة المباحث النفسية
٢١	الرد على ماقاله المستر مكايب العالم الدينى الانجليزى وقد نشر المفتطف مقالته فى جزئه الصادر فى اغسطس سنة ١٩٢١
٣٠	البحث الفلسفى الحديث ، وهى المقالة التى اني عليها كتابة هذه المقالات
٣٢	المباحث النفسية والفلسفة المادية
٣٣	كيف نشأت المباحث النفسية ؟
٣٨	اهمل الباحثون فى هذه المسئلة العقل ليرضوا العواطف ؟
٤٢	جمعية لمباحث النفسية فى اوروبا وامريكا
٥٠	تعقيب المفتطف على ماسبق
٥٢	اثبات الروح بالمباحث النفسية وفيها رد على تعقيب المفتطف
٦١	الاسلوب التجريبي الذى اتبعه العلماء فى اثبات الروح — خاصة الوساطة
٦٠	الزحومات التى تتخذ ضد الوسطاء
٦٧	الفرق بين الشعوذة والوساطة
٦٩	تجارب العلماء على الوسطاء
٧٦	الامتحان العلمى فى المباحث النفسية وهى مقالة نشرها المفتطف عن مجلة ناشر الامريكى تناقض صحة المباحث النفسية

صفحة	
٧٨	جواب المقتطف على سؤال وجه اليه: نفي المباحث النفسية
٨٠	تجارب العلماء على الوسطاء، وفيها ردنا على ما نقله المقتطف عن مجلة ناشر، وعلى جوابه على السؤال المتقدم
٨٤	اجابة وسيطة على مئة مسألة علمية وجهها اليه الاستاذ باركس
٨٩	رد المقتطف علينا
٩١	تجارب العلماء على الوسطاء، وفيها اجابة الارواح على مسائل فلكية معوصة
٩٥	تكميل روح الكتاب الانجليزى الكبير ديكنز لرواية له تركها ناقصة فكتبت مجلدا برمته باستيلائها على يد شاب جاهل
٩٩	تعقيب المقتطف على ما كتبناه
١٠٠	ردنا على تعقيب المقتطف
١٠١	رأينا فى القضية الاولى من قضايا المقتطف
١٠٥	رأينا فى القضية الثانية من قضايا المقتطف
١٠٨	ملاحظات المقتطف على ما كتبناه من اجابة الروح على مسائل فلكية
١١١	ردنا على المقتطف
١١٤	عود لموضوعنا الاصل، وفيها كلام عن خواص الوساطة
١١٦	وساطة الاطفال الرضع
١١٧	تكلم الوسيط بعدة لغات
١١٧	نقل الوسيط رسائل متعددة في وقت واحد
١١٨	التخاطب بواسطة الارواح من ألوف الاميال
١٢٠	تعليقات المنكرين لحوادث الروحية
١٢٩	نظرة على التعاليل بالتدليس
١٣١	دحض شبهة التأثير بالاستمحاء في التجارب الروحية
١٣٨	الروح والجسد، وهو سؤال وجهه الينا مستفيد بواسطة المقتطف

صفحة	
١٣٨	دحض شبهات تأثير الوسيط بثبوته الدائبة
١٤٥	رد شبهتي الارواح غير الانسانية والارواح الشيطانية في اعمال الوسطاء
١٤٧	تعاليم الارواح — ذكر انهم مرسلون لخلق بوجي جديد
١٤٨	مذهب الارواح في معنى حب الانسانية وفي معنى الفيلسوف
١٤٩	مذهب الارواح في المقررات التي نعتبرها حقائق
١٥٠	نصيحة الارواح للناس في الامور الاعتيادية
١٥٠	مذهب الارواح في الاديان الموجودة
١٥١	مذهب الارواح في اختلاف الاديان وصحتها كلها
١٥١	مذهب الارواح في الابرار وفي القرب من الله
١٥٢	مذهب الارواح في أى الاديان يجب الاخذ به
١٥٢	مذهب الارواح في الوصول الى الحقيقة
١٥٤	تحقيق شخصية الارواح وهل هي حقيقة ارواح الذين يانها ارواحهم
١٦٢	خاتمة وفيها كلام على الفلسفة المادية وتأثيرها على العنبرين وجهاد الانسان وراء ادراك الحقيقة
١٧١	تعقيب المقتطف على مقالاتنا اثبات الروح بالمباحث النفسية
١٧٤	ردنا على هذا التعقيب

على طائر الذهب لماري

﴿ الجزء الثالث ﴾

موضوع هذا الجزء تعريب بمحت جليل للعلامة الفرنسي الكبير

جان فينو مدير المجلة العالمية الفرنسية نشرها في ثلاثة

أجزاء منها من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٠

إلى ١٥ يناير سنة ١٩٢١

تحت عنوان

فتح علمي - الروح خالدة

نقله إلى العربية

محمد فوزي بخاري

الطبعة الثانية

« حقوق الطبع والترجمة محفوظة »

(طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر)

سنة ١٩٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله ونشكره، ونصلي ونسلم على رسوله محمد وعلى آله وتابعيه امين
وبعد فانا تقدم للقراء اليوم الجزء الثالث من كتابنا (على اطلال المذهب المادى)
وهو تعريب بحث جليل للعلامة (جان فينو) مدير المجلة العالمية نشره فيها في ثلاثة اجزاء
متعاقبة من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٠ الى ١٥ يناير سنة ١٩٢١ تحت عنوان (فتح على
الروح خالدة) اتي فيه من افتتانه الكتابي بما لا يتفق الا لاهل الضلالة من أمثاله.

ولسنا في حاجة لتقديم هذا العالم للقارئ فان شهرته قد طبقت الارض ، وهو
أحد الكتاب الممدودين من ذوى الصيت العالمى ، ترجمت كتبه الممتعة الى اكثر
اللغات الحية ، وبلغت مجلته الى الأوج الذى لا مرام فوقه اطامح ، فاشتغال مثله
بالمباحث الفلسفية في اجزاء متعاقبة أدل دليل على ما بلغته هذه المباحث من الاحترام
في نظر الجماهير ، وعلان مثل (جان فينو) لثقته بها أقوى حجة على أن هذا التعريب
من البحث نال ما هو جدير به من القيمة العلمية والفلسفية .

ونحن بتعريفنا هذه المقالات الممتعة لهذا الفيلسوف الكبير نعتقد اننا نخدم
هذه الحقيقة الجديدة خدمة جليلة ، فان في اعلان (جان فينو) الاعتقاد بصحتها ،
لا باعتبار انه اصدق نظرا من جميع الذين بحثوها وصدقوها قبله وفيهم اقرب العلم
الرسمي ، ولكن باعتبار وظيفته الصحفية ومكانة مجلته من الذبوع ، يعد حادثا من
الحوادث الاثرية غاية التأثير في البلاد الفرنسية والبلاد التي تستمد منها العلم والفلسفة ،
وقد سبقه الى مثل ذلك صديقه الجهم المستر (ستيد) صاحب مجلة المجلات الانجليزية ،
ومكانها هي أيضا من المجلات الانجليزية مما لا يمكن النزاع فيه ، ويمتاز الصحفى
الانجليزى الكبير بأنه هو نفسه كان حاصلا على موهبة الوساطة ، ووجود مثله في

الوسطاء أقوي - على الذين يدعون أن كل الوسطاء خادعون ، فإن مسكان المستر ستفيد من الهيئة الاجتماعية ، وموضعه من البسطة المالية والعلمية ، ومجمله من ملوك الارض وقادتها ، لا تسمح له ان يلعب بسدته ، حتي لو كان مدلسا بقطره ، فمافولك وقد كان من قوة الاخلاق وكرامة النفس بحيث اني ان يدبر تركة المستر (سسل رودس) وهي تبلغ تسعة وثلاثين مليوناً من الجنيئات لمناقة بعض نصوص وصيته اراه الخاص .

على أن نزاهة الوسيط مسألة ثانوية فاه عامل ساي في التجارب الروحية ، اذ يكفي وجوده بين الجماعة لتسهيل ظهور تلك الكائنات الحية ، وكثيرا ما حمل الشك العلماء الباحثين علي شد الوسطاء على كراسيهم وتسميرها بالارض والختم على اربطتها بالشمع ، وجعلهم تحت اقراص حديدية الخ من انواع التحولات ، فلم يمنع كل هذا ظهور تلك الخوارق التي قلبت شكل العلم . ونقلت الفلسفة من - الى حال .

والكى وجود امثال المستر ستفيد والكتاب الفرنسي الطائر العصيت ساردو والعلامة الانجليزى الكهر باني فارلي والعلامة اللاهوتي ستنتون وزس وغيرهم في عداد الوسطاء . من الغمائم القوية على صحة هذه الموهبة التي لايزال ينازع فيها من لم يدوا بشي من تاريخ هذه المباحث التي عمت العالم المتمدن .

لنبدأ الآن في ايراد تعريب مبحث العلامة (جان فبنو) قال :

« بما ان النظريات والمقررات العلمية ليست هى الحقيقة الثابتة »

« اني لا تتغير فيجب علينا ان نكون دائما متأهبين لهجر تلك »

« النظريات وتهذيبها حين يظهر انها تمثل تلك الحقيقة »

كلود برنار

ان الناس ترتعد فرائصهم ويذوبون أمام قناء الموت المزعوم . وقد احتفظ الناس من هذه الناحية بالذعر الذى كان يمتري آباؤهم أيام سكنناهم المماور في خلاخ أوف من الاجيال . فالعلماء والشعراء ورجال السياسة وكناس والطرقا سراء في النشع بالدر كات التقليدية ، يلحنون القناء ويخافونه .

مما يوجب الدهش أن الناس علي شقاؤهم يتعرضون لـ كروب الشايطة

ينجافون دائماً عن النظر في الاسباب الجمة التي تنهوي بهم في الضلال ، والحال انه اذا انقشع عنهم هذا الضلال حل محله هنا ، وصفاء من ذات المنظر الذي كان يملأهم كدأماً ذعراً

نعم ان الآخذين بالديانات المسيحية واليهودية والاسلامية يعانون أمالهم في حياة مجارية ، هي تنمة هذه الحياة الارضية ، ولكن عقيدتهم القطيعة في ذلك لا تخلو من شكوك فطرية ، فان رثتهم في أن المولى سينقذهم في صدره بعد موتهم لا تنفدي أفواههم ، فهم وقوف علي عتبة ارواحهم ، متملكهم الهام من وشك انقطاع وجودهم المادي . والا فكيف تفسر ذلك الشعور بالوجل والفراغ الذي يصيب الماديين والمؤمنين حيال هذا المسمى النهائي علي السواء ؟

لقد شغلت مسألة البقاء بعد الموت في كل زمان الخلقين والفلاسفة فيسئلوا قصاري جهدهم في ستر إضاءتها مراعاة لمصلحة الدهم ، ولكن القصد الحسن لا يكفي في كشف مساتير مأنوق الطبيعة .

ان القول بالانتهاء الي الندم المحض يظهر أوضح ظهور من الثمرة القيمة أو الخرقا . التي تمتاز بها المؤلفات القديمة في العلوم الكونية . ولا بأس من الاعراب عن اعجابنا في هذا المقام بحممة الفلاسفة الذين اندفعوا الى تتبع هذه الغامضة بدون أن يكون لديهم أية وسيلة لحلها .

أما نحن فنستطيع بعد هذه القرون التي انقضت في البحث والترقى في كل مجال من مجالات الفكر أن نعالج موضوعاً فشل فيه سابقونا كل الفشل . فالعالم الذي كان موصداً أحكم ابصار علي عهد آبائنا الاولين قد انفتحت اليه عدة كوى (نوافذ) أخذ يتسرب اليها الانوار . فاصبحنا اليوم أكثر أملاً منامن أي عهد كان في امكاننا عاجلاً أو آهلاً ادراك الامر انني كانت تتهب فوق متناول العقول .

١ - (استكشاف مزدوج لمصلحة الروح)

صار من المسحوح لنا قبل كل شيء الادلاء بمحجج جمة لاثبات الحياة بعد الموت

هي ثمرة المشاهدات العلمية تقرب من أصول كثيره للايمان الوجداني . وهذا يوجب علينا ان نكون متسامحين حيال أصحاب الايمان وأن نحترم براهينهم أو عجزهم عن البراهين . فان تشككنا يجعل من الجنايات محاولتنا حرمان السعداء الراجين من عقيدتهم العالية، في الحين الذي يميل فيه العلم الى تحقيق بعض الافتراضات في البقاء بعد الموت .

وما أصدق ما قاله أراغو من « ان الطليعيين الذين يأبون أن يسلموا بغير المشاهدات التي يعرفون لها تفسير يضررون بتقديم العلوم أكثر مما يضر به الرجال الذين يؤخذ عليهم التهاافت علي تصديق كل ما يسمعون .

ومن الخطار العظيم أن يسلك الانسان هذا المسلك حيال الحياة التي هي بعد الحياة الارضية لان الأدلة علي صحتها آخذة في الازدياد في نظر العقول المنصفه التي تنطور مستقلة عن العقائد المقررة والمذاهب الدينية .

فلنقر عينا بخلاصنا من ضلالتين رئيسيتين كأننا تصدان عن سبيل كل تقدم في هذا المجال، فاسنأ الآن تحت سطوة النظرية الفلسفية المؤسسة علي الفيزولوجيا، وقد تحررنا كذلك من رقة المذهب الآلي .

فعلي مقتضى النظرية الاولى كل ظاهرة روحية يجب أن تتألف عناصرها من عال فيزيولوجية، وعلي موجب النظرية الثانية أعضاءنا هي المحور الوحيد الذي تنطوي حواليه وتتعاقب به سالتنا العقلية والشعورية . ولكن العقل الباطن قد دخل الآن دخول المنتصر الي المجال البسيكولوجي (أي الفسائي) (١) وأصبح من المقرر أن ما يصل اليها من طريق ذلك العقل الباطن ارفع كثيرا مما يصل اليها من طريق المخ وقد تنجم ظواهر عديدة

(١) العقل الباطن الذي يسمونه *Subconscience* هو ما شوهد في أثناء النوم المغناطيسي والانتقال النومي من ان لانسان وراء نقله العادي عقلا أرقى ثبت انه هو المصروف لجميع آلاله، والحافظ لكل مدر كاته، يدرك ويشعر من ذاته مستقلا عن الجسم وليس عقلا العادي الا مظاهرا من مظاهره .

وتنمو فيما دون شعورنا بدون أن يكون لها علاقة ما بالأعمال الآلية لخشنا وإدراكنا .
واقدم سمحت لنا المشاهدات الجراحية في الحرب الكبرى بتفريقات غير منتظرة من
هذه الناحية :

نعم ان الامر كما أكدده الدكتور (منيار) في التاريخ السنوى لاطب النفساني لسنة
(١٩١٨) بأنه لم يشاهد قط زوال اوصف واضطراب خاص لاحدى الوظائف العقلية
تابع لاصابة خاصة لجزء من أجزاء المخ ، حتي انه لم يعد من الممكن تعيين عضو محدود
يكون مركزاً للنفس كالفصوص الجبهية مثلاً .

ويمكننا ان ننوه باسم اثني عشر عالماً وصلوا الى هذه النتائج عينها بعد دراستهم لهذه
المسئلة : نذكر من بين هذه الاعمال الابحاث التركيبية (٢) التي قام بها (شيرنجتون) و
(موناكو) مما يؤيد هذه المشاهدات ، والدكتور (تروود) بعد أن قام ببحث العلاقة
الموجودة بين المخ والفكر سر عدد من المشاهدات التي حصل عليها بعد دراسة لجروح المخ
فظهر له انها منطوقة على المفردات المذكورة آنفاً . من بين هذه التجارب ما دل على أن بتر جزء
عظيم من المخ لم تكن نتيجة تقليل صفات الشخصية . وقد شاهد الدكتور (رافاجو) جريحين
شفياً بعد ان احترقت القذيفة مخيخهما من طرف الى طرف .

وذكر الدكتور (لوفور) انه استخرج قطعة من المخ الباطني المجاور لازاوية اليسرى
المسماة (بونتاسيرايللو) فبعد أن أصيب المريض بالعمى والصمم والشلل النصفي مرتين شفى
ولم يحفظ من مخلفات جراحه الا اضطرابات لا تذكر .

وقدم الدكتوران (بيلو) (وكونو) الى المجمع الجراحي في سنة ١٩١٥ أربعة
وعشرين حالة مدحشة جميعها يؤيد حقيقة هذا الموضوع أى افلاس تينك النظرية بين الرسميتين
حتي في المجال التشريحي الباثولوجي (الباثولوجيا علم الامراض) فخرج المذهب القائل بتركيز

(٢) بريد بالابحاث التركيبية ما يقابل الابحاث التحليلية . فالمجرب لا تنصح تجربته
الابهيذين الزكنين . فان استطاع أن يحلل جسماً الى عناصره وأن يؤلفه ثانية منها كان ذلك
دليلاً قاطعاً على انه عرف العناصر المؤلفة له معرفة تجريبية .

الشخصية في المخ مصابا بضررة قاضية .

٢ - (استقلال الروح عن الجسد)

على هذا النحو يصل الانسان بنظام الى تحديد جديد لوظيفة المخ ولسلطانه التام في الحياة النفسية . نعم أنه من الصعب انكار حدوث تغيرات مخفية عقب تغيرات تطرأ على حياتنا النفسية . ولكن من المستحيل مع هذا الافرار على المذهب المطلق القديم الذي مؤداه ارتباط النفس بالمخ منذ ظهر لنا أن الاصابات الحسية الخطيرة تكاد تدفع ظواهر الشخصية سليمة حتي فيم يختص بالذاكرة . والذاكرة كلاً يخفي هي الخاصة الاصلية المميزة للشخصية . ومن هنا نترأى لنا صحة النتائج المعلمة التي يمكن ان تستنتج في مصلحة القول ببقاء النفس بعد الموت . ذلك لانه يجب التسليم بنتيجة رئيسية وهي : أنه اذا كان المخ يحصر شخصيتنا النفسية . فان هذه تزول بزواله . واكن اذا كان المخ لا يظهر في الواقع الا جزءاً من وجداننا أو من حياتنا النفسية قائمهما . يكونان غير تابعين لسلطانه . فاذا عرفنا ان النفس تكاد تكون مستقلة عن المخ عرفنا تبعاً لذلك ان الحياة النفسية تستطيع حفظ وظيفتها والتمتع بالبقاء بعد الموت على صورة أخرى مادام العضو الرئيسي الذي ظنوها متعلقة به مدة قرون أخذ يروى عن عرش سلطانه ، وما دام قد ظهر استقلال وجداننا أو بعبارة افضل استقلال روحنا عن سلطان الجسم ، والبراهين العلمية والمادية على ذلك آخذة في الزيادة كل يوم ، فانه لا يلبق بنان قرون فنائها النهائي بفناء غلافها الجسماني .

العلم الجديد الذي يؤتينا بهذه المقررات المعزية والتي لا تقبل الدحض لا يزال في بداياته ، ولسكنته نشوئه بهذه اللائحة والرسوم يسمح بتحقيق آمال لاعظيمة في مستقبل قريب . فقد انفتحت أمامنا ملكة عظيمة من ظواهر جديد ظواهر بلغت من الكثرة والتنوع حداً من الجلالة بحيث يحق لنا أن نأمل الحصول من ورائها على فتوحات لا تحيط بها .

٣ — (الواقع وقوة العقل الباطن)

يرجح ان اكثر الظواهر الاسبريتية (الخاصة بتحضير الارواح) يمكن تفسيرها بفعل العقل الباطن الوسيط . فان تجارب حديثة تفتح امامنا من هذه الوجهة باحات عجيبة ، اذكر منها التعميمات التي عملها الدكتور (كروفورد) أستاذ الفيزياء بجامعة العلوم الصناعية الحديثة (باغور) .

هذا العالم الطبيعي الذي هو أجدر أن يعتبر خصما للمعلوم الباطنية لا مشايها لها . يسلم بوجود قوة نفسية حالة فينا تحدث آثارا لا يمكن الشك فيها علي الاشياء المادية . واليك حجة من حججه البينة قال :

لنضع وسيطا في أثناء جلسة تجربة روحية علي ميزان فنرى انه عندما يزايل الخوان (الترابيزة) الارض تحدث زيادة في وزن جسم ذلك الوسيط ويكون الفرق بين وزنه قبل التجربة وفي أثناءها مساويا لوزن ذلك الخوان .

فاذا بقي الخوان معلقا في الهواء ، وهو الامر الذي ينسب عادة لفعل المباشر للأرواح ، فان الميزان يستمر دالا علي تلك الريادة عينها .

فاذا يستنتج من ذلك ؟

يستنتج منه انه بما ان الوسيط هو الذي يحمل النقل فيكون هو نفسا سائبا مباشرا لارتفاع الخوان في الهواء . وذلك بأن يكون عقله الباطن هو الذي أحدث هذه الظواهر علي غير شعور منه بحيث انه لا يستطيع احداها وهو في حالته العادية .

وفي رأى الدكتور (كروفورد) ان الوسيط يشع منه نوع من قضيب روحاني ، ولكن اذ كان قد أمكننا أن نحقق أمر زيادة ثقله فمن المستحيل علينا أن نشاهد وجود القضيب المذكور .

أما آثار العقل الباطن باعتبار قوة روحية سواء أكان له أم لم يكن له ذلك القضيب المتوسط

(٢ — فنتج علمي)

فقد ثبت بغاية الوضوح الآن .

والتنويم المغناطيسي الذي يجب أن يشمل مكانا عاليا من علم النفس لاسباب كثيرة، والذي أخطأوا في اعتباره فرعا من العلوم الباطنية يعطينا في هذا الموضوع تفسيرات لا تحتمل الشك فيما يخص بحقيقة وجود العقل الباطن والقوى التي تحت دائرة الشعور العادي

نعم أنه لا يفسر لنا كنه هذه القوى المجهولة، ولكن ماهو العلم الذي يكشف كنه قوة من القوى المولدة للظواهر الطبيعية ؟ فنحن نشهد في هذا الموطن ما نشهده في كل موطن، وهو مظهر خارجي لقوى خفية. فالذي يهم الباحث هو التمتع من وجود تلك القوى في الواقع، أما معرفة الكنه الحقيقي لتلك القوى فسيطول انظارنا لها وستضطرنا الى الاجابة الى الافتراضات، وهذا يعني ما يحصل في مجال أدق العلوم الطبيعية.

فنترحم الى كلمة (لينز) الشهيرة وهي : لنحذر من اعتبار قشور الالفاظ لباها الاشياء .

في التجارب الجدة التي عملتها بمساعدة المأسوف عليه الاستاذ (الفريد بينيه) و (او كورو يكر) أمكنني دائما أن اشاهد وجود العقل الباطن الذي كانت أعماله العجيبة والمعقدة تؤيدنا بتفسيرات اكثر المعجزات التي رويت لنا عن القرون السابقة .

وعليه فجميع سلسلة الحوادث الخارقة للعادة يمكن أن يأتي مثلها ذلك العقل الباطن اذ تخلص من الطبقات العميقة لانيثنا (اى ذاتنا) : كأنظر من بعده وتنفيذ الامور التي تصدر اليه بغير طريق المشاعر المباشر أى بواسطة التأثير النفسي، ومعرفة المعجيات، واعطاء معلومات عن أشياء، والكلم بلغات يجملها الوسيط في حالته العادية، وزيادة مقاومته الطبيعية وقوام المسادية، وفقد جسمه للحس بالآلام، وتأثير جسمه بآثار التلقين كتوليد بشور او دمايل به، وحوادث أخرى متنوعة يستحيل الحصول عليها والانسان في حالته العادية.

٤ - (تلاي العقل والايان)

في بداية هذه التجارب كانت الكلمات الكاربه لباس كمال عن الصمت الابدى
للعالم غير المتناهي ترن في أذني . ولكن كان نجد هذا المظهر واستمراره على الانساع
أمام عقلي الدهش من لآلئه قد فتحت لي باب الرجاء لادراكه ، بل افهم هذا الحلم
السامى .

واني ليجب على ان اعترف بتواضع بأني انمت مرة سيده خضعت لتجاري
عن طيب نفس فلم أستطع أن أعيدها الى اليقظة الا بعد بذل جهد عظيم اكثر
من ساعة فعاهدت نفسي ان لأنهم بعدها انسانا الا وهو في حالة تنبه وقد وفيت
بهذا العهد .

ومع هذا فقد وجدت في هذه المجالات المحدودة كثيرا من الادلة على وجود
العقل الباطن الذى يعمل بمعزل عن الدائرة الفيزيولوجية للمخ ل كثيرا ما يعمل
ضدها .

القوانين الفيزيولوجية المعروفة لا يمكن أن تتفق وعمل العقل الباطن ، فبل هو مقر الروح
التي احس الناس بوجودها منذ قرون في كل صقع من أصقاع لارض ا

ان العالم والرجل الساذج يتأثران بصحة وجود المادة على السواء بسبب آثارها
وتفعلاتها ، أو ليس الامر كذلك بالنسبة للعقل الباطن ؟ اننا مع عدم امكان وزنه
ولا مسسه على صورته مادية نرى قوام العاملة ظاهرة بمظاهر شتى . وكأنه ينبوع الفرح
والترح فهو كذلك القوة البانية والمادمة في الجسم . وهي بخفى كنهها على نحو ما تفعله
جميع قوى الطبيعة ومع ذلك فلا شئ يمنع من الاعتقاد بوجودها في الخارج .

ان حواسنا دائمة الانخداع للمظاهر ، وانه لينتج من ضلالها في الحكم مناقضات
واضحة لوجود الذى انجحت العلوم الطبيعية فى استكشاف بعض جوانبه . فليس
بمستوح لنا والحالة هذه أن ننكر قوى أو ظواهر تناقض ما نشهده بحواسنا ومشاعرنا ،

علي أن العقل الباطن يتجلى لنا أيضاً بمظاهر تدل عليه من وجه آخر . فلا يمكن الشك في وجوده كما لا يمكن الشك في الظواهر الكثيرة التي هو يدبوعها ومجالها مآ . وبما كانت هذه الظواهر تمتد الي ابد ما يحيط به الفطر فيكون مما يناقض العلم التحكم في تضيق دائرتها . ولا يمكن التسليم اليوم بالاصل المادى الاكبر الذى يفضى بانكار وجود الروح بحجة عدم ادراكنا أى خاصة بدون المادة ، كالحرارة لا يمكن أن توجد بدون جسم حار ، ولا الكهرباء بدون جسم كهربائي ، فان العقل الباطن يافت نظراً اليه علي الدوام بمظهره التي لا تنتهى الي غاية ، ولا يمكن تحديدها بمحد . وبما أن عددا عظيما من الظواهر التي انجح الباحثون في تدوينها تنفق والخصائص التي تعزى الي الروح في رأى الذين يعتقدون بها بافطرة أو بالنظر العجلى أو بتأثير الايمان فهل من العقل ان لا نعتبر تلك المظاهر المسجلة شيئا مذكورا .

وبناء علي هذا فان علم النفس المستخرج من الفيزيولوجيا بدون أن يعني بما يقتضيه الايمان وبم حاجة الناس من الوجهة الادبية ، قد انتهى به الامر منذ الآن الي اعارة امانتهم الروحانية قواعد علمية .

فهذا التلاقى غير المنتظر بين العقل والايمان سيكون ثمرة ارتفاع قيمتهما وحدث التسامح بينهما

ان خلود شخصيتنا تتجلى لنا اليوم في مجالى كثيرة ولكننا تحت تأثير النشأوم الملازم لافكارنا نحول وجوها عنها عن قلة ثقة ان لم نقل عن شيء من الكراهة . الا ان الواقع هو أن الجرثومة البيروتو والاسمية قد انتقلت من حي الى حي منذ أجيال . وقد ثبت أن كل وجود شخصى مهما كان حقير آين بك هذا زواله عناصر خالدة ادبية ومادية ،

ولجسمنا نوع من الخلود حيوى فيزيولوجي كما حاولت التذليل علي ذلك في غير هذا الموطن ويخطئ المتدينون في احتقارهم هذا الجسم لانه كالروح مستمد وجوده من الفكر الالهي او من الاصل الابدى الموجودات ولكن لما لمشاهدة فيها ان الوجوه الاخرى من الخلود تغزل وتحرر لدرجة القصوى امام الالهاني

التي يسمح لنا بها استكشافنا العقل الباطن وهو اليوم يرشك ان يعتبر
مقرأ الروح

اعتاد الانسان أن لا يعتقد بصحة الوجود الا الآراء التي يمكنها ان يستنبط
منها فوائد مباشرة . والعقل الباطن يهينا وسائل عجيبة أصلية لأصلاح صحتنا الجسدية
والنفسانية وهي تؤدي لنا في سبيل تحقيق سعادتنا لا تؤدبه الجهود العقيمة التي نبذلها
في حياتنا اليومية . فان الانتفاع المعقول بالقوة المستكنة في العقل الباطن
تستطيع علي مر الايام أن تقلب حياتنا الشخصية والاجتماعية من طور الى طور
آخر.

٥- (في مملكة العقل الباطن)

الرجل العاظمي يجهل أن المعلومات التي يعتبرها ادق شيء ليست في الواقع الامدادات
ضالة لمشاعرنا وعقولنا . فنحن لانلم الا بالظاهر الخادع الاشياء اما حقيقة ما هي الحوادث
علي ما هي عليه في الواقع فتتمالي عن مداركنا .
ان الجهود التي بذلها الانسان للوصول الى ادراك الواقع أو الي معرفة أصول الكائنات
ومصائرنا كانت وستكون عقيمة ، وهذا هو الذي قرره (كانت) بأسلوب جلي في كتابه
(نقد العقل المحض) وقد اثبتت العلوم الحاضرة صحة شكوكه وهي تلك العلوم التي
تقدمت في دراسة علاقتنا مع العلم الخارجي دراسة تزداد كل يوم تعمقا وتوسعا ولكنها
لم تستطع ان تستكشف شيئا يتناق بالواقع المبحوث عنه بشئ عظيم منذ التأسيس الاولى لعلم
الميتافيزيكال (علم ادراك العالم الاولية للوجود)

فالعلماء والعلماء وقد أدركوا الاعيا ، أصبحوا يشبهان في اللأدريه المطلقة .
وقد سلما باستحالة تخطي دائرة العلاقات الخارجية بين الناس والاشياء والنوع الطبيعية
وحرما علي نفسها كل استطلاع فيما وراء هذه الحدود وجاء اجوست كونت بمذهبه
الوضعي فجعل هذا المعجز الزمن عن الادراك قانونا محترما ولكن الهرغسونية مذهب

الفيلسوف المعاصر لنا (برغسون الفرنسي) استحققت الثناء بمقاومته هذا التشاؤم المتطرف فان تقدمها الدقيق للأساليب العقيمة التي يتبعها العقل عند ما يشرع في دراسة الحياة ذاتها ومقابلة ذلك النقد بتمجيد قوى الوجدان وخصائصه قد سمح لنا بتوقع مجيء الزمن الذي نستطيع فيه ان نتقدم في طريق ادراك ذلك المجهول (يريد بالوجدان القوة التي بها يدرك الانسان بدون تدخل العقل العادي بأساليبه المتزعزعة من العالم المادى)

البرغسونية المذكورة تؤكد لنا وجود خلاف اصيل بين العلم المادى، وهو المجال الخاص بالعقل وبين ظواهر الحياة والوجدان التي لا يمكن فهمها لا بقوة البديهة . فالعقل الذي يمتد سلطاناه في العالم الطبيعي لا يصالح الا لتوليد آراء مادية ، ولكن الحياة والوجدان تتطلب ادوات اخرى للبحث عنها ومقصود الفعل الأملي الذي قال به (كانت) الاحكاما بقصور ادراكنا في الواقع فالوجدان وحده يستطيع الاتصال بمقتائق الاشياء

ان قد اساليب الادراك يثبت قبل كل شيء ، بأنه يخضع لضرورات العمل ويأخذ عنه عوائد وصفات محدودة لا تنال لا تفكر الا للعمل وهو أكونه مخلوقا للاشتغال بالمادة الجأمة يفشل اذا أراد بسط سلطانه على حداث الحياة والوجدان ، لانه يستخدم فيها الوسائل والادوات التي افادته استخدامها في العالم الآلي . ان هندستنا ومنطقنا لا يمكن ان يطبقا الا على المادة ، والادراك اذا حاول فهم الحياة التي هي خالق مستمر ، وتحول ونماء ، لا حد لها يعرض لناظرين جميع ضروب قصوره بسهولة تامة . وان تحليلنا لا يدرك الشيء الذي لا يقبل لا تقسام كما لا يدرك فكر الهندسي الحياة السارية والطفرة الحيوية وقد قيما الحسن حفظنا قوة الغريزة وهي ليست متولدة من الادراك ، ولا هي وظيفة خفية ودينية ولكنها علم مناقض للعلم المستمد من الادراك المباشر وليست في حاجة لبذل جهود للحصول على العلم مثله .

فلاجل تذليل الصعوبات التي رآها (كانت) واجتياز دائرة الادراك لخاص من امر الرسوم التي يحبسها فيها ، فليس علينا الانباء وتوسيع اختصاص الوجه ، ان ذلك الوجدان

التي ضمورها واضحينها في سبيل ذلك الادراك .
 فالعالم سيستمر على استخدام الادراك ، ولكن الفلسفة ستعاود التمويل على العقل
 ترجع من اتفاق الوجدان الانساني والاصول الحسية التي يصدر هو منها . بالجرى
 على هذه السنة سننوز باستنط الحوائل التي منعنا الى اليوم من الوصول الى سر
 العقل الباطن .
 بهـذا الاسلوب سنتمكن من اقامة الجسر المبحوث عنه الذي سيوصلنا على مر
 الايام الى المجهول السامي، وذلك بتشديده على الظواهر التي لا يمكن الشك فيها، أى ظواهر
 العقل الباطن .

٩- (التوفيق بين الادراك والوجدان)

مما تقدم لا يجوز اعتبار نقد القوة المدركة على اطلاقه ، لانا بترك التحليل
 والاهجة العادية نصل الى الاملاق المطاق من العلم والفلسفة . فان الحقيقة التي يحصلها
 لنا ، نذهب عزم الاعتداد بالادراك تصبح باطنية غير قابلة للتعبير ولا للتقدم . فترجع
 ذلك الى الحاد متطرف يشور على جميع فتوحات الفكر باعتبارها ناتجة من الجرى على اسلوب
 ما ، ومن شروخ مشوبة بالضلال .
 فماذا يبقى لنا بعد ههنا الادراك من الاساحة لاستقصاء البحث في الوجود
 وحوادثه ؟

وقد لاحظ بحق (هنرى بوانكاريه) في كتابه (قيمة العلم) ان العالم الزلوجي
 (الزلوجيا علم الحيوانات) اذا شريح حيوانا افسده ، وحكم على نفسه بعدم
 الامام به في جملته ، ولكنه باهماله تمسريحه يحكم على نفسه بعدم الامام بشيء
 فيه .

ففضل مذهب (برغسون) يرجع الى مساعدته في إعادة سلطان قوة كانت مضية
 ومجورة ، فيجب اعتبار حق الوجدان واسناد بعض المباحث المقاومة التي اغتصبها منه

الادراك . ولكننا مع تقدنا لحكم الادراك لا يجوز لنا ان ننسى باننا في حاجة الى مساعدته لاجل تمحيص عمل العقل الباطن والوجدان

اما العلم فانه بحالة لا يستطيع معها ان يتحرر من سلطان الادراك الا اذا جازف بتعرضه للعدم . واقد تنازع الناس بشئ في قيمة كل من الادراك والوجدان . ولكن من الخطر محاولة جعل مزاياهم التي تمت والتي هي علي وشك التمام .
ومما لا شك فيه أن اوثق النظم العلمية كعلم الطبيعة الرياضية التي تمتاز اليوم دورا من ادوار الانتقال ، تمد انصار الوجدان بأساحة قوية .

والكوسموغونيا الجديدة للعالم انيشين (الكوسموغونيا علم وصف تركيب العالم) تهدم في نظار كثير بن من المفكرين مدر كاتنا الاصلية عن الزمان والمكان ولقد اصبحت اصول كارنو ونوتن ونسبية لانوازييه ونظرية مابر في حفظ الذوة كلها هدفا لاطمن في اتجاهات مختلفة ، فتركت بين يدي نقدتها ما كان لها من حظوظ ضئيلة من قوة البقاء ، وما يضرنا من ذلك ونعمن بدفننا النواميس العتيقة ، التي يمتاز بها الدور الثاني لعلم الطبيعة التجريبي ، بدخل هذا العلم في دور جديد من الانتقال يثبت به مرة اخرى مرونته او قوته وهو يتقدم للوصول الى الحقيقة ؟

والرياضيون انفسهم يعتمدون اليوم على الوجدان . لانه بكل تحليلاتهم ويعتبر ضروريا لتعليم الفروع الرياضية كما هو ضروري للعلماء المؤمنين للمذاهب العلمية وفي رأى الباحثة مؤلف كتاب (حساب المرجحات) أن الوجدان مع مساعدته الادراك قد يخضع انصاره كما يخضعهم العقل نفسه .

ومع هذا فان النواميس الطبيعية الكيماوية العصارمة التي تكاد تعتبر نهائية والتي تناسب في الجلالة موضوعها المثير للالاباب تكفي لتقرير قيمة العقل في المباحث ولانزاله منزلة ممتازة بجانب الوجدان

ومجرد الذوق السليم وهو افصح الاساليب العقلية يرى وجوب اعتبار الوجدان والعقل معا في المباحث

ولنفكر في هذا الامر وهو : ان مخنا لاشئ غير مجتمع من خلايا مادية ينحصر

فيها عقلا ، واذا شئت فقل روحنا وشعورنا وتفكرنا وجميع جهودنا ومحاولاتنا فالجرح الذي يصيب المخ يؤثر جد التأثير في شتى جوانبه مباشرة . ومسألة استقلال أحدهما عن الآخر أو تعلقه به لانزال محلا للنزاع . من هنا يظهر المخ يظهر عضو العقل ولا يلزم من ذلك ان العقل ليس له وسائل أخرى للظهور بها . ولا يمكن أن يستنتج من ذلك ان المخ هو المحرك الخاصة إشعاع وإعمال كل الخصائص العقلية . فان هذا الزعم في جوده يناقض المنطق والملاحظة معا . ويمكن أن يقال فوق هذا : ان المخ ليس الامادة ، والمادة ليس من خواصها هداية نفسها لالعلم بالشيء قبل حدوثه ولا العمل على موجب تدبير أو غرض أخير من قبل . فالذي يعطى المخ هذا كله هو العقل وهو يدل بهذا على انه شيء زائد عن المخ الذي أداته في ظهوره .

نحن لا نبصر الضوء الا بالعين ولكن لنفرض ان عددا عظيما من الناس كف بصيرهم فجأة فهو لا يبصرونه قط . فهل يلزم من ذلك أن يعدم النور نفسه ؟

كذلك ليس من حق أحد أن يؤكد بأن الخصائص العقلية تبطل أو لا تصبح حقيقية اذا زال المخ .

وعليه فوهن أساس القول بكفاية الادراك وحده أو الوجدان وحده بتوضيح بأقل نظرة من نظرات العقل الخاص عن المسلمات التي لا تستند الى تجربة .

فلننزه عن التعصب حتي للحقائق المقررة لان ذلك هو الشرط الوحيد لولوج العالم المجهول وكشف أسرارها .

٧ — (العهد الكريم للوجدان)

العالم مصاب بكمية كل جديد ، وهذه الكراهة الفطرية تخفي في هالها أمام غلبة الوجدان أو العقل الباطن ، لأن هذا الامر لا يعدو في جلته عودة أصل قراي

(٣ — فتح علمي)

فالناس منذ أقدم العهود الانسانية ، وهذا العقل الباطن نفسه قد عمل على تقويم النوع البشرى دائما وفي كل مكان ، ولسكنه بعد أن كان عمله فطريا في الانسان أصبح اليوم علميا وفلسفيا . وقد شوهد حتي وهو علي تلك الحالة الفطرية يعمل لدى الفيلسوف سقراط وقد اعتبر رتبته فوق رتبة العقل ، فقد قال في تعريف افلاطون :

« ان الشعراء والعلماء والمهملين لا من العقل وليسكن من افعال قد يشبه افعال المتنبئة ويحلمهم علي أن يقولوا أشياء لا يفهمون منها شيئا » .

وثبت القول بالوجدان عند الافلاطونيين الجدد وكان روسوبكبر من شأنها وكان يقول ان الفطرة كانت هي المتسلطة على الناس في عهد كالمهم الاول وقد فسدها هذا العهد باختضاع العاطفة للادراك . وعنده ان الدور الثالث من ادوار الانسانية سيقوم باعادة اخضاع الادراك للعاطفة التي سميت بعد سقوطها قلبا لفطرة .

وفي القرن التاسع عشر عقب حدوث رد الفعل ضد المذهب العقلي رجع فلاسفة كثيرون الى الاعتداد بالفطرة أو العقل الباطن ومنهم شوبنهاور وتلاميذه .

ولسكن كل اطلاق يؤدي الي نتائج سيئة . فان تسلط الفطرة وحدها علي الناس في الازمان السابقة أفضي بهم الي البربرية ، والى الجوع عن كل ترق ، كأن تسلط الادراك عليهم وحدهم ادى الي الافلاس العقل نفسه . فظهور الحقيقة يستدعي قبل كل شيء اعتداد أحدهما بالآخر . هذا هو ينبوع الوحي الجديد في تحسين الوجود الانساني المظلم تحسينا بعيد المدى .

فنحن نفتحنا العالم الاخروي الذي ظل دائما موصدا أمام الادراك سنوجد أسبابا لاتنضب تبعثنا المذهب عال من طالب التكل . هذا المذهب سيقاب مدركاتنا المتطرفة في المادية ويوجد لنا آفاقا لم نحلم بها ولا تنتهي الي حد من القبضة والسكال المعنوي .

فاذا كان قد صعب علينا ان نخرج الي السماء فسيكون في امكاننا أن نوجد تلك السماء علي الارض .

والحوادث التي لا يحصى لها عدد والتي تنعاصي عن الخضوع لنشاطنا العقلي والعضوي مما توجد لنا عالماً جديداً مستقلاً استقلالاً لا ينازعه فيه شيء ، وهذا العالم سيبقى مستقلاً عن مخنا وعن مجموعنا العصبي .

وهناك براهين لا تعارض تضطرنا لأنسلم بوجود قوة أو قوي مجهولة مستقرها فينا نحن ، فقلنسها شعيراً أو روحاً ، فالذي بهيئنا أنها سواء أكانت هذه أو تلك فإنها إن نزول بعد موت أعضائنا ومخنا .

ما أكثر ما نجد أدلة من نوع آخر لاثبات هذه القضية . فالعلوم المسماة بالباطنية تؤيدنا بألف مؤلفة من الشهادات غير المباشرة في مصلحة هذه النظرية . وما اساء سمعة هذه العلوم الا الذين يبحثونها بدون مراقبات دقيقة وخبرة ، حتى أن أرزن العقول لتدين المشاهدات ضالة ومخالفة لكل أسلوب علمي . مع هذا فانه فيما يلي رغمًا عن وجود تجارب باطنية نافعة وتحقيقات لا يوثق بها ، سنسبرهن على انه يمكن إقامة الدليل العلمي على البقاء بعد الموت مع تركنا الآن البحث في معرفة حالات ذلك البقاء .

٨ — (أخطاء الاسبرتسم وغيره)

(من المذاهب الباطنية)

الناس عادة أكثر تعويلاً على الضلالات الظاهرة ، منهم على السمع الحقيقية التي يتعذر عليهم ادراكها .

فالاسبرتسم والنيوسوفيا (١) ذاتك المذهب ان المدان لان يؤدبا أكبر خدمة

(١) النيوسوفيا كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين (نيو) أي الاله (وسوفيا) أي الحكمة ومعناها معاً الحكمة الالهية وهو علم وضع على مذهب مختار من الفلسفة والعلم مستمد من الحكمة الهندية القديمة يشبه الصوفية في اعتياده على تطهير النفس ، وماشئ العلم في فتوحاته الكونية (المغرب)

في دراسة العالم الاخرى هما نفسهما كانا أشد من سواهما في تسوى سمعة المباحث التي سبق نحتها فيه . وماذا يقال في الفروع الباطنية الاخرى مما هي أقل منها قيمة التي تبدأ من قراءة الكف وتنتهي بالتنجيم أو كشف الغيب من خلال الكريات البلورية، فلقد شوهت المباحث الروحية المنتبعة بعناية وسوات من سمعتها .

لنأخذ مثالا على ذلك من الفوتوغرافية الاسبريتية فان اشياءها بتشبههم بقرنها بظهور الموتى للاحياء، جعلوا الامر من محلا للنزاع على السواء .

فرجل من مدينة بوسترن يدعي (مولار) صناعته الحفر ويشغل بالفوتوغرافيا في ساعات فراغه ، رأى ذات يوم وهو يعمل لشبث الصورة على الزجاج الحساسة رأسا ظاهرة بجانب الصورة وبعد عدة أيام رأى مثل ذلك فأنشأ منه غاية التأثير ولكنه عرف أخيراً ان ذلك ناشيء من نقص تنظيف المرآة فبقي عليها اثر صورة انطبعت فيها من قبل . فلما ادراك ان الاتفاق قد وضع بين يديه كنزا يستغله أصبح اماما للفوتوغرافيا الاسبريتية حصل من ورائها ثروة طائلة ووجد له مقلدون عديدين ، ولقد بلغ من رواج التجارة الاسبريتية أن اعلن في سنة ١٨٧٤ عن قرب صدور طبعة جديدة للاكتساب المقدس مصحوبة بصور حقيقية لابراهيم وموسى وداود والملك سليمان وبعض رجالات الاناجيل

وبعض مصوري الممالك الاخرى كرهوا ان يسبقهم مصورو الولايات المتحدة الامر يكتفي فأحدثوا مثلهم عجائب من هذا النوع . وقد رأت المحاكم ضرورة وضع حد لتهافت الارواح على طاب تصويرها بماقية أولئك المصورين المهرة الذين يتجرون بتصوير سكان العالم الاخرى فاقنهم في غيايه الحوس عدة سنين .

وقد عجز المهتمون عن افناع الناس بامكان تغطية الصور السالبة بأى مظهر يريده المصور الماهر من طريق التندليس، فاستمر التصوير الروحي متابعا سيره في النضال .

ونحن هنا مع عدم ارادتنا انكاره على حالة مطلقة، التصوّر الروحي الذي يوجد بين القائلين به رجسالم حظ من سعة العقل ومكان لا نزاع فيه من طهارة النفس فلا نملك أنفسنا من الالف من الخفة التي يقبل بها بعضهم حوادث مشكو كافيهافي غالب الاحوال .

لنضرب مثلاً آخر : وهو كشف الامور من خلال السكربات البلورية ، الذي أصبح يقول به عدد عظيم من الناس ليس في الممالك الانجلوساكسونية وحدها ولكن في فرنسا وفي غيرها أيضاً . وقد أتى على هذا الامر حين من الدهر كانت آثاره فيه تشبه مرضاً معدياً في قوة الانتشار وكيفية عمله أن ينظر في منشور بلوري فلا يمضي طويلاً من حين يرى الناظر فيه مرائي ليست بشيء ، غير ما يشتغل به عقلاً في الاحوال العادية . وقوة ظهور تلك المرائيات يتبع شدة قبول الناظر لاثراً من جهة، وصفات المنشور البلوري من جهة أخرى .

فكان لا شعور البلوري الذي يملكه موريسون صاحب تقويم (زاد كيبيل) شهرة طابت العالم كله في سنة ١٨٦٣ فكان يري فيه الناظرون المناجيماء (حواء) والملك ارثور وخوانه المديبر والانبيا والقدسين المعتبرين في جميع الكنائس . حتى انه قد رؤي فيه يهوذا الاسخريوطي . والتقويم الذي كان يحمل انبا . هذه المناظر التي نقلها هذه البلورة المشهورة ذكر عن هذا المنظر الاخير ما يأتي :

« يهوذا على غاية ما يكون من الشقاء . فقد باع المسيح . وهو الآن في الجحيم ويريد أن يخرج منها بمساعدة البلورة »

فلما رقت على موريسون المذكور قضية سردي في دفاعه عن نفسه أن من المعتقدين بصدقه أرتي رجال انجلامة عقولا مبتدئاً بالارد غراهام مارا بالارشيدياكروينسون والاسقف ليشفيلد ومختباً بالكلونل فيبيس والورد افينجهام . فقد حنت جميعهم بركة تلك البلورة وقد نوه بالخصائص التي لا تخطر ببال لاكرة البلورية التي يصدق بها جم غفير

من الناس في مؤتمر العلوم النفسية الذي أقيم في شيكاغو سنة ١٨٨٩

فالجلسات الروحانية والاخوة المنحركة حوادث الجسد تعطينا أدلة جديدة بالنظر

وأحيانا مرجحة عن تهافت لاحد له في مرة تصديق أولئك الرجال الذين ينهكون في الاعمال الباطنية .

و كاذب هذه الصحف اشترك في تحارب عديدة فشق عليه في اكثرها تجرد الحجة بين من كل حاسة انتقادية وتعليلية . فكانوا يقومون في غالب الاحوال تحت تأثير تخيلات اجماعية وبعض العلماء ممن أرادوا التعمق في بعض المستكشفات الباطنية صاروا واضحا طهارتهم الفلبية لا تصافهم غالبا بسذاجة لاحد لها .

(المعرب) ينهي العلامة جان فينو في هذا الفصل من مقالته باللوم والتثريب علي الحجة بين الذين يتجردون من النقد الصارم في مباحثهم ولم يبري . بعض العلماء من ذلك ، فلا يتبادرن الى ذهن القارىء انه يرمي بذلك كل الباحثين لانه قال ان في هذه التجارب الوفا مؤلفه من مشاهدات محقة تجبر اعصى النافذين قيادا علي احترامها ولا يستطيع عدم الاعتداد بها بوجه من الوجوه . بل هو نفسه واحد من الباحثين في الامور الروحانية وقد بني مبحثه هذا عليها ، وهو لم يسمه فتحا علميا الا بسبب كون هذه المشاهدات اصبحت داخلية في دائرة العلم المخصص كما ستراه من كلامه الآتي .

نعم انه يعيب قوما تهافتون على تصديق ما يروونه بلا تمحيص ويننون عليه تعاليم مذهبية تسيء الي هذه المباحث العملية من كل جهة ، وترمي بها الي عالم الظنون والخيالات .

قد يكون المسير جان فينو متعاملا على اكثر من يعينهم ، ولكن وجود ألوف مثله من المتطرفين في النقد والتعصب بين المعتقدين صحة الظواهر الروحانية اكبر ضمانا لقنارئين علي ان هذه المباحث اجتازت كل عقبات الاقدار ، ومرت من ادق مناخل التدقيق وحيث كل صوف يقول فلا يكرهه القارىء ان يصادف مثل هذه العقول الشديدة المراس في المعتقدين هذه الفتوح الروحانية في العصر الحاضر فان وجودهم اجلي ، ظاهري لحقيتها ، واكبر دليل علي صحتها

٩ - (الاتصال الكاذب بأرواح الموتى)

يجب عدم الثقة خصوصاً بالوسائل المنفق عليها للاتصال بالأرواح سواء أكانت على صورة تحريك الاخونة أم بالكتابة بلا واسطة أو بواسطة ، فقد أفرط المدلسون في استغلال المجربين . فلا بد من استخدام التبصر النام قبل كل شيء ، في تحقيق هذه التجارب لمصلحة المذهب الروحاني نفسه . لان أشياءه المتناهين في السذاجة أو المتهيبين بالحماة كانوا في كل زمان ومكان أقوى العوامل في غلبة الاتحاد المذهبي من أشد الماديين حمية .

واننا لنلح على العلماء ذوي التأثير العظيم أمثال (كاميل فلانريون) بان لا يحسروا الى مؤلفاتهم حوادث غير حاسمة وسهلة التعايل والتقليد . وعلى خصوم الماديين أن يكونوا من هذه الوجهة أشد شكية من خصومهم ، لان مشاهدة واحدة يقبلونها بخفة تهمم مئات من مشاهدات أخرى جديرة بالنظر .

وانه لتوجد أمثلة بيّنة على الخفة التي يقبل بها علماء وكتاب مشهورون ظواهر هذه المجاهيل وتعليقاتها .

فتراهم بمجرد دخولهم في الديانة الروحانية يأخذون إخذ المتحمسين من الممذهبيين حديثاً فيجافون مقتضيات الفطرة السليمة ، بل وأصول أعمالهم العقلية التي خصصت لهم الشهرة والمجد باستحقاق وجدارة . فكروكس ولومبروز وهيزلوب وأوليفيه ولودج الخ ولا ضرورة لذكر بعض العلماء الفرنسيين من ذوي الشهرة العالمية الذين يعطوننا من هذه الناحية أمثلة مدهشة من سرعة التصديق .

فلنأخذ مثلاً لذلك كاتباً مثل (كونان دويل) المعروف في العالم أجمع بدقة النظر وعوايه في الملاحظات الدقيقة وهي المواهب التي سمحت له بعمل أقاصيص بوليسية بمهارة مدهشة . فهذا الكاتب بمجرد اقتناعه بصحة بعض ظواهر التلباتيسا (التأثير عن بعد) اعتقد بصحة مجموع العقائد الباطنية بخفة تستدعي الأسف الشديد . فان قرا (المجلة العالمية) قرأوا باهتمام عظيم (رسائله الطبوية) الموجبة للاعجاب التي

يوجد فيها بجانب ظواهر مفيدة للغاية عقائد توجب الهش والخيرة. فان تأكيدات
في مسألة الجسد الاثري للانسان وتصويراته للعالم الاخرى لا يمكن أن تقابل الا
بشيء من الاستخفاف. فهو اذا تكلم عن عالم الآخرة يخيل انه قد عاد منه بعد أن ليث
فيه عدة سنين .

فقد قال عنه : « هو عالم كل ما فيه هادي ، ولطيف ، والوجود به ساذج
ورؤس ، وفيه طوائف سعيدة تسكن اماكن تحظى فيها بلذات الجمال والموسيقى :
ففيها حدائق غناء ، وانهار عذبة وغابات خضراء وبحيرات جميلة وحيوانات
مستأنسة » وقال ايضا : « ليس هناك غنى ولا فقر فكل منهم يخدم المجتمع بأحسن
ما عنده . فهو مستقر تعمه الغبطة والضحك . تؤتي فيه جميع صنوف الالعاب
والرياضات الجسدية . ليس فيه طعام ولا شراب . ولكن الحال هناك كما هو
عندنا اذا صرف الانسان ادراكه وقواه وارادته في سبيل الخير أمكنه أن يصبح رئيسا »
الخ.

يقول كونان دويل هذا ويؤكد بأن البراهين قد تظاهرت على وجود هذا العالم
الذي يصفه للناس

وان المتأمل ليشاهد هنا نوعا من التجسيد بلا شعور من القائلين به ، ومظاهر آمن
مظاهر الرحمة الى العقائد التي انطبع في النفوس منذ قرون

فلودج في كتابه ريموند الذي كثر انتقاده في الايام الاخيرة ، وكتاب آخرون
هم يكتبون عن العالم الاخرى ، كلهم يكتبون متأثرين بالوراثة الدينية ، أو بالأراء
السائدة في البيئة التي يعيشون فيها

فالارواح التي تأتي من العالم الاخرى تتكلم عادة بلغة الوسطاء ومن يحيط
بهم وتقع ما يحبون وتأكيدات ريموند من هذه الوجهة أحسن نموذج لكل هذا
وقد ارتفع العالم حديثا بضحك جنوني من تهيج بشعور قوى من حسب الاطلاع
الشديد عند ما سمعوا باستكشاف اديسون ، ورغب في تحقيق أمانيه من مناجاة

الارواح (١).

ولقد حدث حادث جال في حياة هذا المخترع الأمريكي الكبير . وذلك انه كان قد ظهر منذ سنين شديد الشكينة نحو الظواهر الباطنية . وفي أمريكا اليوم وسيط مشهور اسمه (برت ريز) عرف في الولايات المتحدة بمواجهته الكشفية . فكان اديسون لا يفتقر عن الاستمراء به بدون أن يحضر معه تجاربه علي عادة العلماء المباليغين في الجود . فلم يسم (برت ريز) الا ان حمله على أن يجرب معه مرة . فدعا الوسيط الى عمله فكشف له هذا جميع أعماله التي لم يطلع عليها أحد وقرأه من خلال الاجسام الكشفية مذكراته المودعة ظروفا مخبوءة بعناية تامة .

فلم يك من اديسون الا ان وقع كواقع قبله كثير من المتشدين في الطرف المناقض للطرف الذي كان فيه ، فأرسل الي جريدة (نيويورك تيمس) بالاسم التي بني عليها ايمانه الجديد ...

وهناك عالم آخر يدعي الدكتور (و . ه . طومسون) مؤلف كتاب (المخ والشخصية) لما بلغه ما حدث من اديسون اخذ يسخر منه ومن الوسيط معاً فاستأذنه اديسون في أن يرسل اليه الوسيط ليحرب معه . فأعاد طومسون للإنجربة طائفة من الاوراق كتبها باللغة اللاتينية والعربية والفرنسية والانجليزية ووضعها في ظروف مغلقة وخبأها في اماكن مختلفة ، وكلف الوسيط بأن يقرأها ، فقرأها كلها رضعاً عن جهله بالغات الاحتمية ، فلم تمض غير ايام حتي اعلن طومسون دخوله في الديانة الروحانية في جريدة سانداي تيمس .

فالقراء يرون خروج هذين الرجلين العظيمين علي قوانين المنطق فلقد كان يكفيهما ان يتولا بصحة الظواهر الكشفية وخصوصاً قراءة افكر وان لا يتجاوزا ذلك اذ لم يريا

(١) يشير الميسر جان فينو الى ماشاع اخيراً من ان المخترع المشهور اديسون اخترع آلة دقيقة يخاطب بها الانسان الارواح بدون وسيط ، وقد نشر اديسون تكذيباً لهذه الاشاعة .

ما يسمح لها بقبول المذهب الروحاني جملة .
والاداة التي استكشفتها اديسون يظهر انها تناسب درجته من النعقل باعتباره
روحانيا متحمسا للغاية . فهي آلة مكبرة . فكل تأثير يعم عليها يكبر ويسجل .
واديسون يشبه اداته هذه بقوة رجل اذا استخدم محر كاقوته ٨ خيول يستطيع ان
يدير آلة قوتها ٥٠٠٠٠ حصان وهو يؤيد عميدته في خلود الجسم بالنظرية القائلة بعدم
قبول المادة لللاشي .

ونحن نشهد في بيان هذه الحوادث لنبرهن على ضرورة التبصر واحترام المناطق
في هذه النجارب وهما الصفتان اللتان كثيرا ما يتحرد منهما المجربون الذين هم في
المجالات الاخرى يعتبرون من أكثر الناس تدقيقا . وهم فوق ذلك لا يستطيعون
ان يدققوا تدقيقا كافيا في امتحانهم الاحوال التي تصحب حدوث كل ظاهرة
باطنية .

١٠ - (بعض ظواهر غريبة)

ليسمح لي بإيراد حادثة شخصية أثرت أعظم تأثير في صديقي العظيم (و . ث .
ستيد) فقد دعيت ذات يوم لجلسة روحية عظيمة وأنا بلوندره فرأيت تلك السهولة
التي بها تتأثر جماعة مؤلفة من خمسة عشر شخصا من الاذكاء من ظاهرة ليس لها
أصل ثابت في الواقع . فقد كنا مجتمعين في بهو بوبري هاوس بشارع نور فلك تطل
نوافذه على نهر الناميز ، فلم يمض زمن حتي ظهرت فوق رأسي أنوار غريبة . فنصاعدت
في وسط الظلام والصمت الذي كنا فيه أصوات متحمسة ومناثرة تحيي تلك
الروح .

فلما رفعت عيني دهشت من ظهور هذه الاوار غير العادية مضطربة في صور من
أغرب ما رأيت . وقد ظهر لي أنني لاستحق أن اخص بتركز هذه الاشعة فوق
شخصي دون غيري وكان أولي بذلك أن تظهر فوق رأس بعض كبار الروحانيين من
الموجودين

فاكتنيت ملاحظة ذلك بتواضع.

ولكنني علي محازفتي بتجردى من هذا الامتياز رأيت من واحبي أن أعود الي
بمحيط هذه التجربة. ولما بحثت السناثر المرخاة بدقة تامة وجدت فجوات صغيرة
خلالها فاستنتجت من ذلك أن المصاييح المتألفة علي شاطئ النهر يمكن أن تنعكس
منها اشعة غريبة علينا ، وطلبت وقف الجلسة وارخا السناثر بأكثر عنابة حتى لا يقي
فيها فرج تصلنا بالخارج.

فاذا تكررت هذه الظاهرة بعد اصلاحنا أحوال الجلسة فلا يسعنا الا الاعتراف
بصحتها . ولكن واسفاه ، زالت هذه الانوار العجيبة بعد تغييرنا تلك الاحوال .
فاذا كنا لم نحدث ذلك التغيير كان الحاضرون وأنامهم انحنينا اجلالاً لهذه المظاهرة
الباطنية .

فيجب والحالة هذه علي كل العقول النزعة أن تعتمد الي كل أنواع التخصيص في
التجارب . ولكن الافراط في الحذر لا يجوز ان يسمح قط بنكرن الحوادث الباطنية
بجسلة كافية فانه مما يناقض الاسلوب العلمي الحق ما يتصف به أكثر العلماء والرجال
الذين يتسمون بسمات الحسيين من مناقضة المنطق في أطراحهم الحوادث
الكثيرة والمعقدة للامور المجهولة فان ذلك يستوى وتطرف الروحانيين الغلاة في سرعة
التصديق .

ومما لا مشاحة فيه ان حالة البقاء بعد الموت لا تزال وسدقي غير معينة طويلة
ولكن الشيء الذي يهم الآن هو أن نستطيع أن نبرهن اليوم علي الوجود الحقيقي للروح
بأدلة أكثر مما كان لنا في الايام الماضية ، وتجاري الشخصية تشككني في دوام الشخصية
الانسانية علي الحالة التي تعطينا اياها تجسيدات الارواح . ومع ذلك ، جازياً ذكر تلك
التجارب غير الحاسمة التي كان لي الشرف بحضورها في باريس ولوندرة وابطاليا وغيرها
صحبة أشهر الرجال في عصرنا الحاضر فاني الفت نظر الباحثين النزيهين الي شكوك
محيرة عندي .

قد عقدت أشد شغفي بالتحقيق من بقاء الشخصية الانسانية فيما وراء هذا العالم

عدة عهود وثيقة إني وبين رجال عظماء لا يعد كثير منهم الآن بين الأحياء . وكان كل واحد من هؤلاء قد تكفل بواجب تلك العهود أن يحضر إلى أخواه المملوك وراه . وإعطاه الدليل الممنوع على البقاء بعد الموت . فإذا علمنا أن الأرواح تأتي بدعوة غير المتممين بهم ممن لا يعرفونهم وهم أحياء على الأرض ، فكيف يمكن أنهم يأبون الوفاء بالعهود المأخوذة عليهم في أحوال خطيرة ؟

واسكن ، وأسفاه لم يف (سيزار لومبروز) واضح علم الجرائم المشهور ولا (دوكلو) المدير الأسوف عليه لمعهد باستور ولا (وت . ستيد) غريب السفينة تيتانيك المشهور بما وعدوا من الحضور والافضاء التي بشهادتهم التي أنظروا بها بلف شديد

الحالة الخاصة بالمستر ستيد تستحق أن تذكر هنا . فإنه بعد أن مات ميتته الجريئة التي برهن فيها على علو نفس كان أحسن تاج لحياته اعتباره كائناً ما كانه متصفا باستقامة لا تكون إلا للقدسين ، قيل أن روحه حضرت إلى مكتب جوليا (المكتب الذي كان أسسه لتحضير الأرواح مجاناً) وطالب حضورى (وجم . لدون) ليفضى إلى بأمر هام . وقد أرفق هذا الاستدعاء بشهادة عشرة ممن حضروا الجلسة . فاجتمعهم معرباً عن دهش كيف أن صديقي الخالد الذي عني لم يحضر إلى يبارز إعطاني شهادته مباشرة ، بدل أن يستدعيني إلى البلاد الأجنبية ، وروحه أقدر على الانتقال منا عليه . معشر سكان الأرض . فأجابوني بأنه يوجد في مكتب جوليا وسيط شهير يستطيع أن ينقلني إلى فكر المنوفى . فكان هذا الجواب حاملاً آخر على عدم الخضوع لشروط الجلسات المتفق عليها التي لا تظهر فيها الموتى البوساطة وسطاء ما بويرين .

يقولون آجابه على هذا أن المذنب إذا لم يأبها لندائنا ، ويرفضون أن يفوا بالعهد المأخوذة عليهم من هذا القبيل هنا ، فهذا يرجع إلى نقص وسائلنا في ضياعهم ليس إلا .

والأمثلة الكثيرة التي تؤيدنا بها مستندات الجمعيات والجرائد النفسية أولى بهما . أن تعتبر محبرة للعقل من أن تعتبر منقطة . فإنه رغماً عن طهارة ذمة المجرمين وعما

بأخذونه من النحوظات يبق في النفس أثر من الشك فيها . ويمكن التسليم بأننا مع الزمن سنجح في تهيئة خاصة للاتصال بالموتى نسمح لنا بالدخول بدم ثابتة في عالم المقيمين عنا . أما الآن فإن الحوادث السادرة التي تستحق الاحترام الخاص توجد غالباً بحاطة بظواهر هوائية علي درجات مختلفة لم يحسن تمحيصها أو لم تحصى مطلقاً . غالباً .

ومن هذا القبيل أولئك الذين كانوا هم أحياء قد آتونا بمشاهدات لا تخصي عن علاقاتهم بعالم الموتى ، فلما ماتوا لم يحضروا قط لتعاليم الأحياء شيئاً عن شؤون العالم الآخرى ، رغماً عن وعودهم الخطيرة لاتباعهم القبورين . فالشك والحالة هذه لا يزال حائماً حول ظهور الأرواح .

وحادثة (ميرس) الشهيرة تستحق الذكر . فقد كان وعد أن يحضر بين خواصه لبؤتهم بدلل أقوى إلى صحة ظهور الموتى للأحياء . فلم يحضر مدة طويلة ، فلما حضر أخيراً بوساطة وسيط ظهر بمظهر سذاجة فكرية وشعورية آلمت الحاضرين أيلاماً شديداً . وقد علمت هذه الحادثة بأن النابغين في هذا العالم قد يصيرون سذجا في العالم الآخرى ، فلم يشف ذلك غليلاً . لأنه ان صح هذا انهدم هذا الأصل الذي مؤداه استمرار الشخصية ، وهو الأمر الذي يهدنا في مسألة البقاء بعد الموت .

وقد حدث مثل ذلك فيما يخص بالاستاذ (هيزلوب) فإنه بعد أن أترف أشياخ العلوم الباطنية أكبر تأثير بتجاربه على الميسز بير وأثي في مؤلفاته على شواهد جهة من ظهور الاموات للأحياء ، لم ينجح هو نفسه في الظهور للأحياء بعد موته . ومع ذلك فريده على بأسهم لا يفترون عن نشر حكايات خيالية عن ظهوراته ، ولكن جمعية المباحث النفسية في الولايات المتحدة التي اسمها هيزلوب نفسه اضطرت أن لا تعتمد بكل ماشاع من حوادثه الكثيرة بحجة انها مجردة عن كل اساس تمحيصي .

ومع كل هذا فإن المذهب الأصلي للبقاء بعد الموت الذي يستند على براهين مقنعة من نوع آخر لم يصيبها من جراء هذا خطر ولا نقص . لأن الأمر لا يتعلق في هذه الحالة لا بصورة من صورة البقاء بل بأصل البقاء ذاته .

(المغرب) يلاحظ القراء ان المسيو جان فينو أفرط في الاستخفاف بجمهور
المجربين ويحارون بين مذهبه هذا فيهم وبين قوله وقد تقلناه في العدد الماضي (العلوم
الباطنية تؤنينا بألف مؤلفة من الشهادات غير المباشرة في مصلحة هذه النظرية)
وقوله فيما سيأتي في الاسطر القادمة (ان عددا لا يحصى من المشاهدات المستقاة من جميع
مجلات العلوم الباطنية تميل لاثبات صحة البقاء بعد الموت) وقوله فيما سيأتي أيضا
(انه لتعوزنا مجلدات عديدة لتسجيل البراهين على بقاء النفس المدونة في المجاميع
الضخمة لجمعية المباحث النفسية التي تأسست في كل مكان ، وفي المؤلفات الصادرة
عن علماء من ذرى الشهرة العامة الخ الخ) قلنا يحار القراء في التوفيق بين مذهبه في
المجربين وأقواله هذه ويتساءلون معنا اذا كان المسيو جان فينو لا يثق بالمجربين الى هذا
الحد فمن أين أتت تلك الالوف التي لا تحصى من المشاهدات المصحفة التي يقول بوجودها في
كل مجال من مجالات العلوم الباطنية ؟

ومن الغريب اننا لاحظنا مثل هذا التناقض في مؤلفات كبار الباحثين في
المذهب الروحاني الجديد وكأهم من المعتقدين به ، المعولين عليه ، الكافين بشهره كالمسيو
جان فينو نفسه .

والذي يلوح لنا ان هؤلاء المؤلفين شعورهم بأنهم يكتبون في موضوع قد يتهمهم
قراؤهم فيه بسرعة التصديق بحجود أنفسهم محمولين على الظهور بأنهم من النشكك
بالممكن الأرفع ، ومن الثابت والنووق بحيث لا يتابعون كائننا من كان ، فلا يجدون
وسيلة لاثبات ألمعتهم احسن من النيل من دقة المجربين السابقين ، وهو اثر من آثار
الضعيف الذي تجد آثاره حتي في اكبر النفوس البشرية

وهذا العلامة جان فينو نفسه سيسرد عليك من تجاربه الشخصية في بقية بحثه
ما يتفق وما دونه الباحثون قبله بنحو سبعين سنة ، فها هي الميزة التي يزعم اسواء استأهل
بها ان ينال منهم الى الحد الذي يجعل قارئه يظنون بهم الظنون ؟

يكبر على المسيو جان فينو ان لا تنفي له ارواح لومبروزود كاروستيد باعدت من
حضورها اليه بعد موت اجسادها . أفيريد المسيو جان فينو ان تأتيه مباشرة ، ام هو

استعان بالوسطاء، فلم تحضر؟ أما اذا كان الامر الاول فهو مستحيل كما لا يخفى، واذا كان الثاني فالسبب فيه نقص وسائله في استحضارها. اللهم الا أن يقول بأن عدم حضورها دليل على فناها بفناء أجسادها، وهو لا يقول، بل هو لم يكتب بحته ذلك الا لاثبات وجودها بعد الموت ويسمى ذلك فناها عليها.

والواقع أن اتصال الارواح المجردة عن المادة، بنا ونحن متورطون فيها، لا يمكن أن يكون الا بتوافر أحوال تجعله ممكنا. والا لحضرت الارواح المتولدة على ذوبها فتوانهم في شدتهم. ولا يمكنها لا تفعل ذلك ولا في الرؤيا لانها لا تستطيع ونحن على الحالة التي نحن عليها من التلبس بالمادة. فالمدار والحالة هذه على توافر الاحوال التي تجعل اتصالنا بها ممكنا وهو ليس بسهل فليس كل وسيط بأهل لاحداث كل ضروب الاتصال بالعالم الاخرى. والسبب في ذلك تفاوتهم في خاصية الوساطة كتفاوتهم في خصائصهم العقلية والجسدية، والامور هنا وهناك جارية على قوانين لا يمكن تعديلها بوجه من الوجوه.

فهل يريد المسيو جان فينوا أن تحضر كل روح وساطة كل وسيط رضاء عن كل الحوائث التي تحول دون ذلك؟ اذا كان الامر كذلك فلم لا يريد أن ينزل كل فكر على كل معبر، وأن يرسم كل عين كل صورة على أي بعد كان وأن تشم كل أنف كل رائحة على درجة واحدة، وأن يذوق كل لسان كل طعم على حالة معينة؟ فاذا كانت آلات ادراكنا للمحسوسات تتفاوت الى هذا الحد فهل يعجب المسيو فينوا أن تتفاوت خصائص الوسطاء في الشعور بالكائنات المجردة عن المادة وهي أدق من المحسوسات بما لا يقدر، وتعوّز من توافر الاحوال واجتماع الشروط مالا تعوز تلك؟

والمدحش أن المسيو جان فينوا انقلب في الشق الثاني من مبحثه (وستأتي ترجمته) من طرف الى طرف فيعد أن ذكر عن شكوكه بمجموع التجارب الروحية ما عمله القراء عاد مؤمنا بها ايمانا مطلقا، وناعتا اياها بنعوت "توجب الاخذ بها بدون حرج فقال مثلا في فصله الثاني عشر

«يكفي الانسان ان يلم بالامثلة التي لا يحصي لها عدد (نأمل) والتي درست بضروب

شئى من العناية والمحيص المتناهي في الدقة ونشرت في مطبوعات الجمعية الجدلانية الانجليزية،
قلنا يكفى ذلك لان يخضع الانسان أمام هذه الحقيقة الجديدة «
وقال بعد ذلك :

« ان المنكرين مهما بلغوا من شدة الشكيمة لا يستطيعون أن ينكروا وهم مخلصون في
انكارهم بأنه توجد قوة نفسية تولد كل هذه الظواهر الخارقة للعادة (تأمل) التي
تزداد عدداً كل يوم ، ولا يمكن النزاع في صحتها »

وسيرد مثل هذا كثير في كلامه والتفريق بينه وبين ما سبق من افراط في الاستخفاف
بمن قبله غير ممكن ، ولا حل لهذا التخييط الا ما ذكرناه .

...

لنعد الى ترجمة بقية مبحثه، قال :

ان حوادث لا يحصى لها عدد، مستقاة من جميع مجالات العلوم الباطنية تميل
للبرهنة على صحة البقاء بعد الموت. هذه الحوادث اذا نظر اليها وهي منفصلة بعضها
من بعض لا تتجس بلامشاهدة في ازالة شكوكنا واقامة صرح من عقيدة ثابتة لنا،
ولكن اذا وضع الانسان نفسه فوق هذه المشاهدات الفردية ونظر اليها في مجملها فلا
يحيط له من أن يخضع أمام تطابقها الذي يحير اشد العقول أستعصاء وعناداً ومن هنا
فان هذا المذهب يأخذ علي الأقل، حتي في نظر أهد الناس عن التصديق ، هيئة
فرض علمي محترم على وشك الصعود الى مرتبة حقيقة تجريبية .

انه لنعوزنا مجلدات عديدة لاجل تدوين ادلة البقاء بعد الموت المسجلة في
المجاميع الضخمة لجمعية المباحث النفسية التي تأسست في كل مكان، وفي المؤلفات
الصادرة من علماء مشهورين شهرة عامة .

فلنكتف على سبيل المثال وعلى عجل بذكر ظواهر تستطيع العقول المحبسة
اللائع أن تعجز منها عددا لا يقف عند حد اذا لجأت الى مطبوعات العلوم الباطنية
وهذه المطبوعات التي تزداد كل يوم نماء وتزدها تافت نظر الرجال المتعاشين لادراك
الحقيقة.

لنقف هنيهة أمام الظواهر التي لا ندر كما حواسنا ولا آلاتنا المتقنة ، وتندر كما طائفة من ذوي التراكيب الاستثنائية ، فانها لتمدحنا بخصائص خاصة نستطيع أن نراها وأن نعرفها مشفوعة بأدلة على وجودها لا تقبل النقض

فصاحب الانتقال النومي من ذوى الكشف يرى الجوامع المغناطيسية المحيط بأجسامنا ويميز ألوانه المختلفة . وقد أمكن تقرير هذه الحقيقة التي كانت مجهولة في الأزمان الماضية ، وهي ان لكل انسان جواً خاصاً محيطاً بجسمه يختلف في لونه باختلاف صاحبه . وقد اخترع نوع من الآلات المصورة الآن لاظهاره للعين المجردة بوضوح تام ويزعم أطباء من الذين درسوا العلوم الباطنية ان من الجواء الانسانية ما فيه نقط عجيبة تتم عن أمراض كامنة في أصحابها

وقد أكدلى طبيب معروف في لوندرة بأنه استطاع بفضل ارشاد الجوامع المغناطيسية الانسانية اكتشاف أمراض كامنة فيمن سمحوا له بفحصهم على هذا الاسلوب ونمكن من شفائهم وكانت لا تقبل الشفاء بأية وسيلة اخرى . واني اتقل هذا التأكيد بكل تحفظ لأنني لم اناكد منه بنفسى

أما الكتابة (أى كتابة الوسيط بدون ارادته) فلا يمكن التشكك فيها في أيامنا هذه . وما هيبتها معلومة : وذلك ان شخصاً متمكناً بهذه الخاصية المجبولة قد يكون غالباً متقادداً لا يمكنه تعليقه يضطره للقبض على القلم والمضي في الكتابة عسرة . ساعلت أحياناً عرباً عن حوادث وآراء خارجة عن دائرة تفكيره الشخصي . وقد تكتب هذه الحوادث والآراء عكسا ولا تمكن قراءتها بدون عكسها بواسطة مرآة

وقد اتفق لى حضور جلسات لتجربة هذه الكتابة الآلية كانت فيها الوسيطة شابة . فميرة تربتها العلمية أولية فكانت تكتب آراء في علم ما وراء الطبيعة في درجة نادرة من السمو تفوق خصائصها العقلية فواقانا كثيراً : وكانت تكتبها أحياناً بلغة أجنبية تجهلها جهلاً تاماً

هذه الموهبة العجيبة قد تظهر في صورة أشد غرابة مما مر . فان الحفار (مولان) كان أراني نحو مئة من الصور غاية في الجمال صورتها يده وهو في حالة لا شعورية . وهو

لم يكن مصوراً قط في عهد من عهود حياته ، ولكنه رأى نفسه ذات يوم مدفوعاً بقوة
لا يمكنه تعليلها الى رسم مناظر بلاد أجنبية لم يزرها عمره . وقد عمل وهو على هذه
الحالة أيضاً صوراً غاية في الضبط لاشخاص لم يقابلهم قط

كان هذا الحفار صديقاً حميلاً لاميلاً زولاً ، وقد كلمني عنه هذا الصديق العظيم
كثيراً باعتباره حاصلاً على فطرة سليمة نادرة وبعيدة عن كل تأثير بالآراء الباطنية
فحدثني حين من الأحيان أن وقع تأثير هذه العوامل الخفية التي كانت يجعلها
وأخذت يده ترسم علي غير شعور منه فالتفتنا بمجموعة من صور ذات قيمة نادرة دالة
على مناعة مجهولة تؤثر على النفوس تأثيراً يفوق تأثير التصوير المعهود بين الناس ولا اعتقاد
هذا الحفار اعتقاداً راسخاً بأن هذه الصور لم تصدر من شخصيته العادية لم يرد أن
يلبيح صورة منها رغماً عن القيم المغربية التي كانت تعرض عليه من كل صوب ، مع أن
ثروته المتوسطة كان يجب أن تسول له قبول هذه المكاسب

وقد تظاهر هذه الموهبة على صورة ميل للموسيقى تستولى على شخص ليس له أقل
المام بهذا الفن ،
وقد نشر الأستاذ (هيزلوب) عدة أحوال من هذا القبيل تابعة لتعدد
الشخصية .

من هذا القبيل ما ذكره من أن إحدى الشابات ممن لاعهد لهن بكتابة ولا نشر
أخذت في يوم من الأيام تلحن أقاصيص على أسلوب (فرنك ر ، ستوكتن) ولقد
كان تشابه السكتاتين تماماً لدرجة حملت النقادة الأمريكى الشهير (هنرى المدن) على
أن يفرد لهذه الحادثة بحثاً خاصاً

وذكر أن شاباً آخر كان يجمل التصوير جهلاً تاماً عمل صور اعظيمة القدر على
أسلوب أستاذ كبير في التصوير مات قبل هذه الحادثة بسبعة أشهر وهو (ر . س
جيفورد)

وقد مرر (هيزلوب) المذكر عدة حالات أخرى مشابهة لهذه وإنه يصعب علينا أن

تقبل تعليقاته التي ترمي الى القول بحدوث انحلال في شخصية الوسطاء، وتدخل شخصيات أخرى معها من أهل العالم الآخر .

وكثيراً ما حدث أن الشخص الذي يزاول الكتابة الآلية يكشف أسرار جرائم مجهولة ويبدل على امكنة أشياء مسروقة كما يأتي أحياناً بمعارف تفوق درجة الحاضرين العقلية

وتدل المستندات التي جمعها الجمعية الجدلوية بلوندره على أن الخصائص المجرية للحركة في هذه الاحوال قد تستولي في الوقت ذاته على حاستنا السمية وعلى أعضاء أخرى فتقوى قابليتها العادية

وماذا يقال أيضاً عن كشف الوسيط للحوادث التي يجهلها هو والحاضرون معه ؟

بماذا تعال هذه الحوادث ؟ يعللها أقطاب الرويين بأن عقلاً من العقول المجردة عن المادة من مكان العالم الاخرى استخدم تهرد الوسيط وآتانا برسالة منه :

وقد كثرت حوادث تجسد الارواح والموتى الى حدان المطلاعين على تلك الامرار الروحية اصبحوا لا يشكون في حصولها :

والعجارب التي يسردها الاستاذ (جس هيزلوب) بوساطة (مدام بير) والاستاذ كروكس الكماوى المشهور بوساطة (ميس كيتي كنج) الخ لا يمكن أن يضرب بها كلها عرض الحائط (١)

وهناك طائفة من العلماء من أعصاهم شكوكا كانوا ينكرون كل هذه الحوادث بدون تجربة ثم قبلوا جملة ، يسلون على نحو ما يسل به هيزلوب بان الارواح التي تتصل بالاحياء .

(١)المعرب: كيتي كنج انهم الروح التي كانت تجسد أمام الاستاذ كروكس لا امم الوسيطة ، اما هذه فاسمها ميس كوك . ويظهر ان كاتب البحث وهم في ذلك

هي شخصيات انسانية بقيت حية بعد ما حدث لاجسادها ما يسمى بالموت ولا تزال تهتم بالامور الارضية .

قد تكون هذه التعليلات صحيحة او باطلة ، ذلك لا يهم . اما الذي يهمنا فهو صحة الحوادث ذاتها . فاذا اعتبرت تسعة اعشار الحوادث المصحبة والمهتمة بواسطة الجمعيات الموثوق بها جداً مشكوكا فيها بعد درس دقيق آخر ، فان المشاهدات الصحيحة للقلييلة التي تبقي تضارنا لعدم الطيش في رفض القول بوجود هذه القوة المجهولة .

١٢ - لننحن اجالا لاحقائق (

ان حادثة واحدة من الحوادث الدالة على البقاء بعد الموت تمحص بحيث لا يمكن مقابلتها باعتراض وجيه . تكفي لسكس اصرار المسادبة التي فات وقتها وتصححت زهرتها

عمالا مشاحة فيه انه من الصعب تحديد معنى التلباتيا (النأثر عن بعد) ، فان خصائصها وصورها لا يمكن احصاؤها كما لا يمكن احصاء المساتير التي تحيط باثارها المعقدة المتنوعة .

ومجاميع الجمعيات النفسية التي تلتشر الآن في اكبر المراكز العقلية للعالم المنعدين تؤنينا بمئات الالوف من المشاهدات تعارض اصولا المقررة التي تعتبر شبه علمية . فاذا لم يبق منها بعد التحصيل الا عدة حوادث لا يمكن دحضها فهل نستطيع بعد ذلك ان نتي جامدين على مقرراتنا القديمة

اذن فلا محيص لنا من دراسة هذه المذاهب الجديدة دراسة منزهة عن الهوى . مع العلم بأن ادق العلوم كانت مجالا للاخطا . في ملاحظة حوادثها وتعليلها حتى بالنسبة لأعم تلك الحوادث واكثرها وضوحا : فالواضح هنا والحالة هذه لا يعد فضيلة فقط يجب الاخذ بها بل يعتبر شرطاً ضرورياً لبحث المواقف القوانين للعقل

يكفي الانسان ان يلتقى نظرة علي الشواهد التي لا يحصى لها عدد مما قد درس بعنايات مضاعفة ومراقبات شديدة للغاية ونشر في مطبوعات الجمعية الجدلابة بلوندره لينبجني اجلالا «لهذه الحقيقة الجديدة». لنضرب لذلك مثلاً شهادة واحدة من مشاهدات لا ندخل في حصر حدثت في عهد هذه الحرب العامة وقد شوهدت وحققت بواسطة ناس لاعلاقة لهم بالدين ولا بالاعمال الباطنية .

هذا المثال هو حالة مدام ريتشاردسون امرأة الجنرال الذي كان علي بعد ١٥٠ كيلو مترا منها فلما جرح سمعت صوته وهو يقول: «اخلعوا خاتمي هذا من اصبعي وارسلوه لامرأتي» وقد شهد من حضر جرح الجنرال المذكور مباشرة وأكدوا صحة جماع امراته لصوته عن بعد عدة مئات من الكيلو مترات .

والبراهين متظاهرة علي انه يوجد بين الاحياء اتصال سرى يجعل شعورهم من خلال المكان والزمان ، فهل يوجد مثل هذا الاتصال بين الاموات والاحياء ؟

بظاهر ان تجارب عديدة في هذا الباب تثبت صحة ذلك الاتصال

وعلي هذا فهذا النوع من التلباتيا يستطيع وحده ان يثبت عقيدة البقاء بعد الموت ، ولكن لندع هذه الظاهرة جانبا لآن ، ولننظر في امكان معرفة الحوادث عن بعد خلال المكان والزمان ، وهي خارج مرجح خصائصنا الطبيعية . لان هذا وحده يثبت وجود عالم فوق المادة مستقل عن المنح وعن اعماله

فالذكرون حتي اعصاهم قياداً لا يستطيعون ان ينكروا وهم مخاضون في انكارهم بأنه توجد قوة نفسية تحدث ظواهر خارقة للمادة بزيادة عددها يوما بعد يوم ولا يمكن النزاع في صحتها.

فلنكني علة هذه الحوادث هي التلباتيا أو العقل الباطن أو أرواح الموتى فان صحة تلك الحوادث نفسها تبقى لاغبار عليها رغما عن المفاشات التي تدور حول الاصل المولد لها .

فالذين ينتسبون للعالم ليس لهم ادني حق في تقايد المتعصبين للدين الذين يرفضون النساهم بكل ما ينالهم من آراءهم المقررة .

وقد روى (كارل دوبرل) حادثة مضحكة عن واعظ من فينا اراد وهو على منبره ان يدحض التنويم المغناطيسى بهذا الاسلوب وهو قوله:

« أنا لاصدق بصحة النلقين المغناطيسى الا اذا رأيته بنفسى ، واسكنى ان اراه لأن ديدنى أن لاحضر مثل هذه التجارث »

واننا نستطيع ان نزيد فى الامثلة الى ما لا نهاية لعن حوادث الاخبار بالمغيبات، والنظر بدون الاعين ، وقراءة حوادث تقع بعيدا عن الشخص فى خلال المكان والزمان الخ الخ ...

فاذا اعتبرنا ، ولو على حالة سطحية ، ظواهر النلياتيا نذكر بسهولة بأن مدر كاذبا فى هذا الباب ستكاد فى مستقبل قريب تحولا أساسيا . واذاك سيقام الناس عن البحث عن العالم الاخرى وعن الجنة والنار فى السماء المزدانة بالكواكب ، لان علم الطبيعة السماوية يمنعها من التسليم بوجود سما . فوقنا ، ولكننا سنقبل العالم الآخر فى ذاتنا وعامل حولنا . كيف نقول العالم الآخر ، ونحن لم نخرج منه قط وسنبقى فيه الى الابد ، لان افكارا وعواطف ، وآراء واحساسات ، تربطنا فيه بسلاسل ، والذي يتغير هو فهمنا اياه ، وهذا الفهم يعلو ويسفل على قدر قيمة قوتنا النفسية وروحنا وعقلنا الباطن ، ودرجتنا الحقيقية

ورجود النلياتيا بين الاحياء لا يسمح ببقاء اذنى شك فيما يخص وجود قوة روحية تزيد عن القدر المقرر لارواحنا وعقولنا (أى ان هذه القوة الروحية فينا اكبر واكثر خصائص مما يفتقده الناس قديما وحديثا)

ولكن النلياتيا بيننا وبين الموتى تثبت استمرار وجود روحنا وعقلنا الباطن ، ان لم نقل بقاء غير محدود أى خلودها وعدم قولها لفاء .

هذه الظواهر الجديدة تناقض ، مؤقتا ، مدر كاتنا الطبيعية ومعتقداتنا النفسية المؤسسة على الفريولوجيا ، وما نعلمه عن الزمان والمكان ، ولكن العلم الذى ارحمنا

عن ضلالات كثيرة سير بعنا في مستقبل قريب فيما نؤمل ، عن اغلاطنا فيما يختص
بالنظر والنقل والذي على هذا العلم مذ الآن ان لا يحتقر الحوادث المعزبة الدالة على
بقاء النفس بعد الموت

اذن فالانسان لا يموت وحياته مستمرة رغمًا عن محضر الوفاة الذي يشهد بزوالنا
زوالاً طائفاً والعقل الباطن ، وهو المجهول الخطير في وقتنا الحاضر ، سيصبح هو نفسه مشهورنا
الذاتي العالي في اليوم الذي نزداد بحقيقته علماً

(المعرب) يتبين للقارىء مما مر في هذه الفصول ان العلامة جان فينو لم يقدم امام
بعثته تلك العبارات الشديدة ضد كثير من العلماء والمجربين قبله الا ليبري ، نفسه من المجري
مع الاوهام ومن عدم اتخاذ الحيطة الكافية ضد الخدع والالاخذاع ، وألا فكيف يوفق
القاري بين اقواله هذه وتلك الاقوال ؟

وعلى اى حال فان الباحث الروحية جمعت من اشداء الشكينة من امثال جان فينو
الوفا مؤلفة ولم تمنعهم شدتهم من الخضوع للحقائق الجديدة فماذا يفي بعد ذلك او تلك
المتوقفون هنا عن قبولها بعد ان جازت كل هذه العراقل واقتضت كل هذه العقبات
وخرجت فائزة خروجا للحقائق بعد ضروب التمحيص والتحقق

على ان هذه الخوارق اغرابها وشدرة عداها الناس لها قد اقيمت من التمحيص اضعاف
اضعاف ما لقيته الممارف الطبيعية وكان المجربون لها يزاولون عاهم فيها لا بقصد اثباتها كما
هو الشأن في بقية العلوم بل بقصد دحضها وكشف احاديث التديس فيها فلم تزد الا وضوحا
وثبوتاً فلو كان عليها غبار اضعف لظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار ولم تقو على هذا التمحيص
المنوالي اكثر من سبعين سنة

وهناك امر آخر جدير بالنظر هو ان الحقيقة العلمية يكفى في تقريرها ان يشاهدها عدة
علماء فياً أخذ بها سائرهم بدون تردد ، ولكن الحال جرى على خلاف هذه السنة في التجارب
الروحية فارتفعت الثقة بين العلماء فيها وصار كل منهم يربأ بنفسه على الاعتماد على تجارب
غير محتوية بكرر ها بنفسه فان كرر بهن ما وجد صحيحاً اخذ به وتوقف في قبول غيره ، وان

كان يقول به الخرافات من أمثاله . لهذا السبب كان عدد المجر بين من العلماء في هذا الفرع العلمي يربو على عدد المجهولين . في كل فرع آخر من فروع العلم وفي هذا ضمان آخر على صحة هذه الظواهر

فهل يريد المتوقفون هنا عن قبولها أن يجرروها هم أيضاً بأنفسهم ؟ ولو فعلوا فماذا تكون قيمة شهادتهم بجانب شهادات ألوف العلماء وملايين النفس . لا في مدى سبعين سنة متوالية وفي أشد الأمم بعداً عن الاغترار بالظواهر ، والاخذاع الاحاييل والتأثر بالتقاليد ؟

نحن لا نطالب اليهم أن يسلخوا بهذه الحقائق ، فان ذلك يمتنع وحدهم ، ولكننا نريد ان نثبت لذين يسمعون القول فيقتنعون احسنه ان تشكيكات أولئك المتوقفين لا يصح ان يقام لها وزن بعد دخول هذه الحقائق في هذا الدور العامي وبعد ما أصبح يقول بها اعلم علماء الطبيعة وفطاحل الكائين والمؤلفين .

..

لنعد الى ترجمة بقية مبحث المسيو جان فينو ، قال :

١٣ — (مسكن الروح)

كثيرا ما تصادف الانبياء تسم بلا تفصيل في العنايد القديمة للشعوب في الالوية . وقد شبه الناس في كل زمان روح الانسان بنفخة ساذجة مأواها الجسد ، ولكنها تتركه بالليل المدة قصيرة ثم تهجره بالموت لا مد لاحد له . فعلم النفس والحالة هذه يجتذعونا عظيميا في دراسة (الفولك لور) والاساطير العامية وقد أدخلها (هررب سبنسر) الى العلم الرسمي . واتت صارت دراسة (الفولك لور) من أهم الاشتغالات في هذا الباب وهي تعطي عناصر لا تقدر قيمتها لدراسة النفس الانسانية في تطورها خلال العصور . وتأكد (باسكال) بأن الجسم ليس مسكن النفس بل على الميول التي كانت لدى مؤمني كل الميود الانسانية ولا تزال لدى اكثر العلماء في أيامنا هذه .

هومير وأهل المذهب الرسمي من اليونانيين والرومانيين متفقون من هذه الوجهة مع أخط الشعوب الاولية ، وفي رأى مؤلف الاياذة ان تاتوس (وهو الموت) وهينوز (وهو النوم) اخوان توأمان . وهما شبيهان كل الشبه وفي نظر الفيدا (كتاب الهندوس) الروح تزال الجسم في أثناء النوم وتتحدث مع (الديفا) وهم الآلهة الخالقة والحامية للكائنات . والاحلام دلائل تدل بها الروح لاثبات وجودها . ويعتبر (الاييون) اهالى باراجيه (بأمريكا الجنوبية) ان الموت ليس بشئ ، غير نوم طويل المدة . والعقائد العامية تختلف في تعيين مستقر الروح من الجسم . فبعضهم يجعلونها في المخ وبعضهم يعتبرونها في القلب ، ولكن اكثر الناس يقررون بأن الروح مستقرة في النفس وان الموت هو خروج هذا النفس من الجسم . وعلي هذا الاعتبار كان الرجل من الرومانيين اذا حضرته الوفاة استدعي أصدق أصحابه اليه ومال عليه وقال له قبل أن يزفر النفس الاخير « خذ روحي من في » .

وبما ان النفس في اعتبارهم أبيض اللون فتكون الروح بيضاء كذلك . ومن هنا جاء التعبير (بيضاء الروح) الذي يستعمله المؤلفون الدينيون والشعراء وزجال العصور الماضية والحاضر الحالي .

لذا ذكر هنا في هذا المقام موت (كانت) الفيلسوف الالماني كما رواه أقرب مترجميه اليه قال :

« في يوم مشرق صافي الاديم ظهرت سحابة صغيرة خفيفة في السماء الصافية الزرقاء وانجرفت ببطء نحو الشرق فلبسها جندي يحرس قنطرة فلغت اليها من حوله وقال لهم وهو مقتنع بما يقول : « انظروا فهذه روح (كانت) صاعدة الي الله » .

كان كثير من الشعوب الاولية تعتقد بأن الجسم قد يؤوى ارواحا كثيرة في وقت ممّا فيعين الملاجاشيون والصينيون عدد تلك الارواح بثلاثة . ويشار كم في ذلك سكان اواسط افريقيا . ولكن الاسكيمو يقصرونها على اثنين ، والدراكوتا من برقعونها الى اربعة ، منها واحدة تبقى بعد موت صاحبها في قريته ، وثانية تمكث في جسده وثالثة تضيع في الهواء . أما الاربعة فتقيم مع الارواح . وكان المهريون القدماء يقولون بعقائد تشبه بطريقة

(٦ - فتح علمي)

غريبة العقل الباطن المنمذد . فكانت الروح في انظرهم تتألف من مجتمع عناصر نفسية تعيش بمجموعة مدة بقائها على الارض ولكنها تغترق بموت صاحبها . وفي هذه المفاهيم كنوز من معارف تخدم النبوصوفيين من كل العصور . وعند المصريين (اوزيريس) هو العنصر الاصل للروح فيترك الميت بعد تعبيره ويصعد بعد ذلك لينضم الى الله وهو محمده الاول .

وقد أخذ أرسطو كما يلاحظ ذلك بوضوح قوله بتعدد الروح من المذهب المصري فعنده ان الارواح الثلاثة الغذائية والشاعرة والعاقلة تعمل معاً في الجسم مدة الحياة ولكن بعد الموت لا يبقى في حالة كمال الا الروح الاخير

١٤ - (ميراث الماضي)

الشعوب الاولية تذهب الى ان الميت لا يعزبه شيء في انفسها من الاحياء وينقل قصارى جهده ليعود حياً بينهم . واولون بأن الارواح لا تنسى شيئاً مما علمته أثناء عيشها على الارض وتعلم أنمرار الاحياء فلا يغيب عن علمها وانظرها شيئاً . ومذاهب الرجعة بعد الموت قد استمدت من هذا النوع . لان الروح بعد انفسها لها من الجسم شيء أثبت توفدها الى الارض في خلال وجودات جديدة ومتتالية . ومن هنا نشأت مذاهب التناسخ على اختلافها وغرائبها على ما تعلمه اديان خاصة والمذاهب الباطنية .

هذه المدرجات التي للشعوب الاولية أثرت في المؤمنين والفلاسفة وانباع المذاهب الصوفية المختلفة . فالروح عندهم قد تكون نفساً وقد تأخذ شكلاً مادياً انسانياً أو حيوانياً .

وقد قالت الكنيسة المسيحية بإمكان تجسد الروح قبل أن يقول بذلك المذهب الباطني الراهن بزمان بعيد .

ذكر فيقولون ان في رسالتهم عن الروح انها جثمانية الاصل . قال والا فكيف نكتب

المذنبين عذاب جهنم اذا كانت الروح ممتني بحضارة فان لمحب الجحيم لاساطان له على ما ليس
بجسماني وما كان كذلك لا يمكنه ان يقني في ابراهيم .

وقد ألم (دو داتي) في روايته الهزلية الموسومة بالسكوميديا الالهية بالمسندر كالت
الدينية لقرون الوسطى فيما يختص بالبقاء بعد الموت على الملوك غاية في الاتقان فاذا
ما تديرها الانسان وجد الصلة المتينة التي تربط بين مخاوف الانسان الاول وأمانيه وبين
مخاوف الناس وأمانهم في العصر الراهن .

فالاديان والمذاهب الباطنية ونظام ماوراء الطبيعة وعقائد او شكوك المثلثين من
الفلاسفة (نسبة للمثل الاعلى) كلها مرتبطة كل الارتباط او بعضها باساطير وضعت في
زمان عريق في القدم ولكن بقيت حقيقتها الى اليوم على ما كانت عليه .

ان واجبا اوليا أصبح مفروضا على جميع الذين يودون ترقية علم البقا بعد الموت
وذلك أن يتخلصوا من جميع الضلالات التي تكاد تكون فطرية، واعادة درس الحوادث
الروحية في مظاهرها المتعددة وهم بعيدون عن الاوهام وعن التعصب. هذا هو الطريق
الوحيد الذي يمكن أن يوصلنا الى حقائق معزية .

أضعف جهة في المباحث التي من هذا القبيل هي عدم امكان استخدام الاسلوب
التجريبي فيها، وهو الاسلوب الوحيد الصالح لايتناثنا بالحقائق الحسية. والحوادث
المتعلقة بماوراء الطبيعة، والحوادث الباطنية تستعصي عن طرق التحليل والتجارب المروقة
فيجب والحالة هذه معاملتها بطريقة مناقضة للطرق العادية .

واذا كنا نلح في التنويه بهذه الحوادث فاذك الا لثبت مع مقنا ومكانتنا
لاندليسات في صورها المتعددة، بأنه يجب التسليم علميا بصحة الظواهر المتنوعة لهذه
القوة المجردة .

١٥ — (الحقيقة الجديدة)

بما أن الزمان من المدرجات المتتالي عليها، وهو صورة ذهنية ليس الا، لا نستطيع ان

تقتصر من وجهة فلسفية علي الحدود الضيقة التي يعينها لشخصيتنا
فالذي يحدث في اعماق هذه الشخصية بلأنا ذعراً أو تعجباً . وبعد استكشافنا
لعقلنا الباطن فليس في مكنننا أن نهمله واننا لنسترقى في التحقق من ان العالم
الخارجي على ما يدركه العقل ليس هو الا ظاهرة أو مدركا محضاً ، وتفسيره ان لم
نقل حقيقة مستقرها هذا العقل الباطن وهو الموجود الاصيل علي حسب مذهب
« كانت » (١)

الانسانية لم تأبه بهالم الميكروبات الذي يساور الجسم ويحتله حتى قام العلم
باستكشافه ، فهل من ينكر قيمة هذا الاستكشاف اليوم ؟ والذي اميس البيولوجية الفيزيولوجية
المدركة بصرف النظر عن وجود هذا العالم الميكروبي تصبح لهذا السبب وحده باطالة
ومناقضة الحقيقة الجديدة .

فما اشبه هذه العلاقة بعلاقة العقل الباطن بعالم النفس .
من الخطأ القول باستحالة التقدم في مجال زيادة العلم بالمجهول . واننا لنذكر هذا
العلم الميكروبي الذي كان مهملًا قديماً وخصوصاً علم الميكروبات الدنيا كما نبحثنا في ظواهر
العقل الباطن التي لا تقبل التقييد والمراقبة .

بجانب الميكروبات التي يستطيع الميكروسكوب أن يدرسها توجد الميكروبات
الدنيا التي تستعصي علي أقوى المنظارات المكبرة فهي كائنات غاية في الصغر بحيث
ان حجمها تبقى أقل كثيراً من طول الامواج الضوئية المرئية وهي ١٥ جز . من مئة مليون
جزء من الاشعاعات البنفسجية القصوي ومن هنا كانت الصعوبة في دراسة تلك
الكائنات علي اي صورة من الصور . وهناك صعوبة اخري وهي استحالة الحصول
علي هذه الميكروبات الدنيا علم حالة نقية اذ لا يمكن فصلها عن العناصر الخلوية

(١) كانت فيلسوف الماني توفي سنة ١٨٠٢ كان يذهب ان لكل موجود اصلا
معنوي هو الموجود بحق ، واما مظهره المادي فصورة تناسب تركيب عقلا وكان يسمى
ذالك الاصل المعنوي (زمين) ومعناها الاصل

التي تنمو فيها ، أو عن الميكروبات الأخرى المقيمة في السوائل ، من الميكروبات الدنيا المميزة من هذه الوجبة ميكروب النكاب . فالسم المعدى من هذا الداء يمر من خلال المصافي الخرفية أو المصافي الطينية المسامية التي تمنع مرور أصغر الكائنات المعروفة . ومع هذا فقد نجحنا في الحصول على نتائج علمية لا يمكن النزاع فيها في هذا المجال الذي كان يظن انه موصد في وجه كل تحايل علمي وكل أسلوب تمحيهي .

وقد حظى العلم في هذه العشرين السنة الأخيرة باستكشاف عدة دوزينات من هذه الميكروبات الدنيا (الدوزينة عندهم تعني اثني عشر) والعلم يستفيد من هذا الاستكشاف الآن في معالجة بعض الامراض . لنذكر من هذه الميكروبات الدنيا الجرثومة غير المرئية للحمي الصفراء وطاعون الطيور والطاعون البقري وجدري الدجاج ونيكروس الطيور والنيكروس الطافي وجدري الخراف النخ .

ولكن رغمًا عن عدم امكان رؤيتها حتى باستخدام أفن الآلات المسكبرة فقد أمكنت دراستها بفضل تأثيراتها الخارجية وقد علمنا من ذلك باننا نستطيع ابادتها في دقائق معدودة اذا سلطنا عليها درجة من الحرارة تلو عن ٥٥ وانما كلها معدية تسبب اضرارا تشريحية مرضية على صورة تغييرات تطرأ على النواة الخلوية النخ . ولكن لا يزال أمرها محاطا بعالم من المساتير . واذا كنا نعلم انها سامة فأننا لانزال نجهل التأثيرات الحسنة التي تستطيع أن تحدثها حولها مما سيؤدي العلم به في يوم من الايام الى انتقال ذريع لى معالجة الامراض الحالي . فأى ضرر كنا نجنه على أنفسنا اذا وقفنا أمام عدم امكان رؤية هذه الميكروبات الدنيا وامام استحالة دراستها على الاساليب المقبولة لدى العلم فرفضنا البحث فيها أو انكرنا وجودها ؟

ولكن الذى حدث انهم بفضل التأثيرات الناجمة من هذه العوامل المتناهية في الصغر والاستمرار على حياتنا اليومية قد أنجحوا في ايجاد علم من أكثر المعارف قياما على الاسلوب الحسي وأكثرها انفا للعالم .

أليس الخيال ملى هي ، مع حفظ الفرق بينهما ، فبما يختص بالعقل الباطن

وهو غير مرئي ويستعصي على الابحاث التي تحاول أن تجد مستقره المادي ،
ولكن آثاره الكثيرة والمعقدة مما نلقت نظرنا وتفرض علينا البحث على صورة لا يمكن
النزاع فيها .

انه مما يناقض العلم ارادة انكار أو اطراح ظواهر العقل الباطن كما ينقضه أيضا
احتمال مسألة وجود الميكروبات الدنيا وهي غير مرئية وغير قابلة للتحصيص .
ومع هذا فما أحد الفرق بين ظواهر العقل الباطن وبين تأثيرات الميكروبات الدنيا
من جهة سمو طبيعتها ومؤداها معاً .

فاذا صعدنا من عالم الكائنات المنتهية في الصغر الى عالم الكائنات المنتهية في
الكبر نجد فيها دليلاً لا يدحض لتأييد الموضوع الذي نحن صددته ويكفي أن نعيد
الى ذكرنا التأكيدات المتطرفة لاجوست كوانت التي كان يقول بها جميع العلماء المتقدمين
وعلماء عصره أيضاً ، وهي انه يجب قطع الأمل في امكان معرفة التركيب الكيميائي
الاجرام العلوية حتي ولا في مستقبل بعيداً جداً . فكانت الفطرة البلية مضافة الى
أدق المقررات العلمية تؤيد آراءه التي ترمي الي تشييط كل المحاولات التي تنبجها الي
هذا الغرض

ولكن لم تمض غير سنوات قليلة حتي استكشف النجيب الطنبلي الذي
سمح بعرفه تركيب مادة النجوم معرفة أنهم من معرفتنا لنواميس تطوراتنا الاجتماعية
والسياسية .

ونحن بدون التحويل على الادلة العديدة التي تدلي بها الفرق الروحية نستطيع ،
وكل منا في دائرته ، أن نستجمع أدلة لا تقبل النقض على صحة وجود ظواهر خارقة
للعادة تفوق آراءنا الخاصة بحدود الزمان والمكان ولينا في حاجة اذا اردنا ذلك
الى تلم خاض ولا وسطاء ، ذوي شهادات أو من يجري مجراهم ، بل الذي علينا هو أن
ندون ونحص كل الظواهر الباطنية بمثل العناية التي نبذلها لتسديد بين حوادث
الطبيعة .

فقد صادف كل منافي ما يحييها حوادث مريبة من اخبارات بالمستقبل ، وانتقالات

فنفكر الى مسافات بعيدة ، ورؤية الحالى والمستقبل على درجات من القرب والبعد وذلك
بدون الاعتماد على أى حاسة من هذه الحواس .

نعم يجب تمحيص هذه الحوادث خصوصاً وهى تتعلق بحوادث نزوع غالباً
آراءنا المقررة .

ومع هذا فلو بحثنا الآلاف المؤلفات من الحوادث المدونة فى السجلات الضخمة
المسماة (بروسيدنجز) لجمعية الجدلية بلوندره وما يقدمه لنا كامبل فلاهرتون فى كتابه
المجهول والمسائل النفسية و كتابه القوى الطبيعية المجهولة أوفى كتابه الموت وغامضته فى
نحو مئة مؤلف من هذا النوع ، قلنا لو بحثنا فى هذه الحوادث يكاد يكون من المستحيل
أن نرفض رفضاً جلياً الاعتراف بتلك القوة الخفية التى تعمل فىنا وبنا او بجائزنا ،
وتسمى بالعقل الباطن أو الروح او المجهول العظيم . وبملاشك فيه ان هذه القوة موجودة
وانه لاوجه لنا فى عدم الاعتداد بها فى بحثنا عن الاسباب الاولية والثانوية لحياتنا
الطبيعية والروحية

لقد أخطأ الناس خطأ جافاً فى كل زمان بسوق الفكر المستقل مساقى الاماني
والمعتقد المادية .

وكان العلماء السابقون يظهرون متشبعين غالباً بهذه الفكرة ، وهى انه يجب عليهم
أن يصدوا أنفسهم فى العارف المضاد لاظرف الذى قية الديانة والمندنيين . ونرى تلاميذهم
واشياءهم اكثر تطرفاً من أساتذتهم فى هذا الشأن ويظهرون شديدى الجفاء لـكل
تدخل روحاني فى مجال الفكر . فان اشباه (هومى) لا يقتصر على عهد فلو بير ، فهو موجود
فى كل زمان فى جميع البلدان .

(المترجم) هومى هو المسيو هومى الصيدلانى شخص قصصى اخترعه الكاتب
الفرنسي فلوير فى قصته (مدام وفارى) جملة مثالا لا تحق المصنوع بصيغة الآداب والعلم
فاصبح هومى عالماً لـكل مغفل يده فى غفلته ظاهر من العلم نودالى مانحن بصدد من
نقل مبحث المسيو جان فينو قال :

فالعقل الخفى الضخيم المستند على الاسلوب الاستنتاجي وعلى التجربة قد

أحدث شيئاً فشيئاً ثمة كبيرة في سياج العقيدة المادية . فرأينا مع هذا القليل ان أعظم المجددين واكبر ذوى القرائح العلمية يتخذون لهم سبيلاً مع المذهب الروحاني اليوم .

وزيادة علي هذا فقد أصبح يعتبر اليوم مناقضا لالم نبدوا انكار الحوادث الكثيرة التي لا تغتنا طرقي عاينا الباب وتلفت نظرا اليها بقوة لا تغالب .

رجل العلم الصحيح يتسم برحمة وصنع عند ما يحاولون اعتبار علمه واسم لوجه وفتوحات فكره من المذهب المادى المتفق عليه وظنهما شيئاً واحداً . كلا فقد يمكن أن يكون الانسان متقدماً جداً من وجهة الحصول والمرمى العقلي مع اعلانه على رؤوس الاشهاد بأنه من الروحانيين .

فلا ينسب المماندون وخصوصاً الايمان ان المذهب الروحاني لا يعني الخضوع لثنا كيدات غير المحنفة والايحاءات المريية . فالذى يهمننا قبل كل شيء هو ضرورة عدم حبس فكرنا في دائرة مصنوعة تحيط به فيها المذاهب الضيقة لان العقل خلق لتكميل هذه المذاهب واجتيازها الي ما بعدها . فانفاق هذه المذاهب والعقل وتساعد بها بدون انقطاع يمكنه وحده ان يوجد لنا علم متلائم النواحي بحقق عن الوجود ونواميسه .

فالفكر الحر والعلم الحق يهمننا جداً ان ينفصل عن المادية التي فات وقتها وعن المذهب الحسى الذى يوجب علينا ان لا ننظر الا من خلال فتحات صنعها هو واتضح انها ضارة ولا حاجة اليها .

فالفكر الحر الصحيح وعلماء الاجتماع الذين يتعاملون عن مستوى الاحقاد التي ولدتها اختلافات الاديان والالوان والاجناس والاقوام لا يستطيعون ان ينبذوا جملة تلك المقررات المؤسسة على خير الانسانية التي تقدمها لنا للتوصيفية الراهنة وفتوحات اخرى باطنية تعد أعلى الفتوحات واجدراها بالثقة .

فاذا كان القول بالتناسخ وبأصول أخرى كونية تستوجب شكوكا عميقة فليس الامر كذلك من ناحية ما يدعو اليه ذلك المذهب من الاخوة العالية العامة الموقظة

الروحانية . اى شي . اعلى كنيا في الحرية من الاصول الاولية .لانيوصوفية التي تكنفي
ببعث الاخذين بها بمجتمعين للبحث عن الحقيقة لا بتكليفهم بقبول عقيدة او عقائد
جديدة ؟

فالتبوصوفة ليست في الجملة الا تأييد الاصول التي هي القواعد الجلية لكل
الاديان ولجميع المذاهب الخلقية . وجريا علي أوسع مذاهب التسامح الديني قد صارت
التبوصفية معددة الالمة في الهند وموخدة لله في جميع البلاد الاخرى .
ان القول بالكلامما تجعلها مناقضة للعقائد المسيحية وكذلك طريقتها في ادراك
شخصية المسيح ،فسيحها الصوفي لا ينطبق على ما يصوره الانجيل ، والخلص المنتظر
للعالم يشبه (مينيربيا) المذكور في الاساطير البوذية . وتبسمه في صورة الشاب تاميل الذي
يعيش الآن خفية بالهند باسم كريشنا مورتى يبعدنا بلا شك عن الترجيح الذي تقبله
القطرة السليمة العادية .

أما المذهب الكوني الذي يعتبر اخالانيوصوفية فينشره وايضا حقائق الهية بما يؤدى
تطبيقها الي ترقية الانسانية من الوجهة الخلقية والعقلية .

نعم انه يعتد بظهورات روحانية ترفرف بين السماء والارض وليس لها من اصل
ثابت لافي العلم ولا في العقائد العادية ، وليكن مأوسع وأروح الآفاق التي فتحها
أمام الناس ،مساعدا اياهم على ازدياد الشدائد التي تصعدنا عن السبيل في حياتنا
الارضية .

لقد انتشر المذهب الرخاني كما كان منتظرا انتشارا عظيما بعد تلك الزوبعة
الهائلة التي ثارت عليه . وقد زاد عدد المحلات الباطنية في كل بلد وزاد كذلك عدد
الجمعيات الروحية وعدد أعضائها ، ومظاهرات من كل نوع تقوم في هذا المجال بكثرة
وتأخذ أشكالا غاية في التنوع .

فاذا لم يصادف المذهب الروحاني ما يقفه فلا يمضي غير قليل من الزمن حتي يصبح
أكثر من نصف البشر تابعين لفرقه المختلفة .

في مؤتمر الاساقفة والمطارنة لكنائس الانجليكانية الذي عقد في قصر لامبيث

(٧ فتح علمي —)

في ٥ يوليو إلى ٧ أغسطس سنة ١٩٢٠ وحضره ٢٥٢ من رؤوس الكنيسة منهم
مطارنة كنتربروري، ويورك وسيدني وكينغون والهد الغربية، ويميلدون وامبرة بلاد
القال الخ هذا عدا أكثر من مئة أسقف من أكبر الاساقفة تقرر الخطر بنوع خاص
في أمر الاسبر تسم والعلم المسيحي والتبوعوية نظراً لتأثيرها العظيم في عقلية أهل العصر
للراهن ومع تحذير هذا المؤتمر للمؤمنين عن لزوجة أعمال الفرق المختلفة المذهب الباطني
اعترف مؤتمر لاميث المذكور ببيعة هذه المبول الروحانية التي تكافح المادية
بتجاسع عظيم ولكن تفاديا من أن يفضى شدة انتشار هذه المذاهب وساطاتها الأخذ
في الازدیاد الي عدم ملاحظة الكنيسة واصولها الاعتقادية المستحسن كبار الاساقفة
المؤتمرین وضع معالم جديدة للعصرانية التمسك بثقة العناصر التي تشد كل يوم عن
الایمان الرسمي .

فيخطي الفكر الحر خطأ جسا اذا ظهر أقل تسامحا من الكنائس النصرانية
التي تفقد شيئا كثيرا بعقلية المذهب الروحاني الكامل لان مذاهبه المختلفة قد اعلنت
مذ الآن حربا ضروسا على الاديان ذات العقائد الجامدة وخصوصا ضد مدعى
الوكالة عن الله في الارض .

وبعد كل هذا فالحقيقة ستتغلب على كل هذه الاعتبارات . ونحن باسمها نطالبه
باحترام هذا (الوحي الجديد) وبحيث ظواهره بحثا عاميا في حدود الامكان .
اننا لم نعرف للاوكسيسجين وجود الامتدقن ونصف قرن وهو العنصر العام الاصلي
لأخامة حياتنا . فلقد كان فينا وبيننا وفوقنا ونحننا ولم يكن احد يحلم بوجوده . فهل
الامر كذلك بالنسبة لقوة النفس وظواهر العقل الباطن والحوادث الروحانية التي يقال إنها
حادثة بتأثير سكان العالم الآخر ، وتأثير الروح وهي تلك القوة العاملة لا مجرد وظيفة من
وظائف الجسم ؟

وغير هذا فان طريقة فهم الروح بملاحظة العلم المصري ليست الاورائة كطاقة
من علم ملوراء الطبيعة لا الشائخ وهو لا يتفق والممكن كشافات الحديثة ولم يستطع قطان

بلاعها. فقد خلق هذا العلم أيام كان علم التشريح والبيوفيزيولوجيا والنسبيولوجيا أيضاً في دور الطفولة. في ذلك الحين نفسه قررنا هذه الثنوية المحرّجة وهي الجسد والروح وفردوا تعلق أحدهما بالآخر تعلقاً مطلقاً ونتج من ذلك المذهب الذي مؤداه أن الروح ليست إلا مظهراً للجسم والجسم.

ولكن في نور المستكشفات الحديثة صار مما يناقض العلم أن نقل من الطفولة الخضوع لعل (بريد علم ماوراء الطبيعة الرمحي) تهدمه التجارب كل يوم في مجموع بنائه. في تفصيلات تركيبه يصعب علينا أن نحيل الوجود كله إلى النظام الذي وضعناه مستعينين بمدر كائناتنا ولم يمكن تفسيره تفسيراً كافياً بما عرفنا الناقصة بهام لا يزال في حالة التكون.

فلا يجوز للعلماء الجديين بهذا القاب الذين يبحثون في الطبيعة جملة أن ينهضوا العقيدة الروحانية، أما الاختصاصيون حتى ذوى القاب العالية منهم مما يمكن تشبيهه عنهم بالمحتويات الناقصة لدرج خزانة (دولاب) فإن الأسلوب الذي يصغرون به العالم حتى يبلغ أبعاد معانيهم أو مع جاتهم أجدر أن يوافق تراكيب عقولهم من أن يوافق الحقيقة. قالهم القدماء المتأخرون هذه الفتوحات الجديدة ولكن من الظلم ومما يؤسف له اغلاق النوافذ التي فتحت أمام أعينها فبهرتهم الانوار.

إن الحوادث التي نواجهها اليوم تحت ضوء العقل الباطن يكون منها غالباً كما يكون من إنسان ترفع عن عينه غشاوة ؟

ونحن بدون أن نتابع الشكك الكبير (شربهور) الذي كان يقول بأن الإنسان محمول في باطنه أمراً أصميمة ومفتاح هذا العالم العالني، نستطيع أن نسلّم بأن جهود الزمان ستكشف فيما زجه في أبعاد ثنيات ذاتنا من العالم لاخر وي المبحوث عنه منذ وجد الإنسان. الفروع الكثيرة للمذهب الباطني التي تربينا من استمرار العقل الباطن ما لا يربناه سواها هي التي يعول عليها اليوم لهذا يتنا في متشعب التجارب النفسية.

يوجد بجانب البسيكولوجيا التي تدرس الجانب الظاهري لحواشي النفس محل للمذهب الروحاني الذي يدرسها من الجانب الداخلي، قاله لمان يستطيع أن يتعاون في ترقيقها مكملاً أحدها قص الآخر. ولكن أهل الجمود العلمي سيستمررون بلا شك على رفض هذه الحقائق.

الجديدة عن شخصيتنا . فالامر كما قال ج . ب . لامارك مهما تكن شدة المصاعب التي تعترض العاملين لاستكشاف الحقائق الجديدة فان مصاعب تعريفها لا بأس اشد واعظم ولكن العهد الذي تتغلب فيه تلك الحقائق قادم لا محالة . وكثرة الاسباب التي تحملنا على التأمل تساعد في زيادة سعادة البشرية . فلندع جانباً الشكل الشعري الغريب او الطفلي للبقا . بعد الموت ، وهو الشكل الذي يحرك أرواح المؤمنين السذج او الاتباع غير المفكرين اللامبر تسم ولنكتف بأني نخرج من مضطرب الشكوك الكاربة صحة تلك الحوادث الباهرة فسيقيم المستقبل علي هذا الاساس صرحاً اكثر طمأنة لانفس على الخلود . فالذي يهمنا الآن هو أن نخطو خطوة الى الامام لاجل تخليص سيادة الروح الذاتية استقلالها عن المخ والاعضاء . فان هذا سيكون فاتحة عهد يشرق فيه شعورنا الباطن شيئاً فشيئاً وان كنا لانستطيع منذ الآن تحديد شكل تلك الحال ،

١٦ — (مزايا الحقيقة الجديدة)

الاخاء العام وتزايد حب الانسان لآخيه ، والتضامن بين السكانات والعروج باستمرار نحو قمة الكمال الخافي ، كل هذه المزايا التي نتج من اول رهلة من انتشار الفتنوحات الروحية الجديدة بان تغير حال الانسانية تغييراً كلياً . ونحن ندرك علي اقدار متفاوتة مبلغ الترقيات التي نتجت بسببه الآن من الوجهة الاجتماعية ، ولكننا نجهل كل الجهل ما حدث من الترقيات المعنوية في ارواحنا لانها ترقى وستترقي في الكمال فاذا اردنا أن نقدر اقدار الصور التي تنعاضى علي الادراك اضطررنا الي البعد عن الغاية التي نرمى اليها في هذا البحث . والمعتبر علي وجه عام اننا لانملك وسائل لتقدير قدر الترقى الادبي الذي تم في خلال هذا القرن . ولكنني حاولت في كتابي (التقدم والسعادة) ان أضع أسلوباً حائز الكل الضمانات العلمية يسمح بتجلية قانون التكل الادبي فظهر منه ان الانسانية في ايانا هذه ارقى في الوجهة الادبية كثيراً عما كانت عليه في القرون الماضية . ولا بد من أن نصل الى مثل هذه النتيجة اذا امتعنا تطور ذاتنا الداخلية .

بعد مضي العهد الاشعورى لاسلافنا وهو بزة تميز الحياة الحيوانية، دخلنا في دور الشعور بمناقضنا الادبية والمادية المباشرة ، فحدث لنا بذلك شعور شخصي . وهذا الشعور الشخصي يتمشى الآن نحو شعور عالمي يفتح للاجيال المقبلة آفاقا من الجمل والها . لاحد لها . اليك امثلة تدل على ذلك : منذ قرون كان الذين يتدبون لخاص البشر والعقول العالية يشغلون لاجل أن توجد على الارض الاخوة العامة ولكن رغما عن دور المحنة العظيمة (بربرد دور الحرب العالمية الاخيرة) فاننا نعمل اكثر مما كنا نعمل لا بطل الحروب وتغليب أصل التقرب الاخوي بين الشعوب ، ولحق النقابات الاجتماعية والسياسية . والمذهب الروحاني الذي يفتح الآن أركان الارض سيساعد على صورة مؤثرة في اقامة هذا التضامن الجديد بين الكائنات . فان حوادث النباتات (التأثير والتأثر عن بعد) قد أعطى للحياة معنى جديدا ، فقد صارت الحياة إلهية حقيقة . وهي متي تشبهت وتأيدت بروح التضامن بين السكان حب الخير لاغير فانها تملأ ما يحيط بها روحا جاما ويا هذه العوامل التكيلية الجمة التي لا يحصى لها عدد في اطوار . (هذا الوحي الجديد) بمجمله ذات قيمة لا تقدر . فيجب علينا أن نستقبله باقبال عظيم ولناجأ اليه في انجاز الوعود السماوية التي يعدها ارواحنا المتعائلة . لا أن نصارحه الداوة ونكاشفه الجفا . ولنفكر في القيمة العظيمة التي يعطيها لترقيتنا الروحاني . واتخاذنا أسلوبا عمليا حسناني دراسة هذه الظواهر يفرض علينا الايمان بهذا الترقى الجديد للناس وهو ترقى يتابع طريقه في وسط غياض ملائى بزهور إلهية :

فانعد ذكرى هذه السمكيات الحكيمة لمونتسكيو وهي :

« اذا استطعت أن أجعل الناس يشعرون ببواعث جديدة لمحبة واجباتهم وأوطانهم وشرائعهم لا عتبرت نفسى أسعد الخاق »

وانا اعترف بكل اخلاص بأن اقتناعي التام بنجاحي في خدمة الحقيقة وسعادة اخواني الآدميين بهذه المباحث يحثني وتشجعتني على نشر الماتمرات المعزية لهذا الوحي الجديد وحمل الناس على تحسين طرقي البحث فيه .

(جان فينو)

فهرست هذه الرسالة

صفحة	
٣	خطبة الرسالة
٤	بدء مبحث العلامة جان فينوه وذكر خوف الناس من الموت حتى اصحاب الاديان انفسهم
٥	استكشاف مزدوج اصباحة الروح . وكثرة الخبيث التي حصلنا عليها الا ان وكلاهما ثمرة مشاهدات علمية
٦	تخلص العلم من نظرية كون النفس الانسانية متعلقة بحالة الجسم الفيزيولوجية ومن نظرية المذهب الآلي
٧	مشاهدات تشريحية ثبت ان لاعلاقة بين العقل وبين المخ الامن حيث كوني الثاني آلة الاول
٨	استقلال الروح عن الجسد . تحديد جديد لوظيفة المخ وسماطانه
٨	ظهور استقلال روحنا عن الجسم براهين علمية
٩	الواقع وقوة العقل الباطن وذكر ان اكثر الظواهر الروحية يمكن تفسيرها بفعل العقل الباطن الوسطا .
٩	رأى الدكتور (كروفورد) الانجلايزي في ذلك . النوم المغناطيسي يجب ان ياخذ مكانا عاليا من علم النفس
١١	تلاقي العقل والايمان ، وانفتاح باب الرجاء لفهم الوجود
١١	تأثر الناس بصحة وجود المادة وانخداعنا لحواسنا الخمس
١٢	ان خلود شخصيتنا تتجلى لنا اليوم في مجالي كثيرة
١٣	في ملكة العقل الباطن . الرجل الماني يجهل ان المعلومات التي يعتبرها ادق شيء . ليست في الواقع الامدركات خدالة لمشاعرنا وقدولنا
١٣	الفلسفة والعلم قد ادر كما الاعياء فأصبحنا يسبحان في اللاأدرية .
١٤	مذهب الفياسوف برغسون الفرنسي في وجوب الاعتماد في الامور الروحية

- ١٥٠ علي حكم البدية لاعلي حكم العقل
التوفيق بين الادراك والبدية فضل مذهب برغسون يرجع الي اعادة سلطان
قوة مضمية ومهجورة هي قوة البدية
- ١٦ الكوسموغونيا الجديدة للعالم انيستين بدمدير كانتا الاصلية عن الزمان والمكان
- ١٧ العهد الكريم للبدية العقلية . العالم مصاب بكرة كل جديد
- ١٨ تاريخ القول بالبدية العقلية واثبات أن اولاطون قال بها
- ١٩ اخطاء الاسبرتسم وغيره من المذاهب الباطنية
- ٢٠ التديليس المستعمل في الفوتوغرافية الروحية
- ٢١ ذكر التديليس بالكريات البلورية
- ٢٢ ملاحظات من المغرب علي شطوط رأه في المؤلف
- ٢٣ الاتصال الكاذب بارواح الموتى . ذكر وجوب عدم الثقة بالوسائل المنفق
عليها الاتصال بالارواح
- ٢٤ انحاء المؤلف بالائمة علي بعض العلماء والفلاسفة في ختمهم امام الظواهر
الروحية وعدم تحوّلهم حيال التديليس
- ٢٥ ذكر كتاب العلامة اوليفر لودج والقول بأنه لا يعمل عليه
- ٢٥ ذكر العلامة اديسون وتجربته التي قبل من اجلها الاسبرتسم جملة
- ٢٥ ذكر العلامة (طومسون) وتجربته التي حملته علي قبول الاسبرتسم جملة
- ٢٦ بعض ظواهر غريبة . وذكره الكتاب الكبير ستيدوان لم يظهر له بعد موته
- ٢٨ ذكر اتفاق المؤلف مع لويبروز وودوكو وغيرهما لم يظهر له بعد موته
- ٢٩ ذكر ان الاستاذ ميريس ظهر بعد موته اقل مدارك مما كان حيا
- ٣٠ انتقاد المغرب علي المؤلف شطوطه في انتقاد سابقه من المجرى
- ٢٢ ذكر ان حوادث لا يحصى لها عدد تثبت صحة البقاء بعد الموت
- ٢٣ ذكر ان الحفار ديمولان صار وسيطا بدون ان يتطلب ذلك فصار يرسم

صفحة	
	رسوما وهولاء عن يده قدرت بشمن جمال جدا
٣٤	ما ذكره الاستاذ هيرلوب من كتابة احدى الشابات من لاعمدلن بعلم الادب قطعا ادبية على طريقة فرنك ستوكتن
٣٦	لننح اجلالا للحقائق
٣٦	المجاميع العلمية للجمعيات النفسية تؤيدنا بمئات الالوف من المشاهدات المثبتة للروح
٣٨	اثبات حقيقة التلباتيا الى الاتصال بين الاحياء والاحياء وبين هؤلاء والاموات
٣٩	كلمة للمعرب في نقد بعض كتاب الشرق الذين يقابلون هذه الحقائق بالازدراء وقد أثرت فيمن هم اعلى منهم كهابن كتاب الاوربين وعلمائهم
٤١	عقيدة ابواء الجسم الواحد لارواح متعددة
٤٢	ميراث الماضي - عقيدة الشعوب الاولية في عودة الارواح الى اهلها وهو اصل مذهب الرجعة
٤٢	ذهبت الكنيسة الاولية الى امكان تجسد الروح
٤٣	الحقيقة الجديدة - بيان ان العالم الخارجي الذي يدركه العقل العادي الا ظاهرة حقيقة مستقرة في عقلنا الباطن وهو الموجود الاصلي
٤٤	الكلام عن الميكروبات الدنيا وهي اصغر من الميكروبات المعروفة
٤٦	ما يناقض العلم ارادة انكار او نيز ظواهر العقل الباطن
٤٦	ما صادفه كل منا في مدى حيائه من الاخبارات بالمستقبل الخ يجب العناية بدرسه ومادونته الجمعية النفسية الانجليزية من المشاهدات وما نقله الاستاذ كاميل فلامبرون وغيره لا يمكن رفضه
٤٧	العقل الحسي الصحيح المستند على التجربة احدث ثمة كبيرة في سياق المادية
٤٨	الفكر الحر الصحيح وعلماء الاجتماع لا يستطيعون أن يذبوا المقررات التبصوفية وفتوحات باطنية أخرى تعتبر أعلى الفتوحات واجدزها بالثقة

على طائر الزهبي لاري

نشر تحت هذا الاسم العام كل ما نكتبه وما نؤلفه في علاج داء هذا العصر وهو الالحاد. وهذه الحلقة الرابعة من هذه السلسلة العلمية وهي الجزء الأول من كتاب يقع في ثلاثة مجلدات للعلامة الكبير كاميل فلاريون نشره تحت عنوان :

الموت وغايته

ما قبل الموت

نقله الى العربية

محمد فوزي بخاري

﴿ طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين ﴾

سنة ١٣٤٦ الموافقة لسنة ١٩٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كثيراً ما اقترح على ، أن اوالي الكتابة في تقويم الاخلاق ، صدام التيار الاباحية التي عمت جميع طبقات الناس في العهد الأخير ، وهددت بتدهور ادبي عام لامرء له الابقارعة عظمي لا تبق ولا تذر . فكنت اعتذر اليهم عن القبول بأن هذه الاباحية لا ترجع الي الاسباب القريبة الظاهرة للناظرين ، بل الي علة ابعء غوراً ، سطت على اصول العقائد الموروثة فاجتثها ، بتأثير الفلسفة المادية ، بحيث لا يتأني اعادة سلطانها على العقول الا من طريق العلم الطبيعي ، لا من طريق الوعظ والارشاد ذلك انه قد حدث تطور ادبي ضخم ، في العصور المتأخرة ، فرض علي العقول ان لا تسلم بوجود شيء أو عدم وجوده الا بدليل محسوس

جر هذا التطور الادبي الجلل المفكرين الي وضع جميع المساهمات القديمة علي ساجد التحليل ، وسنلط عليها أدق أساليب التمهيص ، فلم تقو واحدة منها علي النقد ، حتي العقيدة بوجود الشخصية الانسانية متميزة عن الجسم . فعم الاتحاد اوروبا وامريكا ، وانتقل اليها من طريق العدوى . وكان من اثره نشوء ميل شديد الي ابلاغ النفس مشهياتها الي اقصى ما يصل اليه الامكان من مدى هذا العمر القصير الا ان السلطان لم يتم لهذا الاتحاد ، فلم تكند تأتي سنة ١٨٤٦ حتي ظهرت في امريكا حادثة خارقة للعادة ، اتينا علي تاريخها في الجزء الثاني من كتابنا علي اطلال المذهب المادى فتها فت كثير من علماء امريكا لتحقيقها ، وكتبوا في صحتها كتباً ورسائل . فأيقظ ذلك شوق الناس الي تمهيص أمثالها في كل مكان ، فتألفت من مجموع هذه الجهود حركة قوية اثارَت الصحافة في أوروبا وامريكا اثاره عنيفة ، فطلب الناس ان يدلي العلماء برأيهم في هذه الامور ، فانتدبت في انجلترا لجنة علمية مؤلفة من نحو ثلاثين عالماً من اكبر علماء الطبيعة ، لفحص هذه الخوارق ، وكان ذلك سنه ١٨٦٩ فبحثت هذه المسئلة ثمانية عشر شهراً وكتبت عنها تقريراً وقع في ٥١٤ صفحة أيدت فيها صحة هذه الخوارق بالاجماع ، بعد أن بذلت كل ما في امكان العلم ان يأتي به من اساليب التثبت والتمهيص

فكان من آثار صدور هذا التقرير العلمي الخطير ان غري العلماء في كل بلد متمدن بفحص هذه الامور ، منذ هذا التاريخ . فكانت ثمرة هذه المحاولات وجدان ادلة عملية ، تثبت وجود العالم الروحاني والروح الانسانية وخلودها ، اثباتاً علمياً . ولم يبق

الا تقرير تدريس تلك المباحث في الجامعات الكبرى كفرع للعلوم الطبيعية . وقد بادرت الي تقريرها حكومتا فنزويلا والبرازيل من أمريكا بأوامر عالمية منذ ثلاث سنين . ولا تزال المباحث في هذه المسائل آخذة في النماء بحيث صارت الشغل الشاغل للعالم العلمي اليوم

ولا عجب في هذا، فان ثبوت وجود العالم الروحاني، والروح وخلودها، ثبوتاً علمياً من طريق التجربة، يجرى الى حدوث تطور ادبي ينقل البشرية الى مكانة من الرقي المعنوي لا يتخيلها اليوم اكثر الناس تفاناً ولا، وتوجد للعلم الطبيعي معارف صبيحة علي أصل الحياة والوجود، وجميع غوامض الكون، يعد ما لدنيا منها اليوم من هذياناات العتول الطفلية

وقد وقف جم غفير من رجالات العلم في اوربا انفسهم للتبشير بهذا التطور الجديد، علماً منهم انه لا شفاء للانسان من داء الاباحة الذي هو فيه اليوم الا بهذا العلاج الجليل . وقد ادركنا نحن ، منذ ان تصدينا للكتابة في تقويم عوج النفوس، صحة هذا الرأي، فعمدنا الى نشر أخبار هذه الفتوحات العلمية بكل ما اوطيناه من ثبات ومثابرة. واليوم نقدم لقراء العربية ترجمة المجلد الأول من الكتاب القيم للعلامة الفلكي الكبير (كاميل فلاريون) الذي نشره منذ خمس سنين باسم (الموت وغامضته). وكان له من التأثير ما كان ينتظر لمثله في ذلك العالم الا اهل بالعلماء والمفكرين

يقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات، وقف (الأول) منه علي اثبات الروح بالادلة العملية ، واورد في (الثاني) الحوادث الخارقة للعادة التي تحصل في اثناء الموت، كظهور المحتضر لاقرائه البعيدين، وخص (الثالث) بايراد المشاهدات المقررة في ظهور الارواح بعد الموت، واثبات وجودها لذويها، بادلة محسوسة، حتي المثل امامهم، متجسدة في صورتها التي كانت عليها قبل الموت. اعتمد في كل ذلك علي تجاربه الخاصة وتجارب العلماء الثقات العاملين

وقد عمدنا الي اسلوب حسن في ترجمة هذه المجلدات الثلاثة، فخذفنا كثيراً من الاقوال التي لا تمس اليها الحاجة، حتي لا يكون الكتاب مملاً للقارئ . وحرصنا كل الحرص علي ترجمة أقوال المؤلف ترجمة حرفية، كما هو دأبنا فيما نقله عن العلماء الغربيين فهاهي ترجمة المجلد الاول نقدمها للقارئ، راجين ان يكون لها من الاثر لديهم ما كان لأصل الكتاب عند الغربيين

محمد فريد وجدى

الموت وغامضته

قبل الموت

قال العلامة كاميل فلاريون :

ان موضوع هذا الكتاب محدد بالغرض من وضعه وهو : تحقيق البراهين الحسية على البقاء بعد الموت . فلن نجد فيه القراء لامباحثات أدبية ، ولا عبارات جميلة شعرية ، ولا نظريات تختلف في قوة تأثيرها على الاذهان ، ولا اقتراضات علمية ، ولكنهم سيجدون حوادث مرئية فقط مقرونة بنتائجها المنطقية

هل سنموت موتاً نهائياً ؟ هذه هي المسألة . وأى شيء سيخلد منا ؟ ان قيل ان خلودنا قائم بتعاقب أخلافنا ، وبما نترك وراءنا من أعمالنا ، وبما نجهله للانسانية من الرقى بجهودنا ، فهذا يعتبر مزاحاً محضاً . لاننا ان متنا موتاً نهائياً فلن نشعر بشيء من خدماتنا الباقية بعدنا ، وستأدي الارض ومن عليها الى التلاشي . اذن فكل شيء فان

لأجل معرفة ما اذا كانت الروح تبقى بعد الجسد يجب أولاً معرفة ما اذا كانت هذه الروح ذاتها موجودة مستقلة عن هذا التركيب المادي . فعلياً اذن أن نؤسس القول بوجودها على قواعد علمية من المشاهدات الحسية ، لاعلى العبارات الخلابة أو علي الأدلة الكونية التي اكتفت بها العلوم الكلامية في كل زمان الى هذه الايام . وقبل كل هذا يجب علينا أن نتحقق من نقص النظريات الفيزيولوجية المسلم بها تسليماً عاماً والتي تدرس علي حالة رسمية

(1) "La mort et son mystère,, Par Camille Flammarion -
 rion. Chez Ernest Flammarion, 26 Rue Racine, Paris

المادية

مذهب ضال وناقص

« لنحذر خدع الفلواهر »

كوبرنيك

ليس في الناس من يجهل (الفلسفة الوضعية) لاجوست كونت وأصلالة ترتيبية للعلوم متنزلا تدريجياً من الكون للانسان، ومن علم الفلك الى علم الحياة (البيولوجيا). وليس في الناس من يجهل أيضاً (ليترية) خليفة اجوست كونت، فان قاموسه مائل في جميع المكتبات ومؤلفاته منتشرة في كل مكان. وقد عرفت شخصه، وأقول انه كان عالي القيمة، عالماً، من مؤلفي دائرة معارف القرن الثامن عشر ومفكراً بهيد الغور، ولكنه كان مادياً ملحداً عن اقتناع، ومخلصاً للدرجة القصوى. وكانت سباه لاتناسب جمال روحه. فكان ممن يصبغ علي الناظر اليهم أن لايفكر في أصلنا القردى. ومع هذا فقد كان عقله في أعلي درجات الاصلالة، ونفسه نادرة في الكرامة. وكان لايبعد عن مرصدي تشيراً، وكانت امرأته تقيّة جداً. فكان يوصلها كل أحد للهبلة بكنيسة سان سوليس مسوقاً بطيب قلبه وصفاته، ولكنه ماكان يدخل معها اليها. والاستاذ (لوداتك) الذي خلفه وهو ملحد ومادى مثلهمر بالكنيسة في جنازته مراعاة لشعور امرأته وهي أيضاً متدينة تقيّة، ولكنهم يأسفون لحالتها هذه اذ يحسون أن يروا النساء مشايعات لاآراء أزواجهن. وقد كان أستاذ الاتحاد هذا طيب القلب جداً كسلفه. وهذا كله مخالف للرأي العام. وكان علي هذه الشاكلة (جول شورى) هذا (المتهم للقسموس) وقد دفنه هؤلاء بعد أن صلوا عليه صلواتهم المقررة. فما أبعد المنطق عن هذا العالم. ولكن المذاهب لاتتحكم دائماً في سيرة اصحابها، فقد يكون الانسان كاتوليكياعاملا بهدينه، ولا يمنع ذلك من أن يكون كاذباً في حديثه وعادياً على

حقوق أخيه . ويمكن أن يكون ماديا وهو مع ذلك شريف للغاية . وقد عرفت أيضاً
ارنست رينان العظيم يرفض الوظيفة الكهنوتية التي كانت تؤدبه الإلهامباحثه اللاهوتية
مسوقاً باخلاصه الاصيل وبجبه للتمزعه عن كل رياء

هذه العقول العالية يجب أن يحترموا في عقائدهم المخلصة كما كانوا يحترمون
عقائد غيرهم ، ولكن يمكننا مناقشة آرائهم وهم لا يدعون أنهم معصومون عن الخطأ
وقد اشتغل ليتريه بالمسائل النفسية التي عولنا على بحثها هنا ، فنستطيع أن نعتمد
على براهينه كاعتمادنا على براهين (تين) نديده، باعتبار أنها قواعد للحجج المادية الراهنة.
فلا نخش أن نكافحهم وجهاً لوجه، وأن نقبض على الثور من قرنيه
عقد (ليتريه) فصلا في كتابه (العلم من الوجهة الفلسفية) على الفيزيولوجية النفسية
صرح فيه بما يأتي :

« اليوم لا يمكن الشك في أن الظواهر العقلية والخلقية هي من الحوادث الخاصة
بالنسيج العصبي، وأن الحالة الانسانية ليست الا حلقة ، بل أعظم حلقة في الواقع ، من
سلسلة ممتدة ليس لها حد مقطوع الى آخر درجة من الحيوان، وأنه بأي عنوان يتديء
الانسان، على شرط أن يستخدم الاسلوب الحسني والمشاهدة والتجربة، يكون عاملاً في
مجال الفيزيولوجيا لم يخرج عنه . وأنا لا أتصور فيزيولوجية لا تشغل منها نظريات العواطف
والافكار بكل ما فيها من السمو ومحلا عظيما »

(مناقشة كاميل فلامريون للتربة)

قال كاميل فلامريون بعد نقله هذه القطعة :

هذه هي قاعدة المذهب المادي في الروح . وأنا أدعو القارئ أن يزن بدقة

هذا النوع من الفهم

قالوا : لا يجوز لنا أن نسلم بوجود الروح « لاننا لم نر قيام أية خاصة بدون
مادة ، ولاننا لم نصادف الجاذبة بدون جسم ثقيل ، ولا الحرارة بدون جسم كهربائي ،
ولا الانفاس الكيميائية بدون مواد قابلة للاتحاد، ولا الحياة والحس بدون كائن حي
حساس مفكر ... »

والحال ان هذا التدليل معيب لا يقتضيه على التسليم بأمر يحتاج هو نفسه الى دليل يثبت به ، وذلك الامر هو كلمة (الخاصة)

وتشبيه الفكر بالجاذبة وبالحرارة وبالاتار الآلية ، الطبيعية والكياوية للجسام المادية ، فيه تسوية بين شيئين مختلفين جداً لا تزال مسألتهما معيقة وهما الروح والمادة فارادة الكائن الانساني ، ولتكن ارادة الطفل ، هي شخصية شاعرة ، ولكن الجاذبة والحرارة والعضو والكهرباء فهي غير شخصية ولا شاعرة ، ثم هي في بعض الحالات المادية ، ضرورة عمياء ، وهي نفسها مادية محض . فالخلاف شاسع بين ركني هذا التشبيه كما بين الليل والنهار

فهذا التدليل العلمى نفسه فاسد من أصله . فالحرارة مثلاً لا تأتي دائماً من جسم حار ، والحركة التى ليس فيها أدنى حرارة يمكن أن ينتج منها حرارة ، والحرارة نفسها شكل من أشكال الحركة . والنور نفسه شكل من أشكال الحركة . وطبيعة الكهرباء لا تزال مجهولة

واني لأعترف بأني لأنهم ان رجلاً في قيمة « ليريه » زعيم المذهب الوضحي يكتفى بمثل هذا التعليل ولا يتنبه الى انه دائر حول التسليم بأصل هو نفسه يحتاج لدليل أو حول لعب بالالفاظ . لان هذا التدليل معتمد على كلمة « الخاصة » والذي كان يجب اثباته بالحس أولاً هو ان الفكر خاصة من خواص المادة العصبية ، وان الشيء غير الشاعر يمكنه أن ينتج الشيء الشاعر ، مما هو في الاصل متناقض

ان الانسان يتجاسر بصعوبة على تشبيه قطعة من الخشب بقطعة من الرخام أو بقطعة من المعدن ، ولكنهم لا يجدون بأساً من تشبيه الروح والعقل المفكر وعاطفة الحرية والعدالة والرحمة والارادة بوظيفة من وظائف المادة العضوية . فان (تين) Taine يؤكد بأن المنح يفرز الفكر كما يفرز الكبد الصفراء . ألا يظهر من هذا ان محل التعقل لدى هذه العقول قد غشى مقدماً بعناية لا تقل عن حماية اللاهوتيين ؟ أليس فيه دلالة على ان هؤلاء العلماء كانوا متقادين لرأي ليس عليه دليل ، ولا قناعة مذهبي محض ؟

يهيمننا ونحن في بداية هذه المناقشة أن لا نعتمد على الكلمات الفارغة . فإهي المادة؟ هي في العرف العام ما ندركه بحواسنا أي هي ما يرى وما يلمس وما يوزن . نسلم بذلك . والصحيح الآتية ستثبت ان في الانسان عنصراً مستقلاً عن الحواس المادية، أي أصلاً عقلياً شخصياً يفكر ويريد ويعمل ويظهر بعيداً عن جسده ويري بغير العينين ويسمع بغير الاذنين ويكشف المستقبل الذي لم يوجد بعد ويبين أشياء مجهولة . فافترض ان هذا العنصر النفساني الذي لا يرى ولا يلمس ولا يوزن خاصة من خواص المنح قول بلا دليل وتعلل متناقض ، كما لو قيل ان ملحاً يستطيع أن ينتج سكرأ ، وان السمك يمكنه أن يكون من سكان الارض القارة

الذي تريد أن نبينه هنا هو ان المشاهدة الحسية نفسها - (وليس لنا أسلوب غير أسلوب ليتريه وتين ولودانتك وأئمة المادية ونحن نرفض المذاهب البيزنطية في الاعتماد على الالفاظ فانها من الهذيان) - قلنا الذي يريد أن نبينه هنا هو ان المشاهدة العلمية والتجربة تثبت ان الكائن الانساني ليس بجسد مادي بحث متمتع بخصائص متنوعة، ولكنه كائن نفسي أيضاً متمتع بخصائص تخالف خصائص الجسم الحيواني كيف استطاعت عقول عالية من أمثال كونت وليتريه وبرتلو أن تتصور ان الموجود الحقيقي لا يخرج عن دائرة تأثير مشاعرنا وهي الآلات البعيدة المدى في القصور والنقص ؟ ان السمكة تستطيع أن تعتقد بأنه لا يوجد شيء خارج الماء، والكلب ان تصدي ترتب المعارف السكلية لا يرتبها اعتماداً على النظر كالانسان ولكن اعتماداً على الشم . والحمام السياحة تعول على الحاسة التي تهديها في سيرها . والفيلة على حاسة عصبها المقدم الخ الخ

الروح متسلطة على الجسد . قدراته ليست بقائدة ولكنها متفاداة . وهذا النظر العقلي نفسه ينطبق على الكون برمته، وعلى العوالم الدائرة في الفضاء، وعلى النباتات والحيوانات . فالورقة من الشجرة متمعة بأعضاء ذات وظائف . والبيضة التي تنفّس متمعة بأعضاء كذلك . وهذا التمتع يعتبر من الامور الصادرة عن عقل فاعقل العام ظاهر في كل شيء ومالي، الوجود ، وهو كذلك بدون خ . ومن

المستحيل أن يحلل الانسان آلات العين والابصار والاذن والسمع بدون أن يستنتج أن عضو البصر وعضو السمع مصنوعان بعقل . وهذا الاستنتاج يكون أكثر وضوحا اذا حلت مسألة تلقيح زهرة وحيوان وانسان، وتطور البيضة النسوية الملقحة ووظيفة المشيمة (الخلاص) وحياة الجرثومة والجنين ، وتكوين هذا الكائن الصغير في بطن أمه، والاستحالة العضوية للمرأة وتكوين اللبن في ثديها وميلاد الطفل والارضاع وتطور الطفل جسديا ونفسيا . كل هذه الامور مظاهر لا تنقض لقوة مدبرة عاقلة ترتب كل شئ، وتقود اصغر الجواهر المادية بمثل النظام الذي تقود به الكرات الكوكبية أو النجمية في هذه الانهائية السماوية . وهذا العقل لم يتولد من مخ . ولقد قيل بحق انه اذا كان الله قد خلق الانسان على صورته فقد قابله الانسان على ذلك بعلمه . واذا كانت الخنافس تتخيل خالقا لم تتخيله الا خنافس كبيرة . ولكن الاله الانساني الذي تخيله اليهود والنصارى والمسلمون والبوذيين لم يوجد قط . وعبارات الاله الآب وجيوفاه وجوبيتر ليست الا كلمات رمزية

فاذا كانت الذرية الآدمية مخلوقة في أحسن تقويم من الوجهة الفيزيولوجية فهي لا تزال بعيدة عن الكمال فيما يختص بالآلام الامومة . فلم كانت هذه الآلام؟ وما حكمة الازواج القاسية التي تلازم نهاية الانسان؟ تراها الكنيسة عقوبة على خطيئة حواء . فيا العزاج؟ فهل وجد آدم وحواء في زمن من الازمان ؟ ألا تتألم اناث الحيوانات ؟

اننا نرى الطبيعة لا تأبه بالادوار المؤلمة للمرأة ، ولا بالشدائد الملازمة لخروج ما يخرج منها . فالطبيعة هنا مجردة حقيقة من الرحمة ويلزم منه أن يكون الله الرحيم ليس برحيم نحو مخلوقاته ، بل ليس له مثل عواطفنا الانسانية . وتكون العذارى المترهبات المنقطعات لتخفيف وبيلات الانسان أفضل منه . هذه مسألة خطيرة الشأن رغما عن ثقتنا في وجود العقل المدبر في الطبيعة

اننا لم نفهم ماهو الله . هذا أمر من الواضح بمكان . وماذا يثبت هذا العجز منا؟ يثبت انحطاطنا الروحاني

أما من جهة وجود العقل المدبر والفهم والنظام العقلي في كل شئ . فهذا أمر لا يمكن

نكرانه . والعلم التجريبي يقف في الطريق اذا قرر أن جميع الحوادث الكونية تستحيل في نهاية تحليلها الى المذهب الثنوي المادة والحركة ، أو الى التوحيد الطبيعي المادة وخواصها . فالنارخ الطبيعي وعلم النباتات والفيزيولوجيا الحيوانية والانتروبولوجيا (علم التاريخ الطبيعي للانسان) تكشف للمشاهد عن عنصر متميز عن المادة والحركة هو الحياة . ألم يبين لنا (كلود برنار) الفزيولوجي ان الحياة ليست نتيجة الذرات المادية ؟ وزيادة على هذا فان الوجود ينكشف لنا على حالة حركة محضة ، لان الحركة ملازمة للذرات أنفسها وهذه الحركة ليست من العالم المادي لوجود النظام في السكل من كائنات وأشياء .

المذهب الذي يعتبر الفكر الانساني وظيفة من وظائف المخ أو الذي يري توازيا وتوازنا بين عمل المخ وعمل الفكر ، نستطيع أن نعهده كإعاده البسيكولوجي (بيرغسون) مذهبا ناقصا كل النقص

يقولون بأن الاشياء التي يتذكرها الانسان مخزنة في المخ على حالة تحولات مطبوعة في طوائف من العناصر التشريحية فاذا زالت من الذكرة فذلك الا لان تلك العنصر التشريحية التي هي مسنقها تكون قد فسدت او دثرت . والتأثيرات التي تأتي من الاشياء الخارجية تبقى في المخ كما تبقى على الزجاج الفوتوغرافية الحساسة أو على صفيحة الفونوغراف

لامشاحة في ان هذه التشبيهات سطحية فانه اذا كان التذكر النظري لشيء من الاشياء مثلا ناشئا من تأثير هذا الشيء على المخ ، فلا يكون لهذا الشيء ذكرى واحدة بل ألوف من الذكريات أو ملايين لأن أبسط الاشياء وأبسطها يتغير في صورته وحجمه ولونه على حسب النقطة التي ينظر اليه منها ، اللهم الا اذا قصرت نفسك على حد معين كلما نظرت اليه ، وكانت عينك تجمد في حجاجها فترسم على شبكيةها الصورة بعد الصورة ثم تنتقل الى المخ صور لا يحصي لها عدد وغير قابلة لان يرسم بعضها على بعض

فماذا تكون الحال اذا كان التأثير البصري واقع من شخص تتغير صورته ، وحجمه



متحرك ، ويختلف لباساً وصحباً في كل مرة تنظر اليه فيها ؟ مما لانزع فيه ان ضميرك لا يحفظ عنه الا صورة واحدة ، وتكاد تكون لك ذكرى غير قابلة للتغير عن كل شيء ، أو كل شخص تقع عليه عينك . وهذا دليل واضح على أن في هذا الامر شيئاً غير الاحتزان الميكانيكي الذي يعالون به قوة الذكر في الانسان

ويمكننا أن نسري ماقلناه أيضاً على الذكرى السمعية . فان الكلمة قد يلفظها أفراد مختلفون أو فرد واحد في أوقات مختلفة وفي حالات متباينة فتعطي نغماً لا يشبه بعضها بعضاً فكيف يصح بعد هذا تشبيه الذكرى السمعية بنظرية الفونوغراف هذا الاعتبار وحده يكفي لان يشككنا في النظرية التي تعزو مرض نسيان الكلمات الى فساد او الى دثور الذكريات المطبوعة تشريحياً في القشرة الحية ولكن ننظر ما يحدث في هذه الامراض على رأي هذا المؤلف نفسه (يريد بالمؤلف ايتر به المتقدم ذكره) فقد قال :

« اذا كانت اصابة المخ خطيرة وذكرى الكلمات متأثرة بشدة فقد يحدث ان نهيجها ما او انفعالا ما يعيد فجأة الذكرى التي كان يظن انها ضاعت نهائياً »
« أفيمكن هذا اذا كانت الذكرى مطبوعة في المادة الحية وقد فسدت هنا أو دثرت ؟ فالامر يجري كما لو كان المخ أداة للذكر لا انه خازن له . فالمرضى يفقدون الكلام يعجز عن وجدان الكلمة متى احتاج اليها . ويظهر كأنه يدور حولها وليس له من القوة ما يجعله يضع يده على مبتغاه منها ، والعلامة الخارجية للقوة في المجال الفزيولوجي هي الضيق دائماً . ويظهر أن الذكرى تسرى عليه هذه القاعدة أيضاً . وأحياناً بابدال المريض الكلمة الضائعة بمجمل متعددة يدخل تلك الكلمة في واحدة منها وهو لا يدري

« فلنعمل الفكرة الآن فيما يحصل في مرض فقد الكلمات الآخذ في التناقص ، أعني لما يكون نسيان الكلمات متدرجاً في درجات الخطورة ، فنجد دائماً ان الكلمات تزول من الذاكرة بترتيب محدد كما لو كان المرض ملماً بقواعد الآجرومية . فنزول اولاً اسماء الاعلام ، ثم تليها الكلمات العامة ، ثم النعوت ثم الافعال طبقة بعد طبقة

فيصيب المرض كل طبقة منها الواحدة بعد الاخرى
 « نعم ولكن المرض يمكن أن يحدث من أسباب كثيرة الاختلاف . وأن يأخذ
 أشكالاً شديدة التباين . وأن يبدأ في جهة ما من المخ ثم يمتد في أي اتجاه كان . ولكن
 نظام ضياع الذكر يبقى علي ما وصفناه ، فهل هذا يكون ممكناً اذا كان المرض في
 المحفوظات نفسها ؟

« واذا كانت المحفوظات ليست مخزنة في المخ ففي أي محل تخزن ؟ وهل لقولنا
 (أين) معنى اذا كان كلامنا عن شيء آخر غير الجسم ؟ اننا نعلم ان القوالب المطبوعة
 يمكن حفظها في علبة ، وان الاسطوانة الفونوغرافية يمكن ايداعها في بيوتها . ولكن
 كيف تحتاج المحفوظات التي ليست بأشياء مادية ولا محسوسة لمكان يشملها وكيف يعقل
 أن يكون لها مكان ؟ هل هذه المحفوظات في شيء غير العقل . واذا كان العقل هو
 الوجدان نفسه فالوجدان معناه قبل كل شيء ذاكرة » انتهى
 (مناقشة كاميل فلاسريون للاستاذ لنزيه)

قال كاميل فلاسريون عقب ابراده هذا الكلام :
 اننا نستطيع أن نقول مع هذا المفكر العظيم ان كل شيء في أجسادنا يحصل كما
 لو كان الجسم مسخراً للروح . ومن هنا فلاحق لاحد ان يفترض بأن الجسم والروح
 متلازمان بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر

هذا مخ يعمل ، وهذا وجدان يحس ويفكر ويريد . فاذا كان عمل المخ يقابل
 مجموع عمل الوجدان اي اذا كان هناك توازن بين الخي والعقلي ، فيمكن ان يخضع
 الوجدان لما قد رعى المخ ، ويكون الموت نهاية الاثنين ، وتكون التجربة على الاقل
 لا تثبت الضد ، ويستحيل أمر الفيلسوف الذي يثبت بقاء النفس الي الاستناد على قاعدة
 من علم ما وراء الطبيعة ، وهي قاعدة واهية على وجه عام . ولكن اذا كانت الحياة العقلية
 تطغى على الحياة الخمية ، واذا كان المخ لا يترجم بحركاته الا عن جزء صغير مما يحدث
 في الوجدان ، فالبقاء بعد الموت يكون من الرجوح بحيث يلقى عبء التبديل علي
 المنكر لا على المثبت . لان الدليل الوحيد الذي لنا علي تلاشي الوجدان بعد الموت

هو أننا نرى الجسم يتمحل ، ولكن هذا الدليل لا يكون له اقل قيمة اذا كان استقلال الوجودان عن الجسم ، ولو استقلاله الجزئي ، صار من الحوادث الداخلة في نطاق التجربة

وان (برغسون) علي كونه من علماء ماوراء الطبيعة يظهر انه اكثر اعتمادا علي الحس من الطبيعي (ليتريه) نفسه

فالروح ليست المادة ، ولم يثبت بدليل انها وظيفة من وظائف المخ او خاصة من خواص المادة الخفية قدّر عليها ان تموت معه

وقد يسأل المتسائل كيف ان رجلا عاقلا في سعة ادراك (تين) مثلاً من يقدر ان يدرك وتأليف كتاب او مشروع وتنفيذه حتى قدره ، وهو نفسه واضع كتابا خاصا في الادراك ، يستطيع ان يعزو ابتكار عمل فلسفي الى افراز تركيب ذى اجزاء مادية مؤلفة لمخ . فان عمل العقل الشخصى ظاهر ، وهو من الوضوح والثبوت بحيث لا يكسفه الوجود مذهبي

المخ عضو الفكر ، لامشاحة في ذلك ولا يتأني لاحد نكرانه ، ولكن المخ في جملته علي عكس ما كانوا يسمون به من قبل ، ليس ضروريا لوجود الفكر ولا الحياة ويمكننا ان نضيف امثالا كثيرة على الامثال التي اتينا بها من امراض الذاكرة التي نوهنا بها وكلها تؤدي الى هذه النتيجة

قدم صديق العلامة (ايدمون بيرييه) الى مجمع العلماء في جلسته المنعقدة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ مشاهدة للدكتور (روبنسون) تتعلق بشخص عاش مدة سنة ، ويكاد يكون ذلك بلا ألم ولا أدنى اضطراب عقلي ظاهر ، مع ان مخه كان قد استحال الى عجينة مائعة بسبب قرحة عظيمة بمدة «اي ذات مدة»

وفي يوليو سنة ١٩١٤ نقل الدكتور «هالوب» الى الجمعية الجراحية حديث عمل جراحي عمل في مستشفى «نيكر» لشابة وقعت من المنزو . فشوهدهد بخرق جمجمتها ان جزءا عظيما من المادة الخفية قد استحال الى عجينة مائعة بكل معنى هذه الكلمة فلما نظف الجرح وسحبت تلك العجينة منه وأقل الجرح شفيت المريضة

وقد بين الدكتور «جيبان» للمجمع العلمي في ٢٤ مارس سنة ١٩١٧ بعمل جراحى على جندي بأن يتر جزء من المخ لا يمنع بقاء الخواص العقلية ويمكننا ان نأتي على شواهد اخرى . فقد يبقى من المخ جزء قليل أحيانا فيستخدم منه العقل بمهارة ما يستطيع استخدامه

فاذا كان الجراحون لم يجدوا الروح على اطراف مشارطهم وهم يشريحون جساما ، فذلك لانها ليست هنالك . واذا كان لا يعتبر الاطباء والفيزيولوجيون خواصنا النفسية الا خواص للمادة الحية ، فانهم ضالون ضلالا بعيداً . فانه يوجد في الانسان شيء غير المادة البيضاء والمادة السنجابية المخ

يمكن ان يعترض معترض بقوله ان خاصة الفكر تتبع حالة المخ وانها تضعف بتقدم السن كالمخ نفسه . ولكن أليس الآلة هي التي تضعف في هذه الحالة اي الجسم وليس العقل ؟ قد يشاهد في اكثر الاحوال عند المشتغلين الكبار بأفكارهم ان عقلمهم يبقى قويا الى آخر أيام حياتهم . فان كل المعاصرين لى يعرفون في باريز كتابا مثل فيكتور هوجو ، ولامارتين ، ولوجوفيه ، ومؤرخين مثل تيرس ، ومينييه ، وهنري مارتان ، وجهاذة مثل بارتلي سانتيلير « ١٨٠٥ — ١٨٩٥ » وعلماء مثل شيفرول « ١٧٧٦ — ١٨٨٩ » قد أظهروا الى سن متقدمة جداً رجولة تامة وشبيبة روحية بيّنة

يُعرّف بعض الفيزيولوجيين النوع البشرى منذ زمان بعيد بأنه الكائن المتعقل ، فهل الذى أوجد هذا الامتياز للانسان هو مجتمع الذرات المادية المكونة له ؟ وهل التجمعات الكيميائية لذرات من الايدروجين والكربون والازوت والاكسجين الخ يمكنها ان تعقل وان تفكر ؟

البيولوجيا علم حديث الظهور . وهي في شكلها الجبرى فلسفة لاعلم . وخاصة الفلسفة هي اعتبار الظواهر العقلية والنفسية نتائج للتفاعلات الفيزيولوجية . والتعليقات الفيزيولوجية اذا جاءت على صور تعبيرات مجازية كانت اعتبارا فاصحا بالعجز

فإنهم يعتبرون العُشور على كلمة جديدة اكتشفا علميا ، والتفسير الظني لمشاهدة
تعليلًا طبيعيًا

فالاحساس والاصل الحيوي لا يزالان سرين مكنونين كما كانا عليه في القرون
الخالية رغمًا عن المكتشفات العصرية الدالة على الاصل الفيزيولوجي المحض للحركات
العضلية . ولا يستطيع واحد منا أن يمتنع عن الاعتراف بأن فيه بجانب جميع الظواهر
الفيزيولوجية ، وبعبارة أحسن ، فوق جميع الظواهر الفيزيولوجية اصلا عقليا عاملا باستقلال
بدونه لا يمكن تعليل شيء ، وبه يمكن تعليل كل شيء

لنقل عقب هذا بأن المظاهر الطبيعية المعروفة عن الروح ، وهي التي تسكننا عنها
هنا ، تنمحي أمام الظواهر الطبيعية التي سنأتي عليها في الفصول التالية
وكان يجب على الطب ان يعتمد على هذه الاعتبارات فيؤثر لا على الجسد
الطبيعي وحده بل وعلى الحركة العقلية أيضا . فان عدداً من الامراض التي استعصت
على الوسائل العلاجية امكن شفاؤها بالتأثير العقلي . ولدينا من الشواهد على تلك
الشفاءات التي تمت بالتأثير المغناطيسي والتلقين العقلي والمعجزات المزعومة للعقيدة
الدينية من منذ وجود هيكل « ابيدور » وعبادة « اسكولاب » الى « لورد »
ومنافساتها « ١ » والحبيبات المؤسسة على العلاج بالامراض المشابهة للمحلول
العشرين ، لا تؤثر هذه الوسائل كلها بفضل الاقناع العقلي ؟ نعم فان الاعتقاد
يحرك الجبال

أجل . الروح ليست بالجسم . ولا هي مستنادة منه . بل هي تؤكد بأنها ممتازة
عنه . وليس في الناس من لا يعرف فضل الارادة . فالثبات في هذه الارادة سواء أكانت

« ١ » ابيدور مدينة يونانية على بحر ايجه كان بها هيكل لاله الطب اسكولاب
كان يزورها المرضى ويشفون . ولورد قرية فرنسية بها هيكل للسيدة مريم يحج اليها
المرضى فيلون من أمراضهم . وقد شوهدت شفاءات غريبة حدثت بسببها فعزاها
الباحثون لفعلي التأثير الاعتقادي

حسنة أم رديئة ، وفكرة التضحية والبطولة واحتقار الآلام ، وعدم حس أعضاء الشهداء ، الذين كانوا يتكبدون أفظع التعذيبات ، ونكران الذات ، والاخلاص ، والفضائل ، والعيوب ، والاحسان ، والحسد ، والحب والبغض ، أليست كل هذه الصفات تدل على استقلال الروح عن المخ استقلالاً نسبياً

من الناس من لا يفكرون في شيء . واننا لنصادفهم بين الخلق . ولكن الانسان مهما انحط في علمه فانه يدرك بأنه يوجد شيء أعلى مقاماً من الاكل والشرب والتزواج . وان هذا العالم الغاني للعواس ليس يحظه من الوجود ، وانه ليس الا مظهر الأصل عال لا ترى منه الا ظله مرتبكاً . وقد جاءت الاديان محاولة أن تبيل غلة هذه العاطفة

فاذا حللنا الجسم الانساني ووظائفه الطبيعية فلا يمكننا أن نمتلك أنفسنا من الاعتراف بأنها رغماً عن كل هذه اللذات التي تستطيع أن تمنحها لمشاعرنا فانها في الجملة أشياء تافهة اذا لم تعتبر فيها الا المادة وحدها . ولكن الكرامة الحققة هي للعقل والعاطفة والادراك وحب الصناعة والعلم . وان قيمة الانسان ليست بجسمه السريع العطب الكثير التحول القليل المقاومة . ولكن بروحه التي تظهر منذ هذا الدور من الوجود متمتعة بخصائص غير قابلة للفناء .

على ان هذا الجسد ليس بكتلة جامدة متحركة بنفسها ، بل هو تركيب حي . ولا يخفى ان تركيب كائن أو انسان أو حيوان أو نبات يشهد بوجود قوة منظمة وعقل مدبر في الطبيعة وصل مدرك يقود ذرات المادة وأنه ليس خاصة من خواصها . فان لم يكن في العالم لا ذرات مادية مجردة من التدبير لما استطاعت الخليفة أن تقوم ، وكان استحالة العالم الى مجموع مرتبك من المواد مجردة من النواميس الرياضية . وكان النظام ليس من حظ هذا الوجود

مؤدى النظرية الميكانيكية للوجود ان مجموع الاشياء هي الثمرة المحتمة للمركبات المجردة عن الشعور ، وان الخليفة أصلها عماية محضة تصبح شيئاً يذكر بالتدريج وينتهي

أمرها بالتخلي عنكر . أيستطيع الانسان أن يتخيل فرضاً أشد استحالة من هذا الفرض وأكثر مناهضة للمشاهدات ؟

ان الطبيعة الغامضة قد وضعت في كل شيء قسطاً من العقل . وأنها تظهر متممة بحيل لا تخطر على بال على وجه عام . فما معنى غرسها حب الزينة والتبرج في البنت ، وهي العاطفة التي تقودها لان تصير امرأة ، وأن تتحمل ان تستبقى النوع بواسطة جسمها اللطيف ، وأن تتكبد آلام الأمومة وهي راضية مستبشرة ؟ وما هو العشق ، هذه الاحبولة المحبوبة ؟ وما هي الآلام القلبية ، وما هي العاطفة ، أليس لهجة الطبيعة الصامته يسمعها كل من له أذنان ؟ وما معنى تعاون عصافير لبناء عش ؟ وتغذية الذكر لانشاء وهي جائعة على البيض ، وايتائهما بالطعام لصغارهما الجياع ؟ وما هي الدجاجة وفراخها ؟ أتفكرت قط في اول خفقة للقلب حدثت في بيضة وفي طفل ؟ أحلت قط تلقيح الزهور ؟ فإذا لم تر في هذا كله نظاماً عقلياً ، وغرضاً ، وبرنامجاً ، ومقصداً عاماً ، وغاية ، وتديراً يتسلط علينا جميعاً ، وإذا لم ترد أن تري في « الحياة » الغاية العليا لنظام الدنيوات فانك لا تريد أن تري الشمس في رابعة النهار

الى أي غاية تسوقنا هذه القوة الخفية ؟ اننا لا ندرى ذلك . وبينما الحياة تفرض علينا قوانينها يندفع هذا الكوكب الذي نسكنه في الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلومتر في الساعة . وهو نفسه ألوية في يد القوي القائدة للمجموع الارضي وللحركات الاربعية عشرة المختلفة . فنحن ذرات مفكرة على ذرة متحركة تعتبر جزءاً من مليون من حجم الشمس . وهذه الشمس تعتبر جزءاً من مليون من « كانبوس » . وهو نفسه يعتبر ذرة في مجموعتنا الكوكبية الضخمة . وهذه المجموعة ليست الا عالماً محيطاً بعالم آخرى لا تنتهي الى حد . فما أوسع هذه اللانهاية ، وما اعجب هذه الحركات ، وما أدعي هذه السرعات للحيرة !

يظهر ان القوة ملازمة للذرة المادية ، لانه لم تصادف قط ذرة ساكنة . وكل كائن حي ليس فيه قوة مدبرة لا يستطيع أن يعيش ، بل يسقط متحطماً كبناء ترك وشأنه

كان رينان وبرتلو ، وهما الصديقان المتلازمان ، يتباحثان أحياناً في هذه المسئلة التي نحن بصدد ها . وقد مات كلاهما على غير أمل منهما في حياة أخرى . ولكن كان لكل منهما عواطف متخالفة من بعض الوجوه . ففي ٢٥ اغسطس من سنة (١٨٩٢) كتب برتلو لرينان وهو ينحل يوماً بعد يوم (وذلك قبل موته بشهر واحد) يقول : « لنتعز برؤية أحفادنا يكبرون . فان هذا هو النوع الوحيد من الخلود الذي نعرفه بعلم محقق »

هذا النوع من الكلام لا يستدعي أن يكون برتلو منكراً للخلود انكاراً مطلقاً ، ولكنه كان يوافق بلا شك بعض آراء مؤلف حياة المسيح وكان رينان قد كتب الي برتلو في ٢٠ يوليو ماضوته :

« أهم حادث في مدي حياتنا هو الموت ، وهذا الحادث يقع على وجه عام في أحوال غاية في الشناعة . ومذهبنا الذي أساسه أن لانتمسك بأى خيال له عن تلك الساعة الخطيرة فوائد خاصة

« أنا أشغل في هذه الساعة بتصحيح مسودات الجزئين الرابع والخامس من مؤلفي « اسرائيل » وأتني أن أراها مطبوعين . فاذا كان أحد غيرى يقسم الحظوظ فسأشعر بقلّة الصبر في قعر المطهر ، فان أكثر الاصطلاحات التي رميت اليها لا يديرها أحد غير الله وغيري . فلتنفذ ارادة الله » انتهى

من هنا يرى ان هذا الفياسوف ، الذي كان لاهوتياً قبل ذلك ، قد أعد نفسه لما قدّر عليه . فان عقيدته بالله بقيت له . وقد يكون الانسان مضاداً للهيئة الكهنوتية ومؤمناً بالله معاً . فيحتمل أن رينان لم يكن بعيداً عن القول بالبقاء بعد الموت بقاء غير محدود

ولكنه ، علي مارواه صهره المسيو بسيكارى الذي لازم سريره ساعة وفاته ، قال وهو موجود بنفسه : انه ان يبقى منه شيء بعد موته ، لاشيء ، لاشيء ، لاشيء . هكذا كان شعوره في الساعة الاخيرة من حياته . ويشبهه في هذا الشك مثمن كبار العقول . مع أنهم كانوا يبحثون عن حقيقة البقاء بعد الموت مثله . هذا الشك

لا يستند الا على جهاننا ليس الا . فقد كان بطليموس (الفلكي الاكبر) لا يجد شيئاً
أسخف من افتراض الحركة الارضية ، ولا أدعي منه للاستغراق في الضحك !
﴿ ماهو الفكر ؟ ماهي الروح ؟ ﴾

ليس يوجد شيء من وراء الطبيعة . والروح اذا كانت موجودة مستقلة فهي
كالجسم طبيعية محضة

قد وصل العلم أخيراً الى قبول نظرية وحدة القوة ووحدة الهولي
كل شيء في هذا العالم حركة ، فالحركة العالمية تدبر العوالم كلها ، وقد سماها
« نيوتن » الجاذبة العامة . ولكن هذا التعليل ناقص فان كان لا يوجد في الوجود غير
القوة الجاذبة لاستحالت الكواكب الي كتلة واحدة لأنها تكون قد جذبتها منذ زمان
بعيد بل منذ الازل . ولكن توجد أيضاً الحركة ، والحركة الحيوية تدبر الاحياء . وفي
الانسان الراقي تشترك الحركة النفسية مع الحركة الحيوية . وأصل كل هذه الحركات
في الحقيقة واحد ، وهو العقل المدبر في الطبيعة ، الذي يظهر أصم وأعمى في العالم
المادى ، حتي في دهاء الخلق ، وشاعراً بذاته في عدد قليل من الناس
لقد كتبت في كتابي (أوراني) سنة ١٨٨٨ ما يأتي :

« ان مانسببه مادة تملأ شئ متي امكن ان يتناولها التحليل العلمي . وفي رأينا ان
عماد الوجود واصل جميع الصور هي القوة وعنصر الحركة . واصل الانسان الاصيل
الروح . والعالم مجموع حركات مدبرة بعقل لا يمكن ادراكه »

وكتبت في كتابي (القوى الطبيعية المجهولة) سنة ١٩٠٦ ما يأتي :

« ان الظواهر النفسية تثبت لنا مانعاه من جهة أخرى بأن تمليل قيام الطبيعة
بالحركة الآلية المحض هو تعليل ناقص ، وأنه يوجد في الوجود شئ غير المادة المزعومة .
فالمادة ليست هي المدبرة للعالم بل هي عنصر من الحركة والروح معاً »

ومن منذ السنين التي كتبت فيها هذه الاسطر توالى المشاهدات النفسية التي
تؤكدها عن سعة

توجد قوة عقلية تدبر ، وهي صامتة ومثبطة ، إلهامات الحشرات ضامنة

وجودها واستمرارها ، كما تدبر ميلاد عصفور ونطير ، الحيوانات العليا وفيها الانسان نفسه . فهي هذه الحركة التي تقود الدودة لان تستحيل الى عجيبة مائة لاشكل لها داخل شرنقتها ثم تقلبها الى فراش . وهي هي التي تخرج من جسم الوسطاء هيولى تستحيل الى اعضاء حية وقتية ولكنها حقيقية . وهذه الحركة توجد التجسيدات الوقتية من طريق التولد الذاتى

اننا نذكر بأن الوجود مجموعة حركات . وان فيها قوة غير مرئية مفكرة تدبر الدنياوات والذرات . اما المادة فعليها الطاعة والانقياد

ان تحليل الاشياء يدل على تأثير عقل مدبر فيها وهذا العقل العام في كل شيء ، يدبر كل ذرة وكل جزى ، وهما في ذاتهما لا يماسان ولا يوزنان ومن الصغر بحيث لا يريان يؤلفان بتجمعهما القائم على اصل الحركة الاشياء المرئية والكائنات وهذا العقل العام المدبر لا يقبل الغناء فهو أبدي

المذهب المادى ضال وناقص وغير واف ، فليس في وسعه أن يفسر لنا شيئاً تفسيراً مقنعاً . فان عدم التسليم بشيء غير المادة المتمتعة بخصائص ، من الفروض التي لا تقاوم التحليل العلمي . والتابعون للفلسفة الوضعية ضالون كذلك ، فانه توجد براهين وضعية «حسية» على ان الافتراض القائل بأن المادة متسلطة على كل شيء ومدبرة لكل شيء بخواصها بمعزل عن الحقيقة . فانهم لم يحلوا بوجود هذه الحركة العاقلة التي تمد الكائنات الحية والجمادات

واننا نستطيع ان نقول مع الدكتور (جوليه) بأن العوامل الرصدية تعجز عن حل المعضلة الفلسفية العامة الخاصة بالارتقاء وهي خروج الاكثر من الاقل المذهب المادى المنتشر كل الانتشار عن شعور أولاشعور في جميع طبقات المجتمع ليس هو الا نظرية المظاهر ، فهو تقدير للاشياء غير المحللة (المترجم) ثم نقل الاستاذ كاميل فلاس ، يون بعد هذا عبارة للامانة الماركسي كوبرنيك باللاتينية ولم يترجمها للفرنسية . فأهملناها . ثم قال بعدها :
اننا سنشهد ضعف المذهب المادى بالاسلوب التجريبي نفسه ، وسنعمل على بيان

ضلاله المطلق . وكل الفزيولوجيا النفسية الرسمية قائمة على الخطأ ومناقضة للواقع . وانه
ليوجد في الانسان شئ غير الجواهر الكيماوية المتمتعة بخصائص . يوجد فيه عنصر غير
مادي اى اصل روحاني مما سيثبتته الامتحان النزيه للحوادث . وسنري هذا الاصل
الروحاني يعمل وهو مستقل عن الحواس الطبيعية

ما هو الانسان ؟ هل الروح موجودة ؟

« يجب علينا أن نبحث عن الحقيقة وعقلنا
مطلق من كل قيد وخالص من كل
رأى سابق لادليل عليه »
« ديكارت »

رأينا ان النظريات المادية لا يقوم علي صحتها دليل ، وليست قائمة علي قاعدة
من المتانة في الدرجة التي كان يتوهمها الناس . فاب فيها جهات فراغ ، وتدع
بجانها كثير امن أشياء غير مفسرة ، وهي أبعد من أن تشبهه ، علي ماتدعيه ،
بالنظريات أو باليقينيات الرياضية . فالمسألة والحالة هذه معروضة برمتها أمامنا
لنبحثها بحثاً حراً

وقبل أن نبحث فيما اذا كانت ارواحنا تبقى بعد تحلل أجسادنا ، يجب علينا أن
نعلم ما اذا كانت موجودة في الواقع . فان المناقشة في الامد الذي يمكن أن يبقاه شئ
ليس بموجود هو نفسه ، تعتبر مضیعة للوقت بشئ من البله . فاذا كان الفكر افرانخيا
فلا شك في انه يزول بزواله

العلم بهذا الامر لا يمكن الحصول عليه الا بالمشاهدة العلمية المحسوسة أى بالاسلوب
التجريبي . ولكن كيف السبيل الى ذلك وعلم النفس لا يزال الى أيامنا هذه من
المسائل الكلامية ، والتأملات النظرية ، والافتراضات الظنية ؟ وان هذه لمن الاساطير
التي يجب أن نتحاشى اتباعها هنا . اننا سنحاول أن نحدد طبيعة الروح بمشاهدات

عملية ، وأن نتعرف خصائصها

وانه ليؤسفنا أن نرى ان هذه الخصائص لانزال قريبة من ان تكون مجهولة. فعلم النفس الجديد يجب أن يكون مؤسساً على العلم ولندرك دائماً أعمال كلمة ما بعد الطبيعة في ترتيب العلوم الذي وضعه مؤسسه ارسطو . فلقد تمادي الناس في نسيان هذا الاصل « ١ »

لاجل ان يتحقق وجود الانسان بعد انحلال جسده يجب أن يكون للانسان وجود روحاني . فهل لعقلنا وجود ذاتي مستقل ؟ هل لنا روح ؟ وبعبارة أضبط هل للانسان روح ؟ هذه هي المسئلة الاولى التي تتطلب الحل ، بل هذه النقطة الاولى التي يجب تقريرها

لقد علمنا مما تقدم بأن الماديين والحسين والملاحدة والمنكرين لروح الطبيعة علي ضلال بعيد بذهابهم في تعاليمهم الي انه لا يوجد في الكون غير المادة وخواصها ، وأن كل حوادث الانسانية يمكن تحليلها بنظرياتهم العلمية العامة في آن واحد. فان افتراضهم هذا ليس بحق ولكن يجب أن نثبت لهم الموضوع المناقض لموضوعهم فنقول :
ماهي الروح ؟ ومن أين أتت هذه الكلمة ؟ وما معناها ؟

قامت العقيدة بوجود الروح الى الآن علي ابحاث من علم ما وراء الطبيعة ، وعلي ابحاث الهية مزعومة لم يقيم على صحتها. دليل فان الدين والايمان بالغيب والعاطفة والرغبة والخوف ليست بأدلة
كيف خطرت لعقل الانسان فكرة وجود الروح ؟

« ١ » يشير العلامة كاميل فلامبريون الي هذا الامر ، وهو ان كلمة ميتافيزك تعني باليونانية ما بعد الطبيعة ، وهي تطلق علي علم النفس والامور الروحانية . وهي ما سميت بما بعد الطبيعة لانها لا تخضع لاسلوب علم الطبيعة ، بل لانهم كتبوها بعد ما كتبوا علم الطبيعة ، فأطلقوا عليها هذا الاسم لهذا السبب ليس الامع انها تخضع في الواقع للاسلوب العلمي نفسه

كلمة روح ونظائرها ككلمة عقل مثلاً في لغتنا الراهنة وفي اللغات القديمة من يونانية وسانسكريتية ثم عن معني النفس فليس مما يشك فيه اليوم ان فكرة الروح كانت تعني قديماً ما تعنيه كلمة النفس عند علماء النفس من أهل العهد الاول حتي ان كلمة «بسيديشيه» اليونانية مشتقة من النفخ

فهؤلاء الناظرون يرون ان أصل الحياة والفكر وظاهرة التنفس شيء واحد. وهم من جهة أخرى لاجل أن يوفقوا بين هذا الحادث البين الذي لا يمكن نقضه وهو انحلال الجسم الميت المحروم من النفس، أى المحروم من الروح، وبين عقيدة ظهور الموتي أي استمرار حياة الذين أجسادهم همدت وصارت لأحراك بها أو تحلات واستحالات إلى تراب، قلنا لاجل أن يوفقوا بين هذين الأمرين تخيلوا ان النفس شيء يغادر الجسم بالموت لاجل ان يذهب إلى عالم آخر ليعيش فيه حياته الخاصة به وقد يعبر اليوم عن الموت بلفظ النفس الأخير

فاذا كان بعض الناظرين قد سلموا ببقاء الحياة علي صورة غير مرئية لنا، فان بعضهم الآخر لم ير فيها الا أثرآ من ميل الاحياء وأسفهم وعطفهم على موتاهم . فلقد قام من أول قيام الطوائف البشرية مذهبان علي هذا الامر متميزان ، بل متعارضان من آراء الناس. وهما المذهب الروحاني من جهة، والمذهب المادي من جهة أخرى . ولكن كلا منهما قائم علي اصول سطحية

فمعني كلمة روح وعقل يجب ان يتغير وأن يتناقش فيه وان يمتحن . لانه توجد مميزات أساسية يجب تقريرها . فخواص التركيب الحي تخالف العناصر النفسية كل المخالفة

يعتقد الناس علي وجه عام باقتناع تام، بأنه لا يوجد في العالم الاحقيقة واحدة لا يجوز النزاع فيها، وهي الاشياء الخارجية أو المادة، أعني الشيء الذي يري ويلمس ويخضع لتقدير الحواس، وكل ما عداها عندهم فأمر تجريدية وأوهام أى عدم محض من الذين يرون هذا الرأي الغالبية العظمى من العلماء ومن الدهماء، ولكن السواد الأعظم والعلماء أيضا يجوز عليهم الانخداع ، وهذا حالهم في هذا الموطن

اقول كما قال صديق المأسوف عليه دوران دوغرو ، العالم الطبيعي ، العلم الطبيعي نفسه يقرر لنا ان شهادة المظاهر ، حتي في الحين الذي تلوح فيه انها حاصلة على قوة الوضوح التي لاتقاوم ، يجب أن تعتبر صريه وأن تخصص تمحيصا صارما
اي شيء أوضح من دوران الشمس؟ إن هذا الشعور وهذا الادراك يدلان على انه حق وعلى ان السماء كلها فوق رؤوسنا. أما شهدت هذا الوضوح أعين الناس اجمعين في كل زمان ومكان ؟ وهل لهذا الوضوح مثيل في العظم والجلالة؟ لا وهو مع ذلك هو وهم محض كما اثبتته علم الفلك بالدليل القاطع
فما أشد ما يظفر أشياع المذاهب سطحيين كلما اعتمدوا على المشاهدة الظاهرية وحدها في تقديم المعلومات ، عندما يعتقدون انهم حبال أمر تجريبي في الحين الذي يُروّنا اياه فيه

« الشمس سطح لماع يدور فوق رؤوسنا من الشرق الى الغرب ، في شروقه وغروبه » هذه حقيقة شهيرة قد أيدتها شهادة الناس بالاجماع الوفا من السنين. فكيف يتجاسر العلم مع ذلك أن يؤكد لما بأن هذه الحقيقة المقررة بالمشاهدة من الضلالات التي لانزاع فيها ؟ وكيف اتفق العالم كله اليوم على التحقق من انها ضلالة في الواقع ؟ فاشئ المحقق كل التحقيق ، والذي هو من المشاهدات الصحيحة ليس هو ما نعتبر عنه بقولنا : « الشمس سطح الخ » ولكنه هو الذي يجب أن يعتبر عنه هكذا : « أشعر بوجود سطح لماع أطلق عليه اسم شمس ، وهذا السطح يظهر لي انه متحرك من الشرق الى الغرب » الخ

هذا هو ما يجب على المتبع للمذهب التجريبي أن يحضره في تأكيده التجريبي ان اراد ان يبقى في الحدود المضبوطة للمقررات التجريبية ، أي في عالم التحقيق المطلق

وهذا السطح نفسه ليس الا مظهراً كاذباً ، فان الشمس في شكلها الحقيقي كرة لاسطح مستو

فانعط الشعورات والمدرجات حقها ولا نخلط بينها وبين الواقع . فان الواقع في

حاجة الى ان يثبت بدليل . فاذا رأيت برقاً يلعب ، وطرقت أذني جلجلة انطلاق مدفع، وجب علينا ان كنا مدققين، ان نفكر هكذا : « انا اشعر بأنني أرى برقاً، وأشعر بأنني سمعت جلجلة انطلاق مدفع ». ولكن الفيزيولوجيين يميلون غالباً الجرى على هذا التمييز الاساسي، فالذي يقدمونه لنا باعتبار انه حوادث مشاهدة ليس في الغالب الا أموراً ظنية ، اي انها ليست مشاهدات ولكن استنتاجات من المشاهدات . يفعلون ذلك بدون ان يتنبهوا لهذا العمل من عقولهم

فاذا قلت : اني احس بأنني أرى سطحاً لماعاً يظهر ان طول قطره كذا وكذا سابعاً في السماء من الشرق الى الغرب

فما تقوله صحيح صحة مطلقة ، ولك الحق في الادلاء به الى غيرك بتأييد، وتكون جارياً على سنة المذهب التجريبي لادراك الحقيقة

ولكنك لو قلت: ان سطحاً لماعاً يجري في السماء الخ كنت مؤكداً شيئاً هو أكثر مما تعلم ، وتكون متعرضاً للانخداع ، والدليل على ذلك انك انخدعت حقيقة في نوع ذلك الجرم

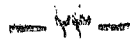
مما لا فائدة فيه الا ثثار من الامثلة في هذا الباب. فانا نحس بشعور مماثلاً او يكون لنا فكر ما ، او انفعال نفسي ما ، فهذا كله من المعارف المباشرة الاكيدة، وهي حقيقة تجريبية جديرة بالثقة المطلقة

فالا احساس بالشئ يقتضى شعوراً أو ادراكاً أو فهماً، ولكن ماهي كل هذه المسميات؟ أهي خصائص لذلك الشئ؟ لا . يوجد ازاء الشئ المشعور به والمدرك والمفهوم شئ يشعر ويدرك ويفهم

فان أردنا الكلام بتدقيق قلنا ان حادث الشعور والادراك والفهم هو وحده حادث أصلي مطلق ، وهو وحده الحادث الذي تفرضه علينا المشاهدة المباشرة

اننا ندرك هذا الامر منذ عهد مباحثات « بركلي » سنة (١٧١٠) بل منذ عهد « مالبرانش » سنة (١٧٦٤) وليس من امس فقط

اننا لانحكم على الوجود والاشياء والكائنات الحية والقوي والمكان والزمان



الا بشعورنا ، وكل ما يمكننا أن نراه عن حقائق الاشياء هو في فكرنا وعقلنا ومخنا ، فيكون من العقل الغريب أن نستنتج من ذلك ان أفكارنا هي عين الواقع . وهذه التأثيرات لها سبب يولدها ، وهذا السبب خارج عن عيننا ومشاعرنا ، فنحن مرآيات انعكس صور الاشياء المقابلة لها

نعم ان المذهب المثالي « لبركلي » و « ما برانش » و « كانت » و « وانكاريه » يذهب الي مدى بعيد من التشكك « لانهم ينكرون الوجود المادى » ، ولكن لا يذهبون عن نظارنا الاصل الذي يقوم عليه

وقد اصبح من الضرورى الآن ان نشور على هذا الاعتماد العامى على المظاهر ، وأن نعلن على رؤوس الاشهاد ان العالم الخارجى ليس في حقيقة علي ما يعطيه هذا الظاهر . فاننا ان لم نكن حاصلين على أعين وآذان ، لكان ظهر لنا الوجود على حال غير ماهو عليه الآن . وقد كان من الممكن ان تكون شبكية أعيننا مركبة تركيبا يخالف ماهي عليه اليوم ، وكان يمكن أن يتذبذب عصبتنا البصرى وان يدرك الذبذبات التي ليست فقط بين ٣٨٠ الى ٧٦٠ ترليون في الثانية اى من الاحمر المتطرف الى البنفسجى المتطرف ، بل يدرك ماهو بعد ذلك من الاشعة الحمراء المعتمدة الى الاشعة البنفسجية المعتمدة ، او يكون مركبا من اعصاب تدرك معها الاشعاعات الكهربائية ، أو الامواج المغناطيسية ، أو القوى غير المنظورة التي نجعلها . والوجود بالنسبة للكائنات (التي يمكن أن توجد على كواكب أخرى) يظهر على حال غير ماهر مقرر في نظامنا العلمى . وعليه فاننا نكون ضالين ان اعتقدنا ان شعورنا هي عين الواقع . فالطبيعة في الواقع هي على غير ما ندرك منها ، نجعلها ولكن على العقل ان يدرسها

أنا أحس وأفكر ، هذه هي حقيقةنا الوحيدة المؤكدة ، الحقيقة المباشرة التجريبية الجديرة وحدها بهذا الوصف . وانه ليستنتج من هذه الحقيقة الشهودية الوحيدة التي لا يمكن الشك في حقيقتها ، حقيقة أخرى ثانوية كبيرة ، وهي وجود سبب صدر منه هذا الشعور وهذا الفكر

وهذا السبب ينشطر الى عاملين وهما القابل والشئ نفسه ، أعني الشئ الذى يشعر ويفكر ، والشئ الذى يشعر به ويفكر فيه

بعض الفلاسفة من شيعة المذهب المثالى مثل (بركللى) فى القرن السابع عشر (هنري بوانكاريه) فى القرن العشرين ذهبوا الى ان الموجود بحق هو الشئ المفكر ، وان شعوراتنا وحدها هي الثابتة في نظرنا ، واما الشئ المشعور به أى العالم الخارجى فيمكن ان لا يكون موجوداً . ولكن هذا غلو يقابل غلو الماديين المتطرفين وكلاهما يستويان فى الضلال

فلتحقق الذى لا يمكن رده هو اننا نعلم بأننا نفكر ، واننا نجعل حقيقة الواقع ، وأصل الاشياء والعالم الخارجى الذى لاتصلنا حواسنا الا بمظاهره فقط
أما الاقتراض بأننا ندرك حقيقة الواقع فليس من العلم في شئ . لاننا متحققون ان مشاعرنا لاتتكشف لنا الا جزءاً منه ، وهي لاتتكشف لنا هذا الجزء الا على طريقة المناشير التي تغير حقيقة الواقع . فاذا كانت كرتنا الارضية محاطة بالسحب باستمرار كننا جهنما الشمس والقمر والكواكب ، والنجوم ، وكان المجموع العالمى بقى مجزوا لا عندنا الى حد كان معه العلم الانسانى يستحيل الى ضلالات لاعلاج لها . اذا تقرر هذا فالذى نعلمه ليس بشئ في جانب ما نجهله . وعصبتنا البصرى نفسه ترجمان ليس على شئ من الامانة

فالانخداع بالمظاهر هو القاعدة الواهية لافكارنا وشعوراتنا وعراطفنا وعقائنا . فأول مظهر من مظاهر هذا الانخداع واكثرها اصالة هي شعورنا بسكون الارض . فتخيل الانسان بأنه قائم في مركز العالم وبني على ذلك كل خيالاته من طريق الاستنتاج . ورغمنا عن الادلة الفلكية فاننا نحاول ان نرى وان نفهم الحقيقة ، ولا نستطيع ذلك . فاذا كنا في أصيل يوم من أيام الصيف ، خيل الينا ان الهواء ساكن ، والسماء صافية . وكل شئ حولنا في هدوء مطلق ، والواقع بافعل اننا فوق او تومبيل يجرى بنا في هبوط السماوات بسرعة توجب الدوران ان يفكر فيها

فالانسانية تعيش في جهالة بعيدة الغرور وهي لاندري ان تركيبنا الجسماني الطبيعي

لا يعرفنا بحقيقة الواقع . فان حواسنا تخدعنا في كل شئ . والتحليل العلمي وحده هو الذى يؤتى عقولنا بيهييص من النور

من أمثلة ذلك اننا لانشعر بشئ من الحركات الهائلة للكوكب الذى نحن عليه فانه يظهر ثابتاً ذا اتجاهات محددة الى فوق وتحت ويمنة ويسرة الخ ، ومع هذا فهو يسبح في الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلو متر في الساعة في تطوافه السنوي حول الشمس ، وهي نفسها تنقل في خلال الانهية السماوية بحيث ان خط سير الارض ليس خطاً منحنياً مقفلاً ولكن حلزونياً مفتوحاً دائماً وان كرتنا الهائلة لم تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ وجدت الى اليوم

وفي الوقت نفسه تدور هذه الكرة على نفسها دورة في كل أربع وعشرين ساعة بحيث ان مانسميه (فوق) في ساعة من الساعات يكون (تحت) بعد اثنتي عشرة ساعة . واننا نجري في هذه الحركة النهارية بمعدل ٣٠٥ أمتار في الثانية في خط عرض باريز و ٤٦٥ مترآ في خط الاستواء .

هذا و كئنا الارضي تلعب به اربع عشرة حركة مختلفة فلا نشعر بواحدة منها حتى تمسنا من قرب . كالد والجزر للقشرة الارضية ، وهي ظاهرة طبيعية ترتفع معها القشرة الارضية دفعتين في اليوم تحت أرجلنا الى علو ٣٠ سنتيمتر أو لا توجد أى علامة ثابتة تجعلنا نلاحظ هذا الامر مباشرة . ولولا وجود الشواطي لما أدركنا وجود الدال والجزر في الاوقياس كذلك

وهل نحن نشعر بالهواء الذي نستنشقه أو ندرك ثقله ؟ ان سطح جسم الانسان يحمل منه ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلاً بمثله من الضغط الداخلى . وما كان أحد يتخيل ان الهواء ثقيل قبل غاليليه وباسكال وتورسلى . هذا ما يشهدنا اياه العلم ، ولكن الطبيعة لا تشهرنا به

وهذا الهواء مخترق بتيارات مختلفة نجهلها كل الجهل ، فالكمرباء تلعب فيه دوراً لا ينقطع ، ولكننا لانشعر بها الا وقت الاعاصير اى وقت اختلال التوازن بشدة والشمس ترسل لنا على الدوام باشعاعات مغناطيسية تؤثر عن بعد ١٤٠ مليون

كيلو متراً على الأبرة الممغنطة مما لا نشعرنا به مشاعرنا. ولكن توجد أجساد حساسة لطيفة تشعر بوجود هذه التيارات الكهربائية والمغناطيسية وعيننا لا ندرك ما نسميه نوراً إلا بواسطة ذبذبات الاثير المحصورة بين ٣٨٠ ترليون ذبذبة في الثانية (احمر متطرف) و٧٦٠ ترليون (بنفسجي متطرف) ولكن الذبذبات البطيئة للأشعة الحرارية الحمراء المعتمة فيما دون ٣٨٠ ترليون موجودة وعاملة في الطبيعة كما تعمل الذبذبات السريعة فيما فوق ٧٦٠ ترليون للأشعة الحرارية البنفسجية المعتمة غير المرئية لشبكينا

وأذننا لا ندرك ما نسميه (أصواتاً) إلا منذ الذبذبة الثانية والثلاثين من الاثير في الثانية للأصوات التي نسميها شديدة الى ٣٦٠٠٠ ذبذبة في الثانية للنفثات الحادة

وأنفنا لا يشعر بما نسميه (روائح) إلا عن قرب شديد وفي حالة عدد محصور من التصاعدات فقط . ويختلف شم الحيوانات عن شم الانسان وغير ذلك فالواقع انه لا يوجد في الطبيعة خارج حواسنا لا نور ولا صوت ولا رائحة . فنحن الذين خلقنا هذه الكلمات لنعبر عما نحسه من تأثيراتنا فالنور شكل من أشكال الحركة كالحرارة . والا ففي الغضاء من النور في وسط الليل بقدر ما يوجد منه في وقت الظهيرة . أعني توجد فيهما أعداد متساوية من الذبذبات الاثيرية تخترق هذه اللامهاية السماوية . والصوت شكل آخر من أشكال الحركة ؟ وليس هو بذوي جليبه الا بالنسبة لعصبنا السمي . والروائح تحدث من جزيئات معلقة في الهواء تؤثر على عصبنا الشهي

فهذه هي الثلاثة الحواس التي تصلنا ، ونحن في تركيبنا الارضي هذا ، بالعالم الخارجي . وأما الحاستان الاخريان ، الذوق واللمس ، فلا تؤثران إلا باللامسة . وهذا شيء قليل ، وهو في كل الاحوال لا يؤثنا بشيء من العلم بحقيقة الواقع . فيوجد حولنا من الذبذبات والحركات الاثيرية أو الهوائية ، ومن القوى والاشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به . هذه حقيقة عالمية مطلقة ، وبديهية عقلية لا يمكن النزاع فيها

فيمكن أن يوجد حولنا أشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع حواسنا أن تصلنا بها . أنا لا أقول ان هذه الكائنات الحية موجودة، ولكني أقول يجوز أن تكون موجودة. وهذا التأكيد هو النتيجة العلمية المطلقة المعقولة للمشاهدات السابقة

فاذا تقرر وثبت بالدليل ان أعضاءنا الادراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود، وانها تعطينا شعورات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا (لاتنس حركات الارض ونقل الهواء والاشعاعات والكهرباء والمغناطيس) الخ . فلسنا نكون على شيء من التثبت ان فكرنا ان ما نراه هو كل الحقيقة ، بل نحن مضطرون للتسليم بضد ذلك قلنا ان كائنات حية يجوز ان تكون موجودة حولنا . فمن الذي كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها . فهامي تتكاثر حولنا بالمليارات ، والدور الذي تلعبه في حياة جميع الاجسام من الخطورة يمكن

فالمظاهر لا تكشف لنا الواقع . ولا يوجد الحقيقة واحدة نستطيع تقديرها مباشرة هي فكرنا . والمرجود الذي لا يمكن النزاع فيه في الانسان هو عقله . هذه هي النتيجة التي تأديت اليها في مؤلفاتي السابقة ، وقد أعددت هذا المؤلف للتدليل عليها بوضوح أوفي

فليمف قرائي عما ارتكبته من اعادة ماسبق لي نشره في كتابي « لومين » سنة ١٨٩٧ وفي كتابي القوي الطبيعية المجهولة سنة ١٩٠٧ ولكن هذه المعلومات مما يجب دوام التذكير بها

وهنرى بوانكاريه الذى تكلمنا عنه آنفاً على كونه مثلياً لاروخانيا (مثلياً أي مشابهاً لمذهب المثل الاعلى) ورغماً عما ظهر من الشكوك في حديثه قد نشر الصفحة الآتية بمناسبة السنين الاخيرة لحياة عالم فرنسى وهو « بوتليه » الاستاذ بمدرسة الهندسة قال :

« لقد كان المرض الذى قتله طويل الأمد وقاسياً . فقد أمضى اثنتى عشرة سنة ملقى على سريره أو على كرسيه محروماً من الانتفاع بأعضائه ، وفريسة للألم في

غالب أوقاته . وقد كان ديبب المرض فيه بطيئاً ومستمرّاً ، وكانت نوبه تزداد عدداً سنة فسنة . حتي آل جسمه الى الاضمحلال ، وكان الناظر اليه وهو في سريره الذي لا يستطيع من ايئلته لا يري منه غير عينيّن . وقد كانت روحه أقوى من السلطات الاعمي لمرضه القاسي ، فلم يستخذله ولم يذل أمامه . وكان يأمر بحمله الى مدرسة الهندسة أو الي مدرسة المعادن . فكان مستمرّاً على الاهتمام بما كان يحبه في زمنه الماضي في الأوقات التي كانت تتركه فيها آلامه . وكان عقله في هذا الجسم الذي يزداد كل يوم نحولاً قد اتقى كما كان مضيقاً متألقاً . وقد كان مثله في ذلك كمثل حصن تنهار جوانبه قطعة قطعة بتأثير قذائف العدو ولكن حمية القائد الذي يدافع عنه لا تزال مخوفة . حتي انه قبل وفاته ببضعة أسابيع طالب الى كتب رياضية ليشرع في عمل بحث جديد عنده

«فمقدّرانا الي آخر يوم من أيامه ان الفكر أقوى من الموت» انتهى .
 كلا . ليس الذي كتب هذه الاسطر رجلاً ساذجاً ولكنه أستاذ في التشكك . فما أصدق ما قيل من أن الحقيقة تنسلط على العقول بقوتها الذاتية وتتأق غير خادمة في وسط الليل الحال بالنعجوم الزواهر
 وفوق هذا فان هنرى بوانكاريه هذا كان يؤكد لي بنفسه غالباً في أنشاء محادثاتنا الكثيرة التي قد تكون غالباً طويلة ، بأنه على شكه في صحة العالم الخارج عنا لا يصح الا بوجود العقل . وهذا منه تطرف فانه يوجد شيء خارجاً عن العقل . فلا نبالغن في شيء

وبعد كل هذا فاننا نتحقق من كل ما نشعر به في أنفسنا . ففي أثناء وضعي لهذا الكتاب وادراكي لرسمه وتوزيعي لأبوابه كنت أحس بتأكد وقوة ، وأنا منزّه عن التعصب لمذهب أو لعقيدة أيّا كانت ، احساساً مباشراً بأنّي أنا الذي يضع هذا الكتاب ، أي عقلي وليس جسمي ، وأنّي أنا أملك جسمي لا أنه يملكني . هذا الشعور بذاتنا هو شعور مباشر ، ومدر كائننا يمكن بل يجب ان تكون قائمة على شعورنا فانها أساس كل تعقّلنا

كيف يتجرأ المتجريء على الزعم بأن تحديد الكائن الانساني يمكن ان ينحصر في هذه الكلمات وهي انه « نسيج من اللحم محيط بهيكل من العظم » او في هذه الكلمات الاخرى وهي « انه تركيب من ذرات الاوكسجين والهيدروجين والازوت والكربون » او في هذه الكلمات ايضاً وهي : « ان الانسان هو ٦ كيلو غرامات من العظام و٥٠ من المواد الزلالية واللايفية و٥٠ من الماء » او في هذه الكلمات ايضاً وهي انه « رزمة من الاعصاب »

ولكن أفضل من هذا كله تحديد بونالد فقد قال : « الانسان عقل تخدعه أعضاؤه » ونحن نعلم هنا ان الانسان في أصله عقل سواء أعلم ذلك أم جهله . أما يحمل كل منا في نفسه عاطفة العدل ؟

والطفل الذي يعاقب بعدل أما يشعر بأنه قد استحق العقوبة ، والذي يعاقب بظلم أما يشور على المظلمة ؟ فنأين يأتي هذا الشعور الادبي ؟ ان أسلاف الانسان هي الحيوانات من لدن العهود الجيولوجية الثالثة والثانية والاولى ، تطورت يسيراً يسيراً فارتقت من درجة الزواحف الى درجة القرود . فليس منها هو الذي أوجد الشعور الادبي ، وبخاصة هذا الشعور بالعدل الفطري في قلب الطفل . يمكن أن يدعي مدع بأن هذا الشعور أتى من أسلافنا ثم من التربية . ولكن من أين أتت هذه التربية ؟ أنت من عالم العقل ، ولا يوجد قياس مشترك بين هذا العالم العتلي الروحاني الأدبي وبين الظواهر الطبيعية الكيماوية للمادة الخمية

الارادة كما لا يخفى قوة من رتبة القوة العقلية . فلنضرب عنها مثلاً واحداً من الف : أراد نابليون أن يفتح الارض كلها وضحي كل شيء في هذا المطمع . فامتحن أعماله كلها حتي أصغر عمل منها من أول وقعة مصر الي معركة وازلو ، تجد انه لا الفيزيولوجيا ولا الكيمياء ولا علم الطبيعة ولا الميكانيكا لا نستطيع أن نعلل قيام شخصيته ، ولا استمرار أفكاره ، ولا نباته ، ولا اصراره . فهل كانت هذه كلها ذبذبات مخية ؟ ليس هذا التعامل بكاف . ولا بد من أن يكون في أعماق المخ كائن مفكر ليس هذا المخ الآلة له . فلنستعين العين هي التي ترى ، ولا المخ هو الذي يفكر

ودراسة كوكب من الكواكب بالتلسكوب لا يمكن أن تهزى لا الى الآلة ولا الى العين ولا الى المخ ولكن الى عقل الفلكي الذي يبحث ويجد الارادة الانسانية وحدها تكفي لاثبات وجود العالم الروحاني، العالم المفكر، مخالفاً للعالم المادي المنظور الملموس .
وان تأثير الارادة ليظهر في كل شيء . ويمكن أن نلاحظ ذلك بغاية السهولة فيما يلي :

أنا الآن جالس علي كرسي ويدي موضوعتان علي ركبتي . فقد ألعب بأصابع يدي اليسري فأرفع واحداً بعد آخر بيدي اليمنى ، فتسقط بعد رفعها ، ولكني لو أردت أن لا تسقط بقيت مرتفعة

فما هو ذلك الشيء الذي يؤثر علي عضلاتها ؟ الجواب هين ، هو ارادتي . فتوجد اذن قوة عقلية تؤثر علي المادة . وهذه القوة متعلقة بمخي ، هذا مما لا مشاحة فيه . ولكن هذه الارادة آخر ما يقال عنها انها « فكرة » ، وهذه الفكرة تؤثر علي المادة . وبمبها الاول ليس في المخ لان ذبذباته ليست الا معلولات لاعلا

فلننظر الآن من الانسان الى قوته المنكرة علي الخصوص . فانها الدليل المستمر علي وجود الروح . فاذا تأملنا تأملاً أو قلنا في أنفسنا (أنا أفكر) أو (أنا أريد) ، وإذا حاولنا حل مسألة أو اذا استخدمنا قوتنا في التجريد والتعميم ، فاننا بهذه الاعمال كلها نثبت فينا وجود الروح

فالفكر هو أثمن ما يملكه الانسان وهو أشد الاشياء تميزاً بشخصيته وأكثرها استقلالاً عن غيره ، فحرية لا يمكن العدوان عليها فانك تستطيع أن تعذب الجسد وأن تحبسها وأن تقتاده بالقوة المادية ، ولكنك لا تستطيع أن تعمل شيئاً ضد القوة الفكرية . فكل ما تعمله أو تقوله لا يؤثر عليها . فهي تهزأ بكل شيء ، وتحتقر كل شيء . فاذا لعبت دوراً هزلياً ، أو حملها الفاق العلمي أو الديني علي الكذب ، أو البسها الطمع السياسي أو التجاري وجهاً مستعاراً خداعاً بقيت هي علي ما كانت عليه في جانب كل شيء

و ضد كل شئ ملمة بما تريد . أليس هذا كله شهادة و آهية على وجود الكائن النفساني مستقلا عن المخ ؟

فليست المادة ، وليست مجموعة الذرات هي التي تفكر . والقول بأن المخ يحس ويفكر ، يعتبر من هذيان الطفولة ودرجة الاضحاك بمنزلة نسبة تعميم الآراء المحوية في رسالة تلغرافية الى الاعمدة المولدة للكهربائية من الآله الموضوعه لذلك

فالعقل والفكر والاتجاه النفسي ليس من المادة ولا من القوة في شئ . فالكرة الارضية التي تدور حول الشمس ، والحجر الذي يسقط ، والماء الذي يجري ، والحرارة التي تمتد او تقصر المسافات بين ذرات الاجسام ، هذه كلها تمثل لنا المادة من جهة اخرى ، ولكن التفكير والتعقل والاتجاه وراء مقصد معين فهي شئ آخر ، وفيها دلالة على وجود اصل يخالف لغيره كل المخالفة

لم ينس احد تلك الايات المقررة لفرجيل في اغنيته السادسة من قصيدته (الانبيد) :

« كل ما يوجد في الكون مبثوث فيه اصل واحد هي الروح الخفية للمادة وذلك بامتزاجها بهذا الجسم العالمي الكبير »

لقد اعراب الشاعر عن الحقيقة . فان الكون مقود بالروح واذا درسنا هذه الروح في الانسان تبين لنا انها ليست القوة الطبيعية ولا المادة بل هي التي تستخدمها وتسيطر عليها بارادتها

البراهين على وجود الشخصية الانسانية لا يحصى لها عدد ، ونحتاج في سرد هالي كتاب خاص . وقد قدرها قدرها كل منا مرات عديدة

هذه البراهين ماثلة امام اعيننا كل يوم . فاحتمار الشدائد والقدرة على التخلص من انياب الحاجة ، والاخلاص للأغراض الشريفة ، وتضحية الحياة في سبيل سلامة الوطن ، و ارادة التغلب والقهر ، والتجرد للدعوة العلمية او الدينية ، وتحمل آلام التعذيب انصرة ما يعتقده الانسان حقاً ، أليس هذه الصفات كلها ظواهر لوجود الروح ؟ فكيف

يعتقل ان تولد مفزرات مخية مادية شبيهة بما يزعمون مفزرات الكلي والكد شخصيات عقلية علي مآرى ؟

وقد أقام منذ زمان طويل (سنة ١٨٦٨) عالم مشهور عرفته في ذلك الوقت اسمه المسيو (رامون دولاساغا) العضو بالجميع العلمي برهاناً جديداً علي وجود الروح تحت عنوان «صحة وجود الروح بدرس تأثير الكلوروفورم والكورار على البنية الحيوانية» وقد توفي هذا العالم في سنة ١٨٧١ في جزيرة كوبا قال العالم المذكور :

« ان استنشاق أبخرة الاثير او الكلوروفورم يبطل الحس العام بحيث يمكن ان تخضع الاشخاص الذين يقعون في تلك الحالة الفيزيولوجية العجيبة لتحمل الاعمال الجراحية الخطيرة دون ان يشعروا بها . والاشخاص الواقعون تحت تأثير الاثير او الكلوروفورم لا تقتصر حالتهم على عدم الشعور بألم ، فيما تمزق الآلات أنسجة اجسادهم وتقطعها ونعذبها ، ولا على بقائهم غير شاعرين بجراحهم وقروحهم التي لو حدثت لهم وهم في حالة يقظة لملتهم على الصياح من الألم والدعر ، بل يحدث غالباً أنهم يتأثرون بشعورات لطيفة ولذيذة بأرواحهم وهم في هذه الحالة من النوم العميق »

رامون دولاساغا قدم هذه الظاهرة معتبراً اياها دليلاً علمياً على وجود الروح ، لانه يتضح منها ان الروح والجسم ليسا شيئاً واحداً . وقد رأينا ان الروح تستمر على التفكير بينما الجسم تحت تأثير الاثير او الكلوروفورم خاضع للفعل الآلات الحديدية . فهذان العنصران من المجموع الانساني قد ظهرا هنا منفصلين بفعل العامل المبطل للحس .

وقد دهش هذا العالم الاسباني مما حدث لامرأته وهي تحت تأثير الكلوروفورم لانها حفظت فكرها سليماً وقت ما كانت متخدره وأثبتت له أن عقلها لم يصب بأقل تأثر في ذلك الحين . فكانت تتكلم بهدوء وسكينة مع الجراح بينما كان يشق لحمها واعصابها بمشرطه . وقالت لزوجها ان افكارها وهي في تلك الحالة كانت لذيدة

ولنتذكر أيضاً ان الالم امكن حذفه في الاعمال الجراحية بالنوم المغناطيسي في
جامعة نانسي (فرنسا)

فالتميز بين الروح والجسم بل تفصلهما قد شوهد في أحوال غير هذه كثيرة ،
فشوهد في حالة النوم المغناطيسي وحالة الانتقال النومي ، وانقسام الشخصية الخ ما جعل
الافتراضات الفيزيولوجية التي تخيلت لتفسير هذه الظواهر الدالة على الشخصية النفسية
المستقلة عن الجسم ، كلها غير كافية في التعليل . فمعلوماتنا الراهنة عن الحياة والفكر علي
وشك الانهيار والزوال

كل شيء يثبت لنا ان الروح الانسانية جوهر متميز عن الجسم . فالروح رغمان
مؤداها اللاعوي ليست نفساً بل هي انية عقلية . فما أكثر الكلمات التي تغيرت مدلولاتها ،
ومن أمثلة ذلك كلمة الكهرباء المشتقة من كلمة كهرمان

أما نحن فنؤسس هنا وجود شخصية الروح مع خصائصها التي تظهر للطبيعة ،
وليس بينها وبين خصائص المادة أية صلة

من السذاجة ان يتوهم الانسان انه يستطيع أن يصل الى درجة اليقين التام في
أي مجال من مجالات العرفان . فلسنا علي يقين من شيء . لان حواسنا وأسايب
ملاحظاتنا وادراكنا ليست كافية لكشف الحقيقة المطلقة . وليس أمام العلم العريق في
تحرى الاسلوب الحسي الا مرجحات قد تكون ذات قيمة عالية حتي تساوي ما يسمى
في اللغة المتفق عليها باليقين . فعلم الهندسة نفسه يقوم على أحد المسلمات ، ولا يوجد
شيء يثبت لنا انه لا يوجد غير ثلاثة ابعاد في الفضاء . والقول في علم الحساب بأن اثنين
واثنين تساوي اربعة لا يعني شيئاً كبيراً اللهم الا اصطلاحاً كلامياً أو تعبيراً عن عمل
اضافي . ومع هذا فان العلوم الرياضية تمثل لدينا المعارف اليقينية . ولكن يتعذر الوصول
الى هذا الحد في علم النفس

كل المعارف النفسية المذهبية وجميع المباحث الرسمية المدرسية فيها يعوزها التكيل
بل التغيير والتنقيح

وبما ان الخصائص الطبيعية للنفس والادراك والعقل والارادة التي هي مرمي

التعاليم المدرسية الرسمية، والتي مظاهرها عادية ومستمرة، لم تثبت استقلال الروح عن المنح انبثا لا يمكن النزاع فيه، ولم تحصل لنا اليقين عن البقاء بعد الموت، رأينا أن ننظر الى هذه المسئلة من وجهة جديدة، وأن نذهب الى مدى أبعد مما وقف البحث عنده الى اليوم

فالانسان قبل كل شيء كائن مفكر، فالفكر أمر عملي محقق. أفلا يمكننا بجانب هذا الامر العملي الاولي ان نبحث فيما اذا كانت بعض الخصائص الروحية المجبولة أو التي لم تدرس الا قليلا، تستطيع أن تؤتينا بموضوعات جديدة للبحث يساعدنا تحليلها الدقيق على تمزيق غشاوات من جهالة طال عليها الأمد، وعلى انارة مسألة تركينا النفساني وزيادة معارفنا المحدودة، وتأسيس علم روحاني يمكن قبوله يكون محققا لأمانينا بعد كل هذه المجادلات العقيمة في موضوع واحد، وبعد هذه التمهيدات العديمة الجدوي التي لا تخرج عن دائرة محدودة؟

لقد رأينا من الاعتبارات السابقة في الفصل السالف ترجيح الوجود المستقل للروح بشهادة الفيزيولوجيا نفسها. فنستطيع الآن ان نذهب الى مدى أبعد من هذا وان نزيد هذا الوجود المستقل للروح، بمظاهر خصائصها التي لا يمكن ان تعزى الى الخواص المادية للمخ، ولا الى تركيبات عضوية أو كيمياوية أو ميكانيكية او صفات ذاتية...

فشعور الانسان مقدما بما سيقع، مما سيطلع عليه قرائي هناء من الامور الجديرة بالنفات خاص. فأدعو أشدهم عناداً ان يمحضوه ويقلبوه على كل وجه..

مثل ذلك مارويناه في محل آخر من ان (ديالونييه) مدير مرصد باريس كان يشعر في نفسه ان ركوب البحر سيجر عليه مصيبته، وكان يرفض ان يمتطي صهوته لهذا السبب، حتي حضر اليه أحد أقربائه وهو المسيو (ميتو) في اغسطس سنة ١٨٧٢ ورجاه ان يمضي معه اسبوعا من الرياضة. فقصد شيربورغ ففرقا الاثنان معا وهما عائدان من زيارة مرفئها بتأثير ربح شديدة

فالشعور بالحوادث المستقبلية والاذنارات النفسية التي من هذا القبيل هي من

الكثرة بحيث تخرج عن حد الامور الاتفاقية ، ولا يدهشنا أن يهتم الباحثون بالتعقيب عن ألتها، فأنها جزء من الحوادث الواجب دراستها . فقد تكون حادثة واحدة يمكن تفسيرها بالاتفاق المحض ، ولكن تفسير عشرة حوادث او عشرين او مئة او الف بالاتفاق فذلك مما لا سبيل اليه

وقد كتب الدكتور (مينوسافاج) في مجلة (اينسليز مجازين) الامريكية في مارس سنة ١٨٩٢ ما يأتي :

« كان في احدى ضواحي نيويورك شاب أنم دروسه في البلاد الاجنبية بجامعة (هيدلبرج) ، وكان أبعد ما يكون عن المزاج التصوري الوهمي . وكان لطول قامته وقوة عضلاته اشتهر بين قومه بالمصارع ، وكانت العلوم التي آثرها على سواها هي الرياضيات والطبيعات والكهربائية . ولما عاد من البلاد الاجنبية لم يعرف عن صحته الا انها جيدة للغاية . وكان يقيم مع أمه في دار خلوية تملكها في تلك الانحاء . وكان من عاداته ان يذهب كل يوم بعد العشاء فيتمشي خطوات وهو يدخن في (بيته) ، ففي ذات ليلة عاد الى بيته هادئاً لم يكلم أحداً ودخل مخدعه . فلما أسفر الصباح دخل الى حجرة والدته قبل أن تستيق من نومها ومسح وجهها بيده بقصد ايقاظها بتلطط ثم قال لها :

« يا أماه ، سأخبرك بشيء غريب محزن جداً فيجب أن تدرعي بالشجاعة لتكوني قوية وتمحملي سماعه

« فدهشت والدته مما سمعت وسألته عما يقصده من قوله هذا

« فأجابها بقوله : يا أماه اني عالم بما اقول ، اني سأموت قريباً

« فألم بالام من الكرب والاضطراب كما يعرف من كل ام في مثل هذه الحال وسألته ان يزيد لها بياناً

« فقال لها : بينما كنت أتمشي أمس مساء في الميدان ظهر لي روح ومشي بجانبني وأخبرني بأني سأموت فلا بد من اني سأموت

« فتأثرت الأم مما سمعت أشد تأثر واستدعت طبيباً وكاشفته بما سمعته من ابنها

« فقرر الطبيب بعد اطالة فحص الابن انه لم يجد عنده شيئاً غير طبيعي وهذا بال الام بقوله لها ان ماحدثك ابنك به لم يكن سوى حلم ردي، وهذيان محض، وانه لا يجوز لها أن تفكر فيه، وانه لا تمضي الا أيام معدودة حتي تضحك هي وولدها من خوفهما الوهمي

« فلما أصبح الولد في اليوم التالي شكاً بوعكة خفيفة فاستدعى الطبيب ثانية فهزى، بوسوستهما

« فاشتد المرض في اليوم الثالث على الشاب وأحضر الطبيب فرأى انها باحدث في الزائدة الدودية، فقرر ان تستأصل بعمل جراحي . فلم يعيش بعد العمل غير يومين اثنين ولم يمض بين مارآه وبين موته غير خمسة ايام » انتهى امثال هذه لروايات اعتاد الناس ان يعلوها بطيش بكامة (هذيان)، ويخيل اليهم أنهم يحلون المسألة بحذقها علي هذا النحو . وليس هذا من الجلد في شيء،

فليس على هنا الا ان استمد من الاسانيد التي لا تحصى من بحثي الذي عميته لا زيد على ما قدمت اسانيد جديدة مختلفات الطبيعة، وللدلالة بذلك علي سعة المجال المجهول الذي علينا اكتشافه . وقد وقعت الآن يدي على الكتاب لا تى وهو يخالف الكتاب السالف ولا يقل عنه في الغرابة . وقد ارسل الي من الاستانة في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٠٠ فاليلك :

سيدي الاستاذ

« في سبيل البحث العلمي التجريبي الذي تبذلون فيه باخلاص عظيم ساعات كثيرة من وقتكم بقصد اتمام العلم العام، اري من واجبي ان افضى اليكم بحادثتين شاهدتهما بنفسى

« قابانى في بيتي رجل من معارفى ذات يوم بالآستانة نحو منتصف الساعة الثانية عشرية صباحاً وقال لي :

«لأدرى لماذا أنا منذ صباح هذا اليوم مشغول الفكر بأن عمتي قد توفيت في مدينة (جنوا) . فسألته عما اذا كان يعلم ان عمته مريضة ؟ فأجاني انه مغاضب لأسرته منذ عشر سنين ولم يصله منها أقل خبر. وبينما نحن نتحدث وأنا مجتهد في أن أثبت له ان شعوبه هذا وهمي ، اذ أقبل خادمه حاملا اليه تلغرافا من مدينة (جنوا) وفيه ان عمته توفيت فجأة في تلك الصبيحة عينها

» وهذا الرجل نفسه هب من نومه فجأة في ليلة ٣١ يوليو الماضي وقال لزوجته بأن ملك ايطاليا قد قتل . فلم تعارضه زوجته اعتقاداً منها أنه يحلم. فلما أصبحت أخبرته بما رآه في الحلم . فقال لها ان ذلك لم يكن حلاً ولكن تلك العبارة خرجت من فمي وأنا لم أعلم لماذا ولا كيف خرجت

» وكان بيتها مطالاً على الميناء فقال لزوجته ان أدل دليل على ان ملك ايطاليا لم يمت هو ان السفن الراسية رافعة أعلامها

» وبعد مضي ساعة عاد الى النافذة فرأى في هذه المرة ان تلك السفن قد خفضت راياتها الى انصاف سواربها (علامة الحزن) . فدهش من هذا التغيير فأسرع الى الاستعلام فقبل له ان ملك ايطاليا (والد الملك الحالي) قد قتل غيلة في الليل

» خاف صاحبي من هذا التوافق العجيب فجاء يستشيرني باعتباري طبيباً للأمراض العقلية، وبسألني عما اذا كان ما حدث له يدل على عرض خطير لأمهارة مخفية. فبدأت به بالتي دونت هذه الحالة لاسيما وصاحبنا كما قلت عنه انه رزين للغاية وجدير بالثقة من كل وجه

» فأرجوكم وأنا في انتظار جوابكم أن تتفضلوا بالنعفو عن جرائي بالكتابة اليكم قبل أن أنشر بمعرفتكم شخصياً وتكرموا بقبول شكري واحترامي

الدكتور ل . موغيري

طبيب الامراض العقلية بالمستشفى الملكي

الايطالى بشارع كاريستان

رقم ٢٠ بالآستانه

لقد شكرت هذا الدكتور الكريم على كتابه هذا الذي ضمته الي أمثاله الكثيرة . فمن الجنون اعتبار كل هذا من الاوهام اذ يكون ذلك بمثابة انكار الشمس وقت الزوال . فالكائن الانساني لا يزال بالنسبة اليها سرّاً غامضاً ، وعلم المدارس قد ضلّ سبيل الرشاد الى الآن ، ولكن العلم الذي أخذ على نفسه البحث عن الحقيقة ، يجب بعد الآن أن يقتنع بأن هنالك خصائص للروح لا تزال مجهولة وهي أهم الاشياء التي يجب كشفها وتحديدتها وتفسيرها . . .

واليك حادثة هامة للغاية تدل على الشعور عن بعد بالحوادث، حصلت لامرأة عن زوجها ، وهي مستخرجة من مجموع (الفانتاسم اوف دى ليفنج) (١) وهذه الحادثة تتعلق بالدكتور (اوليفيه) الطبيب بمدينة هويلجوت « فيستر » :

« في ١٠ اكتوبر من سنة ١٨٨١ دعيت لأداء عيادة طبية في الريف على بعد ثلاثة فراسخ من دارى وكان ذلك في وسط ليل دامس . فسرت في طريق أجوف تحفه أشجار قد قامت على حفافيه وصارت عليه كالقبة . وكان الظلام شديداً الى حد اني لم أدر كيف أقود حصاني فتركت الحيوان يسير بفطرته، وكانت الساعة حينذاك تسعة . وكانت الطريق التي سلكتها يعلوها حجارة غليظة مستديرة مكوّنة لانحدار شديد . فكان الحصان ينحدر منها ببطء عظيم . فما راغني الا انثناء يدي الحصان ثم وقوعه فجأة ماداً فمه علي الارض ، واستلزم ذلك سقوطي من فوق رأسه ماساً الارض بكتفي فانكسرت احدى رقوتي »

« في هذه اللحظة كانت امرأتي تخلم ثيابها في الدار وتستعد لدخول السرير ، فشعرت بأني قد أصبت بأذي ، واعترتها عدة عصبية ، وأخذت تبكي، ثم استدعت الخادمة قائلة لها : أسرعى الى فاني خائفة ، فقد حدث لزوجي سوء ، فهو اما ميت او مجروح

(١) هذه مجموعة الحوادث الروحية التي حققها بنفسها جمعية المباحث النفسية المشكلة في لوندرة من جماعة من العلماء منذ سنة ١٨٨٢ ولا تزال موجودة الآن

« وابتث طول غيبيتي عنها ممسكة بالخدمة عندها ولم تقتر عن البكاء . وأرادت أن ترسل رجلا ليمحس عني ، ولكنها لم تدرك الي أي قرية قدمت . أما أنا فعدت الى دارى في الساعة الاولى بعد نصف الليل ، وناذيت على الخادمة لتؤتيني بمصباح وترفع السرج عن حصاني قائلا : اني قد جرححت ولا أستطيع أن أحرك كتي في »
« فتمحقق بذلك شعور امرأتى »

الدكتور اوليفيه

طبيب هوليجوت ، فينيستر

وقد كتب لي العلامة المدرس المسيو سافيللي من كوستا « جزيرة كورس » في سنة ١٩١٢ يقول :

« المشاهد ان هذه المسائل أصبحت في نظر القارئ في الدرجة العليا من الافادة واني متحقق بأنى أعبر لكم عن رأيهم في رجائي اياكم بمتابعة مباحثكم فيها »
« ان مسألة حقيقة الزمان صعبة الحل للغاية وقد أجاب أحد الرياضيين المشهورين باحثا سأله القول الفصل فيها بقوله « لنتمكلم في شيء آخر » ومع هذا فاني أرى من واجبي أن أرسل اليكم بمشاهدات توجب الحيرة الشديدة ولا يمكن ان يتسرب اليها الشك أصلا

« بينما كان أبي عائداً الى داره ذات ليلة يصحبه احد اصدقائه اذ طرق آذانهما صيحات أنزعاج منبعثة من نساء يبكين ويولولن ، فلم يشكوا في طرود نازلة عليهم ، وظننا ان أحداً قد قتل عندهن . فوقفا أمام الدار التي تنبعث منها هذه الصيحات ليستكشفنا جليلة الخبر ، فكان نصيبها ان انقطعت الاصوات فجأة فلم يهودا بسمهان شيئاً . فلما كانت الليلة التالية ، ومرابي اراء هذه الدار ، سمع مثل الصيحات التي سمعها في الليلة السابقة تماماً ولكنها في هذه الدفعة لم تكن وهمية . وعلم ان طفلا لم يكن به مرض في الليلة الغارطة اسيرب فجأة في اثناء النهار بالحناق ومات من ساعته بما يشبه موت المفجأة . حدثت هذه الحادثة في مدينة بارازو وهي مجاورة للمدينة التي أودى فيها وظيفتي التدريسية » انتهى

فالذي يجب علينا التسليم به بدون ان نتأثر بأدنى شك، هو ان علم المستقبل سيبحث في تحليل الخصائص الروحية المجهولة للآن لدى العلم المعصري، او التي لم تدرس الى اليوم الا دراسة ضئيلة جداً

والصنف الآتية ستزج بنا في معمعان هذه المباحث بادخالها ضمن هذه التقاسيم الضرورية وهي : الارادة المؤثرة ببعض التلقين العقلي. — والتأثر والتأثير عن بعد. — والانتقالات النفسية الى مدي بعيد. — والنظر بدون واسطة الاعين اذ بالروح. — ورؤية المستقبل

هذه الحوادث الحسية تثبت كلها الوجود الروحاني للنفس مستقلة عن الخصائص الطبيعية للحواس

فالروح والجسد هما شيان متميزان اكل منهما خصائص خاصة بها

الارادة تعمل بلا لفظ ولا اشارة وعن بعد

المانيتيسم والابنوتسم والتلقين العقلي والتلقين الذاتي

« العلم مكلف تحت سلطان القانون الخالد »

« للشرف ان يبحث كل مسألة تتقدم اليه بصراحة »

السير ولیم طومسون

من بين اعظم المظاهر الختلفة لشخصيتنا النفسية عمل الارادة الانسانية بدون الالفاظ او اية اشارة اخري وعلى بعد من صاحبها

مما لا مشاحة فيه ان الارادة خاصة غير مادية في اصلها ومتميزة عما يعرف علي وجه عام من خصائص المادة

فيمكنك ان تؤثر علي مخ انسان غيرك بتركيز عقلك فيه . فتستطيع وانت في تياترو او كنيسة وعلى بعد عدة امتار خلف انسان ان تجبره علي ان يلتفت اليك بدون

ان يتخيل انك تؤثر عليه وبدون ان يعلم بوجودك ، وليست تجربة هذا الامر بالامر النادر ، وانه باسقاط الاحوال التي يمكن ان تحدث اتفاقا يبقى عدد كبير من احوال محققة لاسبب لها الا تأثير الارادة . حتي ولو كان الامر يتعلق بشخص ليس بينك وبينه سابق معرفة

فاذا كان التأثير يقع على شخص معروف من المحرب فان عدد المشاهدات يزداد زيادة كبيرة . وهي تثبت تأثير الارادة عن بعد

يستطيع النقد المادى هنا ان يدعي بأن هذا الامر سببه عمل حاسة للمخ مجهولة وأن لادليل على ان عملها هذا ذو أصل روحاني . ولكن دحض هذه الشبهة ليس بالامر الصعب ، وذلك ان المخ عضو مادي ويمكن تشبيهه بالجهاز الكهربائي ، ولكن لا بد ان يكون خلف هذا الجهاز في اقصى جهات المخ شخصية روحية . فاتي اذا تكلمت فما ذلك الا لانى أفكر فى الكلام . فالكلام هو النتيجة وليس بالعلة . فتخيل وجود جهاز مخي ، متمتع بشخصية عقلية مسئولة ذات ارادة واهواء وتعتقل وتفكير ، فذلك يكون من باب الافتراض الذي يعوزه الدليل . أليس شعورنا الخاص يكفي فى ان يدلنا على الحق فى هذه المسألة ؟

فنحن باعمالنا حواسنا الخمسة ، البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، تتجه الحركات التذبذبية من العالم الخارجي الى المخ وتنتقل اليه بواسطة الاعصاب البصرية والسمعية والشمية واللمسية . ولكن فى تأثيرنا بارادتنا عن بعد ، أى فى نقل أفكارنا الى مسافة مناء ، تنعج الحركة التذبذبية بعكس الحالة الاولى ، أى من مخنا الى العالم الخارجي . فيجب أن يكون فى ابعاد غور من مخنا العلة المؤثرة فى احداثها وهو العقل

ولقد وضعت مؤلفات خاصة فى مسألة التلقين العقلى ، والامثلة التى تثبت صحته لاتدخل تحت حصر . وقد شاهدت انا نفسي منها عدة فى الايام السالفة من تجارب (شاركو) فى مستشفى (السالتييرير) والدكتور (لويس) فى مستشفى (لاشارتييه) . ولكن أغرب ما رأيته منها كانت تجارب (بيرجانيه) فى مدينة (الهافر) أجراها علي امرأة

قوية فلاحه، هي ربة أسرة وليست مصابة قط في أعصابها . فكانت تتلقى ما يوحىه اليها بعقله وهو بعيد عنها عدة كيلو مترات، فتطيعه بضبط مطلق وذلك بدون ان تعرف ما سيلقيه اليها مقدماً بأى وجه من الوجوه (١)

فهل الارادة تقتضي وجود شخصية نفسية ، اى ذات ، او عقل ، اود روح ؟ وهل هذا التعليل أكد من التعليل بالخصائص الطبيعية والكماوية المتعلقة بالمادة الحية ؟ وهل الذات الشاعرة بنفسها موجودة ؟ ان كيفية وضع هذه المسألة هو بمنزلة جعلها اننا سنرى في الحوادث المشاهدة بدقة تامة عن التلقين العقلي وعن الافكار التي تنقل من انسان لآخر بدون تلفظ ولا اشارة، بل بمحض الارادة تجلى الشخصية الانسانية بكل وضوح . وان التجارب المشهورة التي اجراها الدكتور (او كورويكز) ستمكن القراء من الحكم على علة هذه الظواهر بدون تحيز

فقد كان هذا الدكتور يعالج امرأة مصابة بهستيريا صرعية منمنة ، ثم تضاعفت بطرء نوب من الهم بالانتحار . كانت سن هذه السيدة ٢٧ سنة وكانت لقوة بنيتها يظهر عليها الصحة التي لاشائبة فيها . وكان يغلب على مزاجها النشاط والغبطة، مضافا اليهما احساس ادبي مفرط من جهة نفسية محضة، اى انه لم تكن له علامات ظاهرة، وكانت مع هذا محبة للصدق طيبة القلب للغاية وميالة للتضحية وذات عقل عال وعدة خصائص

(١) يمكن الاطلاع على تفصيلات هذه التجارب وتجارب كثيرة غيرها في كتاب الدكتور او كورويكز *Achorowicz* المسمي بالتلقين العقلي *De la suggestion Mentale* (باريز سنة ١٨٨٧) وكتاب (جول ليجوا) *Jule Liegeois* المسمي (التلقين والانتقال النومي) *De la suggestion et du somnambulisme* (باريز سنة ١٨٨٧) وكتاب بيرجانيه *Pierre janel* المسمي الحركة النفسية الذاتية *L'automatisme psychologique* (باريز سنة ١٩٠٣) وكتاب الدكتور جوار *Joire* المسمي التاريخ السنوي للعلوم النفسية *Annale des sciences psychiques*

اخرى، وحاسة الملاحظة فيها كانت جيدة . الا انها كانت تصاب بضعف الارادة والتردد المتعب، ثم يعقبه ثبات مفرط . وكان أقل شعور بتعب معنوي، وأي تأثير غير متظر قليل القيمة سواء كان ساراً أو محزناً ينعكس على الاعصاب الحركة يبطء وبدون ان تشعر به ، فيفضى الى نوبة او الى اغماء عصبي
قال الدكتور (او كورويكنز) فيما كتبه:

« حدث ذات يوم بل ذات ليلة بعد انتهاء النوبة (بمسا فيها دور الهذيان) ان المريضة نامت بهدوء ثم استيقظت فجأة فلما رأته انا وصديقتها بجانبها رجتنا ان نذهب حتي لا تعب انفسنا من اجلها بغير موجب ، وألحت في ذلك الحاحا حملنا على اطاعتها تفاديا من ان بسبب لها إناؤنا نوبة جديدة . فنزلت أنا السلام يبطء (وكانت تسكن الطبقة الثالثة من البيت) ووقفت اثناء النزول عدة مرات أسمع ما يأتي من قبلها وأنا متوقع حدوث حادث سي* (فقد كانت جرحت جزو حادثة قبل ايام) ، فلما انتهيت الى الحوش وقفت مرة اخرى متردداً بين الذهاب والبقاء . وبينما انا افكر في ذلك واذا بالنافذة قد انفتحت بضوضاء . فرميت بعصرى اليها واذا بجسم المريضة يميل الى الخارج بحركة مسرعة ، فأسرعت الى النقطة التي اتوقع سقوطها منها واخذت في تركيز ارادتي بقصد منعها من السقوط مدفوعا الي ذلك اندفاعا آلياً ، ولكن بدون ان اعلق عليه أية قيمة ، لانه عمل غير معقول ، وقد كان مثلي فيه كمثل لاعبي البلياردو الذين يحاولون ، وقد ادركوا انهم لم يصيبوا المرمي، ان يقفوا الكرة باشارات من ايديهم والمعاز من افواههم

« ومع هذا فان المريضة التي كانت قد تدلت وقفت فجأة ، ثم تقهقرت يبطء وبصدمات متوالية

« ثم كررت هذا العمل خمس مرات متوالية، فبدت على المريضة علامات الاعياء، فوافقت جامدة مستندة بظهرها على افريز النافذة التي كانت لانزال مفتوحة
« وكنت في اثناء هذه الاعمال بحيث لاتراني في الظلام لان الوقت كان ليلاً . وفي هذا الوقت كانت صاحبتي قد اسرعت اليها وقبضت علي ذراعيها . وقد سمعتهما

يتدافعان فأسرعت في الصعود لاساعدها، فوجدت المصابة في نوبة جنون، فلم تعرف نفسها وتصورتنا لهوصا . ولم استطع ان اجتذبها من ناحية النافذة الا بالضغط على القسم المبيضي من جسمها، فاضطرتها بذلك للوقوع على ركبتيها . فحاولت مراراً ان تعضني وما استطعت ان انقلها الي سريرها الا بعد جهد جهيد، وتمكنت اخيراً من انامتها

« فلما انتقلت الى دور النوم المغناطيسي كان اول مافاهت به هاتان الكلمتان :
« شكرأوعفوأ

« ثم حدثتني بأنها كانت قد صممت على القاء نفسها من النافذة ولكنها كانت تحس في كل دفعة انها كانت تتمتع بقوة من جهة الدور الاسفل
« فقلت لها : كيف كان ذلك ؟

« فقالت : لا ادري

« فقلت لها : أكنت تتخيلين وجودي هناك ؟

« فقالت : لا . وانى ما اردت ان انفذ ارادتي الالاعتمادى بذهابك . ومع هذا فقد كان يخيل لى من وقت لآخر بأنك كنت الى جانبي او خلفي وانك لم ترد ان اقم »

اليك تجربة المؤلف المذكور (يريد الدكتور او كورويكز) قال :

« اعتدت ان انيم هذه المريضة كل يومين مرة، وان ادعها في نوم عميق مدة كتابة مذكراتى عنها . وقد تأكدت من تجارب شهرين عليها بأنها لا تبسدي حراكا وهي في تلك الحالة الا اذا اقتربت منها لأنقلها الي حالة الانتقال النومي . ولكنى في هذه التجربة التي اذكرها بعد ان كتبت بعض المذكرات ودون ان اغير جلستى (وكنت على عدة امتار منها خارجا عن مرعي بصرها واضعاً كرامتي على ركبتي ومسددا رأسي على يدي اليسرى) تظاهرت بأني لا ازال اكتب بحمل القلم على الصريء، الا اني باطنيا ركزت ارادتي على امر اصدرة اليها وهو :

(٢) ان ترفع يدها اليمنى

«ثم راقبت حركات المريضة من خلال اصابع يدي اليسرى المستندة على جبهتي
فرايت انه:

«في الدقيقة الاولى : لم يحدث شيء

«في الدقيقة الثانية : اضطراب في اليد اليمنى

«في الدقيقة الثالثة : زيادة الاضطراب ، ثم قطبت المريضة حاجبيها ورفعت
يدها اليمنى

واني اعترف بأن هذه التجربة اثرت في ما لم تؤثره اية تجربة اخري فأعدتها
كما يلي :

« (٢) امرتها عقليا ان تقوم وان تأتي الى

« فقطبت حاجبيها وتحركت ، ثم قامت ببطء وصعوبة واقبلت الى يدها ممدودة

« (٣) امرتها عقليا ان تسحب سوارها من معصمها الايسر وان تعطينيه

« فلم يحدث شيء

« ثم مدت يدها اليسرى وقامت متجهة نحو المدموازبل X ثم نحو البيانو

« فلمست ذراعها الايمن وارجحح اتي دفعت به الى سوب ذراعها الايسر مركزا

ارادتي على الامر الذي اصدرته اليها

« فسحبت سوارها وظهر عليها انها تفكر ثم ناولتني

« (٤) امرتها عقليا أن تقوم وان تقرب الكرسي الكبير من الخوان وأن

تجلس بجانبنا

« فقطبت حاجبيها ثم قامت ومشيت نحوى . ثم أخذت تبحث ولمست كرسي

البيانو ، ونفلت كوبة الشاي من مكانها . ثم تقهقرت وأخذت الكرسي الكبير ودفعتها

الى الخوان باسمة بسمية ارتياح وجاست عليه ساقطة من الاعياء »

قال العلامة كاميل فلاميرون عقب نقله هذه التجارب :

كل هذه الاوامر اصدرت عقليا بدون اشارات ولا النطق بكلمة واحدة

وفي كتاب (او كورويكنز) احدي وأربعون تجربة من هذا النوع

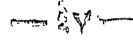
ويعرف قرأني مانشرته من امثال هذه التجارب في كتابي (المجهول) في باب التأثير النفساني من روح علي روح آخري ، وخاصة في صفحتي ٢٩٦ و ٣١٦
فالتجربة الحاسمة التي شوهدت عن تأثير الارادة وعن التلقين العقلي لا يمكن ان تعزى الى المادة الجسدية ، ولا الى التفاعلات الكيميائية ، ولا الى الحركات الميكانيكية . بل ان سببها فكرة ، أى سبب عقلي أو أصل روحاني يؤثر بحالة لا تزال محيولة ، ولكن التلغراف والتلفون اللاسلكيين يعطياننا عنها صورة يمكن البحث في تفسيرها

هذه المشاهدات من التلقين العقلي قد درست منذ زمان طويل من عهد (مسمر) ومن قبله بواسطة (فان هيلمنت) *Van Helment*
فاليك تجربة مشهورة من تجارب كثيرة أوردتها شاهد نزيه وهو العالم (سيفرت) *Seifert* الذي كان يعتبر (مسمر) في أول أمره مشعوذاً ثم انتهى به الحال الى قبول نظريته تحت تأثير هذه المشاهدات

أجريت هذه التجربة في هنكلريا سنة (١٧٧٥) في قصر قديم للبارون (هورتسكي دوهوركا) حيث كان (مسمر) يعالج البارون بالتنويم المغناطيسي ويعالج في الوقت ذاته مرضى كثيرين كانوا يحضرون لاستشارته . فكان العالم (سيفرت) المذكور يعتبر هذه الامور كلها من الهذيان

حضرت الجرائد ذات يوم وكان في واحدة منها ذكر حادثة تمت علي يد (مسمر) مؤداها انه أحدث ارتجافات في بعض المصابين بالصرع ، وهو مختبي في غرفة مجاورة ، بمحض اشارة بأصبعه وجهها الى المرضى . فشخص سيفرت الى القصر والجريدة في يده فوجد مسمر فيه محاطا برجال من الاشراف . فسأله عما اذا كان ما ذكرته عنه تلك الجريدة صحيحة ؟ فأجابه مسمر بالايجاب . فتعيرط سيفرت وطلب اليه دليلا تجريبييا عن تأثيره من خلال الحائط

فوقف (مسمر) عند ذلك علي بعد عدة خطوات من الحائط ووقف العالم سيفرت



يراقب على الباب وهو مفتوح قليلاً بحيث يرى (مسمر) والشخص الذي يحاول التأثير فيه

فأحدث (مسمر) أولاً حركات مستقيمة بسبابة يده اليسرى في الجهة المفترض وجود المريض بها وراء الحائط، فابتدأ هذا يشكو، ومس أضلاعه وظهر عليه التألم فسأله (سيفرت) قائلاً: ماذا أصابك. فأجابه أشعر بأني غير مرتاح فلما لم يقنع (سيفرت) بهذا الخطاب طلب إليه أن يصف ما يشعر به بدقة. فأجابه المنوم بأني أحس كأن كل شيء يمد في باطني يميناً ويساراً ولاجل أن لا يكثر عليه من المسائل طلب إليه أن يعلن عن التغيرات التي يشعر بها في جسمه بدون أن يلقى عليه سؤال

وبعد دقائق أخذ (مسمر) يحدث بأصبعه حركات بيضوية الشكل. فقال المريض من وراء الحائط: «الآن أشعر أن كل شيء يدور حولي على هيئة دائرة» ولما قطع (مسمر) العمل أعلن المريض بأنه صار لا يشعر بشيء. وهلم جرا. فحلت كل هذه التهميمات من المريض مطابقة لأوقات أحداث التأثيرات وأوقات قطعها بل وجاءت مطابقة طبيعة الشعور الذي أراد (مسمر) إحداثه على المنوم «١»



وقد رأيت صدق المأسوف عليه الكولونيل دوروشاس *De Rochas* يحدث هذه التجارب في مدرسة الهندسة بباريز (وكان ناظرها) وكذلك رأيت الدكتور (بارتي) *Barely* يعملها في مدينة نيس، ومجربين آخرين. فالتأثير بالارادة عن بعد ليس بالامر المشكوك فيه كما يعلم الذين درسوا هذا الموضوع اما (فان هيلمنت) الذي كان طبيباً كبيراً ومفكراً عظيماً في القرن السابع عشر

«١» من كتاب الدكتور كرنر *Kerner* المسمى (فرنزانتون مسمر) المطبوع سنة ١٨٥٦ وقد نقله عنه الدكتور (أورويكنز) في كتابه التقنين العقلي

De la Suggestion Mentale

فانه وضع هذه المسئلة قبل (مسمر) وجاء حكمه فيها صريحا جداً . فقد كان يعتقد ان كل انسان صالح لأن يؤثر في أمثاله عن بعد، ولكن هذه القوة تظل فيه علي وجه عام كامنة ومختنقة بغلبة سلطان الجسد . فلجل ان ينجح الانسان في ابرازها يحتاج لوجود تطابق بين المجرب والوسيط . ويجب ان يكون هذا الاخير شديداً الحس ومتحرناً علي ان يحس تفاديا من أن تقوم شدة حسه تحت تأثير تصوره الباطني بما اقضته التأثير الواقع عليه من المجرب . أما أخص جهة يبتدىء فيها الشعور بهذا التأثير السحري هو فم المعدة، لان الحس الانساني في هذه الجهة أدق منه في الاصابع بل وفي الاعين . وقد يتفق ان الوسيط لا يتحمل أن تلمس منه تلك الجهة باليد

وقد كتب الدكتور المذكور في كتابه يقول :

« لقد أرجأت أن أكشف القناع عن هذا السر الكبير وهو ان في الانسان قوة تستطيع بمحض ارادته وخياله أن تؤثر فيما هو خارجي عنه وأن تطبع أثرها الثابت علي شئ بعيد عنه جداً . وان هذا السر ليفسر تفسيراً واضحاً كعدة حوادث يصعب فهمها تتعلق بالمغناطيسية الموجودة في جميع الاجسام ، وبالقوة المعنوية للانسان وتسخيرها للكون « ٢ »



عاش الدكتور (فان هلمونت) من سنة ١٥٧٧ الى سنة ١٦٤٤ . وفتح الآن كتاب (كيرخر) Kircher المسمى *Magnes, sive de arte magnetice* المطبوع في روما سنة ١٦٤١ في فصل المغناطيس الحيواني فتجد فيه أمثلة علي (الجذب والدفع) وعلي (الخاصة المغناطيسية للاعضاء الانسانية) وعلي تطبيق (المغناطيس التصويري) علي الطب وعلي (المغناطيسية الموسيقية)

« ٢ » من كتاب فان هلمونت *Opera omnia* المسمى *Van Helmont* المطبوع في فرانكفورت سنة ١٨٦٢ نقلها الدكتور او كورويكز في صفحة ٤٠٥ من كتابه التلقين العقلي

فليست هذه الشؤون النفسية من الحوادث العصرية ، بل هي تعود الى عهد عيسى
وفيثاغورس والى عهود أبعد من ذلك ايضاً
ولكن ماهو التلقين الذاتي ؟

يقول المعطسون ان الارادة تركز سيالها ثم تقذف به الي الخارج في وجهة
تقريبية كأنه لغافة أفيون . ولهذا السبيل من الادراك والظرف ما يحمله على الاسراع
وعلي وجدان طريقه فيدور على الجدران ويصيب الشخص الموجه اليه فيغير عليه . وعند
ما يستولي عليه الى الحد المناسب ، يحصل النوم عن بعد أو عن قرب علي حد سواء . هذا
واضح ، واضح كالتعليل القديم لفعل الأفيون ، وهو انه منوم « لأنه يملك خاصية
منومة » على ما قاله مولير

ولكن « يجب أولاً كما يقول او كودويكنز اثبات ان ذلك السبيل موجود ، ثم
اثبات أنه مما يمكن قذفه ، ثم اثبات انه يهتدي الطريق ، ثم اثبات انه يقف عند ما
يصل الى المجموع العصبي للشخص المراد » ولكن يظهر ان من التبصر أن نضع بعبارة
(القوة النفسية) التي اقترحتها قبل سنة ١٨٦٥

فالتأثير النفساني من روح على روح أخرى أصبح من الامور التي لا يشك فيها
مهما كان شكل انتقاله اليها
فهل أفكارنا تجول ؟ نعم انها تنتقل على حالة تموجات في الاثير . وانا لنعلم
قبل الآن ان الافكار تبعث بمتعلقاتها من الحركة الي كل مكان ، أريد بكل مكان ،
نقطة بروز تلك الفكرة

والذي ينتقل ليس بمادة ، وانا هي موجة تأخذ في الاتساع . وتأثيرها عام ،
ولكنها تمر غير محسوس بها حتي تجد بيئة مشابهة ، وتصادف جميع الشروط متوافرة ،
فتمحدث فيها حالة خاصة غير دائمة . فاذا خرجت الموجة من الارادة (ا) ، وكان
المخ (ب) يجمع هذه الشروط ، فان الفكرة التي بعثها تعمل فيه ، فينام اذا كان ممغطسه
يريد منه ذلك

ثم قال العلامة كاميل فلاماريون :

ان تأثير الروح على المادة، وهو الامر الذي درس من زمان بعيد، لا يظهر أكثر وضوحا الا في الحوادث الناتجة بواسطة التلقين الذاتي في بعض اضطرابات الدورة الدموية، مثل احمرار بعض أجزاء الجسد والاحتقان الجلدي والنفاسات والانزفة والخدوش الدامية . أما كون الروح متميزة عن الجسم، وانها هي المسيطرة عليه، وان العقل يؤثر في المادة، وان الفكر معها كان لطيفا يحدث آثاراً مادية، وان التصور العقلي يكنى في بعض الاحوال لايجاد أعضاء أو لافساد أعضاء، كل هذا أظهر صحته جلياً عدد كبير من الامثلة المتنوعة، بحيث يستحيل أن يكون للانسان أقل شك في هذه المسئلة الكبرى. ويمكننا أن نشاهد بين هذه الامثلة العلامات التي يوجد لها فوق الجلد بواسطة توارد الدم بمحض الفكر أو العقيدة أو الاقتناع . فهذا (سان فرانسوا داسينز) ، وكان رجلاً متصوفاً تقياً للغاية، زهد في العالم المادي واعتزل الناس في غابة، متجرداً للعبادة، وجامعاً حوله رجالاً أتقياء سبهم تواضعاً بالاخوان القصر (فرانيسكان). وكان ذهب الى سورية ومصر للوعظ والارشاد، ثم عاد الى ايطاليا أخذاً بصيام شديد، وحياة تبتلية، حدث له بعدها انه كان يرى مراثيات خيالية، ظهر له في واحد منها سيرافان ذو أجنحة منبسطة، فخره وطبع علي جسده علامات صلب المسيح، فأنخرمت يدها ورجلاه علي النحو الذي حدث للمسيح بتأثير المسامير، وانفتح جنبه كأنه طعن بحربة، وبقيت فيه هذه العلامات

هذا بلا شك من التأثير النفساني للروح في الجسم، وهذا الامر من الخطورة العظيمة من الوجهة الفيزيولوجية المادية، حيث أنكر انكاراً باتاً بزعم انه من الاساطير الدينية، وانه من الامور المغالي فيها بل غير الصحيحة . وبما ان هذا الامر كان في نحو سنة ١٢٢٠، فقد عزاه المنكرون الي تسارع الناس الى تصديق كل شيء في القرون الوسطي . فقالوا من الذي شهد هذا الامر ؟ شهدة الدينيون والمؤمنون الذين يقبلون كل شيء وأعينهم مغمضة

على ان هذا المثال عن قديس مشهور عزيت اليه أكثر من كرامة، ليس بالمثال

الوحيد في نوعه . فالبحث الذي أتعبه في هذا الكتاب أعترني على عدد كبير من أشباهه

ثم أخذ الأستاذ كاميل فلامريون يسرد ماورد في التاريخ من أمثال هذه الحادثة فذكر ماحدث (لماريا مارل) التي ولدت في سنة ١٨١٢ . و (لماريادومينيكا) المولودة سنة ١٨١٥ . و (لكريستيانيكلوتش) المولودة في سنة ١٨١٦ . و (لاناكارين اميرنج) التي ولدت سنة ١٧٧٤ . وللقديسات تيريز وكارين دوريكش وارشانجيل وتارديرو وجيرترود وليدوين وهين دوهونجري واوزان دومانتو وايدا دولوفان وكريستين دوسترامبلين وجان دولاكروا ولوسي دومارني وكارين دوسمين وباسكيتيس وكلاريس دو كوجيس وكترين دورانكيوز وفيرينيكيا جيولاني وكولومب شانوات ومادابن لورجيه وروزسيرا، ولا أكثر من رجل تقى، ولكن ليس من غرضنا أن نضع كتابا في هذا الموضوع ، فلنكتف بأن نضيف الى هذه الامثلة حالة أدهشت العلماء العصريين وهي حالة لويز لاتو التي اشتهرت بهذه العلامات في بوادين (بلجيكا) ودرسها في سنة ١٨٦٩ الأستاذ ديلبوف المدرس بجامعة لياج

وذلك انه في يوم الجمعة ٢٤ ابريل سنة ١٨٦٨ بعد عيد الفصح بثمانية أيام كانت لويز لاتو عروسا قد مضى على زواجها خمسة أيام وهي لاتتجاوز الثامنة عشرة من عمرها . وهي مريضة وضعيفة من منذ أكثر من سنة، وعرضة للاغماء، وذات تصور صوفي حاد، ظهرت في جسمها أول علامة (من علامات صلب المسيح)، وتلك علامة الجنب الايسر (المقابلة لعلامة الحربة التي طعن بها المسيح) ثم ظهرت علامة الرجل اليسري (وهي العلامة المقابلة لآثر المسمار الذي صمرت به رجل المسيح على خشبة الصلب). وفي يوم الجمعة الثالثة تمت لها العلامات الخمس المعروفة (أي علامات مسامير اليدين والرجلين والجنب). أما العلامات التي أحدثها التاج الشوكي فلم يسلم منها الدم الا بعد مضي خمسة أشهر على ظهورها، (وعلامات التاج الشوكي تقابل العلامات التي ظهرت في رأس المسيح حين ألبسوه تاجا من الشوك استهزاء به)

فلترفع صوتنا عاليا بأن هذه المشاهدات لمناقضتها للفيزيولوجيا العادية التي تعتبر

الفكر خاصة مادية للتركيب الجسماني، قد أنكرها الاساتذة الرسميون انكاراً باتاً. ولما ذكر الاستاذ الشهير الهردوكتور فير كو العلامات التي ظهرت بجسم (لويزلاتو) صرح بأن الامر لا يخرج عن حالتين، اما تدليس أو آية. وقد رفض بحق أن تكون آية، فلم يبق في باب التجويز الا التدليس. أما نحن فنستطيع أن نؤكد باسم العلم الحر ان هذا الامر ليس بتدليس ولا بآية

ثم ذكر الاستاذ فلاديمريون ما يحدث من تأثير زيارة المغارة المسماة (لورد) بفروسان عجائب الشفاء للامراض العضالة وعزا ذلك لتأثير الاعتقاد فقال:

جميع المرضى الذين يقصدون مغارة (لورد) Lourdes يتطلبون شفاءً أمر اضهم. وقد رسموا صورة الشفاء في مخاضهم. ولكن عدد الذين يشفون منهم قليل لأن ذوي التركيب العصبي الكافي لاحالة رغباتهم الى أشخاص جسديانية، وتأثيرها فيهم كما تؤثر الكائنات العالوية المتمتعة بساطان عجيب قليلون

فالعقيدة الدينية قابلة لكثير من الاستحالات العنصرية. فقد تتصور بصورة الاله (ابولون) و (اسكليبيوس) و (المسيح) و (الشيطان) و (مريم العذراء) أو آية روح طيبة أو خبيثة علي حسب عقيدة المعتقد والآراء المخزنة في الشخصية الشاعرة ثم ختم الاستاذ فلاديمريون هذا الفصل بقوله:

كل هذه الحوادث من المانييتسم، والهيبنوتسم، والانتقالات العقلية، والتلقينات الذاتية، وظهور صور الاحياء في أمكنة غير التي هم فيها، مما ألمنا به المأمناً خفيفاً لمحض تأكيد صحتها، كل هذا يؤيد بدون أدنى شك تأثير الروح علي الجسم الطبيعي ويؤيدنا الي هذا الاستنتاج وهو: ان الروح موجودة ومستقلة عن الجسد

التلباتيا والانتقالات النفسانية الى مسافات بعيدة

الابصار والسمع التلباتيا

حوادث واقعية لاعتبارات كلامية

إذا كان تأثير الارادة بدون وساطة الكلام ولا أية اشارة، يعتبر مظهر آمن من مظاهر وجود الروح، فالتلباتيا والاتصالات العقلية عن بعد، تحسب شهادات اخرى ليست بأقل ادلالا على وجود الروح الانسانية فالشعورات الذاتية وغير المنتظرة، يحدث حوادث وأمراض ووفيات عن بعد يقدر بعشرات ومئات والوف الكيلو مترات، هي من الكثرة بحيث أصبحت جزء آمن من المواد العادية للمباحث النفسية. وهي على ما نمت به من الانكار والغموض في مدى قرون، فانها مع ذلك صارت مادة لفصل رسمي من فصول تلك المباحث ان قرأني يعرفون هذه الحوادث، ولا أريد أن أعود الى ماسبق لي نشره في هذا الباب، وسأكتفي بتذكيرهم بهذه الظاهرة العقلية الهامة وهي التلباتيا، لأنها تثبت وجود الروح وتضع أمام الناظرين حوادث جديدة متميزة عن سواها فاليك حوادث أخرى من الانتقالات التلباتية للفكر يستحيل الشك فيها، أستخرجها من كتاب أرسله الي من بامافان (بفرنسا) الدكتور (بوارسون) من جامعة باريس قال :

« أرسل اليكم بيان ثلاث حوادث من انواع مختلفة ولكنها تصلح لان تعينكم في مباحثكم عن الظواهر النفسية، وانا ضامن انكم صحتها، لاني اعتدت ان لا أعير اهتماما الا لما أراه بنفسه من الحوادث التي من هذا القبيل

(١) بينما كنت في (بلفور) احدى ضواحي فرنسا من منذ نحو شهرين اذ رأيتني أفكر ذات يوم بشدة وبالراح غريب في رصيفي (جورا)، وكنت لا أفكر فيه مرة واحدة في كل سنة، اذ لم توجد بيني وبينه غير علاقات وظيفية انقطعت منذ ثلاث عشرة

سنة ولم أره بعدها قط . فلم تمض بضغ دقائق حتى رأيتني واياه وجها لوجه في دهليز Carrefour وبما انه كان آتيا علي بسكليت من شارع صودي على الذي كنت سائرا فيه، فكان من المستحيل ان اراه قبل تلك اللحظة من بعيد . هذه حادثة لا أحاول تعليلها ولكنها أدهشتني

(ب) نظراً لمهنتي الطبية فأنا معرض كثيراً لأن أستخدم في الليل . والذين يمرون أمام بيتي ليسوا بقليلين، ولكن اذا كان منهم واحد يقصد أن يطرق على الجرس فاني أستيقظ من نومي من تلقاء نفسي قبل أن يصل إلى بابي بنحو عشرين متراً، فأعرف مقدماً بهذه العلامة انه سيستدعيني احد الناس

وقد شاهدت هذا الامر لامرة واحدة ، ولكن مرة منذ اثنتي عشرة سنة . ولاجل أن أكون مقنعاً في روايتي هذه يجب علي أن اقول بأنني لو كنت صاحباً، وهو ما يحدث كثيراً، فلا أستطيع أن أتنبأ بشيء من ذلك . ويجب علي أن اقول ايضاً بأنني اذا كنت مستغرقاً في النوم، عقب يوم امضيته متعباً، فان هذه الظاهرة النفسية لا تحصل (ج) من بين زبائني شابة مصابة بالهستيريا أحدث لها يوماً مغناطيسياً وتلقينات بسهولة خارقة للعادة . وكثيراً ما أوعزت اليها أن تستيقظ وان تقوم في ساعة معينة . فكانت تستيقظ في تلك الساعة بدقة عظيمة . فكل من مارس صناعة التنويم يعلم ان ليس في هذا الامر شيء خارق للعادة . ولكن ما هو جدر بهذا الوصف انه حدث ان زوج هذه السيدة استبطأ يوماً من الايام ساعة يقظتها فقدم عقرب الساعة التي كانت توضع على الحزانة الصغيرة التي توضع فيها آنية الليل . وكانت الساعة اذذاك ٦ ونصف فجعلها ٧ ونصف فقدمها ساعة عن موعد تيقظها ، ولكنه وهو يدير العقرب لا يصاله الى الوقت المذكور رأى ان امرأته قد تنهت فجأة عند وصول ذلك العقرب الى الساعة السابعة وهو الموعد المقرر لها . فجاءني زوجها وقص علي ما رأى . ولكني لما انا عليه من صعوبة التصديق اردت ان احقق هذا الامر بنفسني وفعلت ذلك بضغ مرات

ويجب علي ايضاً ان اقول ان هذه السيدة تقرأ وهي نائمة واعينها مغلقة عدد

الساعات في ساعتني حتي ولو غيرتها ولكن على شريطة ان انظر الى عقاربها وكذلك كانت تخبرني عن اسم الشيء الذي امسك به وراء ظهري علي شرط ان اقبض عليه بيدي ... الخ الخ »

وقد نشر الاستاذ (لومبروز) الكتاب الاتي الذي ارسله اليه زميله (دوشانكتيس) المدرس بالجامعة معه وهو :

« كنت في رومية دون اسرتي التي بقيت في الريف . وبما ان بيتي قد سرق في السنة الماضية فكان اخي يأتي وينام فيه . فأخبرني ذات ليلة انه ذاهب الى تياترو كوستانزي . فأوليت الى البيت وحدي وشرعت اطالع ، ولم اكدا ففعلت حتى شعرت بذعر شديد في نفسي ، فحاولت ان اقشعه عني وتشاغللت بخلع ثيابي ، الا انه لازمني ملقيا في روعي ان اخي في خطر وان التياترو الذي هو فيه يحترق . اطفأت النور فلم يفتني ذلك ، بل ازداد بي الكرب حتي اضطرت الي ان اعود الى ايقاد المصباح خلافا لعادتي ، وانا زمع ان ابقى صاحيا حتي يعود اخي . وقد كنت في الواقع خائفا كأي غلام صغير . وبعد منتصف الليل بساعة سمعت فتح الباب فما كان اكثر دهشتي حينما قص علي اخي الحلم الذي اصاب المتفرجين عند ما أخذت النار تدب الى التياترو . وقد وافق ذلك بالضبط الساعة التي شعرت فيها بالقلق العظيم »

واليك حادثة هامة جداً من انتقال الفكر افضى بها الدكتور كانتار الى الجمعية الطبية في (انجير) وهي :

« طفل يدعي (لودوفيك) لا يبلغ السابعة من عمره كان متمتعاً بخاصة حل المسائل الحسابية تشبه خاصة (اينودي) الشهيرة . فانتهي امر والده ان لاحظ فيه (اولا) انه لا يصني الى منطوق المسائل التي تلقى اليه الا قليلا . (ثانيا) ان وجود امه معه كان شرطا مؤكداً لنجاح التجربة . وكان ذلك يتوقف علي ان يكون الحل المطلوب تحت نظرها او محصلا في فكرها

« واستنتج الاب من ذلك ان ابنه كان لا يحسب ، ولكنه كان يتلقى الحل كما يظن من فكر والدته . ولذلك رجاها ان تفتح قاموسا وان تسأل ابنها عن رقم الصفحة

التي تحت نظرها . فأجابها الولد على الفور قائلا هي صفحة (٤٥٦) . وكان الامر كما قال . فكررت التجربة عشر مرات فلم يخطيء في واحدة منها « فاذا كتبت عبارة على مذكرة فكان يكفي الغلام مها كانت طويلة ان تمر الام بعينها عليها ليرددها اذا سئل عنها حتي ولو كان السائل اجنبيا »

كل هذه الحوادث مجتمعة تثبت لنا حصول الاتصال بين روح وروح اخرى والشعور التلباني الآتي رواه الدكتور (فرواساك) بنفسه باعتبار انه حدث له نفسه فلا محل للتردد في تقدير قيمة هذه الحادثة قال في كتابه (الخطوط والاقدار صفحة ٥٩٩) *Chance et Destinee* قال :

« رأيت في النوم حينما كنت طالبا داخليا في مدرسة الطب بمدينة (دوبويزن) ان أبي قد أصيب بمرض سيفضي به الى القبر . فاستيقظت في كرب عظيم وحاولت ان اتقلب عليه قائلا لنفسي بأني قد تركت أبي يوم الاحد الماضي في صحة تامة . وكان يومنا اذ ذاك الاربعاء . واخذت اقنع نفسي ان من الضعف الادبي ان اقلق الى هذا الحد بسبب حلم ، وعزمت ان لا افكر فيه . ولكن صورة أبي وهو في حالة النزاع كانت لاتزال ذهني ، فأجعت تخلصا من هذا الكرب ، وان كنت في غاية الخجل من ضعف ، أن اشخص الى (سان جرمان) حيث كان أبي . فلما وصلت وجدته مصابا بنزيف صديري قضي عليه في خمسة ايام »

اليك مثالا آخر دالا على النظر من بعد في النوم وموضوعه حادثة خاصة أنقله عن الكتاب المسمى *Phantasms of the Living* المجلد الاول صفحة ٣٢٨ . فقد كتب القس (واربرتون) من مدينة (وانستر) بتاريخ ١٦ يوليو سنة ١٨٨٣ قال :

« سافرت من اكسفورد لتمضية يوم او يومين مع اخي (اكتورن واربرتون) المحامي اذذاك . فلما وصلت الى داره وجدته قد ترك كلمة فوق الخوان يعتذر بها عن غيبته ، ويخبرني بأنه مدعو في بالو في (وست اند) ، وانه سيعود الى البيت في الساعة واحدة . فرأيت بدلا من ان ادخل لأنام ان اجلس على كرسي كبير أهوم فيه حتي

يأتي . ففي الساعة واحدة استيقظت فجأة وأنا أصبح : (لقد وقع وحق جوبتير) وذلك اني رأيت أخي في النوم خارجا من بهو على دهليز سلم مضاء اضاءة تامة ، اذعرت رجله في الدرجة الاولى ، فوقه ورأسه الى الامام غير متق السقطة بغير مرفقيه وبدينه . وكنت لم أرقط الدار التي هو فيها ، ولم أكن أعلم أين هي فلم أهتم بهذا الامر كثيرا وعدت الى النوم ثانية ، فلم تمض غير نصف ساعة حتي استيقظت بدخول أخي بغتة وهو يقول : « أراك هنا لقد كادت عنقي تنكسر . وذلك اني لما غادرت بهو البالو اشتبكك رجلى فوقعت بطولى كله الى اسفل السلم »

سندرس في الفصل التالي لهذا حوادث الابصار بدون وساطة الاعين دراسة خاصة ، وهوسيد لنا بوضوح أكل من كل ما سبق على وجود الخصائص العالية للنفس البشرية

هذا الابصار عن بعد ، هذه الشعورات التلباتية تحصل أيضا في غير الاحلام ، أو في ضروب من الغشي . فلتقرأ المشاهدة الآتية للمحامي (رتشارد سيرل) التي بعث بها الى جمعية المباحث النفسية بلوندره في ٢ نوفمبر سنة ١٨٨٣

« كنت بعد ظهر يوم من الايام جالسا في مكتبي (بالتامبل) أنظر في مذكرة . ومكتبي هذا موضوع بين احدي النوافذ المطلة على (التامبل) وبين المدفأة . فرائتي فجأة انظر من خلال الزجاج الاخيرة للنافذة ، وكان في مستوى عيني ، فبصرت رأس امرأة متلوها الى الخلف وعيناها مغمضتان ووجهها ابيض تام البياض شاحبا كأنها ميتة . فتحركت مكاني أريد أن أعود الى رشدي ، ثم قمت ونظرت من النافذة فلم أجد الا الدور الامامية ، فخيّل لي اني قد هومت ثم نمت ، فقامت أنشئ في الغرفة لأدفع عني ذلك النوم الموهوم ، ثم عدت الى عملي ولم أعد أفكر في هذه الحادثة

« رجعت الى داري في الساعة المقررة . وبينما نحن نتعشي تلك الليلة انا وامرأتي ، قصت علي أنها تغدت عند صاحبة لها تسكن (جلونسستر جاردن) وأنها كانت مصاحبة لبلت صغيرة (هي احدي بنات أختها تسكن معنا) . فحدث في أثناء الغداء او بعده مباشرة ان سقطت البلت وجرححت في وجهها وتفجر منه الدم . قالت امرأتي فلما

رأيت ذلك أصابني انغماء . فلما سمعت منها هذا تذكرت ما رأيته من النفاذة . فسألتها عن الساعة التي حدث فيها هذا الامر؟ فقالت في الساعة الثانية وبضع دقائق . فوافق الوقت الذي رأيت فيه ما رأيت . وهنا يجب علي أن أقول ان هذه هي المرة الاولى التي أصاب امرأتى فيها انغماء . وقد قصصنا هذا الامر في حين حدوثه على كثير من أصحابي» انتهى

ان ابصار حوادث رتشارد سيرل بدون عينية اى بواسطة التللياتيا عن بعد عشرة او عشرين او خمسين او مئة او مئتي كيلو متر بل اكثر، أصبحت من الامور غير المشكوك فيها لدى الذين درسوا هذا الموضوع

فاليك مثالا نشر في فبراير سنة ١٩٠١ في مجموعة الجمعية الانجليزية للمباحث النفسية مما رآه باحثو هذه الامور مردها مرة بعد ذلك التاريخ . والحادثة الاخيرة تتعلق بابصار دقيق جداً عن بعد ٢٣٠ كيلو متراً . والذي حدث له وهو المستر (دافيد فوازر) أستاذ المحاضرات في جامعة (سانت اندريه) هو الذي كتبها بقلمه بالعبارة التالية قال :

« حدث أمر هام منذ بضع سنين منعني من العود الى دارى في لوند في آخر الاسبوع . فلعدم رغبتى في تمضية يوم الاحد بمنشستر قصدت يوم السبت بعد الظهور (مانوتش باث) لتمضية ذلك اليوم فيها بهدوء ، ثم العود الى دارى يوم الاثنين بقطار الصباح

« فلما وصلت الى الجبهة التي يمتها وأويت الى فندق لاسرة قريب من المحطة ، طلبت قليلا من الشاي ، ودخلت الى البهو لأستدفئ ، لان يومى ذلك كان من شهر يناير ، والبرد في اصفي درجاته والثلج يسقط بكثرة ، والترمومتر يشير الى درجات شيرة تحت الصفر

« فرأيتنى وحدى في تلك اللحظة بذلك الفندق . فتمكنت من الجلوس على كرسى كبير منتظراً الشاي أمام مدفأة حمامية الوطيس ، ولم يكن الظلام قد أرخى سدوله بحيث يصبح ايقاد الغاز ، ولا النور بكاف لامكان القراءة ، فأدرت ظهري الى النافذة ولم أفكر

في شىء خاص. وبينما انا في تلك الحالة من الهدوء والسكينة اذا بي قد اضعت معرفة المكان الذي انا فيه. وبدلاً من أن ارى امامي حائط الحجرة واللوحات المعلقة عليها، اذ كشفت امامى وجهة يتي في لوندرة وامرأتى واقفة امامه على عتبة الباب تسكلم صانعاً ممسكا بيده مكنسة كبيرة. وظهر على وجه امرأتى انها متكدرة جداً، وأحسست انا للعالم ان الرجل الذي يكلمها كان في بؤس عظيم. لم اسمع حديثها ولكن القى في روعى ان هذا الرجل يطلب منها المعونة. في هذه اللحظة قدم الى خادم الفندق الشاى، فزال هذا المنظر من امامى. فكان التأثير الذى أحدثه هذا المنظر في نفسى من العظم، واقتناعى بحقيقته من القوة، بحيث أنى بعد ان تناولت الشاى كتبت الى امرأتى كتاباً اخبرها فيه بما حدث لى وارجوها ان تستزيد علماً بأمر هذا الرجل وان تعينه على حاله بقدر ما تستطيع

« فاليك تفصيل ما حدث في لوندرة. جاء غلام صغير فطرق باب دارى (الذى على بعد ٢٣٠ كيلو متراً من المكان الذي كنت جالساً اذذاك فيه) فخطب الخادمة متطوعاً ان يرفع الثلج المراكوم على الافريز وعتبة الدار في مقابل دريهمات. وبينما الغلام يتكلم اذا برجل اقبل في اطار فقال للخادمة: ارجوك ان تخصيني انا بهذه الخدمة فان هذا الغلام قد ينفق الدرايهمات التى يأخذها منك فى شراء حلوى، اما انا فمحتاج اليها لشراء خبز، فان فى عنقى امرأة واربعة اطفال مرضي جميعها وليس لديهم ما يأكلونه ولا ما يستدفئون به. فرجته الخادمة ان ينتظر وذهبت فأخبرت امرأتى، فأقبلت تسكلم الرجل المسكين. فكرر لها قوله بأنه كان مريضاً وان اسرته في حالة بؤس شديد، ولكنه قبل ان يمتن نفسه في التسول اراد ان يحاول ان يجد اى عمل كان

« فكان هذا المنظر هو الذى رأيته ساعة حدوثه، ويلوح لى انه انتقل الى بسبب تأثر عتل امرأتى بما سمعته من بؤس الرجل الفقير

« واليك آخر ما حدث، فان امرأتى وعدت ذلك الرجل بأنها ستذهب الى داره في المساء، وستنظر فيما يجب عمله لمساعدته، فلما ذهبت اليه وجدته صادقاً. فأعطته ما

قدرت عليه من الدراهم والملابس والاغذية والوقود . ولست في حاجة لأن أقول ان كتابي الذي وصل اليها صباح الاثنين أحدث لها دهشا عظيما . وبعد ايام معدودة رأيت الرجل بنفسى فوجدت انه هو بعينه الذي رأيت فيه فيما رأيت . وقد وجد له عملا عند لبنان وكان يأتي يوزع اللبن على سكان الحي الذي انا فيه مدة سنتين «

دافيد فرازر هاريس

ليس في هذه المشاهدة الحقة دليلا مطلقا علي وجود خاصة للروح لاعلاقة لها بالعين المادية ولا شبكيتها ، ولا بالعصب البصري ولا بالبخ ؟ اليست الروح هي التي كانت تعمل وحدها في هذه المشاهدة ؟ وقد حدث فيها انتقال روحي عن بعد لأن الرائي لم ير المنظر فقط ولكنه ادرك ايضا طبيعة المحادثة بين السائل وامرأته ؟

الاتصالات النفسية العقلية بين الاحياء قد تتكيف احيانا بشكل سماعي ، كما دللنا عليه فيما سبق . فيسمع الانسان صوتا او نداء ملحا ، وهذا الصوت وذلك النداء يقابل رغبة او عزيمة او غرضا او امرأ صادرا من بعيد يحمل السامع علي اطاعته . فاليك حادثة عظيمة الشأن جداً شهدها بنفسه الدكتور (نيقولا) والكونت (غونوميس) من جزيرة كورفو ، قال الدكتور المذكور :

في سنة (١٨٦٩) كنت من رؤساء الاطباء في الجيش اليوناني فألحقت بأمر وزير الحرية بحماية جزيرة (زانتا) . فبينما انا اقترب من الجزيرة لأشغل مركزى الجديد ، فكنت على نحو ساعتين من الشاطئ ، اذ سمعت صوتا باطنيا يقول لي بدون انقطاع باللغة الابطالية : « اذهب وقابل فولتيرا »

واخذت هذه العبارة تتكرر حتى حيرتني . واني وان كنت في حالة جيدة من الصحة في ذلك الوقت ، الا اني خشيت ان اكون مصابا بهذيان سمعي . ولم يكن عندي ما يحتملني على ان افكر في اسم المسيو (فولتيرا) الذي يسكن (زانتا) ، بل اني ما كنت اعرف هذا الاسم وان كنت رأيت صاحبه مرة منذ عشر سنين . فأخذت

اسد مسامي وانشغل بالكلام مع رفاقي فلم يجد ذلك نفعاً، واستمر الصوت يطرق اذني علي ما كان عليه

وصلنا أخيراً الى البر فيممت الفندق من فوري وأخذت أفتح حقائبى، ولكن ذلك الصوت لم يزايلني. وبعد قليل دخل علي الخادم وقال ان أحداً الناس بالبواب يريد أن يكلمني. فسألته من هو ؟ فأجابني اسمه المسيو (فولتيرا). وما أنم الخادم هذه العبارة حتي دخل هذا الشخص وهو يبكي وفي غاية من اليأس، ورجاني أن أذهب معه لأري ابنه الواصل في مرض شديد

» فذهبت معه واذا بابنه الشاب في حالة جنون مطبق وتهيج، عاري الجسم، في حجرة خالية، وقد يئس منه جميع أطباء (زانتا) من منذ خمس سنين. وكان منظره بشعاً، ويزيده بشاعة ما كان يعتريه من الذوب المصحوبة بالصفير والجوار والعواء وأصوات أخرى للحيوانات. وأحياناً كان يزحف على الأرض كالثعبان، وأحياناً كان يجثو على ركبته في حالة ذهول. وفي اوقات أخرى كان يشكلم ويتشاجر مع كائنات. وكانت النوب الشديدة تنتهي بدور اغماء تام وطويل. وعند ما فتحت عليه الباب هجم على بشراسة، ولكنني ثبت مكاني وأمسكت به من ذراعه ناظراً اليه بتحديد. فلم تمض غير ثوان حتي قات قوة عينيه، ثم أخذ يرتعد ووقع علي الأرض مغمضاً عينيه. ولم تمر نصف ساعة حتي صار في حالة انتقال نومي. فعالجته بهـ هذه الوسيلة مدة شهرين ونصف شهر رأيت في خلالها أكثر من حادثة مفيدة. وبعد ما تم له الشفاء لم يقع في انعكاس

الدكتور يقول

واليك الكتاب الذي أرسله المسيو (فولتيرا) الى الكونت (غونوميس) في ٧ يونيو وفيه تأكيد تام لما سبق ذكره جاء في آخره :

» قبل حضوركم الى زانتا لم تكن بيني وبينكم أدنى علاقة، ولواني أمضيت سنين كثيرة في جزيرة كورفو بمنصب عضو الجمعية التشريعية. ولم يكلم أحدنا الآخر قط، ولم أقل لكم كلمة واحدة عن حالة ابني، ولم أفكر فيكم ولم أطلب معونكم، حتي قصدت

ان اراكم عند وصولكم الى (زانتا) بوظيفة طبيب عسكري، ورجوتكم تنجية ابني مما ألم به

« فنحن مدينين بحياته لكم، ثم للتنويم المغناطيسي. وأري من واجبي أن أقدم لكم شكري الخالص وان اوقع علي هذا :

محبتكم المخلص الشاكر
ديتريو فولتيرا — كونت كريسو بليفرى

وبلى هذا توقيعات اضافية هي :

(لورا فولتيرا) امرأة المسيو فولتيرا (ديونيزيو د. فولتيرا) الكونت كليسو بليفرى
(اناستازيو فولتيرا) الابن الذى كان مريضا . و (م. فسابلوس) شاهد و (لورنزو ميركاتي) شاهد و (دمتريو) الكونت جيرينو شاهد

وكان الدكتور (بالم) Balme من نانسي بفرنسا يعالج الكونتس دول .
المصابة بالدسبسيا (وهو مرض معدى عصبي) . فكانت تأتي الى عيادته ولم تدخل
قط الى بيته الواقع خارج المدينة. فبعد مضي ثلاثة ايام على احدى زيارتها اى في ١٩
مايو سنة ١٨٩٩، سمع الدكتور وهو داخل الى داره فى أثناء اجتيازه الدهليز هذه
العبارة : « اني اشعر بألم شديد وليس عندي من يسعفتي بالعلاج » ثم سمع كأن
جسما يسقط على الارض . وكان الصوت صوت الكونتس دول. فبحث الطبيب في
الامر، فعلم ان احداً من البيت لم يرو ولم يسمع هذه السيدة. فدخل الى حجرة عمله واوجد
نفسه في حالة نوم مغناطيسي خفيف ونقل نفسه الى دار الكونتس فشاهد كل ما رآها
تعمله واخذ به مذكرة

فلما جاءت الكونتس لعيادته اخبرته بجميع ما شعرت به، فرأى انه مطابق لما رآه
بنفسه . ثم سأها قائلاً :

« عن اي شيء كنت تبحثين حولك بعد ان دخلت الى حجرتك ؟ »
قالت : « كان يخيّل الى ان انساناً ينظر الى »

فالسماح عن بعد لا يمكن تصديقه اذا لم نرد ان نعرف بوجود روح او نفس او انية نفسية (مهما كانت الكلمة المستعملة للدلالة عليها) نعمل خارجا عن الجسم وعن مرمي الخواص

وهذه الحوادث كلها من التلباتيا والانتقالات النفسية لا يمكن الشك فيها تبين ضروبا من الخصائص العاوية للنفس تخالف ما تعلمناه من البسيكولوجيا الفيزيولوجية الرسمية وهي : النظر والسمع عن بعد بواسطة الامواج النفسية ليس لي ان اعود الى ما كتبتة عن الانتقالات الفكرية . فان مسألة قراءة الافكار قد شوهدت مراراً في تجارب جديدة. واليك تجربة منها كتبها الدكتور (ج. دوميسيمى) عن وسيط له في حالة انتقال نومي قال :

« ان الكشف الذى كان يحدث لوسيطي كان يمتد الى قراءة افكار الحاضرين معي فقد رجوت مرة اثني عشر شخصا من الجمعية ان يقفوا امام الوسيط ورجوتهم ان يفكر كل منهم في نوع خاص من الازهار بدون ان يعرضي واحد بما يفكر فيه لغيره . ثم التفت الى النوم وامرته ان يسمى بصوت عال اسم الزهرة التى يفكر فيها كل من الحاضرين. فساها كلها بدون ان يخطئ. وبغير اق تردد قارنا افكارهم كأنه كان يقرأ كتابا

(الدكتور ج. دوميسيمى)

هذه تجربة من مئة تجربة من هذا النوع . فالانتقال الفكري ثابت ثبوت انتقال الحرارة والضوء والكهرباء والمغناطيسية الشمسية

فلا بصر التلباتي يحصل بدون مساعدة الاعين ولا يمنعه طول المسافة ولا العوائق المادية . وليس الزمن بمؤثر فيه كالمسافة . فقد يرى الانسان حادثا حاضرا او ماضيا او مستقبلا على السواء . وهذا العمل النفسى يستخدم خاصة عقلية مستقلة عن الجسم

فاذا اعترض معترض على استدلالنا على وجود الروح من الشعور بالامور المستقبلية ومن هذه التأثيرات التلباتية، بأن هذه الخصائص الطبيعية يمكن ان تكون من خواص

المخ لا من اصل عقلي مستقل عن الجسم، ولا يمكن ان تثبت وجود روح ذات شخصية متميزة في الانسان اكثر مما تثبته حاسة الشم القوية عند الكلاب او ميزة الحمام السباح. اذا اعترض معترض بهذا اجبنا بأن التحليل الدقيق للمشاهدات يؤدي كل عقل خالص من الاوهام الى ان يستدل منها استدلالاً مخالفًا لاستدلال المعترض. لان الامر فيها يتعلق بعمل فكري لا بعمل جسمي. فنحن مغمورون هنا في عالم روحي غير منظور. فليمزوا هذه الشعورات الي ما يسمونه الشخصية اللاشعرة من الانسان *L'inconscient* او الشخصية التي دون الشعور *Le Subconscient* او التي ما بعد الشعور العادي *Le Subliminal* الخ فالاسماء لانهمنا فان الذي ندركه هنا هو وجود انية عقلية عاملة وهي الروح

فليست شبكية العين ولا العصب البصري ولا ما يتصل منه بالمخ هو الذي يعمل في احداث هذه الامور، فان كل الاعمال التي يمكن تصور حدوثها من أية مادة مخفية لا تستطيع ان تكون شيء في عقل الغير، ولا ادراك حادث يجري في الجهة المقابلة لاني نحن فيها من الكرة الارضية، ولا كشف امور لم تحدث بعد

اليك حادثة اخرى من النظر عن بعد جاءت في غاية الاحكام رآها غلام عمره سبع سنين ارسلها مشاهدتها الدكتور (جان) من اركان الحرب في الحرب الاخيرة الي الاستاذ ريشيه (احد اعضاء المجمع العلمي ومدرس الفيزيولوجيسا بجامعة الطب الفرنسية) قال :

« منذ عشر سنين كنت اعالج في قرية (كوجوليس) غلاماً مريضاً يذاهز السبع سنين . فاستدعيت لعيادته في صباح يوم من الايام دعوة مستعجلة . فقصت علي امه وهي مذعورة بأن ابنها اصابه دور فجائي من الهذيان . وذلك انه استيقظ كهـادته ظاهراً عليه التحسن، ولكن ماوافت الساعة العاشرة حتي وقف في سريره مذعوراً من مشهد خيالي امامه . فكان يخيل اليه انه يري الماء في كل مكان . ثم اخذ يستصرخ لتخليص ابيه، زاعماً انه علي وشك الغرق. اما أبوه فكان غائباً في مدينة نيس حيث يقيم أخوه ليمضي معه بضعة ايام

فلما وصلت الي الغلام كان قد هدأ ، ولكنه مصر على القول بأنه رأي اياه وهو بفرق. وما لبثت أمه حتى ورد اليها تلفراف من أخي زوجها يستدعيها بسرعة وينبئها بأن زوجها غرق في نيس في الساعة العاشرة، حيث كان يريد تنجبة أخيه من الغرق، وقد كان ألقى بنفسه في اليم تخلصاً من الألم . وكان آخر ما نطق به الاب قوله : «ياولدى المسكين»

يظن الظانون ان هذه الحوادث نادرة، أو غاية في الندرة، ومشكوك فيها، وغير ثابتة، وهذا ضلال بعيد . فان أحاديثي مع الناس منذ نصف قرن اثبتت لي علي انه يوجد علي الأقل واحد في كل عشرة علم سواء بنفسه، أو سماعاً من أحد اقاربه، أما حادثة تلباتية، أو اخباراً بغيث، أو اذاراً بموت، أو رؤية شيء، مستقبل، أو اي حادث نفسي، ولكنني لأدرى لماذا يكتعمون ذلك ويبالغون في اخفائه كأنه شيء لا يصح التصريح به . لاشك ان هذا أثر من آثار التربية الضالة أو الخشبة الوهمية

ان التلباتيا (اي التأثير والتأثير عن بعد بواسطة الروح) ارسخ أساساً واعم اصولاً وأكثر ثبوتاً من اي دين كان في العالم . فان الحوادث التي تأسس عليها الدين المسيحي علي اختلاف شيعه (الكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية الخ)، أو التي قامت عليها الديانة اليهودية والاسلامية والبوذية، وسائر الاديان الاخرى التي تتوزع البشرية، قد شوهدت بأقل تدقيق وأدني عناية، وأضعف تدليل، من المشاهدات النفسية التي ندرسها في هذا الكتاب . وهذا ماحدا بالنفوس الحريصة علي القرب من الحقيقة أن تلجأ الي المباحث التجريبية التي نتابعها هنا كالحجرات غير ها الي الاديان

الابصار بدون الاعين،

اي بالروح خارجا عن الانتقالات التلباتية

(الكشف)

« الحوادث اذا جاءت مناقضة لنظرياتنا »

« المقررة تنفيذاً أكثر مما اذا جاءت مؤيدة لها »

السر همفري دافي

اذا كانت الحوادث التي لا يمكن الشك فيها، الدالة على تأثير الارادة بدون وساطة الكلام، ولا أية اشارة خارجية، وكذلك الانتقالات الفركية عن بعد، تبرهن ان فينا شخصية عقلية تفكر وتدبر وتنقل تأثيرها الي ما بعد مدى حواسنا العضوية، فان هنالك مشاهدات لاتقل عنها ثبوتاً عن النظر بدون الاعين تؤيدنا بشهادات أخرى مستقلة عن الشهادات السابقة، ولكنها مؤيدة ومكملة لها

ان هذا الموضوع الخاص هو من الثروة والثبوت بحيث أي لما شرعت في دراسته منذ سنين، اضطررت أن أفرد بالتأليف ووضعت فيه سفيراً لم يطبع بعد، سأختار منه هنا بعض البراهين ذات الدلالة، ليست من الانتقالات التلباتية التي درسناها آنفاً، ولكن يمكن ان تضاف اليها. وفي هذا الموضوع طبقة غريبة من الحوادث الخاصة تعوز الدرس والتقييم

للمشاحة في ان هذه الحالة هي احدي الخصائص الروحية المحبولة، ودراستها تعود بالفوائد من غيرها. فقد شوهد ان افراداً اختصوا بها وهم في حالتهم العادية، خارجاً عن حالتهم الروحية والانتقال النومي، سواء كان طبيعياً او صناعياً. ولكننا نشاهد هذه الظواهر في هذه الحالات من النوم خاصة

هذا النظر عن بعد سواء كان مباشرة او بقراءة فكر يحول في مخ الغير، يشهد بأنه يوجد فينا أصل كشاف غير مادي وله شخصية خاصة به. فالزعم بأن المادة الخفية تفرز الفكر، يعتبر من الآراء الغريبة في الجراءة. واذا أضيف الى هذا الزعم زعم آخر وهو

ان المخ يرسل بالفكرة تبحث عن مخاخ الغير لتصيد مافيهما وتشرحه ، لهو أدخل في الغرابة مما مر . وهو من قبيل الخلط بين المعلول والعلة ، لان هنا أيضاً يظهر الفكر انه العلة لا المعلول ، فان عمله لذاتي واضح لا غبار عليه

واذا كانت توجد جمهرة من الكلمات تصلح لان تحمل رجلا من رجال العلم على ان يصرخ ويولول من الغضب فهي هذه العبارة : الابصار بدون العين ، بالجهة او الاذن او المعدة او الانامل او الارجل او الركب ، اى بالبصيرة الباطنية ، من خلال الاجساد الكثيفة ، او عن بعد مسافات كيلو مترية بعيدة . فياله من تأكيد لاشك فيه لحوادث مناقضة للعرف ؟

الجهة والمعدة والايدي والارجل والركب ليست بأعضاء للابصار ، ولا الابصار الذي نذكره يحدث منها ولكن الروح هي المبصرة في كل ذلك فالبيولوجي الذي يعرف كنه الابداع العائض على الجهاز البصري من العين ، ويدرك كمال استعدادها لتلقى الصور ، لا يستطيع ان يقبل ان هذه الصور يمكن ان تدرك بدون تركيب آلي صالح لها كتركيب العين ، وهي منتهي السكال للتطور العضوي في خلال الآماد ، اي انها تطورت من تركيب ساذج لعين (التريلويت) الذي كان موجودا في العهود الجيولوجية الاولى ، الى تركيب العين البشرية

اما من جهتي انا فقد لبثت سنين وسنين ممتنعا عن تجربة هذه المسألة رغما عن تأكيدات اصحابي من علماء النفس ، والتأكيدات التي صادفتها في مؤلفات المغمطين . فان العالم الفلكي هو آخر من يقبل ان يدرس مثل هذه المسألة . وكنت لا استطيع ان امتنع عن الفكر ، في هذه المناسبة ، فيما يعمل مشعوذة الموالد ، وفي جميع حيل مدعي قراءة الافكار التي نتلها برؤيتها في الصالونات

ولكني بعد البحث الذي عملته في سنة ١٨٩٩ عن الظواهر النفسية ، اضطرت ان انشر في الفصل الثامن من كتابي المسمي (المجهول) ٤٩ حادثة جديرة بالتصديق عن النظر عن بعد مناما . ثم عزمت على دراسة هذه المسئلة ذات القيمة الخطيرة دراسة حرة وبدون فكرة سابقة عنها ، وكانت خاتمة بحثي ان اؤكد في هذا المؤلف (صفحة ٣٧٩)

صحة التصريح الآتي وهو : « يمكن الابصار بدون الاعين والسمع بدون الاذان، لا بامتداد سلطان حاستي البصر والسمع، لان المشاهدات تثبت العكس ، ولكن بحاسة باطنية نفسية عقلية »

المشاهدات التي سنحاول تقديرها قدرها هنا تثبت صحة المقدمات التي نشرتها عنها منذ عشرين سنة، والاعتراضات التي اعترض بها علينا من الخطأ والأخذاع والتدليس والاختفاء والتزوير والشعوذة وكل ما يمكن تصوّره، تفني وتستحيل بخار أو تدع الحقيقة وحدها تتلألأ في سناها كله

الموضوع الذي أؤيده هنا رئيسي من الوجهة الفلسفية، لان نتيجته ابطال الاصل الذي قرره ارسطو ولوك وكوندياك وجميع زعماء المذهب الحواسي وهو : « كل ما يكون ادراكنا يرد اليها من طريق الحواس » . وذلك انه اذا أمكن الابصار بدون الاعين فانما يكون ذلك بعمل خاصة نفسية باطنية ، اى بقوة مجهولة مستقلة عن حاسة الابصار العادية. فالادراك يقبل والحالة هذه معارف ليست آتية من الحواس

أول مشاهدة حسية لفتت نظري منذ زمن بعيد على هذه المسئلة البسيكولوجية الغريبة، هي الرواية المحققة التي نقلتها دائرة معارف (ديدرو ودالمبير) في مادة (انتقال نومي)

وهذه الرواية يضمن صحتها شاهد ندهش من وجوده في هذا المقام وهو أسقف بوردو . واليك ماجاء في تلك الدائرة وهو :

« حكى لي هذا الاسقف انه لما كان بالدير عرف كاهناً شاباً كان مصاباً بالانتقال النومي

« فأحب ان يعرف طبيعة هذا المرض، فكان يتسلل الى حجرة ذلك الكاهن لما يعلم انه قد نام ويراقب ما يحدث له . فرأى انه كان يقوم ويتناول ورقة ويكتب عليها خطها . فكان اذا أتم كتابة صفحة قرأها بصوت عال من اولها الى آخرها (اذا كان

يمكن أن نعبّر بلفظ قرأ عما كان يعمل به بدون وساطة عينيه) فإذا لم يعجبه شيء فيها كان يرجحه (أي يشطبه) ويكتب تصحيحه فوقه بدقة عظيمة

« قال قرأت مرة مقدمة إحدى هذه الخطب وهي خطبة عيد الفصح . فرأيت أنها في درجة حسنة من الاتقان وخالية من الخطأ ، ووجدت بين التصحيحات واحد يوجب الدهش . فقد كان كتب في بعض جهاتها هذه العبارة: «هذا الطفل الالهي» فاستحسن بعد أن طالها أن يبدل كلمة المعبود بكلمة الالهي فرجج هذه الكلمة الأخيرة ووضع فوقها بالدقة الكلمة الأخرى . ولكنه رأى بعد ذلك أن اسم الإشارة وهو *ce* الذي كان يليق بكلمة إلهي (*divin*) أصبح لا يتفق مع كلمة المعبود (*adorable*) فأضاف عليه بكل حذق حرف (*l*) لتقرأ العبارة هكذا *cel adorable enfant*

« فأراد هذا الشاهد العياني لهذه المشاهدات أن يتأكد من أن الكاهن النائم لم يستخدم عينيه فيما يكتب فوضع ورقة غليظة (مقواة) تحت ذقنه بحيث لا تسمح له بأن يري الورقة التي يكتب . فيها على المكتبة ، فاستمر النائم يكتب بدون أن يهده ذلك الحائل» انتهى

وانا انقل هذه المشاهدة البعيدة العهد لاجل أن ألفت نظر قرائي الى المشاهدات التي لا تحصى بعد هذا العهد عن النظر عن بعد بدون الاستعانة بالعضو البصري بواسطة الأشخاص الذين هم في حالة الانتقال النومي، سواء كان طبيعياً أو صناعياً . فقد حدثت المشاهدة المتقدمة في سنة ١٧٧٨ وقرأتها أنا في سنة ١٨٥٦ في بلدة العالم (ديدو) ذاتها

هذه الأمثلة من إبطار المصابين بالانتقال النومي في الظلام، ليست من النسوة بحيث تكون مبهولة . فكثير من الناس يعرف عنها شيئاً ، أما أنا فقد صادفت في سنة ١٨١٦ في قصر كليغمون في مقاطعة المارن العليا، شابة في العشرين من عمرها كانت تقوم في الليل وهي لا تشعر ، وتتم في الظلام عملاً كانت بدأت في النهار من الخياطة أو الزر كشة

اننا نستطيع تشبيه هذه الخاصة الابصارية بخاصة الحرارة والفيضان واليوم ولا تكون في هذه الحالات ابصاراً بغير الاعين، ولكن كيف نفعل عن ان شبكية العين هذه الحيوانات ذات تركيب خاص وبعضها لا يبصر بالنهار قط؟
ويمكننا أن نسأل أنفسنا أيضاً عما اذا كانت هذه الاعين تحترق الاجساد الكثيفة كالعين الفوتوغرافية لأشعة رونتجن مادام السطح المرسل للأشعة لا يرسل منها شيئاً؟

علي ان هذا لا يخرج عن كونه افتراضاً فيه شيء من الجرأة. وسنرى انه لا ينطبق على الملاحظات الآتية

فلنلق مؤقناً في القرن الثامن عشر . فما أبطأ العلم في تقدمه !

في سنة (١٧٧٥) في عهد مسمر أجرى الماركيز دو بويريجور تجارب غريبة مدققة على الانتقال النومي الذي يتحصل عليه بالتنويم المغناطيسي. فاليك واحدة منها: أنام الماركيز المذكور مرة شاباً في الرابعة عشرة وهاك ما كتبه عنه:

« لما سأله عن مركز الألم الذي يشكوه، أجابني بقوله انه لما كان يحمل احجاراً على معدته منذ سنة أجهد نفسه اجهاداً عظيماً فنتج من ذلك ان تراكم فيها سائل هو الذي يسبب له الآلام التي يشكو منها

» فسأله : أنظن انك تشفى من هذا المرض قريباً ؟

« فأجابني بعد ان قبض على يدي قائلاً : نعم ياسيدي سأشفى بعد ظهر الغد في الساعة الرابعة والنصف . ثم أشار على بعدم تنويعه الا مرتين ، مرة في اليوم التالي في الساعة العاشرة والنصف ، ومرة اخرى في اليوم الذي يليه

» وكان يشكو من ألم شديد برأسه . فلما سأله من أين يأتيه هذا الألم ؟ قال من المعدة

» فسأله هل توجد صلة بين المعدة والمنخ ؟ فأجاب نعم

» فسأله ماهي تلك الصلة ؟ فقال هي قناة

« فسألته في أى الجهات تسير هذه القناة ؟ فأجاب مشيراً الى سير العصب السمباتوى اليساري العظيم
« فسألته بأى شيء ترى داءك ؟ فقال انه يراه بأطراف أصابعه
« ققلت له اذن يجب عليك ان تجس جسمك لتعرف داءك ؟ فقال نعم »
وفي اليوم التالى اعطى هذا الغلام دلالات عن الخواص المغناطيسية الممتازة
الاصابع المختلفة من اليد

هذه المشاهدات استمرت من منذ مئة واربعة وثلاثين سنة . منها جانب عظيم
لاطائل تحته وقد أسيئت مراقبتها فهي مملأى بالانخداعات والضلالات . ولكن
بعضها له قيمة لا يمكن نقضها، وهي تثبت بأنه توجد وسائل المعرفة تخالف الوسائل
العادية

ان قرائي يعرفون الامثلة التي نشرتها عن هذا النوع فى كتابي (المجهول) ومنها
مشاهدات ذات صفة خاصة لا أتألك نفسي من التذكير بها هنا بإيجاز
فيرى القارئ فى صفحة (٤٩٦) فى الفصل الثالث والخسين المشاهدة التشريحية
التي لا يمكن الشك فيها فى العمل الجراحي الذي اجراه الدكتور (كلوكيه) فى ثدى
مدام (بلاتان) التي أنيمت يوماً مغناطيسياً فلم تحس بأقل ألم، وكانت فى أثناء العمل
تتكلم بهدوء مع الطبيب، وكانت بنتها مدام (لاجانديه) قد أنيمت أيضاً فى تلك
اللحظة، فرأت باطن جسم أمها، وأثبت التشريح فى أدق التفاصيل صحة ابصارها
بدون عينيها

« سأله الدكتور : أظن اننا نستطيع ان نحفظ حياة امك مدة طويلة ؟

« فقالت : لا، انها ستموت فى بكرة الغد بدون نزع ولا ألم

« فسأله الطبيب: ماهي الاجزاء المريضة منها ؟

« فقالت : لقد تقلصت رثتها اليمنى وتدخلت فى نفسها وهي الآن محاطة بغشاء
اشبه بالصمغ، وعائمة فى وسط ماء غزير . ولكنها تشكو على الاخص من هذه الجهة،
واشارت الى الزاوية السفلى من عظم الكتف، والرثة اليمنى لا تؤدى وظيفتها اصلاً، فهي

ميتة . اما الرثة اليسري فسلمية، وبها وحدها بقيت احي حية، ويوجد قليل من الماء في غلاف القلب

فسألها الطبيب : فكيف ترين اعضاء البطن ؟

فاجابته قائلة ان المعدة والامعاء سليمة ، والكبد ابيض فاقد لونه من جهة سطحه « فماتت المريضة في اليوم التالي وشرحت الجثة ونومت مدام (لاجانديه) فذكرت بصوت ثابت وبلا تردد ماسبق لها قوله للدكتورين كلوكيه وشابلان . فقادها هذا الاخير الى الحجرة المجاورة التي ستشرح فيها الجثة واقفل عليها الباب باحكام فأخذت تتبع سير المشرط في يد المشرع، (وهي لاتراه)، وكانت تقول للاشخاص الذين بقوا معها لمراقبتها : «لماذا يجعلون الفتحة من وسط العبد اذا كان الانسكاب في الجهة اليمنى

فظهر ان كل ماقالته المنومة صحيح . وكتب الدكتور (دونسار) محضر

الشريح بيده

قال ناقل هذه التجربة وهو (بريردو بواسمون) ان شهود هذه المشاهدة كلهم احياء ويشغلون الآن في العالم الطبي درجة عالية . وقد أول المأولون تجربتهم تأويلات شتى ، ولكن لم يشك احدي في صحتها . ومع ذلك فقد رأيت (علماء) من اهل الوفاق يستلقون على اقصيتهم ضحكا عند ما يسمعون هذه الهذيان في زعمهم هذه مشاهدة لا يمكن الشك فيها من نوع الابصار بدون الاعين . وبممكننا ان نضيف اليها حالة الخادمة التي أنيمت نوماً مغناطيسياً بينما نزل سيدها الى مخزن الخبز للآتيان بزجاجة منه ، فقد صاحت قائلة انه قد انزلت رجله في السلم وسقط . فلما صعد وجد امرأته عارفة بما جرى له وبجميع الدقائق التي حدثت له في رحلته الى المخزن الارضي، فقد اخبرتها به المنومة في حين حصولها (انظر كتابنا المجهول صفحة ٤٩٩)

وكان احد الميرالايث الفرسان ينوم امرأته ، لحديث له توعدك فاستدعى احد الضباط من فرقته ليربضه، فلبث عنده ثمانية ايام او عشرة ايام . وبعد ما شفي بمدة

انام الميرالاي امرأته وكافها ان تأتبه بخبر عن ذلك الضابط لا تقطاع كتبه فصاحت قائلة : « مسكين انه في ٠٠٠ ويريد ان يقتل نفسه ، هاهو يتناول المسدس ، أسرع اليه » فاندفع الميرالاي وركب حصانه وقصده ، ولكنه ماوصل اليه حتي وجده قد نفذ عزمته

وفي سنة ١٨٦٨ في مدينة استراسبورغ كان الدكتور (كوبريه) يعمل عملا جراحيا لشابة ، فأخبرته بأن لديها كيسا في المبيض ، ووصفته وصفا دقيقا ، وكان الدكتور من ابعد الناس تصديقا لامثال هذه الامور . ولكنه بعد ان فتح بطنها وجد أن الكيس علي ماوصفته تماما

وقد نقل (هنري دولاج) في كتابه اسرار النوم المغناطيسي المشاهدة لآلية التي حصلت في دار الفيكوتنس دوسامارس مع الوسيط الكشاف المشهور (اليكسي) الذي نومه (مارسيليه) قال :

« حضر فيكتور هوجو (الشاعر الكبير) هذه الجلسة علي عادته من حب الاطلاع وكان معداً لغة من الورق مختومة كان في وسطها كلمة واحدة مطبوعة بأحرف كبيرة فأخذها النوم وادارها في يده مراراً ثم اخذ يملأ هذه الاحرف P و O و L و I اي Pol ثم قال اني لا اري الحرف التالي لهذه الاحرف ولكني اري الاحرف التي تأتي بعده وهي I و Q و N و E ثماني احرف لاتسعة ٠٠٠ ، T فتكون كلها كلمة $Politique$. نعم هي هذه الكلمة بعينها والكلمة مطبوعة علي ورق اخضر رائق قطعها المسيو (هوجو) من كتاب اراه في داره .

ثم سأل (مارسيليه) فيكتور (هوجو) عن صحة ذلك . فبادر الشاعر باءلان شهادته في صحة كشف الوسيط . ومن ذلك الحين اصبح فيكتور هوجو من اشهر المدافعين عن وجود بصر ثان في الانسان «

ونقل المسيو (دولاج) في كتابه ذلك ما ياتي ايضا :

« نشرت جريدة (البريس) في ١٧ اكتوبر سنة ١٨٤٧ فصلا مطولا عن جلسة مغناطيسية قرأ فيها الوسيط (اليكسي) ليس صحفا عديدة في خلال كتب مقفلة فقط ،

ولكن رسائل مختومة، فأثبت بذلك ان السبال المغناطيسى باضاءه الوسيط بنور علوى يسمح لروحه باختراق أشد الاجسام كثافة بسهولة لا يدانيها كل ما يتخيله الخيال عن الفوي السحرية

« وقد كان محضر هذه الجلسة موقعا عليه باسم (الكسندر دوماس) وقد حصلت في داره بالريف في حضرة رجال شرفاء شهدوا جميعا بصحتها في المحضر المذكور. وقد كان دهشهم عظيما

« وأراد (دوماس) أن يعيد المشاهدات التي رآها بنفسه فأقنعناه بأن ينوم (اليكسي) ففعل . فروت لنا روح الوسيط تاريخ خانم كان أهدي الي (دوماس) ، وذكر اسم اليوم الذي ملكه فيه الرجل الذي أعطاه اياه. ثم أخذت روحه تصف، وهو كالصغيرة التي لا يصددها شيء عن اختراق الهواء محمولة على جناح ارادة غريبة عنه ، مدينة تونس وضواحيها، ولم يكن يعرف عنها وهو في حالة البقطة غير اسمها، وبالجملة فقد تغلب على المكان والزمان معا . وقد ذكرت بضع جرائد اخرى. ولما لم تستطع هذه الصحف أن تمنح أمانة هؤلاء الذين شهدوا بأنهم رأوا هذه الخوارق بأعينهم، حاولوا أن يهزأوا بهم باعتبار أنهم أمناء ، ولكنهم انخدعوا بسبب سذاجتهم . وصرحوا بأن (روبير هودان) يفعل بواسطة شعبذات متقنة جميع هذه العجائب كل ليلة في بهو السراي الملكية . ولكن مما يؤسف له ان هذا المشعوذ المشهور كان قد كتب قبل ذلك كتابا الي الماركيز (دوميرفيل) أعترف له فيه بعجز صناعته عن توليد هذه الخوارق، وشهد بأن هذه الظواهر لم تحدث بأية وسيلة من وسائل الشعوذة المحكمة

« واليك نص كتابه ذلك :

« في جلسة عند (مارسيليه) حصلت هذه المشاهدة الآتية :

« قد فضضت غلاف رزمة من ورق اللعب أتيت بها محي بعد ان وضعت على ذلك الغلاف علامة خشية ان يبدل به سواه وخلطت الورق ، وكان علي ان افرقه ، فأعطيت منه، متخذاً جميع التحولات التي يتخيلها رجل مثلي متمرن على دقائق صناعته،

ولكن تحوطاتي لم تجدد، فان (اليكسي) وقفني مشيراً الى ورقة وضعتها أمامه على الخوان قائلاً : « عندك الملك . فقلت له ليس لك علم بذلك

» فقال ستري ذلك فالعب . وفي الواقع رमित الثمانية (الكارو) فقابل ذلك بالملك (الكارو) . فاستمر اللعب على صورة مدهشة، لانه كان يخبرني عن الورق الذي سألعب به مع اني كنت واضعاً اياه تحت الخوان ونخفياً اياه في كتنا يدي. وفي مقابل كل ورقة كنت اضدها كان يضع اخري بدون ان يعيدها وكانت تأتي مناسبة كل المناسبة للورقة التي لعبتها بنفسى

« فعدت من تلك الجلسة وانا في اقصى درجات الدهش، ومقتنع بأن الاتفاق أو المهارة لا يمكنهما انتاج مثل هذه النتائج العجيبة . تقبل الخ الخ
باريس في ١٥ مايو سنة ١٨٤٧ (روبير هودان)

« فالشعوذ المشهور انقم بهذا الاعتراف للتنويم المغناطيسى من المهاجمات التي يستهدف لها دائماً بتصرّحه علناً بأن صناعته تعجز عن الاتيان بهذه الانواع من الخوارق، وأعلن اعتقاده بها اطاعة لزمته»

«المستشار القضائي (سيجيير) ذهب خفية ذات يوم الى (اليكسي) وسأله:

«أين كنت من ساعة الزوال الى الساعة الثانية ؟

« فقال له : كنت في غرفة عملاك ، وانى لأراها مشحونة بالاوراق والافانف

والصور والآلات الصغيرة . وأرى أيضاً علي مكتبك جرس جميل

« فقال له : لا ، لا يوجد جرس على مكتبي

« فأجابه اليكسي قائلاً : انى لأخطي ، ان هنالك جرساً فاني أراه وهو علي

يسار وعاء الورق على المكتبة

« فأسرع المسيو سيجيير الى داره فوجد جرساً علي مكتبته وضعمته امرأته هنالك

بعد الظهر»

ونقل المسيو (دولاج) ان الكونت (دوسانت اولر) السياسى المشهور بعد أن كان

يعتبر النوم المغناطيسى من الهذيان غرم في سبيله له غرامة شريفة . وذلك انه راهن

بأن يثبت انه يستحيل علي (اليكسي) رغما عن ادعاءاته ان يقرأ ورقة مخبوءة داخل ظرف محكم الختم. وذهب اليه ومعه ظرف سميك مختوم ختما سياسياً محكماً وقال له :
ماذا في هذا الظرف؟

فأجابه : فيه ورقة مطوية أربع طيات

فسأله : وماذا علي الورقة؟

فأجابه : نصف سطر

فسأله : أنتستطيع أن تقرأها؟

فأجابه نعم ، ومتي فعلت فسترجع عما كتبته فيها .

فقال له : لا أظن ذلك

فقال له : أنا متأكد منه

فقال السفير : اذا أفلحت في ذلك فاني أعدك بأنني أصدق كل ما تقول

فقال له : فصدق من هذه الساعة فقد كتبت فيها هذه العبارة (أنا لا أصدق)

وأشار (رسل ولاس) الطبيي الانجليزي الكبير أيضاً الى مشاهدات من الكشف شهداء الدكتور (جريجوري) ونشرها في كتابه المسمى (رسائل على التنبؤم المغناطيسي) ، جاء منها ان أشخاصاً حضروا الي جلساته لمشاهدة التجارب ، وكانوا اشتروا من محل من المحلات بضع دوزينات من حكم مطبوعة وموضوعة داخل قشور الجوز . فوضعوا تلك القشور في كيس فكان المنوم يخرج منها واحدة ويقرأ ما فيها وهي مودعة داخل قشرتها . فكانوا يكسرون القشرة ويجدون مقاله عما فيها صحيحاً . وامتحنوه على هذه الصبورة بقراءة بضع دوزينات من هذه الحكم ، فلم يخطئ في واحدة منها . وكان عدد كلمات احدى هذه الحكم ثمانين وتسعين كلمة

فأضاف العلامة (ولاس) الى هذه التجارب قوله اننا مع وجود شهادات الدكتور (جريجوري) والدكتور (مايو) والدكتور (لي) والدكتور (هادوك) ومئات آخرون من رجال لا يقلون عنهم قيمة علمية ولا طهارة ذمة ، وكلهم يؤكدون حوادث مشابهة بعضها البعض لانستطيع ان نفرض ان جميع هؤلاء الناس وقعوا في اشراك تدليس لم

يمكنهم فضحه ، وخاصة اذا كان أولئك الناس أطباء شكاكين أتوا لتشخيص الامراض ، ومنهم أستاذ في صناعة الشعوذة وهو (روبرت هودان) . فاما ان تكون كل مشاهدة من مشاهدات الكشف بالنظر التي رواها المشاهدون ، (وهي تعد في الواقع بالالوف) ، نتيجة التدليس ، واما ان نجزم بأنه قد أصبح لدينا البرهان الدامغ على ان بعض الناس حاسة باطنة يجب علينا درسها . واذا كان النظر العالي في ندرة هذا النظر الحارق للعادة ، كان من الصعب التدليل على صحة هذه الخاصة العجيبة ولكن أمر النظر العالي الذي نذكره قد أصبح واضحاً وضوحاً حاسماً لدي الذين جربوه ولم يسرفوا في هذا الرأي الطاملي وهو اننا نستطيع أن نميز « بلا دليل » بين ما هو ممكن وما هو مستحيل

« لقد أجريت هذه التجارب مئة مرة ، وخاصة بين سنة ١٨٢٠ و ١٨٦٠ ويكفي ان نطالع فيها مؤلفات الدكتور بيرتران *Bertrand* وبتيتان *Pététin* والجنرال نوازيه *Noizel* ودولافنتين والدكتور كومييه ومجربون آخر كثيرون في ذلك العهد لنقتنع بقيمة هذه الخاصية وحقيقتها المطلقة

« وقد أراد مجرب نشط من هؤلاء ، وهو الدكتور (فرابار) *Frapart* ان يقتنع علماً من اعلام العلم الرسمي وهو الدكتور (بويو) *Bouillaud* المدرس بجامعة الطب ، والعدو الأول لهذا الموضوع ، فأرسل اليه كتاباً بلهجة الأمر المتعدي فأجابه ذلك الرجل الكبير بمثل لهجته قائلاً له ان له الحق في أن لا يصدق ، وليس عليه أن يطيع أوامر الدكتور فرابار وهذا نص ما كتبه له :

« اما عن الموضوع المغناطيسي الجديد الذي تسكمني عنه ، ويظهر لك انه يصلح لأن يحدث هذا الحدث الضخم ، وهو اقناعي ، فلا أرفض أن أحضر شهود مثل هذه الخوارق ، ولكن ماذا كنت قائلاً لواجبتك بعد شهودها بهذه العبارة الشهيرة التي قالها فيلسوف من نوعي : « أنا أصدق بهذا لأنك رأيته ، ولكني لو رأيته أنا نفسي لما صدقته » ؟

« ان التجربة التي تخبرني عنها لا يمكن أن تثبت أمراً مستحيلاً في الطبيعة كالنظر

بدون وساطة الاعين ، وليس عندي الا ماقلت له المجمع العلمي ، وهو انه متي ذكرت هذه الخوارق وجب على المجمع العلمي ان يقف حيالها كوقفه حيال من يخبره بأنه وجد تريخ الدائرة » انتهى

يدرك القارىء ان عبارة (اذا كنت رأيت ذلك بعيني لما صدقت لانه مستحيل طبيعيا) لم توجه الي أذن صماء ، مع العلم بأن الدكتور فرابار مستقيم الطبع وشديد النضال . لذلك لم يأبه بالصبغة الرسمية للدكتور البروسفور بويو الذي رد عليه بقوله :

« اليك كلني الاخيرة : انا لأصدق ولن أصدق ان الانسان يري بدون وساطة عينيه ، وليس الامر كما تقول انى انكره لانه خارق للعادة ، بل لانه فوق الطبيعة . وازيد على ذلك لأنه ضد الطبيعة

» وانا اصدق بمشاهدات كثيرة خارقة للعادة ، واذا كنت لأصدق ما تقول فليس ذلك لانى لا افهمه ، بل لانه مستحيل فيزيولوجيا استحالة واضحة جلية »

فأجابه فرابار في سنة ١٨٣٨ كما يجيبه كل رجل سليم الفطرة في أيامنا هذه فقال : « ليس لأى عقل مهما كانت درجة اتساعه ان يضع حدوداً للممكن وغير الممكن . لان الممكن لا ينتهي الي حد كالمكان والزمان . ونحن وان كنا قد حددناه في نظرياتنا فهو يتعداها في كل لحظة ويسخر من ضيق عقلنا . وغير ذلك ، ألم تعلمنا التجربة ان ما يظهر لنا مستحيلا اليوم قد يكون بديهة الغد . . هكذا كان الحال حيال اكتشاف امريكا وبارود المدافع ، ودورة الدم ، والكهرباء الجلووانية ، والبوصلة ، وآلة الطباعة ، ومناعة الصواعق ، والطيارات ، والتلقيح ، والعلاجات المقتطرة الخ الخ . اماما يقول لنا العقل فهو انه لا يوجد خطأ محض الا في الامر من المتناقضين ولا حق محض الا فيما هو بدهي

» وعلى ذلك يمكن الانسان ان يقول انه من المستحيل ان يرى مثلاً بغير ثلاثة اضلاع ، او عصي لاطرفين لها ، لان هذه الامور متناقضة ، ولكنه لا يستطيع ان يقول يستحيل ان رجلا يمكنه ان يقرأ من قفاه ، وان آخر يسمع من فم معدته ، وثالثا يري عن بعد مائة فرسخ ، واربعا ينبيء عن الغيب ، وخامسا لا يشعر بالالم ، وسادسا يشخص داء .

وادواء سواءه وسابعايلهم يوسف العلاجات . لا ، لا يستطيع احد ان يقول، بدون ان يحيط من كرامة العقل، بأن هذه الحوادث بدهية الاستحالة، لانه ليس لاحد الحق ولا القدرة بأن يقول للممكن : «انك ان تصل الي هذا المدى» .

« وفي الواقع، إن هذه الظواهر الخارقة للعادة جداً ليست أكثر ادهاشاً ولا عجباً ولا استعصاء على التعليل من الظواهر التي نشاهدها كل يوم . أليس كل شيء في الطبيعة غامض وعجيب ؟ ولكن يوجد عجائب تجري في الطرقات، وأخرى قليلة الشيوع، فيخيل للانسان انه قد فهم الاولى لانه يراها على الدوام، وينكر الثانية لانه لا يراها الا نادراً . ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يعمل هذه ولا تلك فهو يشاهدها وكفى » هذا التدليل من الدكتور فرا بار الذي لم يفهم اذذاك، كان أرفع من العاية المذهبية للدكتور بويو رغماً عن الرفعة الرسمية لهذا علي زميله المتواضع . والمجمع العلمي للطب الذي يمثل بويو رأيه بقي مصرأ على مجافاة الحقيقة

الاستاذ بويو الذي كان عضواً بالمجمع الطبي، وبالمجمع العلمي أيضاً، وبجميع المجمع العلمية المشهورة، كان نموذجاً خاصاً لهذه العقول الضيقة المحصورة في أخرج الخناخ البشرية التي يمكن تصورهما . فكان متديناً عن اقتناع، وغير صالح لحرية البحث علي الاطلاق، فهو الذي حكيت قصته في كتابي «المجهول» بمناسبة اختراع الفونوغراف . ففي ١٩ مارس سنة ١٨٧٨ حضرت جلسة المجمع العلمي في اليوم الذي قدم فيه الطبيي دومرسل فونوغراف ايديسون الى هذا المعهد العلمي . فلما لقن الفونوغراف ما لقن أخذ يعيده كما هو مخففر علي اسطوانته، عندذاك خف عضو من المجمع ذوسن ناضجة، وعقل راجح، وفكر مشبع بالاساطير الرسمية، وأبدى هياجاً ضد جرة المخترع، وانقض علي ممثل اديسون وقبض علي مخنقه وهو يصيح : «أيها الرجل الخبيث مثلنا لا ينخدع لمسهوذ يتكلم من بطنه » . فكان هذا العضو الموقر هو المسيو بويو المذكور . وأغرب مما مر انه بعد مضي ستة أشهر أى في ٣٠ سبتمبر في أثناء انعقاد المجمع، رأي من واجب الشرف أن يعلن انه بعد أن درس الفونوغراف درساً مدققاً، ظهر له انه كلام من البطن وان مما لا يقبله العقل أن يتأتي لمعدن حقير أن يقوم مقام الجهاز الصوتي

الانساني الكريم . فكان الفونوغراف في نظره من الاضاليل السمجية ، فهو لا ، القوم الذين يصدق عليهم قول الشاعر بأنهم مشدودون خلف مركبة الترقى ، يؤخرون كل رقى ، وبها كسون كل تقدم ، وينجحون في اخفاء كل نور عن الدهماء الذين لا يعون شيئاً

هذا الرجل الكبير كان طيب (ارسين هوسيه) ويمكننا أن نقرأ في اعترافات هذا الكاتب المبدع بأن هذا الرجل كان سبباً في موت امرأته الجميلة وابنها ، وفي موت امرأته الثانية أيضاً

هذا هو التعقل (العلمي) لبعض العلماء فترجو أن يهب لقب عضوفي المجمع العلمي شيئاً من الذكاء لرجاله وأن يفتح عقولهم
ان ما قلناه عن الاستاذ (ويو) ينطبق على زميله في المجمع العلمي (شيفرول) و (بابينييه) فيما يتعلق بالمسئلة النفسية

فقد كتب صديقي المأسوف عليه الدكتور (ماركاريو) في سنة ١٨٥٧ في كتابه (عن النوم والاحلام والانتقال النومي في صفحة ١٩٥) يقول :

« ان النظر من خلال الاجسام الكثيفة وعلى مسافات غير محدودة ، وهو الامر الذي لم يقبله العلماء ، والمنسافي لجميع النواميس الفيزيولوجية المعروفة ، والمستعصى على كل تحليل ، يظهر مع كل هذا انه حق لا عيار عليه » ثم نشر عنه الشهادات التالية فقال :

« ان الدكتور (باليينجر) افتنم بصحة بعد تجارب كثيرة . فقد كتب مرات عديدة وهو في داره ، ولا رقيب عليه ، بعيداً عن كل مطلع ، عبارة على ورقة ثم طواها طيتين ثم وضعها في ظرفين أو ثلاثة أطرف وختمها بعناية تامة ، فاستطاع المنوم أن يقرأها من خلال كل هذه الاوراق الكثيفة وأن يثبتها على ظهر الظرف
« هذه الظواهر بعينها كانت حقتها لجنة المجمع الطبي في سنة ١٨٣١ فقد جاء في تقريرها مانصه :

« قدم المسيو (ريدس) العضو بالمجمع الطبي قائمة أخرجها من جيبه فقرأ المنوم

بعد جهد ظهر انه أئعبه هذه الكلمات بوضوح تام : (لافاثر . من الصعب جداً معرفة الرجال) وكانت هذه الكلمات الاخيرة مطبوعة بأحرف غاية في الدقة . ثم وضعوا على عينيه المغمضتين ورقة جواز سفر (باسبورت) فعرفها وعينها باسم (جواز انسان) . ثم أبدلوا هذه الورقة برخصة حمل سلاح، وهي تكاد لا تفترق عن ورقة الباسبورت، وقدموها اليه من وجهها الابيض (وعيناه مغمضتان) . فقال المنوم انها ورقة فيها كتابة محصورة بين أربعة جداول . فلما أداروها، تردد هنيئة، ثم قرأ هذه الكلمات بوضوح تام (بنص القانون) . وقرأ من جهة اليسار (حمل السلاح) . ثم قدم اليه رسالة مفتوحة، فقال انه لا يستطيع قراءتها لانه لا يعرف الانجليزية . وكان ذلك الكتاب مكتوباً حقيقة بتلك اللغة

« كل هذه التجارب أئعبت المنوم فترك ليستريح . وبما انه يحب اللعب اقترح عليه أن يلعب الورق ترويحاً لنفسه من العناء . فلهب معه المسيو (رينال) المفتش السابق للجامعة، فحسروا فاجتهدوا بوضع مرار ان يقرروه بحذف الورق وابداله فلم يفلحوا

« ونوم الدكتور (فواسار) المسيو (بول فيلاجران)، وهو طالب بالحقوق مصاب بشلل الجانب الايسر، فكان يقرأ ما يطلب اليه قراءته وعيناه مغمضتان . ثم عرضت عليه، وجفناه مغلان ومغطين بواسطة المجريين على التعاقب، أنواعاً من ورق اللعب، فعرفها كأنه يراها بعينه .

« ثم عرض عليه مجلد كان آتي به المسيو (هوسون)، وعيناه مغلان ومغضتان بواسطة المسيو (سيجالا)، فقرأ عنوانه وهو (تاريخ فرنسا)، ولم يستطع ان يقرأ السطرين المتوسطين، ثم قرأ في الخامس اسم مؤلفه (انكايل) وكان مسبوقة بحرف الجر Par . ثم فتحت الصفحة ٨٩ من الكتاب، فقرأ من سطرها الاول هذه الكلمات، (عدد ما كان يملكه)، وترك الكلمة التي بعدها وهي الجيوش . ثم قرأ بعدها هذه العبارة «في الوقت الذي كان يظن فيه انه مشغول بملاذم الرفاه» الخ

« هذه الحوادث المقررة بوضوح تام في التقرير الذي تحرر باسم لجنة المجمع

الطبي بواسطة المسيو هوسون تحمل شهادة العلم المنزهة عن الغرض . ولكن يمكن أن يقال هنا ان المنومين قد قرأوا هذه العبارات في افكار المجريين . قد يكون هذا صحيحاً بالنسبة لبعض هذه التجارب الذي اجراها المجمع الطبي . ولكن هذا التعليل لا يمكن ان ينطبق على الحوادث التالية، لان المجريين لم يكونوا يعرفون العبارات التي أقرأوها المنومين

« كان احد اصداقائي، وهو الدكتور (ن)، حاضراً في الايام الاخيرة في سهرة حافلة بالكثيرين من رجال الفنون والآداب، ممن يعرف بعضهم بعضاً جيد المعرفة. وصديقي هذا ليس ممن يعملون على ترويج هذه التجارب . فكان بين الحاضرين اليكسي الوسيط المشهور. فنومه المسيو مارسيليه واليك ما حدث : ذهب صديقي الدكتور (ن) الى الحجرة المجاورة واحضر منها كتاباً لم تقص اطراف صحفه بعد، ورجا المنوم ان يقرأ سطرًا معيناً من صفحة معينة ، ولم يفتح الكتاب. فتردد المنوم اولا وظهرت عليه آثار الجهد، ثم طلب قلمًا وكتب السطر الذي امر بقراءته . فقصت اطراف تلك الورقة وبخشوا عن الصفحة والسطر المطلوب، فدهش جميع الحاضرين عند ما رأوا ان التجربة قد نجحت نجاحاً تاماً . ولكن السطر كانت عبارته انجليزية في الكتاب فنقله الوسيط الى الفرنسية . ومما حير المجريين ان هذا الوسيط عينه عمجز عن قراءة كلمة باريس المكتوبة بخط عريض على ورقه مطوية اربع طيات

« لا يمكن هنا الاحتجاج بمسألة انتقال الافكار فان أحداً لم يفتح الكتاب الذي كان غير مقصود في ساعة التجربة » انتهى

هذا مقال الدكتور ماركار من منذ نصف قرن. فالمسائل التي نهتم أحياناً بتأكيدها بجرأة كانت معروفة من زمان بعيد . فان كنت أوردت مشاهدات قديمة من سنة ١٨٥٠ و ١٨٤٠ و ١٨٣٠ بل ١٧٨٦ عن بوزيجور و ١٧٨٨ عن دائرة المعارف المجلد ٣١ فما ذلك الا لاثبات ان هذه الحوادث النفسية كانت مقررة منذ سنين كثيرة، بل منذ أجيال عديدة . فلنستمر على النقل فان المورد غزير

أما من جهتي انا فقد سمعت روايات عن تجارب أجريت في مسألة الابصار بدون الاعين وشاهدتها بنفسى

ففى صيف سنة ١٨٦٥ أقت مدة شهر الاجازات فى مدينة سانت ادرس على سند رأس هيف فى غرب الهافر بشارع الصيادين رقم ٥ ، وكان يقمى فى الدار المقابلة لدارى طبيب مشهور يحمل اسما عليه مسحة فلكية هو الدكتور كوميت (١). وكانت له امرأة أعطته أمثلة غريبة عن هذه الخاصة ، فقد أصيبت فى بعض أدوار حياتها بمرض الانتقال النوى ، فكانت تقرأ عينها مغمضتان من خلال الاجسام الكثيفة ، وكانت تسمى أصغر الاشياء التى كانت تقدم اليها وهى محجوبة فى قبضة اليد ، وتقرأ الافكار وترى مايجرى فى الدور المجاورة من الامور فى وقت حدوثها ، وتعين بالدقة الايام والساعات التى ستصيبها فيها النوبة المرضية وتصف العلاجات التى ستشفيها

فيمكن الاطلاع على تاريخ شفاء مدام كوميت بكشفها المغناطيسى وعلى رؤيتها لأعضائها الباطنية ، فى كتاب الدكتور فرا بار المسعى رسائل على التنويم المغناطيسى ، مما لا يترك مجالاً للشك فى صحة هذه المشاهدات . وفيه مشاهدات الدكتور كوميت تليها مشاهدات مشابهة لما حدثت أمام الدكتور الفونس تيس فى امرأته نفسه أيضاً . كل هذه المباحث تاريخها سنة ١٨٤٠ وقد ذكر المؤلف انه يجب انتظار خمسين سنة أخرى حتى يعترف العلم الرسمى بصحتها . ولكنه أخطأ فى ذلك . فانه بعد الخمسين السنة التى ذكرها أى فى سنة ١٨٩٠ كانت أو هام الجهل القديم لا تزال متلبدة فى العقول . ولم يزل الامر على ماكان عليه الى اليوم

على ان الوقت يمر سريعاً والانسانية بطيئة فى تقدمها . وقد قلت فى اول صفحة من هذا الكتاب بأنى قد بدأت هذا العمل منذ أكثر من نصف قرن . وما قرأه من السطور السابقة وما تحمله من تاريخ سنة ١٨٦٥ أكبر دليل على ذلك

(١) معنى كوميت بالفرنسية النجم ذو الذنب Comète ولكن اسم الدكتور يكتب قريباً من ذلك أى هكذا Comet

من بين التجارب الكثيرة التي تساعدنا في حل المسألة التي نحن بصدد حلها أذكر مشاهدة عجيبة أوردتها الدكتور (جيبليه) وهو طبيب بمستشفيات باريز أوردتها في كتابه (تحليل الاشياء) *Analyse des Choses* صفحة ١٣٧ حدثت هذه المشاهدة في ابريل سنة ١٨٨٥ وقد أكثر من ذكرها امام شهود عيهم بأسمائهم . فقد حصل على قراءة من الوسيط بدون عينيهِ، وهو في حالة النوم المغناطيسي واليك ماقاله :

« كانت الوسيطة شابة اسرائيلية في العشرين من عمرها . فلما نامت ووصلت الى حالة متوسطة من الخروج عن الجسد ليست بحالة ليتارجية، (الليتارجيا حالة تشبه الموت)، ولا بالانتقال النومي، ولا بالذهول المصحوب بالكلام، ولكن الحالة التي يسميها المغطسون الاختصاصيون بالانتقال النومي الكشاف ، وضعت قطعتين من القطن على كل من عينيها وربطتهما بغوطة مخينة او بقطعة من الفولار، وعقدتها وراء قفاها، وكانت هذه أول مرة حاولت فيها التجربة التي سأذكرها، فدهشت من تمام نجاحها، وأرى من واجبي أن أقول بأني الى ذلك الحين لم أكن من الدربة علي ما صرت اليه بعد ذلك عقب ابحاثي الطويلة ودراساتي العديدة المتواصلة علي هذه المسئلة

« فتناولت من مكتبتي الكتاب الذي وقع تحت يدي وفتحت بدون قصد صفحة معينة . ثم أمسكت به فوق رأس الوسيطة وهو مغلف، بدون أن انظر اليه ، على بعد سنتيمترين من شعرها، وأمرتها بأن تقرأ السطر الاول من الصفحة التي علي يسارها . فأجابت بعد أن سكمت هنيهة قائلة « نعم انا اراه فانتظر » . ثم قالت « اب التشابه يؤدي الي الوحدة لانه اذا كانت » ثم سكمت ، وعادت فقالت : « انا لا استطيع ان اقرأ اكثر من هذا . كفى فان هذا يتعبني » فخفضت لاسارتها ، وأدرت الكتاب فوجدته كتابا في الفلسفة، ورأيت انها قرأت منه السطر الاول الذي عينته الاكلمتين « لنورد مشاهدات اخري ، ولنفتح مثلاً الكتاب القيم للسر اوليفر لودج (مدير جامعة برمنجهام) المسمي بقاء الانسان بعد الموت في صفحة ١١٠ ولننقل عنه هذه الجملية الروحية العجيبة استنتون موزس وهي :

« المستر ستنتون موزس الاستاذ بجامعة كوليدج بلوندرة كان حاصل على خاصة الكتابة تحت تأثير الارواح، وهو منفرد وحده كل صباح، (اي ان الروح كانت تستولي على يده قهراً عنه فتكتب ما تشاء وهو يخاطب من يكون بجانبه او يفكر في أمر هام). وكثير مما كتبه يده على هذه الحالة قد نشر واشتهر لدى الذين يدرسون هذه المسائل. ولكن الحادثة التالية مدهشة وتصلح ان تكون مثالا غريبا مؤثراً للقدرة على القراءة من بعد. والنص الذي سنورده هنا حصل عليه المستر ستنتون موزس بينما كان جالساً في مكتبة الدكتور (سير) في حالة ما كانت يده تكتب بغير ارادته وهو يحدث مخاطبيه غير المرئيين. واليك هذه الحادثة :

« سأل المستر ستنتون موزس الروح المزعوم قائلا :

« أستطيع أن تقرأ ؟

« فأجابه : لا يا صاحبي لا أستطيع ولكن (زكريا لوغري) و (ريكتر)

يستطيعان ذلك

« فسأله : أوجد واحد منهما ههنا ؟

« فأجابه : سأحضر لك أحدهما

« حدثت فترة ثم كتبت يده بغير ارادته

« ريكتر هنا

« فسأله ستنتون موزس : أستطيع ان تقرأ ؟

« فأجابه : (وقد تغير الخط)، نعم ولكن بصعوبة

« فقال له : تفضل على بكتابة السطر الاخير من المجلد الاول لكتاب (الانبيد)

Enéide

« فأجابه انتظر

Omnibus errantem terris et fluctibus aestas

« فرأي ستنتون موزس ان الثقل صحيح، ولكنه توهم انه قد يكون هو نفسه

راه من قبل وحفظه في ذاكرته على غير شعور منه. فوضع سؤالاً آخر وهو :

« أتستطيع ان تذهب الى المكتبة، وتنظر في المجلد الذى هو قبل المجلد الاخير من الصف الثانى منها ، وان تقرأ الفقرة الاخيرة من صفحة ٩٤ ؟ قال سنتون موزس ولم اكن اعلم ماهو ذلك الكتاب، بل كنت اجهل اسمه

» فبعد مضي برهة من الزمن كتبت يد سنتون موزس بغير ارادته هذه الكلمات : (سأبرهن بمحادثة تاريخية بأن البابوية بدعة تكونت يسيراً يسيراً وكبرت من لدن العصور الاولى المسيحية الصحيحة ، لامن العهد الرسولى بل من العهد المحزن الذى اتحدت فيه الكنيسة والحكومة في زمن قونستطين)

» قال سنتون موزس فرأيت ان الكتاب المذكور مؤلف غريب اسمه

Antipapo priestlan, on attemp to liberale and purify christianly الخ مؤلفه (روجر) « انتهى

فاذا لم يكن هذا قراءة روح فماذا هو اذن ؟ ان من المستحيلات العقائية انكار الحوادث المقررة بالتجربة

لنذكر فى هذه النماصة تجربة السير وايم كركس، (من اكابر علماء الانجليز والعضو بالمجمع العلمي البريطاني)، فى قراءة العبارات التى كان يجهلها هو نفسه، ويجهلها الوسيط ايضا . كان الوسيط امرأة تصله بالارواح بواسطة قطعة من الخشب مثبت فيها قلم من الرصاص. فكان يتحرك هذا القلم تحت يديها على الورقة. قال الاستاذ كركس المذكور :

« كنت اود لو أستشف وسيلة لاثبات ان ماكانت تكتبه الوسيطة لم يكن من عمل لاشعورى صادر من مخها . فكانت قطعة الخشب على عاداتها دائماً تثبت بأنها وان كانت تتحرك تحت يد الوسيطة وذراعها، الا ان العقل القائل لها كان عقل كائن غير منظور، يستخدم مخها كما يستخدم آلة موسيقية، ويحرك عضلاتها على هذه الصورة

د فقلت عند ذلك لهذا العقل غير المنظور : أترى كل ما فى هذه الحجرة ؟

» فكتبت قطعة الخشب : نعم

« فقلت له : أرى هذه الجريدة وتستطيع قراءتها ؟ وعند قولي هذا وضعت أصبعي على عدد من التيمس كان خافي علي خوان ولكني لم انظر اليه
 « فأجابت قطعة الخشب : نعم
 « فقلت لها : اذا كان الامر كذلك فاكتبى الكلمة التي تحت اصبعي لاصدقك
 « فبدأت قطعة الخشب تتحرك ببطء وكتبت بصعوبة عظيمة هذه الكلمة
 (However) فالتفت خافي فرأيت ان الكلمة التي كان يخفيها أصبعي هي هذه الكلمة

« لما عملت هذه التجربة تجنبت عمداً ان انظر الى الجريدة، وكان يستحيل على تلك السيدة أن ترى منها كلمة مطبوعة واحدة ولو حاولت ذلك ، لأنها كانت جالسة امام خوان والتيمس خافي علي خوان آخر وجسمي حائل بينهما »

أضيف الى هذه المشاهدات المتنوعة المشاهدة الجديدة التي حضرها الطبيعى الامر يكاني الكبير اديزون (مخترع الفونوغراف) الذي لايتأتى لاحد ان ينكر قيمته في النقد التجريبي. فإليك تقريراً كتبه بنفسه (انظر مجلة التاريخ السنوي للعلوم النفسية . مايو سنة ١٩١٦) قال :

« ان الرجل الذى سأتكلم عنه ارسله الى احد اصداقائي الاقدمين، وكتب الى بدون تقديم مقدمة يقول : ان هذا الرجل المدعو (ريز) يأتي اعمالا غريبة ، فأردت ان تعرفه، فلعلك تتوصل الى تعليل الخاصة التي عنده

« فضررت له موعداً . فحضر لى في اليوم المعين في معمل . فدعوت بعض عمالى للتجربة معهم . فطلب ريز الي واحد منهم، وكان نورفيجيا، ان يدخل الى الحجرة المجاورة وان يكتب على قطعة من الورق اسم البنت الصغيرة لأمه ومحمل ولادتها واشياء كثيرة اخرى . ففعل النورفيجي ماأشار به عليه ، وطوي الورقة وحفظها في قبضة يده . فأخبرنا ريز عما فيها كله، واطاف الى ذلك قوله: ان ذلك الشاب يحمل في جيبه قطعة من السكة (العملة) تساوي عشرة كورونات . فكان الامر كما قال

« فبعد ان اجري تجارب كثيرة كئذه مع العمال الآخرين، طلبت اليه أن يجرب
 مهى انا . وعند ذاك دخلت الى عمارة أخرى، (اي خارج معمله)، وكتبت هذه الكلمات
 « أتوجد مادة خير من هيدروكسيد النيكل لوضعهما فى بطارية كهربائية مع المواد
 القلوية ؟ »

« وكنت فى ذلك الحين اعمل فى بطارية كهربائية قلوية، وكنت اخشى ان لا أكون
 من عملي على هدى . وبعد ان كتبت هذه العبارة، التقيت على نفسي مسألة وركزت
 فكري كله فى حلها، بقصد ان اضلل ريز اذا حاول ان يعرف ما كتبه براءة فكري .
 ثم عدت الى الحجرة التى تركته فيها

« فما دخلت عليه حتى بدرنى بقوله: لا، لا يوجد خير من هيدروكسيد النيكل
 لبطارية فيها مواد قلوية . ومعنى هذا انه قرأ سؤالى كما وضعته
 « فأنا لا أزعج انى استطيع ان اعمل هذه الخاصة . وانا مقتنع بأن حاجات المدينة
 ستولد اكتشافا عظيما بواسطة رجال لهم هذه الموهبة . فالعدد النزر من أهل الكشف فى
 الجيل الحاضر سينقلبون الى جم غفير فى الاجيال القريبة . والعقل الطبيعى سيكبر فى
 المستقبل ويكمل بسرعة عمل العقل الطبيعى الراهن

« وبعد التجارب التى ذكرتها بسنتين دخل على بواب معلمي وأخبرنى بأن ريز
 حضر ليرانى، وهو موجود بالرفة الخلفية . فتناوت قلمى وكتبت بأحرف غاية فى
 الدقة كلمة كينو، (وفى الاصل بأحرف ميكروسكوبية اى لا يكشفها الا الميكروسكوب)
 ثم طويت الورقة ووضعتها فى جيبى، وأمرت الخادم ان يدخل على ريز
 « فلما دخل قلت له : لقد خبأت ورقة فى جيبى فما الذى كتبه فيها؟
 « فأجابني بلا توقف : كلمة (كينو)

« بعد مدة من هذه التجارب التى أجريتها فى معلمي عمل الدكتور (جيمس هاناومسون)
 الطبيب الاخصائى المشهور فى الامراض العقلية تجارب متناقضة . وذلك انه دخل
 مكتبه وكتب اسئلة على قطع صغيرة من الورق وأخفاها . وبقي ريز يكلم من الباب
 حتى انتهى الدكتور تومسون من عمله . فابتدعه الوسيط بقوله :

—————

« يوجد في قعر الدرج الأيسر من مكتبتي ورقة صغيرة مكتوب عليها كلمة
Opsonic ، وتحت الكتاب الموضوع على مكتبتي ورقة أخرى عليها هذه الكلمة
Ambiceptor ، ومكتوب في ورقة صغيرة ثلاثة كلمة Antigen
« فكانت الدلالات التي اعطاها ريز بدون توقف غاية في الضبط. فدهش تومسون
بما رأى واعترف بصحة هذا الأمر

« ومنذ بضع سنين شرعت في عمل سلسلة من تجارب حاولت بها ان انقل
الافكار من شخص الى آخر بكل ما تخيلته من الوسائل ، فاجتهدت للنجاح في ذلك
بواسطة اجهزة كهربائية ثبتها على رؤس المجريين . فدخل اربعة منا الى اربع غرف
مختلفة، ولكن تصل بعضهم ببعض أجهزة كهربائية صنعتها لهذه الغاية . ثم اجتمعنا
وجلس كل منا في ركن من حجرة واحدة ، واخذنا نتقارب شيئاً فشيئاً على كراسينا
متجهين نحو مركز الحجرة، حتي تماسرت ركبنا ومع ذلك فلم نحصل على أية نتيجة
« ولكن ريز لم يكن في حاجة لاي جهاز ولا لاي شرط خاص لعمل ما كان
يعمله » انتهى

هــذا ما يقوله اديزون وجميع المجريين الذين درسوا (ريز) شهدوا فيه مثل
هذه الشهادة وخاصة المسيو (شرناك نوتزنج) الذي درس هذا الموضوع معه
دراسة خاصة (شرناك نوتزنج هذا مدرس علم النفس بجامعة برلين)
لقد جمعت مئات من حوادث النظر بدون الاعين . ولا مشاحة ان من أهمها
ما شاهده الاستاذ (غراسيه) المدرس بجامعة مونبيلييه . فقد اخفى اربعة اسطر من
خطه في ظرف صغير واقله باحكام ، فقرأه عن بعد ثلاثمائة متر وسيط الدكتور
(فيرول) . كما ورد ذلك في مجلة التاريخ السنوي للمباحث النفسية عن سنة ١٨٩٧
صفحة ٣٢٣

وليس على هذه الحوادث شية من خيال او انخداع او تدليس ، فهي من الدقة
والتحصى في مثل ما عليه مشاهدات الحوادث الجوية والفلكية . وهي بهذا الوصف
تستحق ان تكتسب الصبغة العلمية

ان شخصيتنا الروحية وأنيثنا العقلية تستطيع ان ترى بدون وساطة الاعين الجسدية . وقد جمعت هذه المشاهدات في مدى سنين كثيرة . وبما اني افترض ان قرأني على مثل ما انا عليه من صعوبة التصديق ، فأستحسن ان استمر على عرض بقية ابحاثي امام اعينهم ، وليس يصعب علي شيء غير تخيير أحسن هذه المشاهدات المتنوعة التي لا يمكن نكرانها . فاليك واحدة كنت آسف ان لم اضفها الي ماسبق من امثالها باعتبار انها لا تقل عنها تدليلاً على صحة ما نحن بصددده ، وهي منقولة مما نشره الدكتور (فانتون) من مدينة (كانيت) في مجلة (التاريخ السنوي للمباحث النفسية) لشهر ديسمبر سنة ١٩١٠ ، وهي تتعلق بشابة تحب الرقص حبا جما اصبحت بعد اصابتها بعدة حوادث هysterie بحال يؤسف لها ، حتي صارت تعبئة العقل ومريضة في الدرجة القصوي . وكانت تسكن مرسيليا وزوجها في جنيف . فاليك ما كتب عنها :

« تسلم الدكتور (فانتون) الذي كان يعالجها في (اكتوبر سنة ١٨٨٥) تلغرافاً من زوجها يخبره فيه بأنه قادم من جنيف في ليلته تلك بالقطار الذي يصل في الساعة السابعة ، وهو القطار الذي يمر بمدينة كولون في الساعة التاسعة ، ويصل الي ليون في الساعة العاشرة ، ويبلغ مرسيليا في نحو الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي

« وفي الساعة السابعة مساء استدعي الدكتور الي بيت المريضة لاصابتها بنوبة شديدة . فلم يتعجل وتعشى على مهل ، وكان ماأكله عجة بحشائش دقيقة . وكان بيت المريضة على نحو ٣٥ متراً من بيته

قال الدكتور : « رأيت عند وصولي الي دار تلك السيدة أنها محاطة بثمانية أشخاص ، لا يزال ستة منهم علي قيد الحياة ، وقد شهدوا كلهم بما وقع من الحوادث التي سأذكرها

« فقد اخبرتهم عني قائلة : « انه لم يتعجل الحضور . هاهو قد عزم عليه » ثم لما مضت مدة قالت : « هاهو بالباب ، انه يقرع الجرس » وما كادت تتم هذه العبارة حتي دق الجرس . فلما دخلت عليها قابلتني بعملة عالية وعاتبنتني قائلة : « انك لم تمرع

بالحضور حين دعوتك. وقد أوعزت إليهم ان ينكروا وجودك بالدار في الوقت الذي كنت تنعشي فيه، وقد كنت تأكل عجة بحشائش دقيقة

» ثم قالت من العبث ان تحاول الاعتذار، فقد علمت ماذا كنت تعمل، فأعطني تلغراف ألفريد الذي تحمله معك فقد كان يستطيع أن يرسله اليّ انا » وبعد مضي برهة من الزمن ذكرت المريضة بصوت عال مفهوم مؤدى التلغراف الذي كان في قهر جيبى ولم يعرفه من الحاضرين سواي . جرى كل هذا بدرجة من السرعة وكنت انا على حالة من الدهش، والحاضرين انفسهم على درجة من الاستغراب، بحيث اضطرت ان انتظر هنيهة لاعود الي رشدي قبل ان اخبر الحاضرين بأن كل ما قالته صحيح، وأريهم التلغراف الذي تسلمته قبل حضوري بنصف ساعة

» فكيف علمت مدام ألفريد مؤدى هذا التلغراف ولم تتوقع عودة زوجها، ولم تخبر عن ساعة حضوره، ولا عن الطريق الذي سيبطيه؟ هذا ما جاهدنا في تعاليله ولم نفلح

» بعد هذا حدثت لها نوبة أخرى من الضحك العالى الدال على السرور وتخللت ضحكها هذه الكلمات : « انه نائم ، انه لم يستيقظ ، لا ، لا » ثم تزايد الضحك الى درجة الاختناق، وانتهى الى تتممة سمعنا منها بوضوح هذه الكلمات : « انه نائم، وقد بقي في القطار فلا يمكنه ان يصل اليها » وكانت الساعة اذذاك تسعة

» وفي الصباح خرجت لاستقبال زوجها مع رجلين من أصحابنا في ساعة حضور القطار . وقبل ان ابرح البيت اوصيت الجميع، وخاصة الذي يلازمون المريضة، بأن يحفظوا بغاية الدقة كل ما يحدث في غيبتنا حتي اصغر الامور . وأجمعنا نحن ان نحفظ كل ما يصدر منا من الاعمال والاقوال . فوصلنا الى المحطة بدون حدوث شيء ، فلم نجد الزوج بالقطار الآتي من ليون. فرجعنا الى بيت المريضة، وقبل ان نغادره ورد اليها تلغراف مسحوب من (غرينوبل) يخبرنا الزوج فيه بأنه لا يصل الا بعد الظهر لانه لم يلحق بالقطار

» فمركت المريضة في الساعة الحادية عشرة ، وبعد الظهر استقبلت الزوج قبل ان

يقابله أحد، وبدرته بالسؤال غير تارك له وقتاً للتخمين . فأخبرني بأنه في الساعة التاسعة من مدينة (تولوز) ولم يستيقظ فأتجه القطار به الى شايري ولم يتنبه من نومه الا بها . فلما رأى انه بتغير وجهه لا يمكنه ان يصل الى مرسيليا الا متأخراً سبع ساعات، أرسل تلغرافه الثاني . فكلفتني ان يعيد ما قاله أمام كثير من الشهود الذين راقبوا امرأته في الليلة الماضية، فرأينا بعد أن قصصنا عليه ما جرى بأن امرأته تتبعته في أثناء سفره، ونقلت اليها التفاصيل التي حكمتها لنا ساعة حدوثها « انتهى

الدكتور (فانتون) الذي أورد لنا هذه المشاهدات لم يكن يعرف الموضوع الذي ندرسه اليوم وهو النظر عن بعد بدون الاعين، ولذلك دهش منه غاية الدهش . ولكننا نعلم اليوم بأن هذه الخاصة الروحية لا يمكن نكرانها، وان الانسان يرى بروحه لا بالعصب البصري اشبكية عينه

فلننصت الآن الى ما كتبه الدكتور (اوستي) على بعض المشاهدات الحديثة التي يحصنها بنفسه قال :

« قد أعطت مدام كاميل المشتغلة بفن العرافة بمدينة (نانسي) في فبراير سنة ١٩١٤، وهي في حالة نوم مغناطيسي دلالات سمحت بوجودان بجثة المسيو (كاديو) المتغيب من منذ ٣٠ ديسمبر بدون ان يوجد عنه أية علامة يمكن الاستناد عليها في الاستدلال عليه . فأحدث ذلك ضجة عظيمة في الصحافة . فأجمع رجال البوليس والقضاء على استهجان هذا الامر . فان اصحاب (العقول القوية)، والخبثاء، والذين مداركهم عالية في نظرياتهم الثاقبة، لم يتأخروا لحظة عن اتهم الوسيلة بأنها مدلسة استأجرها الجناء لتضليل التحقيق

« وقد قابل الاستاذ (سيرنيم) مخبر جريدة المسانان فصرح له بأن العرافة لا وجود لها، وقال له : « لم أستطع الحصول في مدى حياتي العلمية الطويلة على حادثة واحدة من النظر عن بعد أو من العرافة . وكل تربيتي العلمية تثور ضد القول بوجود مثل هذه الخوارق ، ولا أزال أنازع في صحتها حتي يقوم عليها دليل جدي »

ومع هذا كله فلا شيء أصبح من وجود هذا الكشف المغناطيسي

وبعد مغزو شهر، أي في ١٩ مارس سنة ١٩١٤ اختفت مدام (اندرية ريفو) بوابة قصر (بورسوات)، ففتش رجال البوليس الغابات والبحيرات المتولدة من نهر المارن الذي كان في حالة فيضان اذذاك . وقامت الجندرية وخفراء مدينة رئيس المتقفلون بتفتيشات نشيطة، فلم يستعد القضاء من ذلك شيئاً . فجري اخوان (ريفو) على أسلوب أسرة (كاديو) ولجأوا الى بضع وسطاء مغناطيسيين ، فاتفقوا على التصريح بأن البوابة قتلت ضرباً والقيت في الماء . اما مدام كاميل التي كانت احدى العرافات الثلاثة فصرحت في ٢٤ مارس بما يأتي كما ورد في جريدة الجورنال :

« انكم تبحثون عن قرية لكم ، اني اراها، فانها بعد أن قابلت رجلاً يلبس بذلة عسكرية وتبادلا أوراقاً سارت بالليل سالكاً طريقاً خالياً ، ولما كانت على مقربة من جدول ماء، ولم يبق بينهما وبين بيتها غير قليل، جاء رجل فضربها على الجهة الخلفية من رأسها بهراوة فسقطت المسكينة ميتة . فحملها قاتلها والقاهها في اليم وهأنا أري جسدتها الساعة . وهي ستوجد بعد أيام بعيداً عن هذه الجهة »

« وفي ١٢ ابريل التقط بعض الصيادين جثة مدام (ريفو) اذ وجدوها طافية على الماء عند مدينة (جولغون) فقرر الدكتور (بوتيت) الطبيب الشرعي بأن الموت جنائي . وقال بأن هذه البوابة ماتت ضرباً بانكسار جمجمتها قبل ان تلقى في الماء ، (انظر مجلة التاريخ السنوي للعلوم النفسية الصادرة في ابريل سنة ١٩١٤)

والمشاهدة الآتية اكثر في الدلالة مما سبقتها وهي منقولة عن مجلة (التاريخ السنوي للعلوم النفسية الصادرة في ابريل سنة ١٩١٤) بتوقيع الدكتور (اوستي)

« في ١٨ ابريل سنة ١٩١٤ وصل الدكتور اوستي كتاب جاء فيه ان المسيو (اتين ليراسل) البالغ من العمر اثنين وثمانين سنة قد فقد في مركز (الشير) الصغير وان جميع الجهود التي بذلت لوجدانه لم تؤد الى نتيجة . فقصده الدكتور (اوستي) مدام (موريل) العرافة والمقيمة في باريس، (وقد قابلتها انا بنفسي وكانت لي فرصة استفتائها)، وكان مع الدكتور المذكور قطعة من الفولار من اشياء العقيد . فأخذت العرافة تتبع بهير المسيو (ليراسل) في تنزهه خلال غابة، فوجدته ميتاً وممدوداً على الارض حيث

وقف معييا رازحا مصعبا على أن يموت . حصل هذا في ٢ مارس وقد لبثت أسرته ١٥ يوما هي ورجال القرية وثمانون رجلا عينهم عمدة البلد، يبحثون عنه في الغابة فلم يعثروا به. ولكن باتباع الباحثين الدلالة التفصيلية للعرفة، ودخولهم في المسارب التي وصفتها لهم، اهتمدوا الى جثته في المكان الذي عينته . فكان الذي فعلته انها تعقبته بروحها، ورأت انه لما وصل الى هناك ضرب بعصاه الارض كعادته وعمد بجانب شجرة ضخمة وغدير ماء، وكانت هذه ضجعته الاخيرة

« أما (مدام موريل) فلم تسمع قط عن هذا الرجل ولا عن بلدة (شير) »
 « وليس هنا أثر من التلباتيا، ولا من انتقال الافكار، لان الجميع كانوا يجهلون هذا الامر . اما الذي فيه فهو النظر بدون الاعين عن بعد، كما هو الحال في جميع الامثلة التي قدمناها في هذا الفصل »

هذه حوادث شوهدت لا يجوز الخلط بينها وبين الاعمال التافهة للعارفات اللاتي يدعين أبعد درجات الكشف، ولا للضاربات بالورق. فلانكن متحيزين لشيء، ولنبحث في كل شيء . وقد تقررت مسألة النظر بدون الاعين فيجب اعتبارها فرعا جديدا لشجرة العلم

ازاء جميع هذه المشاهدات لا يتأني لاي انسان بعد الآن ان ينكر مشكلة الرؤية بدون الاعين من خلال الاجسام الكثيفة، ومن خلال المكان والزمان يضعحكننا المذكرون عند ما يؤكدون بأنه لا يوجد في كل هذا غير خداع وتضليل وأحاييل وهذيانات . فليتخيّلوا أنهم ألما بجميع نوااميس الطبيعة، وان الكون لم يعد فيه خاف عليهم، وان النفس غير موجودة، وانه ليس للانسان ولا للوجود روح، وان كل شيء يمكن تليله بالمادة وخواصها . فهم باحثون على جانب عظيم من البلاهة

فان الحوادث التي أتينا بها في هذا الفصل عن الابصار بدون الاعين، اي بالروح، هي من التحقيق في درجة المشاهدات الفلكية والمتهولوجية (الخاصة بالحوادث الجوية)

والطبيعية والجيولوجية والانثروبولوجية (الخاصة بطبائع الانسان) وغيرها مما يتألف منه
اي علم بعيد المدى في التمهص

وهي كذلك من الصحة والثبوت بدرجة الحوادث النفسية والوساطية والاسبيرية
البالغة أعني حد في التحقيق ، والمسجلة بانفوتوغرافيا ، وان كانت هذه تقتضي دقة
شديدة خاصة لمخالفتها لمعلوماتنا الحاضرة على الطبيعة ونواميس الثقل وعلى الفيزيولوجية
البشرية، الخ

فما هي القوى المنتجة لهذه الخوارق؟ مما لا مشاحة ولا جدال فيه ضرورة وجود شيء
وراء الحجاب ، شيء عال خارج عن دائرة حياتنا العادية الخفية ، حياة اللحم والدم،
حياة العضلات والاعصاب . ان وجودنا الجسدي المادي قديتزعزع ويتحلل ، ولكن
دون ان يجر الي انحلال هذا العنصر النفساني المستقل . هذا من الممكنات الممكن
قبولها علميا

ومن المدهش والغريب جداً ان هذه الحوادث التي تقنناها هنا شوهدت منذ
زمان بعيد، بل منذ قرون، دون أن يهتم لها أحد . حتى كانت سنة ١٩١٨ فاستند عليها
القس (فاريا) وقرر صحة وجود الروح البشرية مستقلة عن الجسد في كتابه المسيحي
(سبب النوم الكشاف) . ونحن اليوم نتظاهر بأننا نأني باكتشافات جديدة بجمعنا
اياها من هنا وهناك

وهذا يدل على ان الرجال الذين يحبون أن يتعلموا لا يزالون اقلية ضئيلة جداً
بقي علينا أن نأتيك بخاصة الروح في معرفة المستقبل والعلم بالحوادث الآتية وهو
باب يؤتينا بأدلة أشد مناعة وأقوي مراساً من كل الادلة السابقة

رؤية الحوادث المستقبلية

المستقبل الحاضر .

التشكك الكثير المزاعم ، الذي ينبذ الحوادث
دون أن يتحنها ليري نصيبها من الصحة ، يعتبر أكثر
استحقاقا للذم من سرعة التصديق بدون تعقل
١ . دو هامبولدت

من بين الخصائص النفسية المجهولة التي نعوز البحث ، اذا كنا نهم بإيجاد
بسيكولوجيا تجريبية مؤسسة علي المشاهدات الحسية ، الخصيصة التي تسمح للانسان
برؤية المستقبل وشهود ما ليس بوجود الآن
وكا ان النفس ترى خلال المكان كذلك ترى خلال الزمان

لقد ألقت كتابا في هذا الموضوع لم يطبع الآن أسميته : (رؤية المستقبل) ، انباءات
مضبوطة حققت بالمشاهدة ، أحلام منبئة بأمر مستقبلية ، حوادث رؤيت قبل حدوثها
بضبط تفصيلي مدقق ، الحيرة في التوفيق بين رؤية المستقبل والحرية الانسانية ، وبين
القضاء السابق والاختيار

وليس من غرضي أن أتبسط هنا في درس هذا الموضوع الواسع ، ولكن بما اننا
اصدد اثبات خصائص للروح ، فيناسب هذا المقام أن نضيف الي المشاهدات السابقة
لحوادث الابصار بدون الاعين ، مشاهدات أخرى ليست أقل استحقاقا للتأمل وخاصة
النوع الذي يسمى (المرئي من قبل) ، وهو علي كثرة ما تنوزع في أمره لا يحتمل الشك
لدى الذين درسوا هذه المسئلة ، وملكوا من الوقت ماسمح لهم عقابلة كل مشاهدوه بعضه
بعض بدقة وعناية

الحوادث المستقبلية يمكن رؤيتها قبل وقوعها بهضبط عظيم بدون نزاع . ولسانا نعالج

هذه المسئلة هنا باعتبارات ميتافيزيكية (اي متعلقة بعلم ماوراء الطبيعة) ولكن بالاسلوب التجريبي والطريقة العملية

أول ماتنبه فكرى لهذه المسئلة، التي تعتبر غير معقولة، كان في ربيع سنة ١٨٧٠ وذلك بالقصة التي ستقرأها الآن، وهي خاصة بمشاهدة تمت على يد انسان متمتع بعقل منير وراجح، هي الاميرة (اماكارولات)، التي تحب فرنسا حباً جماً وتحضر في كل ربيع الى باريس، وتحب أن تتحدث في هذه المسائل الكبيرة . فلما حدثت الحرب بين فرنسا والمانيا تأثرت بشدة ولم تعش هذه الشابة بعد هذه الكارثة الدولية الا زمناً قصيراً . (انظر مقدمة نكبة سنة ١٩١٤) . وهذا الكتاب هو من أواخر الكتب التي وصلتني منها، وهو يحكي رؤية رأيتها تنبيء عن المستقبل، وهي واضحة وضوحاً تاماً وقد نقلتها في كتابي (المجهول) وتاريخها يصعد الى عشر سنين قبل سنة ١٨٧٠ اليك نص كتابها بإيجاز :

« نمت وأنا قلقة علي صحة انسان أحبه ، فرأيتني قد انتقلت الى قصر كنت أجهله وأدخلت الى غرفة ممتنة الاضلاع مفروشة بالحرير الدمشقي الاحمر . وجدت بها سريراً عليه انسان تقلقني حالته العصبية، وكانت أشعة المصباح المعلق في القبة تعبر وجهه الشاحب ، ولكنه كان على شعوبه باسماء ومحاطا بشعر اسود كثير ، وكان في مقابلة رجليه صورة معلقة ارسمت في حافظتي بقوة حتي اني صورتها بعد القيام من النوم . وهي المسيح متوجة بالورد بفعل ملك سماوى، ومعها آيات (شيلر) فقرأتها
« فلما مرت سنتان على هذا المنام دعيت للنزهة في قصر بأقصي هنكاليا، فوقفت باهتة عند ما أدخلت الى الحجرة التي خصصت لنا، اذ وجدت بها هي الحجرة الممتنة المفروشة بالحرير الدمشقي الاحمر، وأمامي السرير وصورة المسيح المتوج بالورد، ومعها آيات (شيلر) . وهذه الصورة لم تنقل ولم تقلد، ويستحيل أن أكون رأيتها في غير المنام. وكذلك يقال عن الحجرة الممتنة الاضلاع »

(إما اميرة كارولات)

من ذلك العهد البعيد سنة ١٨٧٠ كان كثيراً ما يتحول انتباهي الى البحث في

(١٣٣)

هذا النوع من الحوادث التي عرّضت علي دراستها بعناية خاصة . فالعمل الذي أقدمه اليوم للقراء يمثل مشاهدات متنوعة قمت بها في نحو نصف قرن، واني أقدمه بكل الثقة التي يوجبها هذا التحضير البطيء.

ان تحقق الامور التي يراها الانسان واضحة جلية في الاحلام الانبائية، أصبح مما لا يمكن نكرانه مهما عجزنا عن تعليل ذلك في الدرجة الراهنة لمعارفنا البسيكولوجية. اليك مثالا علي ذلك فيما لا يمكن دحض ما حواه، كسيرة قسيس ايرشيه (البحر) الشانوان (جارنييه) المدرس سابقا في المدرسة الكهنوتية الصغيرة التي رأي فيها هذا المنظر الذي لا يمكن الشك فيه قال:

« كنا في سنة ١٨٤٦ في السنة الثانية لمدرستي الكبيرة، فرأيت في نوعي ذات ليلة اني اسيح في عالم الارواح وكانت الطريق التي اسلكها يضاء مبهدة ومحفوظة بأشجار الواحدة منها بعيدة عن الاخرى ، وكان يظهر انها نازلة من سفح جبل الى سهل من الارض يمتد الي ما لا يستطيع أن يدركه البصر . وكانت الشمس تهبط الى الافق بين الساعة الرابعة والخامسة مساء . باسطة ضوءها الهادي علي الخلاء بالوان تصورها أينسر من وصفها

« فرأيتني وقفت دون أن أعلم لماذا ولا كيف؟ وقفت في مكان يقطعه طريق آخر في زاوية قائمة في النقطة التي انا فيها. ولم يكن هناك شيء غير عادي يلفت نظري السطح او يستدعي انتباهه . ومع كل هذا فقد وجدتني واقفا هناك معتدلا كأنني تمثال، متأملا بارتياح عظيم في غير كبير شيء ، بل في منظر زراعي يري مثله كل يوم .

« وقد لاحظت ان ذلك الطريق يقطع الطريق الذي انا عليه ويدور حول الجبل حيث أقيم جدار ارتفاعه متر علي طول الطريق ليحفظه من تهابيل التربة عاياه
« وكان كل طول ذلك الطريق ثلاث اشجار غليظة ذات ظلال ظليلة

« وعلى بعد ثلاثين خطوة من الجهة التي كنت فيها رأيت بيتا ظريفا جديدا مبيضا بالجير وحسن التعرض للشمس، وله فناء مسطح اجمل تسطیح . وكانت نافذته الوحيدة المطلة علي الشارع مفتوحة . وكان خلفها امرأة جالسة حسنه الزبي علي بساطه، وكان يغلب علي

ألوان حللها اللون الاحمر، وعلى رأسها قبعة بيضاء مصنوعة من القماش الخفيف المحرق، وكان شكلها مجهولاً عندي . وكانت هذه السيدة تبلغ، فيما يلوح عليها، الثلاثين من عمرها . وكان بجانبها ابنة صغيرة تبلغ العاشرة أو الثانية عشرة، واقفة على قدميها، فتخيلات أنها ابنتها لأنها كانت تنظر الى أمها بانتباه وهي تعمل بعض الاعمال النسوية وتعلمه ايها . وكان شعرها مدلى وليس في رجلها حذاء وان لابس على شاكاة والدمى . وكان بجانبها ثلاثة أطفال يجوبون على الارض، منهم غلام قد يبلغ الاربع أو الخمس السنين ، قائماً على ركبتيه يرى اخويه الصغيرين شيئاً في يده ليسرهما . وكان هذان الطفلان مستلقين على بطنيهما، والثلاثة مستغرقون في الاعجاب بذلك الشيء . فلما آنست المرأتان وجودى نظرتا الى وأنا واقف بالطريق ولفتتا نظري اليهما بذلك . ولكنهما لم يتحركا لانهما معتادتان رؤية المارة في ذلك الشارع

« وكان بجانبها كلب على درجة من الضخم جائم يحك جسمه من حين الى آخر ليطرد عنه البعوض »

- « ورأيت من الباب، وكان مفتوحاً على مصراعيه، ثلاثة رجال حول خوان في أقصى المكان، اثنان على جانب، والثالث على الجانب الآخر، يلعبون ويشربون . وكان يلوح عليهم أنهم من العمال الذين يعملون في الجهة المجاورة

« وكان الى اليسار من الجهة الاخرى ثلاثة خراف رعى الحشائش وتقاطح لها ولعباء، وبجانبها حصانان احدهما اشقر والاخر ابيض مربوطان الى الجدار

« ورأيت مهرآجماً يذهب الى كل جهة مرحاً، ثم أتجه للخوان الذي عليه اللاعبون يعبت في شعورهم بحفلاتيه، فلطمه أحدهم لطمه شديدة مكافأة له على ما فعل

« ورأيت أيضاً اربع أو خمس دجاجات وديكا على شيء من جمال الشكل

« هذه هي المزرعة التي كنت أتأملها مسروراً مدة عشر دقائق، ثم زالت فجأة كأنها لم تكن من قبل، فخلتها غرقت في نهر العدم الى الابد . واني لأراها في حافظتي اليوم كما أرى قبة النافوس في قريتي

« في سنة (١٨٤٩) شرعت مع صديقين لي ان نسيح في ايطاليا . فاختر قنارية

من جبال (الابنان)، وركبنا عربة نجرها خمسة من الجياد، حتي انتهت بنا الى قمة الجبل
ومكثنا هنالك خمس دقائق، ثم هبطنا بسرعة مفرطة حتي انتهينا الى موقف. وهنالك
جال جسمى العرق، وأخذ قلبي يخفق، وأخذت امسح عيني وأدلك اني، ففعل الذى
يهب من نومه فجأة. وقد ظننتني نائما ولست بنائم، وأؤكد اني لست بمجنون ولا
بمخدوع بخيال. فقد رأيت بعيني رأسي المزروعة الصغيرة التي رأيتها في منامي لم يتغير
فيها شيء، وكان أول ما جال به خاطري عند ما وقع بعصري عليها ان قلت في نفسي
اني كنت رأيت هذه المزروعة ولا أذكر أين رأيتها، ولكن أنى لي رؤيتها ولم أحضر
الي إيطاليا غير هذه الدفعة؟ فكيف اتفق ذلك؟ هذان هما الطريقتان المتقاطعتان،
والجدار القصير، والأشجار والبيت الأبيض، والنافذة المفتوحة، والام التي تشتغل والبنت
التي تنظر اليها، والأطفال الثلاثة والكلب، والعمال الثلاثة يشربون ويلعبون، والمهر وما
فعله بهم، وما كوفي. به منهم، والحصانان والخروف لم يتغير من ذلك شيء. فالتاسم
بعينهم كما رأيتهم بكل دقة يعملون الاعمال التي كانوا يعملونها في رؤياي، وجالسون
في مجالسهم بعينها علي ما كانوا عليه لم يتغير منه شيء. الخ. كيف كان هذا على هذا
النحو؟ لأدري ولا أزال من منذ خمسين سنة أسأل نفسي هذا السؤال. فقد رأيت
ذلك في نومي أولا ثم رأيتسه في اليقظة بعينه بعد ثلاث سنين «

(القس غارنييه . ش)

وقد أورد العالم الايطالى (بوزانو) في مؤلفه القيم على حوادث الانبياء بالمستقبل
حادثة تعتبر كنموذج لرؤية الشيء قبل وقوعه. قال :

« لقد قص الشفائييه (جيوفاني دي فيجروا) وهو أستاذ في المضاربة بالسيف ومن
أقوى وأشهر من يوجد منهم في (باليرم) ما وقع له بنفسه فقال :
« تيقظت ليلة من ليالى اغسطس سنة ١٩١٠ تحت تأثير حلم واضح الى درجة
حملتني على ايقاظ زوجتي وقصه عليها في جميع تفصيلاته الغريبة المضبوطة
« وجدتني في ارض زراعية علي طريق يؤدي الي غيط محروث. وكان في وسطه

بناء خلوى له حوش به مخازن واسطبلات ورأيت على يمين الدار نوعاً من كشك خشبي مصنوع من افرع الشجر ومن الخشب الجاف، ورأيت بجانبه مركبة نقل جوانبها مثنية وعليها عدة الحصان الذي يجرها

« وكان هناك فلاح لابس بنطلونا قاتم اللون، وعلي رأسه قبعة رخوة سوداء، اقترب مني ودعاني لاتباعه ففعلت . فقادني الى خلف ذلك البناء وأدخلني من باب ضيق ومنحط الى اسطبل صغير يبلغ مسطه اربعة او خمسة امتار مربعة مملوء وحلا، وكان في هذا الاسطبل سلم صغير من الحجر يدور فوق الباب . وكان هناك بعل أمام مذود متحرك، وبالجزء الخلفي من جسمه كان يسد الممر الذي يمر منه الى السلم الذي كان في آخره حجرة صغيرة أرضيتها خشب، ورأيت معلقاً في السقف بطيخات شتوية وعناقيد من طماطم وبصل وذرة

« في هذه الحجرة التي تعتبر حجرة خلفية كانت امرأتان وطفلة مجتمعات . وكانت احدي المرأتين عجوزاً والاخرى شابة، وهي فيما أظن أم الطفلة . وقد ارتسمت تقاطيع وجوه هذه النسوة الثلاث في حافطتي بوضوح تام، ولحنت من الباب الموصل الى الحجرة المجاورة سريراً لانسائين غاية في الارتفاع بحيث لم أر له شبيهاً قط

« هذا هو المنام فلنتركه جانبا

« في شهر اكتوبر التالي اضطررت للشخص الى نابل لحضور رازة أحد الخدمين فيه موطننا (اميديو بروكاتو) . فسافرت انا ومساعدتي علي اوتومبيل الي (مارنو) . وما دخلتها قبل ذلك، بل وما كنت اعرف اسمها . فأول مأثر علي، وأنا أجتاز الفلاة، الطريق الواسع الابيض، فذكرت اني كنت رأيته من قبل ولكن متى ؟ وفي اي فرصة؟ ثم وقفنا على حدود مزرعة، فرأيتني اعرفها لانني رأيته من قبل، فغزلنا من الاوتومبيل ودخلنا المزرعة. فقلت لرفيقي اليوزباشي (بروتو) انا اعرف هذا المكان، فليست هذه المرة الاولى التي اراه فيها، وعليه فان في آخر هذا الطريق يوجد بيت، وهناك جمة المين يوجد كشك مصنوع من الخشب . وفي الواقع فان كل ما ذكرته كان موجوداً،

وكذلك مركبة النقل ذات الجانبين المثنيين وعليها عدة الحيوان التي يجرها
« وبعد لحظة أتى فلاح لا بس بنطلونا اسود، وعلى رأسه قبعة رخوة سوداء، هو
بعينه الذي رأيته في منامي، أتى يدعوني الى خلف البيت. فبدلاً من ان اتبعه مشيت
امامه نحو الباب والاسطبل اللذين عرفتُهما من قبل (في النوم). ولما دخلت وجدت البغل
مربوطاً امام المذود. فنظرت الى الفلاح لأسأله عن الحيوان هل يؤدي أم لا لأن جسمه
كان يمنعني من صعود السلم الحجري؟ فأكد لي الفلاح بأنه لا يوجد أي خطر من
الاقتراب منه. كما حدث ذلك في المنام تماماً

« فلما صعدت درجات السلم، وجدت نفسي في مخزن الفسائل. فرأيت في سقفه
البطيخات المعلقة وعناقيد الطماطم والبصل والذرة، ورأيت في الحجرة الصغيرة في
الزاوية اليمنى منها النساء الثلاث العجوز والشابة والطفلة، كما رأيتهن في المنام تماماً. ولما
دخلت الى الحجرة المجاورة للخلع ثيابي رأيت السرير الذي ادهشني بارتفاعه في المنام.
فوضعت عليه جاكتي وقبعتي

« وقد ذكرت منامي هذا للكثيرين من اصحابي في بهو الاسماحة ومجال البراز
وغير ذلك من الامكنة، وجميعهم مستعدون للشهادة بذلك. فاليزو باشي (بالامنجي)
والافوكاتو (توماز فور كازي) والسنيور (اميديو بروكاتو) والكونت (دنتال دياز)
والسنيور (روبرتو جانينا) من نابل جميعهم يشهدون بمعرفتي لتلك الاماكن والاشخاص
الذين ورد ذكرهم في حوادث هذا البراز
« هذا ما حدث، اما تعليله فمن وظيفة العلماء

(حيوفاني دي فيجروا)

قال العالم (بوزانو) عقب ايراده هذه الحادثة انها جديرة بالالتفات لان صحته
لا يتطرق اليها الشك بوجه من الوجوه. فان راويه ارجل يعرف قيمة الشرف، وحكايته
للمنام قبل تحققه ينفي الافتراض الذي مؤداه ان تأثره بما رآه وتوهمه انه رآه من قبل
يرجع الى حال من احوال الوهم

عند ما كان هذا المؤلف تحت الطبع وصاني الكتاب التالي اجابة على محادثة شفوية
أهتني كثيراً ، واتباعا للاصل الذي سرت عليه ، طلبت الي كاتبه أن يشفع روايته
بالشهادات الدالة على سبق المنام للرؤية الحقيقية . فإليك هذا الكتاب

باريس في ٩ سبتمبر سنة ١٩١٩

« وفام بما وعدتكم به ارسل اليكم بحكاية مناجي مصحوبة بشهادتين ، وهو المنام
الذي أبديتهم رغبتكم في نشره . واني لست بدارس الى هذه المشاهدة المحققة اليكم وارجوكم
قبول الخ الخ

(١ . سوريل)

« في سنة ١٩١١ رأيت في نومي اني بجهة ريفية جديدة في مملكة مجهولة لدي .
فشاهدت على ربوة صغيرة ذات انحناءات رخوة مغطاة بالكلأ الرطب بناء عظيمًا ذا
مظهر مديني ، نصفه يصلح لبعض الاشراف ، ونصفه الآخر عزبة محصنة ، تحيط به
جدران مرتفعة كحزام غير منفصم ومعرضة لريح الجنوب . وكان في كل زاوية من زوايا
هذه الجدران برج ضخم قليل الطول . وكان يجري أمام الجهة الرئيسية من هذا البناء
في المرح غدير ، مياهه صافية ذات خور

« ورأيت ان رجالا بل جنوداً يستقون الماء من هذا الغدير ، وآخرين يوقدون
النار غير بعيدين ، وظوائف من البنادق مرتبة على طول تلك الجدران . وكان هؤلاء الرجال
يرتدون ملابس غريبة على طراز واحد لونها ازرق شاحب لم أكن أعرفه من قبل .
ويلبسون على رؤسهم قبعات ظهرت لي ذات اشكال غريبة

« ورأيتني أنا نفسي مرتدياً بكسوة ضابط اعطني اوامر بالنزول في تلك الجهة
« وبنأثير ظاهرة من الظواهر التي أحس بها ناس ، كنت اقول في نفسي وانا
أؤدي هذه الاعمال : ما هذا الموقع الذي نحن فيه ؟ لماذا انا هنا ، وفيه ألبس هذه
الكسوة ؟ »

« ثم استيقظت وقد ترك هذا المنام في ذهني أثراً واضحاً مضبوطاً . واهتني منه
خلوه من الجزئيات المتنافرة او المضحكة التي تكثر في نومنا ، وحصوله جامعاً بين

التلاؤم والترتيب المنطقي في الخيال — لاني كنت اعتقد محالاً ظهوري بظهور ضابط في ذلك الجيش المجهول

« فقصصت هذا المنام في النهار على أقاربي وما تخله من وجود الجنود الزرق . ثم أهملته ولم افكر فيه قط

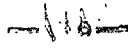
« حدثت الحرب التي قلبت حالات كثيرة الى نقيضها فجعلت مني بعد ساسلة من التقلبات ضابطاً برتبة ملازم المشاة . ففي سنة ١٩١٨ كان طابوري خلف الجبهة الحربية في (اوب) ، في دور الراحة . سكنت انا اقرب المجندين الجدد نصف سنة ١٩١٩

« فكان الطابور ماشياً منذ الفجر ، والحرارة التي كانت تصوح الحضرة الناضرة اسوق الجويدار الكبيرة ، كانت تشق على جنودي الزرق المساكين ، وكسف الغبار التي كانت تثيرها الوف الارجل المثقلة كانت لاتسمح لي ان اتعرف المكان الذي نحن فيه ، فتناقت امرأ بوقف الطابور تحت جدر القصر الذي كان على ماقاله البلوكامين على نحو مئتي متر جهة اليمين . وبعد ان اعطيت تعليمات الى رؤساء القطاعات ، ذهبت لمقابلة قائد الطابور . وبعد بضع دقائق رأيت رجالاً في منعطف الطريق المحوط بأشجار الحور التي تحجب عنا القصر

« ظهرت المزرعة بعد آخر شجرة من اشجار الحور ، فتأثرت من رؤيته اذ رأيت ان المرج ذا السفح اللطيف ، وهو موشي بالازهار التي ينشرها شهر يونيو في كل مكان ، والجدران والابراج ، مشابهة للتي رأيتها في نومي قبل سبع سنين ، ولا ينقصها الا الغدير الجميل ذو الحريز ، والباب الاثري

« وبينما انا الاحظ هذا الفارق بين المنام والحقيقة جاءني صف ضابط وسألني الي اي مكان يذهب الجنود للاستقاء

« فأجبتة ضاحكاً يذهبون الى الغدير . فنظر الى مخاطبي دهشاً . فقلت له : نعم ان الغدير اذا لم يكن في هذا الجانب فهو بلا شك في الجانب الآخر من هذا البناء . تعال معي . »



« فلما قطعت محيط الزاوية الشمالية ، لحقت بغير دهش ذلك الغدير الظريف يجري علي الاحجار المحضرة الي نحر وسط الجدار والباب الكبير ، كرايت ذلك في منامي تماما ، وهو بأعندته المكونة من الآجر القديم

» هذه الصورة علي ما وسمتها هنا هي صورة منامي الذي رأيته في سنة ١٩١٠ ، وماء هو الرؤية مؤثرة لما سيحدث في المستقبل ، حدثت لثريني مأسا شغله من وظيفة ضابط ، وهذا كان مستحيلا تخيله في سنة ١٩١١ »

(١ . سوريل)

شهادة مدام سوريل

اذكر ان زوجي حدثني عن هذا المنام الذي ادهشته تفاصيله في الحين الذي رآه فيه

١ سبتمبر سنة ١٩١٩ (هيلين سوريل)

شهادة والد المسيو سوريل

اصرح بأن ابني الفريد سوريل حدثني عن تفاصيل هذا المنام في الوقت الذي رآه فيه ، وبأن روايته عنه هنا غاية في الضبط

٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ (سوريل)

هذه الرؤيا الانبائية جاءت كفلق الصبح . فقد رأي المسيو سوريل في سنة ١٩١١ ، حادثة من حوادث الحرب التي وقعت بين سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ التي اشترك فيها بوظيفة ضابط . وهي شبه رؤيا المسيو (رنبيه) الذي رأى في سنة ١٨٦٩ ، حادثة من حوادث حرب سنة ١٨٧٠ . فهنا وفي جميع الحوادث الماثلة لها ، تعترضنا هذه المسئلة وهي : اذا كان يري الانسان قبل سنة من وقوعه او قبل سبع او ثلاث سنين ، كما في رؤيا الاب غارنبيه التي ذكرناها آنفا ، ما سيحدث للانسان في حينه ، فمعني ذلك ان تلك الاشياء ، محتمة الوقوع ، وان الاختيار الانساني غير موجود ، وان المذهب الحق هو الجبرية المطلقة . ففي تاريخ معين من سنة ١٨٤٩ ، يجب ان تكون الايطالية جالسة في بيتها علي طريق رومية مع اولادها الثلاث ، والعملة في اسفل الدار بشر بون ، والمهر يرحل الخ . وفي

(١٤)

تاريخ معين من سنة ١٨٧٠ يجب ان يكون المسبو (رئيسه) جنديا يقاوم البروسيين والباقيين، ويقذف بنفسه والخنجر في يده على المهاجم عليه . وفي تاريخ معين من سنة ١٩١٤، يجب ان يأمر المسبو سوريل جنوداً للبحث عن الماء امام البرج المجهول. وقل مثل هذا عن مئات من الحوادث المشابهة لهذه من رؤية المستقبل. فماذا يبقى بعد ذلك لاختيارنا ولحريتنا الشخصية ؟ ألا يوجد هنا تناقض مطلق ؟ فهل يمكن القول بحريتنا في اعمالنا، وبامكان رؤية الحوادث قبل وقوعها؟

سنناقش هذه المسئلة بتوسع في الفصل الآتي ، فلا أكتف بأن أقول هنا انها على اقصى ما يمكن ان تكون من الصحة

الجبرية الدينية

والجبرية العلمية والاختيار

مسألة الزمان والمكان

ان ما كتبناه على الشيء الذي يرى قبل وقوعه، هو مقدمة طبيعية للمسياني بيانه، فاننا الآن بصدد درس المشاهدات المؤكدة للرأى الانبائية المقررة لمسألة معرفة المستقبل

لقد نشرت تحت هذا العنوان في (المجلة)، وهي مجلة المجالات سابقاً، وتسمى الآن المجلة العالمية، اول مارس واول ابريل سنة ١٩١٣، الادلة الرئيسية المثبتة لرؤية حوادث المستقبل والعلم بها قبل وقوعها في شروط خاصة . فتتبع هذا البحث منذ ذلك الحين بضعة كتاب،(وتقلوا تلك الادلة بدون ان ينهوا على مصدرها من كتاباتي وهذا

تفصيل قليل القيمة هنا) ، فالذي يهمنا علي وجهه خاص هو ان نتحقق ان المستقبل قد يُرى ويُوصف ويعان بتدقيق تفصيلي ، وانه ينتسج من ذلك ان يكون في الانسان اصل روحاني متمتع بخصائص مستقلة عن خصائص المادة ، اي ان له روحا مخالفة لجسمانه

سنأتي هنا اولا علي الرؤيا الانبائية التي نشرتها في سنة ١٩١١ بمجلة التاريخ السنوي للعلوم النفسية ، ثم في سنة ١٩١٢ بالمجلة التي ذكرتها آنفا . قاليك هي :
حضر الى المسيو فريدريك باسي العضو المحترم في مجمع العلماء ، والذي ضحي حياته الطويلة بشرف في سبيل نشر السلام في العالم ، وبحق الفكرة الغبية عن ضرورة الحرب ، في شهر يناير من سنة (١٩١١) ، بعد ان اخترق بقوة الحجة الادوار من بيتي رغما عن التسعة والثمانين سنة ، وكانت هذه من اواخر زياراته لي ، وما حكاها لي يستحق التقديم حقيقة

قال لي : « اني لم أجده في كتابك (المجهول) ، ومع هذا فأنا متحقق من انه سيفيدك لحبيته من كاتب مدقق شكاك ، ورجل لانزاع في كماله ونزاهته ، وهو (اتين دو جريليه) . وهأنا معطيك حكايته كما نقلتها من كتاب سياحته في روسيا . ففي مدة اقامته في سان بطرسبورغ قصت عليه الكونتس توتشكوف ما يأتي :

« قبل دخول الفرنسيين الي روسيا بنحو ثلاثة أشهر كان معها زوجها الجنرال في املاكها بتولا . غلملت بأنها وهي مقيمة بقصر من مدينة مجهزة دخل عليها والدها ممسكا بيد ابنه الوحيد وقال لها بكل دقة :

« لقد انتهى عهد سعادتك ! فقد سقط زوجك ، سقط في بورودينو »

« فاستيقظت في اضطراب عظيم ، ولكن لوجد انها زوجها بجانبها ادركت ان ماراته من اضغاث الاحلام ، وعادت فنامت ثانية

« فتجدد الحلم عينه ، وظلت مكتئبة بعد ما استيقظت مدة ، حتي انها لم تستطع ان تعاهد النوم الا بعد مدة طويلة

« فحدث الحلم ثالث مرة، فشعرت عند ذاك بكرب عظيم، حتي أنها أيقظت زوجها :
وقالت له ابن بورودينو؟ فلم يعلم عنها شيئاً

« فلما أصبح الصباح، اخذ الاثنان يبحثان عن هذه المدينة في الخريطة، يساعدهما
والدهما فلم يهتدوا اليها . والحقيقة ان هذه المدينة كانت موجودة ، ولكنها قليلة القيمة،
ولم تشتهر الا بالموقة الدامية التي شبت ناراها بالقرب منها . ومع كل هذا فان تأثر
الكونتيسة من منامها كان عظيماً ، وقلتها مغرطاً . وفي هذا الحين كان شبح الحرب بعيداً
ولكنه لم يلبث أن اقترب

« فقبل أن يصل الفرنسيون الي موسكو، كان الجنرال توتشكوف (زوج الكونتيسة)
قد عين على رأس الجيش الاحتياطي . وفي صباح يوم دخل ابو الكونتيسة وهو ممسك
بذراع ابنها الصغير الي الدار التي كانت تسكنها ، وكان حزيناً كما رأته في منامها
وقال لها :

« انه سقط ، سقط في بورودينو »

« فرأت الكونتيسة نفسها في الحجرة عينها ، ومحاطة بجميع الاشياء التي رأتها
في منامها

« فكان زوجها واحداً من الضحايا الكثيرة في المعركة الدموية التي حدثت
بالقرب من نهر بورودينو، الذي اعطي اسمه لقرية صغيرة بجواره

(فريدريك باسي)

هذه الرؤيا الانبائية التي جاءت كغلق الصباح على شوئها ، لاشك في أنها من
الرؤى ذات الميزات الخاصة

فهل يمكن ان يفترض أنها تألفت في ذهن صاحبها بعد حدوثها؟ لا ، لان
رؤيتها اصابتها بتأثر لا يمكن نسيانه ، ولأنهم بحثوا عن هذا الموقع في خريطة روسيا
قبل تحقق الرؤيا بثلاثة اشهر . فهي مستوفاة لجميع شرائط الصحة

ولكن أقرر عقب هذا بأنه مادام موت الجنرال في بورودينو (وقعة السكوا)
رؤي قبل حدوثه منذ ثلاثة اشهر، فهذا الموت وهذه المعركة كانا بما لا يمكن تخيلهما ؟

في هذه الحالة ماذا يكون شأن الاختيار الانساني ؟ فكان محكوما على نابليون اذن ان يشن الغارة على الروسيا، فلا تبعه عليه . وتكون التبعية الانسانية والاختيار من الاوهام والحالة هذه ؟

اما نحن فسنحل الآن كل هذه النتائج المحيرة للالاباب، وحقها ان تحار، فان الجبرية تظهر مناقضة لجميع الترقيات الانسانية . ولكن من الخطأ ان يخلط بين الجبرية الدينية والجبرية العلمية فتتوهم انهما سواء

وقد كتبت لى شابة من نابل المادمو ازيل (فيرا كنزل) في هذا الشأن في ابريل سنة ١٩١٢، كتابا تعديفيه تذكرا من جراء عبارات قرأتها في كتاباتي خاصة بالمشاهدات التي لاتنقض عن رؤية الامور المستقبلية ، راجية اياي ان افسر لها كيف يمكن التوفيق بين هذه المشاهدات التي اضمن صحتها وبين الاختيار الانساني، وشهورنا بالجبرية وبالتبعة الواقعة علينا من اعمالنا ؟ وقد ألحمت في هذه المسئلة الخاها قواها فيه ماهي فيه من التأثير العظيم من جراء تحقق نبأ سيء في اسرتها

فأجبتها بأن الجبرية الدينية والجبرية العلمية مذهبان متخالفان كل التخاليف ، وبحسن عدم الخلط بينهما كما هو حاصل على وجه عام .

فالانسان بموجب المذهب الاول كائن منفعل بطروء الحوادث عليه، وهي احكام مبرمة لا يمكن ردها ، ولكنه بموجب المذهب الثاني فاعل مختار، وهو نفسه من العلل العاملة في الوجود . فالانسان اذا رأى المستقبل فلا يرى ما (يجب) ان يحدث، ولكن ما (سيحدث) . وبما ان الحوادث جارية لاتنقطع، فما نراه هو هذه الحوادث ، ولا تسمي من اجل ذلك قضاء مبرما . الفارق بين الامرين على غاية ما يكون من الدقة . ولكنني توقعت ان تكون روح هذه الآتية التي لم تزد عن الساعة عشرة، والتي تحررت وطهرت من كل الآراء المقررة من قبل، وظهرت لى برسالتها من لطف الشعور على درجة عالية ، قد أدركت هذا الفارق الدقيق بالتأمل فيه التأمل الواجب له . ثم رجوتها ان تخبرني عن الامر الذي تحقق واوجب لها كل هذا التأثير العظيم ؟ فأجابني بما يأتي حرفيا :

نابل في ١٠ يونيو سنة ١٩١٧

الاستاذ الاكبر العزيز

« ماأشد ما شعرت به من الغبطة والسعادة بقراءة كتابكم المحبوب . وكان حسن وقعه عندي مضاعفاً أولاً لأنه منكم، وثانياً لالقائه بصيصاً من النور على الافكار التي تضطرب في مخي . وقد فكرت طويلاً في كتابكم هذا وفهمت ما تفضلتم به علي من التفسير . وهو ان ما سيحدث من الحوادث يمكن رؤيته ، ولكنه ليس بقضاء مبرم . وقد شعرت لذلك بارتياح لا حد له ، لأنني كنت خشيت على نفسي الجنون من الفكر في اننا مسيرون وغير مخيرين ، لانملك شيئاً حتى ولا أفكارنا »
« أردتم أيها الاستاذ العزيز أن تعرفوا ماهي الحادثة التي قادتي الى الاعتقاد بالقضاء والقدر، فها أنا أكتبها لكم بأحسن ما أستطيع

كنا منذ سبع سنين أي في ربيع سنة (١٩١٠) في علاقات أكيدة مع سيدة المانية تدعي (هيلين شميد) ، وهي وسيطة ذات قوة عجيبة ، وبما ان والدتي كانت تهتم كثيراً بالجلسات الروحية، رجتها يوماً أن تعقد معها جلسة للاتصال بالارواح »
« لم أحضر أنا تلك الجلسة ، لأنني كنت صغيرة لا أجاوز العشر السنين، وكنت وقت التحضير بالمدرسة ، ولكن والدتي وخادمتنا الهرمة كانتا دائماً تذكران لي هذه الحادثة

« وكان مجرد وضع هيلين شميد يدها بخفة على خوان يكفي في جعله يضطرب بشدة . وأنتم أيها الاستاذ تعرفون كيفية الاتصال بالارواح ان كان هنالك ارواح . فلما قرع الخوان، وكان من اخوة الاكل الضخمة التي يستحيل رفعها بالقوة العضلية، القرعات العادية، مؤذناً بأن روحاً قد حضرت . سألت أمي تلك الروح عن اسمها بطريقة املاء، الاحرف بالقرع . فأجابت ان اسمها (انتون) وكانت الوسيطة تجهل هذا الاسم كل الجهل . اما المتسمي بهذا الاسم فهو (انتون فييدلر) المتساوي، الزوج الاول لخالتي، ثم تزوجت بعده (ادولف ريسبيك) . من كل هؤلاء الناس كانت الوسيطة لاتعرف منهم واحداً، بل كانت تجهل وجودهم

« وبما ان (انتون فيدلر) هذا كان أقرب الاقربين الي خاتمي، فرأت والدتي ان تسأله عن مستقبل أختها فسألته :
 « هل يحتفظ (رييسبيك) بثروته ؟
 « الجواب بوضوح : لا
 « يفقدها بعد كم سنة ؟
 « فقرع الخوان قرعتين، أي بعد سنتين
 « فسألته أي بعد ذلك قائلة : « وهل يعيش عمراً طويلاً بعد اضاءة ثروته ؟
 « الجواب واضح مضبوط : خمس سنين
 « فأرادت والدتي أن تعرف علي أية حالة سيكون موته . فأجابها بأنه سيكون فجأة

« فسألته : هل يموت من مرض أو حادث خطر أو انتحار أو غرق أو جناية ؟

« فأجابت الروح : نفيًا . فصار من المستحيل معرفة الحالة التي سيموت بها . ولم يفكر أحد اذذاك في الحرب، وكان يجب ان يوضع هذا السؤال على غير هذا النحو . والشئ الوحيد الذي أمكن استخلاصه من روح (انتون فيدلر) هو الجواب علي هذا السؤال : (كم سنة يكون عمر ابن رييسبيك عند ما يموت هذا) فأجاب بوضوح تام : (سبع عشرة سنة) ثم انقطع الاتصال

« فأنا يا حضرة الاستاذ العزيز لا أسمح لنفسي بأى شرح ، بل أكتفى بأن أنقل اليكم ما حدث . والدتي لم تفهم هذا الامر على أختها خشية ان تقول لزوجها . وهي نفسها كانت لا تصدقه . ولكن كل ما أخبرت به الروح حدث بدقة حرة عجة . ففي ربيع سنة ١٩١٢ أي بعد التنبؤ بسنتين أضاع (رييسبيك) ثروته في مضاربة جريئة بالبورصة ، وبعد قليل أخبرت والدتي أختها عن الشق الثاني من النبوءة . فقالت لها ما يقوله كل انسان في مثل هذا المقام ، وهو ان هذه حماقات لا يصح التعويل عليها
 « ولكن هذا لم يمنع تحقق الشق الثاني من النبوءة . وكنت قبل تحققها كثيرًا ما

أقول لو لدني اذا كانت صحيحة فسيكون موت زوج خالتي في اول سنة ١٩١٧
 « فحدث يا حضرة الاستاذ العزيز انه مات في القتال في ١٢ فبراير سنة ١٩١٧
 نجاة بقذيفة أصابته في رأسه . وكانت سن ابن خالتي قد وصلت الى السابعة عشرة .
 والحالة التي مات عليها ، ولم تستطع الروح ان تعينها بمرض أو حادث أو جناية الى غير
 ذلك من حالات الموت المعروفة ، كانت في الحرب ... الخ
 (فيراكونزلر)

شهادة والدتها

أشهد بأن ما كتبته ابنتي صحيح في جميع تفصيلاته
 (ارملة ا . كونزلر)

مسألة القضاء والقدر

ان مسألة الحرية الانسانية تستحق التحليل في هذا الموطن
 اننا نقرأ دائما بسرور من يقدر الجلال حق قدره مؤلفات عالمنا الرياضي الكبير
 (لابلاس) ، وهو من أكبر العقول اتساعا ، وأنفذها شعاعا ، ممن يحق لفرنسا أن تغخر
 بهم ، وهو مع هذا كله من أصفي كتابنا معينا ، وارواهم غير آ . اليك ما كتبته عن الاختيار
 في الانسان في كتابه المسمى (محاولة فلسفية على الحسابات الترجيحية) . اما من هذا
 الكتاب الطبعة الثانية المطبوعة سنة ١٨١٤ قال :

« كل الحوادث ، حتي التي يظن لحقارتها أنها تغفلت من سيطرة النواميس الكبرى
 للطبيعة ، هي في الحقيقة تابعة لها تبعية ضرورية ، مثل تبعية انتقالات الشمس لها .
 والانسان لجهله بالعلاقات التي تربطها بالنظام العالمي برمته ، ظنها تابعة للاسباب الغائية ،
 او للاتفاق ، حسب ما اذا حدثت وتعاقبت بنظام او بغير نظام ظاهر . ولكن هذه العمل
 الوهمية تهقرت حدودها بزيادة معلوماتنا ، وزالت تماما أمام الفلسفة الحقبة التي لا ترى
 فيها الا انها مظهر من مظاهر الجهل الذي نحن عليه بالعلم الحقيقية
 « ان للحوادث الراهنة ارتباطا بالحوادث التي سبقتها مؤسسا على الاصل البدهي

المعروف، وهو ان شيئاً لا يستطيع أن يحدث بدون علة محدثة. هذه البديهة المعروفة باسم اصل (العلة الكافية) تسري حتى على اعمالنا التافهة. فان الارادة التي تشعر بأنها أكثر من سواها حرة، لا يستطيع ان تحدث تلك الاعمال بدون وجود سبب موجب لها، لانه اذا كانت جميع الاحوال في امسين من الامور متماثلة تمام التماثل، واندفعت الارادة الانسانية وراء أحدهما، وامتنعت عن الآخر، ظن الرائي ان اندفاعها هذا نتيجة بلا سبب مولد لها، فيكون السبب كما يقول ليدنيز هو الاتفاق الذي يقول به الابيقوريون (أتباع أبيقور الفيلسوف اليوناني). فلا شك ان الرأي المضاد وهم من أوهم العقل، الذي لعجزه عن ادراك العلة الخفية لاختيار الارادة الانسانية في الاشياء التافهة، يقنع نفسه بأنها عزمت على ما عزمت عليه من نفسها وبدون سبب

« فيجب علينا ان نواجه الحالة الراهنة للوجود باعتبار أنها نتيجة حالاته السابقة، وسبب للحالة التي سيكون عليها في المستقبل. فاذا كان هناك ادراك يلم في بوهة من الزمن معينة بجميع القوى العاملة في الطبيعة، ومكان كل كائن من الكائنات المكونة لها من مجموعها، واذا كان هذا الادراك من السعة بحيث يستطيع ان يخضع جميع هذه المسائل للتحليل، فانه يستطيع ان يجمع في نظرية واحدة بين حركات اكبر الاجسام الكونية، وحركات اصغر الذرات المادية، ولا يمكن ان يكون شيء مشكوكا فيه لديه من هذه الوجهة، ويكون المستقبل كالماضي حاضراً أمام عينيه، والعقل الانساني بالدرجات التكميلية التي استطاع ان يهبها العلوم الفلكية، قد بدأ في هذه الخطوة من الفهم» انتهى

اننا سنتناقش في هذا التدليل الساعة وقد عزوا أصله الي (لابلاس)، ولكن جميع المفكرين قد ذكروه قبله ولا شيء، انثر انطباقاً على العلم من هذا

فالطبعة الاولى لكتاب (لابلاس) علي الحسابات الترجيحية هو مجموعة دروس القاها سنة ١٧٩٥ في مدرسة النورمال التي أسستها حكومة الثورة الفرنسية

و (عمانوئيل كانت) كتب سنة ١٧٨٧ في كتابه انتقاد العقل العملي ما يأتي :

« اما وجهة الزمان وتتابعه المنتظم، فاننا ان استطعنا ان ندخل الى روح انسان على الحالة التي يظهر انما عليها باعمالها الباطنية والظاهرية، وان نلم بجميع البواعث، حتي

اعرفها شأناء واعتبرنا في الوقت ذاته جميع التأثيرات الخارجية، استطعنا ان نعرف السيرة المستقبلية لهذا الانسان ، بمثل الدقة التي نحسب بها كسوف القمر وكسوف الشمس « على ان (كانت) نفسه ليس بمكتشف هذا التدليل ، فاننا نصادفه لدى اقدم المؤلفين الرومانيين اى (سيسرون) مثلاً . فانه في كتابه علي (التنبؤ) كاف أخاه (كانتوس) ان يذكر الاتفاق التام بين رؤية المستقبل ومذهب الجبر فقال :

« لاجل أن يتحقق الانسان من صحة الانباء بالغيب، يجب ان يصعد في هذا البحث الي الله والى القدر والى الطبيعة . العقل يجبرنا أن نعتزف بأن كل شئ محكوم بقضاء لامرد له . وأريد بالقضاء مارآه اليونانيون انه النظام ، او تسلسل الاسباب المترابطة المنتجة لنتائجها . هذه هي الحقيقة الابدية التي لا ينبوع لها الا الابد نفسه . وبناء على هذا الاصل فانه لاشئ يحدث في المستقبل الا وفي الطبيعة علله المولدة له . فيكون القضاء تبعاً لهذا هو السبب الابدى لكل الاشياء، والسبب الذي يفسر الحوادث الماضية والحوادث الراهنة والحوادث المستقبلية . ومن هنا فانه بواسطة المراقبة يمكن معرفة ما هي نتائج كل سبب منها في أكثر الحالات . ولا شك في ان هذا التسلسل في الاسباب والنتائج هو الذي يكشفه الوحي والاحلام

وانضف الي هذا انه لترتب كل شئ بالقضاء ، اذا اتفق وجود انسان يصلح لادراك الروابط التي بين جميع الاسباب فانه لا يخطئ قط . وفي الواقع انه يعرف الاسباب والحوادث ، فلا يضل في معرفة الامور المستقبلية « انتهى

هذا الدليل في نفسه ناصع لاشية فيه ، وأنا أكرر هنا بأن هذا يكاد يكون حقيقة من المسيو (دولابلاس) . فاما انه لا توجد نتيجة بلا سبب، فهذا واضح لا يحتاج لبيان، ولكن استنتاج الجبرية الدينية أو الجبرية العلمية منه ليست من الواضح في درجة هذا التدليل الساذج الذي آتي به الدوق السليم

واني على الرغم من اعجابي العظيم بلابلاس بما تربيت فيه من المؤلفات ، أعترف بأنني لا أستطيع ان اشاطره نفيه المطبق للاختيار الانساني . وقرأني يعرفون ما كتبته عن هذا الموضوع المعضل في مذكراتي اذ قلت :

« الارادة الاكثر حرية لاتستطيع أن تعمل بغير سبب موجب » نعم ولكن من بين الاسباب العاملة في الاختيار، شخصيتنا نفسها، وليس بسبب واه ومما يمكن اهماله

يقولون ان هذه الشخصية تعمل خاضعة للسبب الاقوي، وهي نفسها موجودة بأسباب سابقة. هذا أمر لا نزاع فيه. ولكنها مع هذا كله موجودة ومتأثرة بأخلاقنا. ومما يجب أن يعتبر أيضاً أمر رئيسي لا يقبل الدحض، هو اننا نشعر جلد الشعور بأننا نختبر وزن ونناقش أنفسنا عند ما تكون الحالة تقتضي ذلك، ونعزم بعد تقدير النتيجة التي نشعر بأنها ملقاة علينا

انه ليتفق أحياناً وأنا أريد حصول ذلك، أن تكون كفتا الميزان متعادلتين في أمر من الامور، وان احدهما ترجح بمجرد اضافة ثقل صغير اليها، ولكن هذا الثقل الصغير قد يكون هو انا او شهوتنا او ارادتنا او مصلحتنا في مضادة نتيجة متوقعة. وقد يكون في الواقع حبنا للتمتع بحريتنا الشخصية. فالقول بأن هذا وهم من عقولنا، فلا يوجد شيء يسمح بتأكيد هذا الافتراض باعتبار انه حقيقة مقررة. فأصل (السبب الكافي) يعمل فينا عند مناقش أنفسنا في ضائرتنا

فكوننا نعزم على الشيء مدفوعين بالسبب الاقوي، لا يدل على اننا لانتختار على مقتضى طبيعتنا. فارادتنا اشتهرت مع هذا الطبع دون ان تكون اسيرته. وقد كتب ارسطو في رسالته عن السماء (٢ - ١٣) :

« ان هذا يشبه حالة رجل في أشد درجات الجوع والظأ، وموجود في مكان على علي بعد واحد بين جهتين، في احدهما طعام وفي الاخرى شراب. لانشك في انه يبق مكانه لا يتحرك »

وقال (داتتي) مثل هذا القول في كتابه الرابع عن الجنة. ويقال ان (بوريدان) هو الذي ذكر هذا التدليل قبل غيره ولكنه اقترض بدل الانسان حمارا لا يشك احد في ان الانسان والحمار ان يوتا جوعا. إلا ان النظام الآلي هو السائد وحده في الطبيعة

هل يوجد تناف مطلق بين الانباء بالمستقبل والاختيار؟ هذا ما يؤكده علي وجه عام وهو ما أكدته الكتاب الاقدمون والمحدثون على السواء
من الواضح الجلي أنهم اعتقدوا ذلك لأنهم خلطوا بين العلم الالهي بما سيكون، وبين الضرورة، وهذا ضلال مبين
في المحادثات التي جرت بين (غوٲ) و (ايكيرمان) في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٢٥
قرأنا ما يأتي :

« ما يدرينا ولو بذلنا كل جهودنا العقلية الي أي حد وصلنا الآن ؟
« لم يخلق الانسان ليحل مسألة وجود العالم، ولكن ليتحقق من عظم هذه المسألة، وليقف بعد ذلك علي الحد الاقصى الذي أمكنه ادراكه
« فان خصائصه العقلية لاتصلح لقياس الحركات العالمية، والالمام بمجموع الاشياء
الوجودية، مادام ليس لها غير وجهة نظر ضيقة. والعمل على تقيض ذلك عبث. والخلاف
شديد جداً بين الادراك الانساني والادراك الالهي
« فاذا قررنا ان الانسان حر فيما يفعله ، كان ذلك قادحاً في احاطة علم الله بكل شيء. ومن جهة أخرى اذا كان الله يعلم ماسأ عمله، فلن أكون حرّاً في أن أعمل خلاف ما يعلم . وأنا لأسوق هذه المحاوراة العقلية الا لأضرب مثلاً على قلة علمنا، ولنثبت انه لا يحسن التعرض للأسرار الالهية »

« »

غوٲ لم يجسر علي الذهاب الي ابعد من هذاء فلنبحث في سبب ذلك
ان الحوادث والاحوال تقودنا على شاكلة أكمل كثيراً مما يظنه الناس على وجه عام. ومن يحلل بانتباه أعماله الحيوية يعترف بذلك بدون عناء. وخاصة الاختيار التي
فيها لاتؤدي عملها الا في دائرة ضيقة جداً على حد ما يقوله المثل القديم : « الانسان يتحرك والله يقوده » ولكن هذا ليس صحيحاً من كل وجه ، فان الله أوالقدر أوفاتوم ،
Fatum ، كما كان يسميه اللاتينيون قد يترك لنا قليلاً من الحرية . وهناك مثل

يناقض المتقدم ، ولكل حكمة تقيض ، يدل على ما نذهب إليه نحن وهو : « يساعد نفسك يساعذك الله »

نعم ان الانسان يتحرك والحوادث تقوده ، ولكننا مع ذلك صناع مقاديرنا الخاصة وجملة القول ان الحقيقة ليست في مباحث ما بعد الطبيعة التي تؤثر عن الفلاسفة المنقبين في تحتم القدر ، ولكنها في الشعور العام العملي الذي يمكن حصره في الحكمة العامة ذات الست الكلمات التي ذكرتها آنفا

تفسيرى انا لهذه المسئلة يقتضى بحكم الاصل القائم عليه ان لا يبرح مجال المشاهدات المحققة ، بدون اللجا الى اى اقتراض كان . فاذا قيل لنا ان شعورنا بالاختيار وهم باطل ، كان هذا منهم محض اقتراض . فها أنا جالس أمام مكتبي أسائل نفسي عما أفعله ، فأقابل بين عمل وعمل ، وأنا قش نفسي ثم أعزم على هذا أو ذاك . أراهم يصارحوني بأنني مخدوع الاحوال الخارجية عن ارادتي . ولكنى أقول انه اذا لم يكن لى عقل تركت الحوادث تجري كانشاء ، وتكون الحرية مقصورة على اختيار ما يظاير انه الاحسن . الا ان هذا لا يمكن الاخذ به على اطلاقه بل هو نسبي . فاننا قلقون على الدوام فى أغراضنا . وقد تمر أيام لا يجرى فيها شيء . هذا علم ناقص جداً ولكنه موافق لشعورنا الذي لا نزاع فيه ، والذي لا يجوز لنا أن نحذفه لنستعيز عنه باقتراض على انه واضح كالشمس فى رابعة النهار . قد يقال ان هذا أمر ظاهري . نعم هو ظاهري كالشمس أو كأحد المناظر الخلوية أو كشجرة أو ككرسي كبير أو كدار ، وحى الاشياء التي نعرفها بالتأثيرات التي تقع منها علينا ، ولكن هذا المنظر يختلط علينا بالواقع

على ان هناك مشاهدة يومية مستمرة لا يمكن المشاحة فيها وهي اننا كشياً ما نكون على حالة سلبية وليس لدينا عزيمة محدودة على عمل شيء . فيعترض علينا بأننا عند ما نجادل انفسنا ثم نعتزم عمل شيء بعد انضاج الروية ، فما ذلك الا انقياداً منا للسبب ، الاقوى بحيث ان حريتنا المزعومة يمكن تشبيهها بميزان يهوي احدى كفتيه بتأثير الثقل الذي يوضع فيها

ولكن مما لا مشاحة فيه اننا نهزم على ما نراه افضل متى ناقشنا انفسنا بثبات ، ووازنا بين المنافع والمضار بين امرين من الامور . وهذا هو المجال الذي يعمل فيه عقلنا . ولا توجد سفسطة تستطيع ان تقتلع منا هذه العقيدة . واننا لنشعر باننا لو فعلنا على عكس ذلك ، لكننا مخالفين للعقل ومتي حدث منا أحياناً اننا عملنا على خلاف ما حكنا بصوابه ، شعرنا باننا أجبرنا على ذلك اجباراً نسبياً

قد يرد علينا معارض فيقول : لاشك في اننا متمتعون بقسط من حرية العمل ، فستطيع ان تختار وان نهزم مقودين بالسبب الاقوي ، فأين الاختيار المطلق في هذا ؟ أليس كل منا مقوداً رغم أنفه بمزاجه وذوقه وآرائه واشاراته ؟ ومقوداً أيضاً بالاحوال المحيطة به وبتتابع الحوادث عليه ؟ فكيف الخلاص من هذه السلاسل ؟ اننا نبدأ أعمالاً حقيرة وجميلة دون أن نعلم الغاية التي ستأدى بنا اليها . فليبحث كل منا في أمور حياته ولير مبلغ حريته من الضعف

فالإنسان متورط في زوبعة القدر يتحرك وهو يقوده الى حيث شاء . وهذا القدر هو الروح العام الذي لسنا نحن ازاءه غير أدوات حقيرة . ولكننا نحن أرواح أيضاً

(لا يوجد اختيار مطلق ولكن يوجد اختيار نسبي)

مما لا مشاحة فيه ان حريتنا أقل كثيراً مما يظهر للعقول السطحية . فان السر العالمي للوجود هو الذي يقودنا ، لاننا نعيش تحت تأثير الحالة الفلكية والحالة الجوية والحرارة والهودة والمناخ والكهرباء والضوء والبيئة المحيطة ببناء والوراثة وما تعلمناه ، ومن اجنا وصحتنا وقدرتنا وارادتنا الخ الخ ، فحريتنا والحالة هذه تشبه حرية سائح علي سفينة يزعم الانتقال من اوربا الى امريكا . فسياحته مقررة من قبل ، ولكن حريته لا تتعدى مقدم السفينة ، وهو يستطيع ان يذهب ويجيء على سطح الجارية على الماء ، ويتحدث ويقرأ ويدخن وينام ويلعب الخ ، ولكنه لا يستطيع ان يخرج من داره المتحركة . فما سنراه في حياتنا مرسوم من قبل مثل سير اعضاء الآلة ، وعابنا عمل مطلوب منا تأديته بشيء من الجهد الشخصي . وهذه الحرية المقيدة هي في الواقع محدودة جداً

ولكنها موجودة علي كل حال . أتخيل انك علي مائدة أحد أصدقائك ، وهو يهديك صنوقا من الطعام، وانت تستطيع ان تختار بين الشراب الابيض والشراب الاحمر، وبين مايأتي من بورغونيا وما يرد من بوردو وكذلك تستطيع أن تميز الى شرب . الحبة او الماء القراح ، بعد معرفة استعدادك المعدي وبعد استخدام عقلك في هذا الاختيار اذا راقبنا بعناية أصغر أعمالنا في ساعة من الساعات، رأينا ان حريةنا محدودة للدرجة القصوى، وان ما نعتزم عمله في الصباح عندما نستيقظ، يصرفنا عنه الف حائل، ولكن مع ذلك نتحقق عزيزتنا الرئيسية علي قدر ما، ويؤثر اختيارنا تأثيرا في أعمالنا الكبيرة والصغيرة علي السواء، أهمها تحدد الاحوال المحيطة بنا واراادتنا في وقت ما

يمكن للانسان أن يعتقد بإمكان الانباء بالغيب دون ان يقدح ذلك في أصلي الاختيار والتبعة الانسانية . فالوقت الحاضر لا يقف قط ، بل يستمر علي الدوام باتصاله بالمستقبل . ولا بد دائما من حصول شيء، فهذا الحصول لا يصح أن يوصف بأنه كان حتما مقضيا، لان الارادة الانسانية لها نصيب في توليدها بشرا كما مع تسلسل الحوادث، ولان هذه الارادة متمتعة بحرية نسبية . فالذي تعزم عليه، يصبح أمرا واقعا، ولكنها كانت تستطيع أن لا تعزم ، والمستقبل تبع للماضي ، فرويته لا تختلف أصوليا عن رؤية الماضي . وهذا الامر لا يمنع من الاعتقاد بأن الارادة الانسانية هي احدي أسباب حدوث الحوادث . وقد كان يمكن ان يحدث خلاف الحوادث التي حدثت، وهذه الحوادث المتخالفة هي التي كانت ترى بخاصة رؤية المستقبل

ان ما يحدث من الحوادث هو نتيجة تسلسل العلل، وقد يكون من تلك العلل قوة انتقامية تأمر باطلاق الرصاص علي خصومها ، او قطع اعناقهم بالآلة المستعملة لذلك كما شهدت باريز ذلك من سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٨٧١ (وكما رأيت أمثال ذلك في كل صقع من اصقاع كوكبنا الارضي الظريف) . وقد يكون من تلك الاسباب رجل محب للانسانية يتدخل في ثورة ليقف افراطها ويعدل سيرها . فالحوادث التي تحدث لا تمنع من ان يوجد الطيب والخبيث ، والجاني والمجني عليه ، والعاقل والظالم، والارعن

والمتروى ، والذي والابله ، والحربي والسلمي ، والرائد ، والمسخر له ، والخصوص ، ومن رقت عليهم عاديتهم

فروية ماسيحدث بتعاقب المسببات والاسباب بأية وسيلة من الوسائل ، يمكن ان يتفق مع القول بوجود جميع العلل المحدثة لها ، ومن بينها الحرية الانسانية

المستقبل ليس بأغرض من الماضي . فاذا قلت منذ اليوم ان حركة القمر حول الارض ، وحركة الارض حول الشمس ، تقضي بوجود كرتنا الارضية وتابعها والشمس على خط مستقيم مع فرنسا ، على طريق ظل القمر في ١١ اغسطس سنة ١٨٩٩ في منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا ، وسيدعو ذلك الى خسوف كلي للشمس ، يري في شمال باريز مدة دقيقتين فقط . ان قلت هذا القول منذ اليوم فلا يجد أحد في نفسه حرجا من هذا التنبؤ ، كما لا يجد فيها شيئا لو أنبيء بواسطة الحساب الرجعي عن ان خسوفا كليا حصل للشمس في ٨ يوليو سنة ١٨٤٢ . ففي وقت حدوث خسوف سنة ١٨٤٢ الذي اشتهر بارصاد (ارغو) في مسقط رأسه ، كان عمري اربعة اشهر واحد عشر يوما ، وعند حدوث خسوف ١١ اغسطس سنة ١٩٩٩ سأكون مت منذ مدة طويلة ، ولكن هذا ليس له اقل قيمة ، فالمستقبل بالنسبة الى اليوم وبالنسبة اليك ، والى جميع الاحياء المعاصرين ، سيكون الوقت الحاضر بالنسبة لآخرين ، ثم سينقلب فيصبح ماضيا

يمكن هنا ان يعترض معترض فيقول : ان تشبيه الحوادث الفلكية بالحوادث الانسانية ليس بصحيح . نظرا لانه لا توجد أية حرية في حر كالت الكواكب ، وان التبحر فيها مطلق . ولكننا نجيبهم بأنه اذا كان الاختيار الانساني من الاسباب العاملة ، فنتائجها تكون محتمة الحصول كتبعات حوادث الكواكب

أما كون ان كل ما يحدث هو نتيجة ضرورية لاسباب عاملة فذلك مما لا شك فيه ، ومن بين الجنائيات المتناهية في الفظاعة ، حريق رومية ، واضطهاد نيرون للمسيحيين ، وخرق الالمانيين لحياض البلجيكي ، وقتلهم لاهالي البلاد ، وحر قهم للوفان ، وضرب كاتدرائية ريمس بالقنابل ، وفضاح المجازر البشرية في الحرب الاخيرة . ولكن كل عامل

يشترك مع الاسباب العاملة في احداث الحوادث يكون عليه من التبعة بقدر حصته من التأثير والحوادث سلسلة آلية بما فيها

محكم الاسقف (كوشون) على جان دارك بالحرق بتهمة السحر، وتقديس أساقفة آخرين لها وفيهم الكياري (لافوازييه) والفلكي (بيلي) والشاعر (اندريه شينييه) والفيلسوف (كوندرسيه) وضحايا أقسى الثوريين وأشدهم تسكعاً في العماية، كل هذه الحوادث حدثت بتأثير الاسباب الموجبة ولكنها لم تكن محتمة الوقوع. فان سير الامور قد كان يمكن أن يتغير فيقع خلاف ماوقع. فمن القول بهذا الرأي الى القول بأن الانسان غير مسئول عما يفعل توجد هوة بعيدة الغور. فامبراطور المانيا الذي حل عقاب الحرب في سنة ١٩١٤، وكان سبباً في موت اثني عشر مليوناً من الكائنات البشرية، لا يصح ان يسوى (بسان فانسان دوپول) ولم يكن اولها ولا ثانيها مسيراً كالألة، ولا أسيراً في يد القضاء المبرم

ان حذف الحرية معناه حذف كل تبعه، وكل حرية خلقية. والتسوية بين الخبيث والطيب، هو أمر يناقض ماغرس في طبيعتنا من العلم الفطري اليقين. وفي هذه الحالة يجب علينا أن نرفض أوضح وأجلى مالدينا من الافكار

كل منا امامه حظ مجهول، ولكن الحوادث تتوارد كلها رغمًا عن اختيارنا الشخصي الذي يختلف قوة وضعفًا باختلاف الناس، وقد تتوارد بسبب هذا الاختيار نفسه. وفي الحياة الانسانية كلهم يعملون على درجات مختلفة فتحدث لها نتائج والعالم يشتمل على مجانين وعقلاء، وقد يكون عدد المجانين أكبر من عدد العقلاء، اذ المؤكد ان العقل لاسلطان له وخاصة على سير الممالك

ومع وجود حظنا المجهول أمام كل منا، فكل واحد منا يعمل على حسب خصائصه وامكاناته وتأثير المحيطين به ووراثته وعلمه وحكمه وعقله وقلبه، وهو متحقق بأنه متمتع بحرية نسبية وفي وسعه ان يعزم على اشياء. فنحن والحالة هذه صناع مقاديرنا ومسيروها

ومها عملنا فان ساعة موتنا معينة من قبل. لماذا؟ لان جميع الحوادث تتعاقب

ومنها اهوؤنا وما نلقنه من بيئاتنا وضعفنا وطيشنا وضلالا لنا، ومنها ايضا كل ماسيئته تحقق حولنا . ونحن نسلك في العادة علي حسب امكاننا وبما تدركه عقليتنا . فلا يستطيع احدنا ان يحمل علي الكذب رجلا قويم الاخلاق، ولا ان يدفع الشحيح الي السخاء . فعمل كل منا مهما كان محصوراً في دائرة خصائصه، موجود كغيره من الموجودات . وقد توجد امور يتطلب البت منافعها اسابيع واشهراً نمضيها في الفكر والقياس . وعليه فالحوادث متعلق بعضها ببعض ، ورؤيتها قبل حدوثها لا يمنع هذا التعلق يظهر لي ان المحلل النشط للحوادث النفسية (بوزانو) قد حدد هذا التناقض الظاهري حداً ينطبق علي حكم العقل اذ قال : لاختيار ولا جبرية مدة الوجود الجسدي للروح الانسانية، ولكن حرية مقيدة .

وبما امكنك ان تعترض علينا قائلاً : اذا كان ما يحدث ضروري الحدوث فن العيب ان يعذب الانسان نفسه لينجح في أمر من الامور، او ان يجد ليخرج فائزاً من مسابقته، أو يذهب ليحضر طبيباً لمريض، وان يكافح في خهومة الخ . ان هذا الاعتراض يثبت بالتحقيق ان لعلنا تأثراً في سير الامور . فها كنت جبرياً فانك ستجري لاحضار طبيب ، وستدافع عن وطنك ضد المغير عليه ، وستستدعي رجال المطافي، لاطعاء حريق ، وستعمل على وقف النار التي بدأت تشب من جراء شرارة أصابت أورانك في حجرة عمك الخ . ان لديك لعقلاً وانك لتستخدمه . فاعتراضك لا يدل قطعاً على ان ليس لديك ذلك العقل، ولا على انك آلة مسيرة

وأحسن دليل نملكه لاثبات حريتنا وخصيصةتنا في الاختيار وفي العزم علي الشيء بعد التروي فيه، هو شعورنا الصميم المطلق بأننا نملك هذه الخصائص، وهو شعور لا تستطيع أي سفسطة أن تطمس . انك لتشعر شعوراً صحيحاً بأنك تستطيع أن تشير أية اشارة تريدها . فقد يقولون لك ان هواك في رفع أصبعك مثلاً سبقتة سلسلة افكار متقدمة عليه ، ونحن نقول ان هواك هذا نفسه أمر واقع، وقد صدر من العقل الحاصل علي حفلة من الحرية

فالمستقبل تحدده الاحوال ومنها الحرية الانسانية، حتي احتقاد حيوان ضرب ظلماء،
وحتى ألوف من مؤثرات خاصة لا يفكر فيها الانسان
فالشخصية الانسانية هي بعض الاسباب العاملة في سير الحوادث الارضية. هذا
هو حل المسألة التي وضعها سيسرون وسان اجوستان ولا بلاس واضرابهم
هنا يوجد فارق غاية في الدقة نذيه اليه لاجل عدم الوقوع في الخلط بين الترابط
المحتم للحوادث الانسانية وبين مذهب الجبر. فمما يحدث من الحوادث لا يكون بقضاء سابق
ولو انه النتيجة الضرورية لاسباب . مثال ذلك رجل يضرب بجمع يده على ظهر مار
متعجل في وسط مزدحم بالسابلة . كان يستطيع هذا الرجل أن لا يضرب ، لأنه
كان يتأني أن لا يخرج من بيته في ذلك اليوم ، وأن لا يسلك ذلك السبيل، وكان يمكن
أن لا يكون الضارب له هنالك . فكانت الامور جرت في غير هذا المجري . هذا كل
ما في المسألة . وخاصة كشف المستقبل ترى ماسيحدث من الحوادث بدون ان يكون
هذا الكشف منافياً لخاصة الاختيار

ليس من التواضع أن يتكلم الانسان عن نفسه ، ولكن هذه المسألة يحسن تحكيم
أنفسنا فيها . ولذلك أسمح لنفسي أن أضرب فيها مثلاً أعرفه جد المعرفة : منذ سنين
كثيرة كنت أجهد نفسي لانشر في العالم أجمع المعلومات الفلكية، وقد أصبحت في ذلك
بعض النجاح، وقد أتاني محبوب عظام للعلم والتقدم بمساعدتهم لتأليف الجمعية الفلكية
بفرنسا . فلا يوجد في العالم أحد يستطيع أن يحسب من ذاكرتي المكافحات المذوعة التي
خضت غمراتها في هذا السبيل، وأن يقنعني بأنه لم يكن لي في هذا العمل أثر شخصي،
بل كان لي أثر مافيه، وكل العاملين والمنظمين لهم مثل مالي فيما تم على أيديهم. فالارادة
ليست كلمة فارغة . وكل انسان يستطيع أن يفكر على هذا النمط فيما يخصه . فنحن
نعمل والمستقبل يتألف من أعمالنا المتعاقبة . فليس هذا بالقضاء والقدر بل هو نقيضه.
فالقول بأن الانسان مجبر على ما يفعل، هو قول البلاء والمتواكين الذين ينتظرون
طروء الحوادث باعتبار انها واقعة لا محالة، وعلى رغم أنوفهم . ولكننا على العكس نعمل
ونعتقد اننا نؤثر في سير الحوادث . فلسنا منفعلين ولكننا فاعلون. اننا ننبي بأيدٍ بنينا

صرح المستقبل . فلا يجوز والحالة هذه الخلط بين الجبرية العلمية والجبرية الدينية . فان هذه تمثل الجود وتلك تمثل العمل والجبري الديني هو الشرقي ، هو التركي (؟) ولكن الجبري العلمي هو الاوربي . وبين المدينتين هوة بعيدة القرار

ورؤية المستقبل هو رؤية ماسيحيصل فهي رؤية . ونحن في علم الفلك نحسب مدار مذنب من المذنبات مثلاً ، مداره الطبيعي أو النظري أو شكله البيضاوي ، بارابوليك أو الهيبربوليك في الفضاء . ولكن قد يحدث ان المذنب يمر بجوار كوكب عظيم تؤثر جاذبته عليه فيغير سيره ، فلا يكون تقديرنا لاوضاعه المستقبلية صحيحاً الا اذا اعتبرنا هذا التأثير الذي سيعرض له

فشكل المؤثرات تؤثر في الحوادث اليومية ، وأعمال الانسان من المؤثرات التي لايجوز اهمالها كما لايجوز اهمال تأثير الكوكب في المذنب الذي ضربناه مثلاً وان كانت حاصلة علي شيء من الاستقلال فليس من المستحيل والحالة هذه التوفيق بين شعورنا بالحرية ، وبين خاصة الانباء بالحوادث المستقبلية

فلنفترض مراقباً يقوم على قمة جبل يمتد في أسفله سهل فسيح ، يري رجلاً يتبع طريقاً يؤدي الى قرية . فيخمن ان هذا المسافر يقصد هذه القرية لقضاء مهمة من المهمات . ففي أي شيء من هذا تتعارض رؤية مايعمله مع حريته الشخصية ان اختيار العامل لايتعارض مع رؤية المراقب له . وكذلك الرؤية الحادثة مستقبلية لا تؤثر على هذه الحادثة . فاذا رأينا من قمة الجبل الذي ذكرناه قطاران يجريان بأقصى سرعة ، أحدهما ضد الآخر من جراء خطأ في تحويل القضبان ، علمنا من ذلك ان كارثة ستقع لاحالة لهذا السبب . ولكن رؤيتنا المستقبلية لتلك الحادثة لم تكن من أسباب حدوثها في شيء . فمسألة الرؤية اجنبية جدا عن مسألة حدوث الحادثة

فروية الحوادث متعاقبة في المستقبل ، كرؤيتنا قد تعاقبت في الماضي ، لاتنفي الاسباب الحادثة لها التي اثرت فيها ، ومن هذه الاسباب الارادة الانسانية

ألم يحدث لك أحيانا وأنت تقرأ رواية أن تتنبأ بقتمة الحكاية؟ أليست المهارة العظمى للكاتب هي في اعطاء الاشخاص الخياليين في روايته من مظاهر الحقيقة ما يجعل القاري روايته يهتم كل الاهتمام بها بحيث لا يطيق الصبر على جهل نهايتها

من مجموع هذه الاعتبارات يمكننا، فيما يظهر لنا، أن نستنتج نتيجة لازمة لها وهي ان مسألة النظر الذاتي للحوادث المستقبلية من الكبير والضبط، بحيث ان افترض حصولها بالاتفاق أصبح لقيمة له على الاطلاق ويجب لفظه بلا هوادة . فان هذا النظر الذي يفوق الشعور العادي أصبح لا غبار عليه من الشك عند الذين درسوه دراسة كافية . نعم قد عجز العلم عن تفسيره في الوقت الراهن ، ولكنه لا يبطل الحرية الانسانية .

فروية الامور المستقبلية رغماً عن مظهرها، ورغماً عما يعتقد فيها الفلاسفة الذين لم يدرسوها دراسة كافية، ليست منافية للحرية الانسانية ولا للاختيار، مهما توسعوا فيه وأبتعدوا من حدوده . فالإنسان يرى ما يحدث مع حذف الزمان الذي ليس له وجود في الواقع ، لانه نتيجة عرضية لحركات الكوكب الذي نعيش عليه . فبمحذف الزمان لانكون قد حذفنا الا مظهر من المظاهر . وبهذا الاعتبار فالإنسان يرى ما سيحدث كما يستطيع أن يرى ما حدث . واذا كانت الارادة أو الهوي أو الاحوال قد أوجبت حدوث شيء آخر فالذي يرى هو ذلك الشيء . فروية المستقبل لا تؤثر في الحرية الانسانية كما لا تؤثر فيها معرفة الماضي

فالزمان في الفضاء المطلق ليس بموجود، فاذا كانت الارض تدور بضعف السرعة التي تدور بها الآن كانت الايام علي نصف ما هي عليه الآن . فهذه المقاييس نسبية وليست أصلية، فلا نخلطن بين تعاقب الحوادث وهي ما ينتج منها الزمان بالنسبة لتأثراتنا البشرية، وبين المطلق في اطلاقه . وعلم الفلك قد فتح أعيننا لظفر هذا الفارق بين الامرين . فانظر الليلة مثلاً الى الكواكب سيروس وفيجا والدبران ترها لا كما هي عليه في الواقع، ولكن علي ما ليست عليه ، أي علي ما كانت عليه، الاولي قبل ثمان سنين،

والثانية قبل عشرين سنة، والثالثة قبل اثنتين وثلاثين سنة. فحاضرنا نحن موجود وماضيهم في وقت واحد. وقد شهدنا حريقاً في السماء في ٢٢ فبراير سنة ١٩٠١ حدث في سنة ١٥٥١. فالكواكب التي تراها في الوقت الحاضر لا توجد في الواقع. والزمان الحاضر لجوبيتر وساتورن ليس بالزمان الحاضر للارض

اعتاد علماء مابعد الطبيعة ان يشركوا بين الزمان والمكان اللذين تربطهما في الواقع روابط، وأن يعزوا اليهما خصائص مشتركة، وهذا خطأ، فالمكان موجود في ذاته وهو مطلق وأبدي وغير محدود وان كان فارغاً لان الفراغ في نفسه مكان محض. وأما الزمان فعلي عكسه لا وجود له في ذاته. فهو موجود بوجود حركات الكواكب وتعاقب الاشياء. فاذا كانت الارض ثابتة، والكواكب غير ممتعة بأية حركة، فلن يوجد زمن قط ولكن يوجد مكان. ففي المكان العام المطلق لا يوجد زمان ما بين الدنيوات

وقد تصادفت منذ خمسين سنة أكثر من مرة عن هذه المسألة مع فلاسفتنا المعاصرين، فوجدت أكثرهم يؤثرون تضحية الانبياء بالمستقبل في سييل الحرية الشخصية. ولم يتخيّلوا أنه يمكن ان يوجد اتفاق بين الاثنين. وأنا أؤمل أن أكون قد وفقت بينهما هنا. وعلى كل حال لا يجوز، بل لا يمكن انكار الحوادث المثبتة بالمشاهدة. فلنعد الى هذه الحوادث

لم ننشر الترجمة الفرنسية لكتابات الفيلسوف الألماني شوينهور عن المغناطيس الحيواني والسحر الا في سنة ١٩١٢. وقد كانت نشرت في المانيا سنة ١٨٣٦ وكذلك ترجمة ما كتبه عن الارواح وعن الرؤي المثبتة بالمستقبل مع ان أصلها نشر في براين سنة ١٨٥١. فاليك ما كتبه الفيلسوف في ذلك المؤلف :

« تنبى الاحلام غالباً عن حوادث هامة وأحياناً عن أشياء نافعة لا تلفت لحقارتها نظر المفكر. وقد تحققت أنا نفسى من ذلك بتجربة لا يمكن دحضها. وأريد اليوم نشر هذه التجربة لأنها توضح في وقت معاً الضرورة القاهرة لحدوث الحوادث علي ما هي عليه حتي ما كان منها عريضاً جداً. كنت أكتب ذات صباح بعناية عظيمة

ككتاباً طويلاً هاماً باللغة الانكليزية خاصاً ببعض الشئون . فلما انتهيت الى الصفحة الثالثة منه ذهلت ، فأخذت الدواة بدل وعاء الرمل وصببتها على الكتاب . فسال الممداد من على المكتب الى الارض ، فحضرت الخادمة بإشارة الجرس الذي قرعته ومعها دلو من الماء ، وأخذت تمسح خشب الارض لترفع عنه البقع . وقالت لي وهي تؤدي هذا العمل ، قد رأيت الليلة في منامي اني أرفع من هذه الحجرة بقعة من الحجر بحك أخشابها

« فقلت لها : « ان هذا غير صحيح »

« فأجابني بقولها : « هذا صحيح وقد حدثت بهذا المنام الخادمة الاخرى التي

تنام معي »

« فدخلت الخادمة الاخرى المذكورة اتفقا ، وكان سنهما سبع عشرة سنة لتنادي الخادمة التي ترفع البقع . فتقدمت اليها وسألتها : « ماذا رأت صاحبتك في منامها الليلة » فأجابني قائلة : « لأدري » . فقلت لها ومع ذلك فهي تقول انها قد حدثت لك عنة عند يقظتها . فقالت الشابة عند ذلك : « نعم ، انها رأت انها ترفع من هذه الحجرة بقعة من الحجر علي خشب الارض »

« ان هذه القصة التي أضمن صحتها المطلقة ، تجعل صحة المنامات التي من هذا القبيل لا تختمل الشك . وليس بأقل قيمة من ثبوت صحتها كونها تتعلق بحدوث أمر يمكن أن يوصف بأنه غير ارادي ، لانه حدث رغماً عن ارادتي ، وهو نتيجة خطأ صغير ارتكبته يدني . ومع هذا فقد كان وقوع هذا الامر ضرورياً ومحددأً تحديداً لا يمكن تخلفه ، بحيث وجد علي صورة منام قبل حدوثه بساعات في وجدان انسان آخر من هنا يتجلى بأوضح ما يمكن ان يكون صدق نظريتي وهي : كل ما يحدث من الحوادث لا بد من وقوعه ولا يمكن تخلفه » انتهى

انا ما كنت لاجعل هذا المنام في عداد براهيني الحسية ، وكنت القيت به في باب الامور المشكوك فيها (لان شهادة الخدم تكون دائماً مريبة ، وكثير منهم يحبون أن يخذعوا ساداتهم) ، لولان راويها شوبنهاور نفسه ، وأنه ساقها دليلاً على اعتقاده بوجوده

الضرورة القاهرة . وقد أعلن انه مقتنع بصدق خادمته، وعنده ان صحة الرؤى المنبئة بالمستقبل لا تحتل أى شك

ولكنه أخطأ فى تفسير هذه الحادثة المنامية . فانه لم يكن قط مجبر على قلب دوائه، وقد رؤيت الحادثة قبل وقوعها لانها قد حدثت ليس الا

وقد اذكرتني حادثة خادمة الفيلسوف الالماني، حادثة الخادمة أخرى رويت في مجلة (ويبر سنليخ ويلت) *Uebersinnliche Welt* البرلينية التي صدرت في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ وهي رؤية تشبه الرؤية المتقدمة وهي :

« المسيو بوخبرجر مستشار وزارة الحقانية كان في (اوبريه) فرأى في منامه حوالى الساعة الخامسة انه يرى داره التي في (اولوتز) ، وان ثياب خادمته تحترق ويصب عليها الماء . ثم رأى هذه المسكينة وقد ابيض جلد هائم استيقظ

« وبعد زمن قصير عاد المسيو بوخبرجر الى داره . فأخبرته امرأته ان الخادمة قد ماتت متأثرة من حرقها، وكان ذلك في اليوم الذي رأى فيه منامه المتقدم، ولكن في الساعة العاشرة صباحا وكانت تسخن ورنيدشاً فالتهب وصب عليها الماء حتى طفئت النار ثم نقلت الى المستشفى وهناك توفيت بعد أيام » انتهى

مما تجب ملاحظته ان هذا المنام حدث في الساعة الخامسة صباحا ووقعت الحادثة في الساعة العاشرة ، فهي تشبه حادثة شوبنهاور من كل وجه

وهذه القصة موقع عليها بتوقيع المسيو بوخبرجر مستشار وزارة الحقانية في جراز

وآخر لبرج

الامر الرئيسى الذي يجب أن يدهشنا وأن يحصل في نظرنا على صفة الحقيقة الناصعة هو ثبوت هذا الامر المخالف للعرف، وهو ان المستقبل الذى لم يوجد بعد، والذي سيوجد بتسلسل طائفة من أسباب صغيرة متعاقبة يمكن ان يرى كأنه قد وقع فعلا

الامر الذى يجب أن يحير ألبابنا ويحصل في نظرنا على الثقة به هو هذا الامر المخالف للمعهود، من ان المستقبل الذى لا يوجد، والذي سيحدث من تسلسل أسباب

ثانوية متعاقبة يمكن مع هذا كله رؤيته كأنه قد وقع فعلاً
والمستقبل لا يرى فقط في المنامات الانبائية، ولكن في بعض حالات نفسية أيضاً
صعبة التحديد . من أغرب الأمثلة التي أعرفها عن رؤية الأمور المستقبلية بالضبط،
هي الحادثة التي أوردتها العالم زمبلي في المجمع العلمي المباحث النفسية الدكتور (جوليه)
الذي يعرف قرأني أعماله العلمية حق المعرفة . واليك هذه الحادثة كما هي منقولة عن مجلة
(التاريخ السنوي للعلوم النفسية)، الصادرة في أكتوبر سنة ١٩١٠ قال:

« في ٢٧ يونيو من سنة ١٨٩٤، نحو الساعة التاسعة صباحاً، كان الدكتور (غاليه)
لا يزال طالب طب في ليون، وكان يدرس في حجرة مع زميل له هو الآن الدكتور
(فاريه)، الطبيب في مدينة (انديسى)

« كان (غاليه) اذذاك مشغولاً جداً بتحضير امتحان أظلم وقته، وهو الامتحان
الاول للحصول على شهادة الدكتوراه . وكان لا يفكر في شيء غيره وخاصة السياسة،
فكان يكتفي بالقاء نظرة عجمي على الجرائد، ولم يتحدث عن وشك انتخاب رئيس
للجمهورية في الايام السابقة على ذلك اليوم. وهو موعد انتخابه، الا عـ ضاً بغير اهتمام،
وكان المقرر له ان يجتمع مؤتمر الانتخاب ساعة الزوال في فرساي

« فبينما هو مكب على درسه، اذ طرأت عليه فكرة اضطرابية، وأحس بأن عبارة
غير منتظرة انطبعت في ذهنه بحيث لم يتمالك نفسه من كتابتها على كذاشته (مذكرته)
وتلك العبارة هي بنصها : (انتخب المسيو كازمير برييه رئيساً للجمهورية بحصوله على
٤٥١ صوتاً)

« حصل هذا، ولا بأس من تكرار هذا القول، قبل انعماد المؤتمر. ومما تجب
ملاحظته، وهو غريب، ان هذه العبارة التي انطبعت في ذهن الدكتور (غاليه) انطباعاً
واضحاً جداً، تشير الى الزمن الحالي لا المستقبل

« دهش (غاليه) مما حدث له، فنادى زميله (فاريه) وناولته الورقة التي كتب عليها
تلك العبارة

« فقرأها (فاريه) وهز كتفيه . وبما ان صاحبه كان مهتماً جداً بهذه الحادثة، وبلغ

عليه مصرحاً بأنه يرى فيها نبوءة، رجاء بشيء من العنف أن يدعه يشتغل في هدوء « بعد الغداء خرج (غاليه) ليحضر درسا في الجامعة، فصادف في طريقه طالبين آخرين أحدهما الدكتور (بوشيه)، هو الآن طبيب في (كروزي)، وثانيهما المسيو (دبورن)، هو الآن صيدلاني في (تونون)، أخبرهما بأن (كازمير برييه) سيستخب رئيسا للجمهورية بحصوله على ٤٥١ صوتا. وألح في تأكيد ذلك لهما مراراً، رغماً عن ضحكهما منه، واستهزأتهما بنبوءته

« وعند الخروج من الجامعة، تقابل الاصحاب الاربعة وذهبوا يتناولون بعض المربطبات على سطح قهوة مجاورة. وفي هذه اللحظة وصل باعة الجرائد يبيعون ملاحق مذبذبة بنتيجة الانتخاب لرئاسة الجمهورية، وهم يصيحون انتخب المسيو كازمير برييه رئيساً للجمهورية : ٤٥١ صوتا » انتهى

مما لاشك فيه اننا نصدق الدكتور (جوايه) متي قال، ولكنه أراد أن يضيف الي مارواه أساساً لا تقبل الجرح وهي شهادات الشهود وهم

(أولاً) الدكتور (فاربه) الطبيب الداخلي لمستشفيات ليون سابقاً

(ثانياً) شهادة المسيو (دبورن) الصيدلاني في تونون

(ثالثاً) شهادة الدكتور (بوشيه) الطبيب في كروزي

فليس في مكنة أحد والحالة كما ترى ان ينازع في صحة هذه الحادثة. ويحمل بنا أن نلته على ان انتخاب المسيو كازمير برييه، الذي لم يحصل الا على أكنرية ٢٨ صوتاً، كانت غير متوقعة، وكان المنتظر انتخاب المسيو بويسون أو المسيو دبورني. فافتراض ان هذه النبوءة نتيجة الاتفاق (أى الصدفة)، يزيد كما هو ظاهر عن حدود التشكك المعقول

وقد أرسل لي العلامة مدير مجلة (التاريخ السنوي للعلوم النفسية) المسيو سيزار دوفيسم في سنة ١٩٠١ النبوءة الغريبة الآتية :

« في الايام الاولى من سنة ١٨٦٥ ذهب رجل اسمه فنسان ساسارولى ليعيش في قرية سارتيانو التي يسكنها ٦٠٠٠ نسمة

« وبما انه كان يوجد في تلك القرية جوقة موسيقية متقنة، مؤلفة من ٣٤ شخصا، ومديرها المسيو جوزيف فرونتيني وكان مضطراً للفرار منها لاسباب سياسية، دعاه ليتولى ادارتها مكانه

« فقبل المسيو ساسارولى الطالب، وقُدِّمَ للجوقة في صالة الدرس في الطبقة الثالثة من دار للقس (دوم باشيريني) . وبعد تكرار الادوار الموسيقية بحضرة جميع أفراد الجوقة، أعلن المسيو ساسارولى بأن الطبقة التي هم فيها ستهدم مع سائر البناء، من أول الحجر التي بالسطح الى الدور الاسفل . وأضاف الى ذلك بأنه يري انقراض الدار تعمّر جميع الحاضرين وتسحقهم وهو من بينهم

« فما أتم كلامه حتى أخذ بعضهم ينظر الي بعض دهشين، وهم يتساءلون عما اذا كان المدير الجديد مزح، او حدث له جنون . ولكن المسيو ساسارولى لم يعبأ بدهشهم وثبت علي ما يدعيه، معيناً اليوم والساعة التي ستحقق فيها النازلة

« حيال هذا التأكيد لم تشك الجماعة في خبل هذا المسكين، وانسحبوا وهم يتغامزون، وانتشر خبر هذه النبوءة في القرية، وصارت مثيرة للضحك والسخرية

« فلما آنس المسيو فرونتيني ان ساسارولى صار أضحوكة لدى الجميع، وتحقق ان هذه الفكرة الثابتة لديه ربما أدته الي الجنون، أخذ يعيد اليه رشده بكل ما يستطيع من جهد . فاتفق مع القس جوزف باشيريني وعرض البناء من أول السطح الي الاساس على مهندسين خبراء، فأجمع الجميع علي ان البناء خال من كل خلل . فتقوى المسيو فرونتيني بهذا الحكم، وقصد المسيو ساسارولى وأراه اياه، ناصحاً له أن لا يصر علي نبوءته الجنونية، ومتمنياً له أن يعيش بقدر ما يعيش البناء المذكور

فكان اصرار صاحب النبوءة علي ما يقول، بعد صدور هذا الحكم، مؤيداً للناس ما يظنون من جنون المدير الجديد، وابتدأوا يراقبونه خشية أن يدفعه جنونه لاثبات أمر ذي بال . وصار حديث الناس في القهوات والاسر دائراً حول هذه الحادثة التي أصبحت أضحوكة للجميع في القرية

« جاء اليوم العظيم المنتظر . ولما كان مساء ذلك اليوم معيناً لترديد الدروس

اجتمع الموسيقون كهاتهم في الصلاة، وأخذوا وهم ينتظرون الرئيس يهزأون به. فسا عثم المسيو ساسارولي أن حضر، ولم يرد أن يسمع كلمة واحدة عن عمله في هذا المساء، لانه كان مضطرباً من قرب ساعة الحادثة، واجتهد في أن يحمل الحاضرين علي اخلاء المكان . وكان وهم نازلون على السلم الموضوع تحت القبات العظيمة التي تسبق غيرها، لايقتر عن أن يكرر لهم قوله : «ارجوكم أن تنزلوا بخفة فان ثقلنا جميعاً يمكن ان يعجل وقوع الحادثة »

« يستطيع كل انسان أن يتخيل النكات والضحكات التي تنبعث من ٣٤ شخصاً يعتقدون جميعهم أنهم انما يتبعون رجلاً به جنة، وأنهم يأتون بعملهم هذا أسراً موجباً للسخرية . فلما تم خروجهم الى الشارع ، لم تمض هنيئة حتي انهارت الدار على نفسها في الساعة المعينة . فليقدر كل انسان مبلغ ما أحدثته هذه الحادثة من التأثير العميق في القرية برمتها

« والتقرير الذي نأخذ منه هذه الحادثة كتبه المسيو فرونتيني بنفسه ، وكان أبوه ، وهو رئيس المجلس البلدي للقرية، أول من خف لتهمته المسيو ساسارولي في اليوم التالي لوقوعها . ومع هذا التقرير ثلاث شهادات (أولها) من جميع افراد الاسرة التي يسكن معها المسيو ساسارولي . و (الثانية) من حارس التيارات و (الثالثة) من الاسرة المقيمة بالدار المجاورة للتيار، وكلها تشهد بصحة هذه النبوءة » انتهى

كيف يقيم الانسان علي شكه امام هذه الحادثة المحققة علي وجه مطلق؟ لا ينطبق علي المنكرين قول الكتاب المقدس : «لهم أعين ولا يبصرون، ولهم آذان ولا يسمعون» فماذا يفيد الانكار ، الانكار المستمر ومهما كانت الحال؟

من أشد الامثلة التي اعرفها تحويراً للعقل ، وأكثرها غرابة ، واعظمها دلالة في باب الكشف، المغناطيسي هو ما ذكره الدكتور (الفونس تيس) في رسالته العملية علي المغناطيس العام . ليست هذه المشاهدة مما وقع امس ، فان هذه الرسالة نشرت في سنة ١٨٤١ ولكن هذا لا يقلل من قيمتها ، لان الزمن لا يؤثر في صحة الامور كما يقول (موايپر) فاليك هذه المشاهدة الغريبة :

« كنت أنوم في يوم الجمعة ٨ مايو الماضي مدام (هورتنس م.) فكانت في هذا اليوم على أشد ماتكون كشفا . ولم يكن معنا غير زوجها فظهرت مشغولة البال باستقبالها الشخصي ، وقالت لنا ضمن ماقائمه من الامور غير المنتظرة

« أنى حبلى في خمسة عشر يوما ، ولكنى لن اضع في الوقت الطيبى وهذا ما أشعر منه بكدر محرق . ففي يوم الثلاثاء القادم ١٢ الجارى ، سأخاف من شيء واسقط على الارض ، وسيجر ذلك الى اجهاضي »

« وأنى لأعترف رغما من كل مارأيته سابقا ، بأن امرأ واحداً من هذه النبوءة كان يحير عقلى

« فسألته بمظهر من الاهتمام لم يمكنى اخفائه قائلا: ما الذى سيخيفك ياسيدتي؟

« فأجابت لأدري

« فسألته: ولكن أين يحدث لك ذلك ، وفى أى مكان تقعين ؟

« فقالت : لا أستطيع ان اعينه لأنى لأدريه

« فسألته: الا توجد وسيلة تتجنبين بها كل هذا ؟

« فقالت : لا وسيلة

« فقلت لها : حتى ولو لم تتركك وحدك ؟

« فقالت : هذا ان يكون له أدنى تأثير في منع وقوعه

« فقلت لها : وهل تقعين في مرض شديد بسبب ذلك ؟

« فقالت : نعم مدة ثلاثة ايام

« فسألته : أخبرين على وجه التفصيل ما ستحسين به ؟

« فأجابت قائلة : فى منتصف الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء وعلى أثر الخوف الذى

سيعترينى ، سأشعر بضيق مستمر مهي ثمانى دقائق ، ثم تلم بي آلام شديدة جهة الكليتين

تدوم بقية اليوم ، وتمتد الى الليل . وفي صباح الاربعاء سيبدأ النزيف ويزيد بسرعة

ويكون غزيراً جداً . ومع هذا فلا يجوز القلق على من جراء ذلك ، لانه ان يميتني .

وفي صبيحة الخميس ستتحسن صحتي كثيراً وأستطيع مضايقة سريري ثم -اري كله

تقريباً . ولكن في منتصف الساعة السادسة من المساء سيعاودني الزيف ويعقبه هانيان . وفي ليل الخميس الى نهار الجمعة ستكون صحي جيدة، ولكن في مساء الجمعة سأضيع عقلي

« ثم سكتت مدام (هورتنس) . ونحن وان لم نصدق كل ما قالته، أصابنا تأثر شديد، حتي اننا لم نستطع ان نعاود سؤالها . ولكن زوجها تأثر تأثراً كبيراً، فسألها بلهف لا يمكن وصفه عما اذا كانت ستبقى مجنونة مدة طويلة ؟
« فأجابته بهدوء تام قائلة : ثلاثة ايام

« ثم اضافت الى ذلك بهدوء مفعم بالظرف : « لا تقلق فاني ان ابقى مجنونة وان اموت بل سأتألم فقط »

« ايقظنا مدام هورتنس ولم تذكر شيئاً مما حدث لها، كما كانت العادة، فلما اختلفت بزوجها اوصيته بأن يكتف، وخاصة امرأته، الحوادث التي قد تكون وهمية ولكنها تعلقها كثيراً اذا عرفتھا . وفوق هذا فان كتمانها يكون في مصاحبة العلم، فوعدتني بأن يكتفها، واني خبير بأخلاقه الي حد استطيع معه ان اؤكد بأنه وفي بما وعد . اما انا فقد اخذت في مذكري كل هذه النبوءات . وفي اليوم التالي كاشفت بها الدكتور (اميديه لاتور)

« اقبل الثلاثة الموعود، وكان كل ما يشغلني ان اعرف الامر الذي ستذعر منه (مدام هورتنس) . فلما قدمت اليها وجدتها تغذى مع زوجها، وظهرت لي على أنهم ما يكون من اعتدال المزاج

« فقلت لها وانا داخل يا صديقي العزيز ان سأكون لديك الى المساء اذا لم يكن هذا يثقل عليك

« فقالت مدام هورتنس : علي الرحب والسعة، ولكن علي شرط ان لا تتكلم كثيراً عن التنويم المغناطيسي

« فقلت لها ياسيدي ان اكلم عنه قط اذ تفضلت فقبات التنويم لاجلي عشر دقائق فقط

« فقبلت اقتراحي ، وبعد زمن من الغداء أمتها
 « فسألتها كيف تجد نفسك ياسيدي؟
 « فأجابت : على احسن حال ياسيدي ، ولكن لن يطول ذلك
 « فسألتها وكيف ذلك ؟
 « فرددت عبارتها الفظيعة التي قالها يوم الجمعة وهي : فيما بين الساعة الثالثة والرابعة
 سيحدث لي ذعر من شيء ، فأقع ويجر ذلك الى ضرر عظيم
 « فسألها : ما الذي سيحدث لك ذلك الذعر ؟
 « فقالت : لا أدري
 « فقلت لها : اجتهدي في معرفته
 « فقالت : لا ادري
 « فسألها : أين الشيء الذي سيدعرك ؟
 « فقالت : لا ادري
 « فسألها : ألا توجد وسيلة لتنجيتك من هذا القضاء الحتم ؟
 « قالت : لا توجد وسيلة
 « فقلت : سأكون هذا المساء قادراً علي نقض قولك هذا
 « قالت : ستكون هذا المساء يادكتور قلقاً علي صحتي . سأكون صريضة جداً
 « فلم اجد ما يجيبها به في تلك اللحظة ، ولا محيص لي من الانتظار ، فأخذت انتظر
 « ولما ايقظتها في دقائق قليلة ، لم تذكر مما جري شيئاً . وكان وجهها مكفهر من
 الصور المزعجة التي رأتها وهي نائمة ، وما لبث ان عاد اليه صفاؤه العادي . ثم اخذت
 فيما كانت فيه قبل ان تنام من الحديث والمزاح ، بدون ان يكون في ذهنها شاغل يشغلها .
 واستمرت تتابع نكاتنا الرقيقة التي كانت طبيعية لها ، وكانت هي تحسن ايرادها . اما
 انا فقد كنت في حالة عقلية لا استطيع ان اصفها ، وكنت مستغرقاً في ظنون وفروض
 كانت تززع ايماني احياناً ، وكنت اشك في كل شيء حتى في نفسي
 « وكنا ، ونحن عاقِدو النية علي عدم تركها ثانية واحدة ، نراقب اصغر حركاتها .

واقفلنا النوافذ اقفلنا محكمًا، خشية من ان حادثا بطرأ في الشارع او في الدور المجاورة
فيكون سببا في تحقيق النبوءة . وكنا اذا دق الجرس يقوم احدا لنا لاستقبال القادم في
الحجرة المجاورة

« ولما اجتازت الساعة قليلا النصف بعد الثالثة قامت مدام هورتنس عن الكرسي
الكبير الذي كنا اجلسنا فيه وهي معجبة بالرعايات التي رأت نفسها محاطة بها منا
وقالت لنا :

« أسمعون لي ياسيدي بأن أختلس نفسي دقيقة واحدة من عنايتكما التي لا
أدرك سببها ؟

« فقلت لها بمظهر من القلق لم نستطع اخفاءه : اين تريدن ان تذهبي ياسيديتي ؟

« فقالت : يا للعجب ، ماذا أصابك ياسيدي ، اتظن في عزمي ان اقتل نفسي ؟

« فقلت : لا ياسيديتي ولكن ...

« فقالت : ولكن ماذا ؟

« فقلت : ولكن ماذا ؟ وقد احسست من نفسي الميل لعدم الكتمان، ولكن لان

صحتك تهمني

« فقالت وهي تضحك ادن فأنت أجدر أن تتركني أخرج ...

« ففهمت، (يريد انه فهم انها تريد المرحاض)

« رأيت ان الداعية قاهرة، ولا توجد وسيلة للالاحاح عليها، ومع هذا فان صاحبي

اراد ان يبلغ اقصى ما يستطيعه فقال لامرأته:

« أسمعيني لي ان اصحبك الى هناك ؟

« فقالت ما هذا ؟ أريدك مراهنه ؟

« فقلت لها: نعم ياسيديتي انها مراهنه واني متحقق من اني سأكسبها وان كنت

قد اقسمت انك تخسريني اياها

« فأخذت مدام (هورتنس) تنظر الى كل منا، وهي حيرى، ثم قبلت ذراع زوجها

وهو تده اليها وخرجت وهي تضحك مقهقه

« وكنت انا اضحك ايضا ولكنى كنت احس بأن الساعة الموعودة قد آتت، وكنت معتقداً ذلك الى حد ان تلك الفكرة كانت تملكني، ولم افكر فى ان اعود الى البهو الذي كنا فيه، وبقيت كأني بواب علي باب الحجرة المجاورة لا ادري ماذا اصنع

» فما هي الا لحظة حتى سمعت صرخة حادة، وصوت سقوط جسم على دهليز السلم، فصعدت وانا اجرى فرأيت علي باب المرحاض صاحبي ممسكا بامرأته بين يديه، وهي في حالة تشبه حالة النزاع

» فتحقت انها هي التي صاحت، وان الصوت الذى طرق أذنى هو صوت سقطتها، وكان الذى حدث هو أنها ساعة تركها لذراع زوجها لتدخل الى المرحاض تراءت لها فأرة، ولم يشاهد هنالك فيران منذ عشرين سنة، فحدث لها ذعر بلغ من الحدة والعجاة الى حد انه تسبب في سقوطها على ظهرها، دون ان يتمكن احد من امساكها

» فتوالت بعد ذلك جميع الحوادث التي اخبرت عنها وهي منومة « فأضاف الدكتور (تيسن) الى ماسبق ذكره قوله فن الذى يجزأ بعد وقوفه علي هذه الحادثة ان يضع حداً للممكنات، وان يعرف حقيقة الحياة البشرية ؟ » انتهى لا يستطيع انسان ان يشك فى صدق هذا المؤلف . ولقد أدهشته هذه المشاهدة الكشمية المحيرة للعقل ادهاشا لا تتمالك انفسنا من ان نشاركه فيه . فانكار كل ما يقال، كما يفعله أكثر الناس ، هو بمثابة انكار التاريخ الانساني كله

أليس لى الحق فى أن أقول بأن هذه المشاهدة، (يريد المشاهدة المتقدمة)، اعجب جميع المشاهدات التي ندرسها الآن، وهي من الصحة بمكان عظيم جداً . لا محل هنا للاعتراض المبتذل وهو الاتفاق (الصدفة). وقد يستطع المعترضون ان يفترضوا ان المنومة قد أوجدت بتصورها المريض من طريق التلقين الذاتي كل ما أنبأت به، وانها هي التي خلفت هذا المستقبل لنفسها بنفسها ، ولكن ما أوهي هذا الاعتراض ؟ على انه لا يفسر الحادثة السابقة وهي انهيار التيارات على نفسه، ولا يعال المشاهدة الآتية أيضاً:

نعم لا يجوز للانسان ان يقبل روايات الذين يخبرون عن انفسهم انهم رأوا حوادث غريبة قبل وقوعها الا بالحدز والاحتراس، ومع هذا فهناك شهادات يستحيل التشكك فيها، وبهذا الاعتبار ذكرلى صديقى الكولونيل دوروشاس، مشاهدة تافهة فى ذاتها ولكنها غريبة، حدثت لجراحنا الشهير البارون (لاريه) وهو الذى رواها له بنفسه. قال له انه رأى فى نومه اربعة ارقام مترجح من اليانصيب، فلما اصبح رجاً امرأته، وكان هو مضطراً للنزول لعيادة مرضاه، ان تحصل بنفسها على هذه الارقام الاربعة، فقدر مبلغ ما أصابه من الكدر حين عاد الى بيته وعلم ان هذه الارقام كلها قد كسبت الجوائز، وان امرأته نسيت ما وصاها به من شرائها فافترض الاتفاق هنا لا يمكن قبوله، اذ ان الالعاب كان ضده ٢٥٥٥١٩٩ رقماً خاسراً

يمكن تعليل هذا الامر بالاتفاق، اذا كان الامر يتعلق برقم واحد، اما بأربعة ارقام فلا. والذي نعلمه الآن هو ان المستقبل يمكن ان يري هذه المشاهدة مفيدة مثل سابقتها، وأنى عرفت البارون (لاريه) رجلاً دنيوياً ممتازاً بقدر امتيازه فى العلم والاستقامة، وشهادته تعد فى درجة شهادة رجل شريف وقد تسلم المستر (وليم ستيد) مدير مجلة المجلات الانجليزية الذى غرق مع الباخرة (تيتانيك)، من الروح المسماة جوليا، نبأ غيبياً مدهشاً للدرجة القصوى. فقد كتب فى مجلة (التاريخ السنوى للعلوم النفسية) الصادرة فى سنة ١٩٠٩ صفحة ١٢٠ يقول:

« منذ بضع سنين كانت موظفة عندى سيدة ذات قريحة عالية، ولكن طبعها كان ليس فى درجة قريحتها، وصحتها دون القوية. وقد آل بها الامر أن أصبحت من صعوبة القيادة بحيث فكرت فى يناير أن أفصلها عن الخدمة، ولكن (جوليا) استولت على يدي وكتبت ما يأتى: (١):

(١) المستر ستيد اشهر صحفى فى العالم وكان نفسه وسيطاً، فكانت تستولى بعض الارواح ومنها الروح المسماة جوليا على يده فتكتب ما تريده من الرسائل

« كن صبورا مع (أ.م.) فانها ستلحق بنا قبل ختام هذه السنة ، (اي انها ستلحق بعالم الارواح)

« فدهشت من هذا النبأ لاني لم آس عليها شيئا يجعلني اتوقع قرب انتقالها الى عالم الموتي . تسلمت هذه الرسالة ولم اخبر بها احدا ، وبقيت مستخدما لتلك السيدة . وقد وقع هذا النبأ في ١٥ او ١٦ يناير ، اذا لم تك ذاكرتي قد خانتني ، وقد تسكرر في فبراير ومارس وابريل ومايو ويونيه انبائي بهذه العبارة « تذكر ان (أ.م.) ستفارق الحياة قبل نهاية هذه السنة »

« وفي شهر يوليو ابتلعت تلك السيدة مسمارا علي وجه الخطأ ، فسكن في امعائها ووقعت بسبب ذلك في مرض خطير . وكان الطبيب ان اللذان يعالجانها قد قددا الامل في تخليصها من الموت . وفي هذه الاثناء كانت الروح (جوليا) مستوية على يدي فسألتها :

« أليس هذا بلا أدني شك ما كنت أنبأتني عنه من انها ستموت ؟

« فأجابني بجواب أوقعني في الدهش العظيم قائلة :

« لا ، انها ستشفى من هذا المرض ، ولكنها على اي حال ستموت قبل انتهاء

هذه السنة

« فحدث ان (أ.م.) ابلت من مرضها فجأة ، في وسط الدهش الكبير من طبيبيها ،

واستطاعت بعد زمن قليل ان تعود الى عملها . وفي اغسطس وسبتمبر واکتوبر ونوفمبر

تكرر انبائي بقرب موتها بواسطة يدي . وفي شهر ديسمبر اصيبت بالانفلونزا

« فسألت جوليا : أفي هذه المرة ستلقى حتفها ؟

« فأجابني قائلة : لا ، انها لن تأتي الي عالمنا على طريقة طبيعية ، ولكن مها كانت

الحال فانها ستحل لدينا قبل نهاية السنة

« فذهرت ، ولكنني ادركت اني لا أستطيع أن أمنع وقوع الحادثة . تصرمت السنة

ولكنها لم تمت . فكتبت جوليا بواسطة يدي : « لقد أخطأت في بضعة أيام ، ولكني ما

قلته لك صحيح »

« وفي نحو ١٠ يناير كتبت جوليا بيدي :
 « ستري (م.ا.) غداً فودعها الوداع الاخير. وخذ جميع الاله الضرورية، فلن
 تراها بعد ذلك علي الارض
 « فذهبت لائقاها، فاذا بها مصابة بالحفي المصحوبة بسعال شديد . وكان ذووها
 على وشك نقلها الى المستشفى
 « بعد يومين من هذا التاريخ وصلى تلعراف يذبني بأن هذه المسكنة القمت
 بنفسها من نافذة بالطبقة الرابعة، وهي في حالة هذيان شديد ، وأنهم رفعوها من على
 الارض ميتة . فلم يزد تاريخ موتها الا بضعة ايام بعد الاثني عشر شهراً عن الموعد الذي
 حدثته النبوة السابقة

« واني في استطاعتي ان اثبت صحة هذه القصة بالاوراق الاصلية التي كنت
 اتلقى فيها الرسائل الروحية، وبشهادة شكر تيري" الاثنين الموقعين عليها » انتهى
 يظهر من هذه القصة حقيقة ان الروح علمت مقدما موت تلك السيدة، وأنها تحققت
 من انه سيكون نتيجة حادث . لهذا السبب يجب علينا ان نعزو هذه النبوة لروح
 مجردة ؟ ليس لدينا علي ذلك من دليل . واني قد عرفت المستر ستيد معرفة تكفي
 لتقدير لي الخصائص النفسية النادرة، وان كان لم ينتفع بها لتنجية نفسه من الغرق
 لاشك في ان هذه النبوة من اعظم النبوءات شأنًا . فما هي جوليا هذه التي
 اشتهرت لدي الباحثين في الارواح من كتابات ستيد ؟ أهى روح مجردة، أم الشخصية
 الباطنية للمستر ستيد نفسه ، ام هي خاصة عقلية له ؟ اننا نجعل ذلك كله. ولكن على أية
 حال ليست هي المادة الخفية التي تقرأ المستقبل على هذه الصورة

يمكن كل منا ان يقرأ في ترجمة حياة البارون (لازوار هالينباخ) التي كتبها بيده
 نبوءة منامية عن موت . وهاهي كما نقلتها مجلة (التاريخ السنوي للعلوم النفسية) لسنة
 ١٨٦٧ صفحة ١٢٤ :

« كان في نيتي ان اطلب مساعدة مدير قسم الكيمياء المعهد الجيولوجي بفينسا،
 وهو المسيو (هوور) مستشار المناجم عن بعض المباحث التي عملتها على التبلور، وكنت

قد كلفته في ذلك وكان المعمل قريبا من بيتي ، والمسيو (هوور) معروف في العالم العلمي ، ويمكن ان اقول في اوربا بأسرها ، بأنه أخصائي في هذا الموضوع . وكنت أرجي دائما زيارتي الموعودة ، ثم عذمت على زيارته صبيحة يوم . فرأيت في نومي تلك الليلة رجلا شاحب اللون ضعيفا ، يسنده من تحت ذراعيه رجلا ن . فلم أعبا بهذه الرؤيا وذهبت الى المعمل الجيولوجي . ولكن بما ان المعمل كان في الطرف الآخر من المعهد ، على غير ما كان عليه في السنين الماضية ، ضللت عن بابه ، ولما وجدت ذلك الباب مغلقا رأيت حين نظرت من نافذة صورة رؤياي على أنتم ماتكون من دقة . رأيت (هوور) يسنده رجلا ن لانه تسمم بسيانور البوتاسيوم وكان الرجلان ينقلانه الى الدهليز على مارأيته عليه تماما »

ان صديقي النشط المأسوف عليه جداً الدكتور (موتان) الذي عمل في بيتي في سنة ١٨٩٩ تجارب عظيمة على التوبم المعنطيسي ، مما سأتكلم عنه في مناسبة أخرى ، اشتغل في سنة ١٩٠٢ بالمباحث التحليلية على الاسبرتزم نستطيع ان ننوه منها بهذه النبوءة وهي :

« في الجلسة التي عقدت في ١٩ اغسطس ، وحفظ المحضر الذي عمله علي عاداته الحسنة ، ظهرت له روح استولت علي الخوان وادعت أنها سيدة تدعي هيرمانس ف . ماتت حديثا . وكان الدكتور يعرف هذه السيدة وزوجها منذ زمان طويل . فدهش من تصريحا التالي وهو :

« ان زوجي سيتزوج ثانية في شهر سبتمبر المقبل ، وسيحضر الى باريز قبل زواجه ، ولكنه ان يجد وقتا لزيارتك

فقلت لها : ان ماتقولينه مستحيل ، فاني أعرف (ف .) وأعرف الحب الذي يحفظه لامراته ، ويتعذر علي ان اصدق انه يتزوج بعد موتها بأربعة أشهر

« فأجابته قائلة : ان ما أقوله لك صحيح ، وستري تحقيقه بعد بضعة أيام

« فقلت لها : اذن هو مسوق بداعي المصلحة لا الحب

« فقالت : ليست الداعية هي المصلحة ، ولكنك تعلم جيداً ان لوسيان (هوور)

لقب ف.) لا يستطيع ان يمكث وحيداً
 « فسألتها : أيتزوج امرأة من سنه ؟
 « فقالت : لا ، ولكن شابة عمرها ثلاث وعشرون سنة ، وبعد زواجه بزمان
 قليل سيترك الاقاليم ويأتى اسكنى باريز
 « فقلت لها : كيف يتأتى له ذلك مع المركز الذى يشغله فى الجنوب . ان هذا
 لا يمكن قبوله
 « فقالت : ان احوالاً سيئة ، وخاصة خسارة مالية عظيمة ، ستضطره للمجيء الى
 باريز ليحصل مركزاً جديداً
 « فقلت لها : سنرى اذا كانت نبوءة تلك تتحقق ام لا ، فاني أشك فيها كثيراً ،
 ولكن هي ان ذلك يكون اشعرين من اجله بسوء ؟
 « فأجابت اشعر بعكس ما تقول ، فان لوسيان لا يستطيع ان يعيش وحيداً
 « بعد هذه الكلمات بقي الخوان ساكناً . وبعد بضع دقائق سألت الروح عما
 اذا كان التخاطب قد انتهى ؟ فكان الجواب : نعم
 « مدام ف . لم تظهر لنا قبل هذه المرة قط . وكانت هذه المرة هي الوحيدة التى
 ظهرت لنا فيها
 « في ذلك الوقت لم يكن احد يتخيل وقوع هذه النبوءة ، ولا ان يعتبرها من
 الاتصالات الجديدة بالارواح . وأنا وجميع أعضاء أسرتى كنا نعرف الميمنة ، وكنا لا
 نستطيع تصديق ما أنبأت به . والمجربون الذين كانوا معنا في هذه الجلسة لم يسمعوا
 عن ف . شيئاً
 « وبعد أيام قليلة اى في ٢٧ اغسطس أتاني كتاب من صديقى ف . يخبرني فيه
 بزواجه في شهر سبتمبر بالماداموازيل معطياً اياى بعض المعلومات عن
 قرينته المستقبلية ، معلومات كانت مطابقة كل المطابقة لما اخبرتنا عنه الروح في ١٩
 اغسطس
 « وفي شهر مارس سنة ١٩٠٤ حضر المسيو ف . لزيارتنا واخبرنا انه حضر

ليسكن باريز . فأخبرته عن اتصالنا بروح امرأته الاولى هيرمانس . فدهش من ذلك الى حد انه اراد ، وان لم يكن في شك من أقوالنا ، ان يري محضر هذه الجلسة . فوجد ان كل ماقالته امرأته الاولى صحيح لاشية فيه ، كشخصه الى باريز قبل زواجه الثاني وكتغير مركزه

« وأكد لنا صحة هذه المشاهدات التي لم تتأخر عن اعتبارها برهاناً على بقاء الشخصية الانسانية بعد الموت ، ودليلاً محسوساً على ان الروح التي اتصلت بنا هي روح مدام هيرمانس ف . ذاتها »

وقد ذكر الدكتور (موتان) هذه المشاهدة ، وقال انها أهم المشاهدات التي أقنعت به بصحة الاسبرترزم

فهل هذه المشاهدة لها القيمة المطلوبة التي يصنفها بها ؟

لقد ثبت ان أفكارنا تستطيع أن تؤثر ، سواء على علم منا أو على غير علم ، فتعطي الامالى بواسطة الأخوة . والدكتور (موتان) وأسرته يعرفون مدام (هيرمانس ف.) ، وفكرة ان زوجها الذي صار أرمل يحتمل أن يتزوج ثانية ليست فوق الحوادث العادية . ومن جهة أخرى فان فكرة الارمل يحتمل أن تكون ذات تأثير في هذه التجربة ، لأنه كان عازماً على الزواج ، وانه أخبر بذلك أصحابه بعد هذه الجلسة بثمانية أيام . ومسألة تركه للاقاليم ، وسكنه باريس ، ألا يحتمل أن تكون في ذلك الوقت شاغلة لذهنه أيضاً ؟ فيظهر لي ان صحة شخصية الميتة لم تتحقق مطلقاً في هذه التجربة ، وان هذه الظاهرة يمكن أن تنامي من أسباب نفسية أخرى . على انها مع كل هذا تظهر لي مرجحة . وليس هنا محل مناقشة هذه المسألة الهامة ، واني لم أورد هذه المشاهدة الا على سبيل المثال عن الانباء الصحيح بحادثة مستهيلة

وأضيف الى هذا أيضاً ، انه في هذه الحالة السابقة كما في غيرها مما يشبهها ، يحتمل ان تكون زوجة صديقة الدكتور (موتان) قد شعرت في حياتها بإمكان حدوث هذا الزواج الثاني . وربما كانت قد أقرته ، ويكون هذا الاحتمال في مصلحة صحة شخصيتها . واننا سنعود الى هذا الموضوع في الجزء الثالث من هذا الكتاب في بحثنا في ظهور

أرواح الموتى

أضيف الى مامر انباء بالغيب نجى أسرة برمتها، وكان مع مدره صوتاً باطنياً. نقبَس ذلك عن بوزانو، وعن مجلة جمعية المباحث النفسية الانجليزية (المجلد ١ ص ٢٨٣)، وقد أفضى به الكاتبين (ماك جوان) الى الاستاذ (باريت) فقال :

« في يناير سنة ١٨٧٧ بينما كنت في بروكلين مع ولدى الصغيرين، إبان الاجازة المدرسية، وعدتهما بأن أخذهما ذات ليلة الى التيارات وقد اخترت ثلاثة محال واسأجرتها وفاء برعدى

» ففي صبيحة اليوم المهيمن شعرت بأن صوتاً باطنياً يردد لى هذه العبارة بالحاح : (لا تذهب الى التيارات بل أعد ولدك الى المدرسة) ورغماً عما بذلته من الجهود لاهاء نفسي عن هذا الصوت، لم أستطع منعه واستمر يردد لى هذه العبارة بعينها بصوت الامر وبأشدهما كان، حتى اني لم أملك نفسي عند الظهيرة من اخبار اصحابي وولدي بأنني عدلت عن الذهاب الى التيارات. فأنجني على اصحابي باليوم، مظهرين لى بأن حرمان الولدين من ملهى غير عادي عندهم ينتظرانه بنافذ العبور، بعد وعدهم به بعد أصربحاء، يعتبر من القسوة بمكان . فلم يسعني الا تغيير عزمي

» ومع هذا فلم ينقطع هذا الصوت ساعات بعد الظهر كلها، ولم يزل يردد الامر بعدم الذهاب بالحاح شديد التأثير، حتى اني لم يسعني في المساء قبل موعد التيارات بساعة الا أن أعلن ولدي نهائياً بأننا ذاهبون الى نيويورك بدل الذهاب الى التيارات. فسافرنا

» فحدث انه شب حريق في هذا التيار في تلك الليلة أني عليه كله، وهلاك فيه ٣٠٥ من المتفرجين في وسط اللمب . فما الذى أجبرني أن أعدل عن الذهاب الى التيارات رغم ما كنت عزمته عليه، بعد ان دفعت أجرة الثلاثة المقاعد فيه، واعداد كل شيء لتخصية ليلة في سرور وارتياح؟»

وأضاف الكتبتين (ماك جوان) الى هذا قوله للاستاذ (باريت) بأن ذلك الصوت الباطني كان يرن بوضوح كأنه آت من انسان حقيقي يكلمه من باطن جسمه، وانه

قاومه من اول ساعات الافطار الي ان سافر بولديه الى نيويورك
كل هذه الحوادث من الصحة وقوة الدلالة بحيث ان بعضها يفسر البعض الآخر
فتتألف منها مجموعة لا يمكن لأية قوة في العالم أن تذيبها
ومن أجل الحوادث في هذا الباب المشاهدة المحققة التي أوردتها المحجرب المدقق
الاستاذ (ليبولت) في كتابه العلاج بالملقنين *Thérapeutique suggestive*
روى دكتور نلسي العالم (يريد ليبولت المذكور) انه في ٧ يناير سنة ١٨٦٦
في الساعة الرابعة بعد الظهر حضر اليه احد زبائنه المسيو دو (ش.) يستشير في حالة
عصبية مفهومة جداً وهي :

« انه بينما كان يتفلسف في احد شوارع باريس في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٧٩ ، رأي
مكتوباً علي أحد الابواب (مدام لنورمان العرافة من النظر الى الكف) فدفعه حب
الاطلاع للدخول اليها

« فلما بحثت يده قالت له : انك ستفقد أباك بعد سنة ، يوماً يوماً ، وعما قليل ستؤخذ
الى الجندية ، (كان عمره اذذاك تسع عشرة سنة) ، ولكنك لن تمكث فيها طويلاً وانك
ستتزوج صغيراً وسترزق بطفلين ، وتموت في السادسة والعشرين من عمرك »

« لم يعتبر المسيو دو (ش.) هذه النبوءة من الامور الجدية ، ورواها لاصحابه
وبعض ذويهم . ولكن بعد أن تحقق موت أبيه بعد سنة كاملة ، أي في ٢٧ ديسمبر سنة
١٨٨٠ ، عقب مرض قصير ، بطلت حدة شكوكه قليلاً . ولما صار جندياً لم يمكث الا
سبعة أشهر تحت السلاح ، ولما تزوج بعد ذلك بقليل وصار أباً لطفلين وعلي وشك
بلوغ السادسة والعشرين من عمره ، أصابه خوف شديد ، وتخيل انه لم يبق له في الحياة غير
أيام معدودة . في تلك الآونة ذهب لاستشارة الدكتور (ليبولت) *Liebaull*
وسأله عما اذا كان من الممكن تحويل هذا القضاء عنه . وقد كان يرى ان تحقق
النبوءات الاربعة الاولى يدل على تحقق الخامسة لاحتمال

« في ذلك اليوم والايام التالية حاولت أن أضغ المسيو دو (ش.) في نوم عميق
لتبديد تلك الفكرة السوداء المنقوشة في ذهنه ، وهي انه سيموت في ٤ فبراير ، وهو يوم

عيد ميلاده ، ولوان العرافة لم تهين له يوماً لارفاة ، فلم استطع ان اوجد له حتى اخف درجات النوم ، من شدة تأثره من هذه الفكرة . ولكن بما انه كان من الضروري ازالة هذه الفكرة من ذهنه ، لانه قد رؤيت نبوءات تتحقق بمحض تأثير التلقين الذاتي ، اقترحت عليه أن أسأل أحد وسطائي الذين عودتهم النوم ، وهو رجل هرم يلقب بالنبي ، لانه أنبأ عن يوم شفائه من روماتزم لازمه اربع سنين ، وعن يوم شفاء ابنه ايضا

« فقبل المسيو دو (ش.) اقتراحي بارتياح ، ولم يتأخر عن الحضور عندي في الوقت الذي عينته له . فلما جعلته في اتصال مع ذلك المنوم كان اول ما نطق به : « في أى وقت أموت ؟ » فأدرك المنوم مبلغ ارتباك هذا الشاب ، ثم أجابه بعد أن دعاه للانتظار قائلاً : « ستموت . . ستموت . . بعد احدي واربعين سنة » فكان تأثير هذه الكلمات من اغرب ما رأيت ، فان الشاب تحولت حاله على الفور ، وعاد اليه سروره وانبساطه وامله . وبعد ان مر يوم ٤ فبراير ، وهو اليوم الذي كان ينشاه كثيراً اعتقد انه نجح تماماً

« اما انا فلم افكر بعد ذلك في شيء من هذا ، حتي كان اول اكتوبر فوصلني كتاب مؤداه ان زبوي المسكين قد توفي في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٦ ، وهو في سنه السابعة والعشرين اي بعد ان عاش ستاً وعشرين سنة ، كما أنبأت به مدام (انورمان) »

هذه رواية الدكتور (ليبولت) المشهورة أعماله . فخلل وشرح هذه السلسلة من الحوادث المتتابعة ، متذرعاً بكل ما لديك من الشك ، وما تنصرونه منه ، وبأقصى شدة الدقة الجراحية ، واذا رأيت بعد ذلك ان ليس شيء خارقاً للعادة في انبائها لهذا الشاب بأنه سيدخل في الجنديّة ، وأنه سيتزوج بعد ذلك ، بقيت لدينا أربع نبوءات وهي : ١ - موت ابيه بعد سنة وما ييوم . ٢ - خروجه من الجنديّة قبل الزمن العادي . ٣ - ميلاد الطفلين . ٤ - موته هو نفسه في السادسة والعشرين من عمره

خاتمة

اكتفى هنا بهذه الامثلة، فان هذا الجزء يجب ان ينفذ عند هذا الحد، معذراً الى قرائي من اكثاري هذه الامثلة، ومعتقداً بأنهم أصبحوا مقتنعين بها كل الاقتناع الخلاصة هي ان المستقبل يمكن ان يري في الحالة الراهنة لمعارفنا الانسانية، من البحث البحث عن تفسير كيف تحصل هذه الرؤية في ذهننا، وكيف تتولد الشعورات التي تتعلق بها يمكن الظن بأن عقلنا الباطن، او شخصيتنا النفسية، في ممارستها لخصائصها المتعلقة بعلم ما فوق الطبيعة، كما يحدث في بعض اشكال الكشف او معرفة الغيب، تنحصر من قيود المكان والزمان، الى من القوانين التي تسود عالمنا المادي. وعلى هذه الشاكلة تظهر لها الاشياء المستقبلية كأنها في مستوي الاشياء الحاضرة والماضية. فهي تستمد سلطانها من نواويس لازال نجهلها. وأية مشاهدة مهما كانت غير قابلة للتعليل، يمكن قبولها اذا كان هذا الكائن او التركيب النفساني هو الشخصية الكلية الدائمة للذات الانسانية، الشخصية التي تستمد غذاءها المعنوي من منابع الكثيرة الباطنية المختلفة. ولا يكون من الجراءة ان نفترض بأنه في هذه الشؤون الفكرية، قد تفيض على العقل الباطني آثار من العالم المحجوب عنا، في بعض الاحوال التي تطرأ على الانسان بسبب النوم الطبيعي أو النوم المغناطيسي، أو بسبب الاستعداد الشخصي، وتوحي اليه معارف عن الحوادث الماضية والحالية والمستقبلية. فان الروح مغمورة في حالة الحياة الارضية وحالة الموت، في جوارى من عالم محجوب عنا والبحث الدقيق في هذه المسائل، والمنطق الصارم في نقدها، يؤدياننا الى استنتاج استحالة عزو الخاصة العقلية من النظر بدون الاعين، ومعرفة الحوادث المستقبلية، والامام بما يحصل بعيداً عنا، او ما سيحدث في الزمان الآتي، الى المادة، او الى الذرات العصبية، أو الى الاتحادات الكيماوية او الميكانيكية، من اي نوع كانت، وهي كما ترى امور بخارجة عن التركيب الجفاني ومن رتبة عقلية محضه. هذه المشاهدات تثبت وجود

الروح ممتعة بخصائص ذاتية مستقلة عن الحواس الطبيعية والروح في مدة الحياة الارضية، جعلت مصاحبة المنح مناسب لوظائفه المطلوبة منه فاذا كانت الروح ليست من مفرزات المنح، واذا كانت مستقلة عن المجموع العصبي المخي الشوكي، واذا كانت موجودة وجوداً مستقلاً، فلا يوجد سبب لان تنحل بانحلاله

ان بعض الظواهر، مثل قراءة الوسطاء، نصوصاً مجهولة، تشهد بوجود روح ممتعة بخصائص خاصة. هذه الروح يمكن ان تكون روحنا، ولم يثبت بأن هنالك ارواحاً اجنبية تتدخل بين ارواح المجربين، ومع هذا فافتراض تدخل روح اجنبية يجب ان يحتفظ به. لانه اذا ثبت ان الروح تبقى بعد الموت، فلانندوحة من انها تكون موجودة في جهة ما، واذا كانت روحنا تستطيع ان تستكشف شيئاً محجوباً عنها في مدة حياتنا، فكيف يعقل انها تفقد هذا السلطان بعد الموت؟

وكما اننا نعزو الي روحنا التأثير في احداث هذه الظواهر، يجب علينا ان نقبل امكان تأثيرها بعد الموت، ومقابلة الافتراضين احدهما بالآخر لمعرفة أيهما أسهل في التعليل به

والقول بأن هذه القراءات والنبوءات والاعمال النفسية والاتصالات الروحية تتحقق بدون شعور مناء، يقتضي اشكالا اكبر من افتراض تدخل ارواح اجنبية في احداثها

ويظهر ان هذين العنصرين لها تأثير في احداث هذه الظواهر، وأريد بهما خصائصنا النفسية وتأثير الارواح الاجنبية. فلا يصح لنا ان نجمد على أمر من هذين الامرين

فنحن نعيش في وسط المساتير، وهذه المساتير توجب علينا التعطش لمعرفة قدم قبولنا من الظواهر غير التي يمكن تعليلها بمعارفنا الحالية ضلال بعيد جداً، فان عدم القدرة على تفسير مشاهدة لا يقدح في صحتها، ويجب على العلماء ان يجعلوا نصب اعينهم ملاحظات (اراغو) بمناسبة تاريخ الاحجار السماوية وهي:

« كان الصينيون يعتقدون ان سقوط الاحجار السماوية له ارتباط بالحوادث الارضية ، ولذلك جعلوا لها جدول تفسيرية . ولا أدري ماذا كان يحق لنا أن نضحيك من هذه الخرافة ؟ فهل كان علماء أوروبا أقل منهم عند مرفضوا سقوط هذه الاحجار مع وضوحه ، محتجين بأن سقوط هذه الاحجار من الجو مستحيل ؟ ألم تملن جمعية العلماء في سنة ١٧٦٩ بأن الحجر الذي أخذه ساعة سقوطه بقرب (لوشيه) ، جماعة من الناس تدعوا سقوطه بأعينهم حتى مس الارض ، لم يسقط من السماء ؟ وأخيراً ألم تعتبر الجرائد المحضر الذي عمله مجلس بلدي (جولياك) ، في ١٤ يوليو سنة ١٧٢٠ ، عن سقوط مقدار عظيم من الاحجار في الحقول وعلى الدور وفي شوارع القرية ، من الاقاصيص المضحكة الموجبة للرجة ، لامن العلماء وحدهم ولكن من جميع العقلاء ؟

« فالطبيعيون الذين لا يريدون ان يقبلوا غير الحوادث التي يتراعى لهم تعليل لها ، أضر على تقدم العلوم من أولئك الذين يوصمون بأنهم يصمدون كل ما يلقي اليهم » انتهى

وأنا كم كررت قولي انه من الضلال المبين الظن بأن كل حادثة لا يمكن تفسيرها لايجوز قبولها ؟ ففهم أية حادثة أو عدم فهمها لا يقدح في صحة وجودها . هذا ما قاله سيسرون من قبل

ان الحادثة مهما كانت لا تفهم تعتبر حادثة . ولكن التعليل الذي لا يفهم لا يعتبر تعليل . فالخصائص العقلية التي رأيناها عامة فينا تثبت انه يوجد في الانسان عنصر نفسي متميز عن تركيبه الطبيعي ، يري من خلال الزمان كما يري من خلال المكان ، نافذ في العالم المحجوب عنا ، ولديه المستقبل والماضي حاضرا على السواء

نحن ندرس هنا علم الروح الذي لا يمكن نكرانه بوجه من الوجوه ، فلاجل أن نحل غامضة الموت ، ونبرهن على بقاء الروح بعد انحلال الجسد ، يجب علينا أولا أن نقتنع بأن الروح لها وجود خاص ، وجود يبرهن عليه بخصائصها الخاصة التي طبيعتها فارق طبيعة الجسد ، ولا يمكن تشبيهها بخصائص المادى ، ولا بالانفكاسات الكيماوية ، او

الميكانيكية ، تلك الخصائص مثل تأثير الارادة بدون الاستعانة بالافاظ ، والتلقين الذاتي المحدث لتتألمج طبيعية ، والشعور بالحوادث المستقبلية ، والتأثير والتأثر عن بعد ، والاتصالات الفكرية ، والقراءة في كتاب مقفل ، ورؤية بلدة بعيدة أو منظر أو حادثة مستقبلية بمحض الروح ، فان هذه الامور الخارجة عن نطاق تركيزنا الفزيولوجي ، والتي لا ارتباط بينها وبين شعوراتنا العضوية ، تثبت ان الروح جوهر مستقل موجود في ذاته . واني أرجو أن يكون قد قام على ذلك الدليل القاطع في هذا الكتاب

والمشاهدات النفسية تدل على ان الكون ليس قاصراً على الاشياء التي تدركها حواسنا الخمسة أو الستة المشتقة من وراثتنا الحيوانية ، بل انه توجد عالم آخري غيرها في هذا الكون

ونحن بعد أن برهنا على وجود شخصيتنا الروحية ، سنبدأ على هذا الاسـاوب التجريبي عينه بدرس الحوادث المصاحبة للموت ، وظهور من هم في حالة النزاع في أمكنة بعيدة ، وظهور أرواح الاحياء والموتى ، وتركيب الكائن النفساني ، والدور المسكونة بأرواح الموتى ، والاتصال بالموتفين ، وأدلة بقاء الجوهر النفساني بعد الموت والجسم الاثيري . فان كل الذي مر يتعلق بالحياة نفسها

وقد وصلنا الي درس مايتعلق بالموت ، وما يبقى بعد الساعة الاخيرة للوجود الجسداني . فان هذا التأليف (ضد التحليل) الروحاني الجديد يتركب من ثلاثة أقسام متتابعة منطقياً وهي : ما قبل الموت ، وما حول الموت ، وما بعد الموت

(١) فما قبل الموت موضوعه اقامة الدليل على وجود الروح (وهو كل ماسبق)
(٢) وما حول الموت موضوعه حوادث ظهور الذين في حالة النزاع ، والصورة الثانية للانسان الواحد، وحوادث الامور الباطنية

(٣) وما بعد الموت حوادث ظهور الموتى ، وحالة الروح بعد الموت
فالجزآن الثاني والثالث من هذا المؤلف قد تم تأليفهما كهذا الجزء ، وسينشران على التتابع

وغير ضنا الوحيد من هذا العمل، ومطامحنا منه، هو ان تحمل هذه المجموعة على قدر
الامكان، في الحالة الراهنة للعلم الصحيح، روح الطمانينة التي تعطش اليها النفوس بحق،
وهي في طريقها لادراك الحقيقة

وهذا الجزء الاول من عمل كثير التركيب، يثبت وجود الروح الانسانية مستقلة
عن التركيب الجسماني . هذه كما يظهر لي، مسألة قد تقرر نهائياً، وهي من القيمة بالمحل
الاعلى بالنسبة لكل مذهب فلسفي

(المترجم) انتهينا والحمد لله وحده من ترجمة الجزء الاول من كتاب العلامة
الاكبر كاميل فلاصريون، وسنبداً بترجمة الجزء الثاني، ونوالى الترجمة حتى تتم هذه
الاجزاء الثلاثة التي تعتبر في اوربا بحق من الاحداث الفلاسفية الكبرى التي لن
يقف تأثيرها عند حد



